

مَجَلَّةُ الْمَجْمَعِ الْعَالَمِيِّ الْعِرَاقِيِّ

الجزء الثاني

١٩٥١ - ١٣٧١

مَجْلَدُ الْمَجْمَعِ الْعَالَمِيِّ الْعِرَاقِيِّ

Vol 2

المجلد الثاني

(١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م)

شبكة كتب الشيعة



طبع شركة النشر والطباعة العراقية
المحدودة - بغداد

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

الأدب العربي

ألوانه وتأريخه

آثرت المفرد على الجمع فعبرت بـ (الأدب العربي) معرضا عن التعبير انشائى
« الآداب العربية » ؛ لأن الأدب العربى واحد فى مفهومه ، وفى تكوينه ونشأته ، وفى
آلاته ومادته ونتاجه . فهو نسيج أمة واحدة وان نبت مادته فى بقاع مختلفة ، وغرست
أشجاره فى بساتين عدة ، وقطفت ثماره من أغصان مؤتلفة . ولا يصدق الجمع الا اذا
أريد بالأدب العربى غير ما أذهب اليه : - اذا أريد بها علوم العربىة - فيقال تأريخ
الآداب العربىة ، أى تأريخ العلوم العربىة ، وهو رأى ذهب اليه أكثرية المؤلفين ، وقول
لاكه كثير من الكتاب والمتأدين ، ومذهب سلكه كثير من الباحثين . أو اذا أريد بالأدب
النظم والنثر بأنواعهما . وهو قول يفهمه العامة ، ويجرى على ألسنة أنصاف المتعلمين .
ولا يشجنى الواقع والعمل فى النظر ، على الاستسلام لقبول ذلك الرأى وترديد ذلك
القول ، وسلوك هذا المذهب ، على ما سأبحثه قريبا . كما لا يشجنى الواقع والعمل فى
النظر ، على الميل الى ما فهمته العامة ونطق به أنصاف المتعلمين .

ما الأدب العربى ؟

موضوع جدير أن يسأل عنه ، وتحقيق بأن يجاب عنه بعد الروية والاثانة . وبعد
التأمل والبحث ، ألقىت السؤال على نفسى ، وراجعت مظان البحث ، فلم أخرج من مراجعاتى
بأكثر من : أن الأدب هو الظرف وحسن التناول ، يقال أدب أدبا أى ظرف وحسن تناوله فهو
أديب والجمع أديباء ، وتأدب تعلم الأديب وتهذب ، وتأدب على فلان تخلق بخلاقته ،
وان الأدب علم يحترز به عن الخطأ فى كلام العرب لفظا وكتابة . وهو العلم الشامل
لعلوم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والمحاضرات والعروض
والقوافى وقرض الشعر والتأريخ . وزاد بعض المتأخرين من المؤلفين فى تعريف الأدب
فقال انه علوم اللغة العربىة .

وقد راجعت ما تيسر لى من الكتب المؤلفة فى تأريخ الأدب العربى ، فرأيت أن

البعض قد ذهب فى مفهوم الأدب الى أنه المنظوم والمثور من الكلام ، فقرر كتابه على الشعراء والناترين ، فأمعن فى تراجعهم على حسب العصور التى اصطلح عليها ، فترجم لمن وقع اختياره عليه من أبناء العصر الجاهلى ثم الأموى وهكذا ، وعرض نماذج من نظمهم ونثرهم . فمن موجز فى الترجمة والعرض ، ومن مطبب فيها . - ويخيل لى أن الناحين هذا المنحى من المؤلفين يذهبون الى أن الأدب هو القدرة على صياغة الكلام منظوما أو منثورا . - ورأيت البعض الآخر قد ذهب فى مفهوم الأدب الى أنه علوم اللغة العربية فوضع كتابه على هذا المفهوم ، وبحث تلك العلوم علما علما على حسب العصور التى اصطلح عليها . ومنهم من ذهب الى أنه العلوم التى عرفها العرب وبحثوا فيها باللغة العربية سواء أكانت متعلقة باللغة نفسها كالصرف والنحو ومفردات اللغة وقروض الشعر ونحو ذلك ، أم كان متعلقها غير ذلك كالطب والبيطرة والفلك ونحوها ، فوضع كتابه باحثا فيه تلك العلوم من حيث نشأتها عند العرب وتطورها فى العصور التى اصطلح عليها .

ومنهم من زاد فى مفهوم الأدب العربى فقال : هو علوم اللغة العربية أو ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائنهم . فهذا المفهوم للأدب واسع الدائرة ، لا يحيط به الاعلام الغيوب . وإذا ما رجعنا الى تصنيف الراء والمذاهب فى مفهوم الأدب نجدها ثلاثة صنوف : صنف ضيق الدائرة ، ومن هذا الصنف الرأى الذاهب الى أنه أداء المراد نظما أو نثرا جاريا على قواعد علوم اللغة . فكل ناظم أو ناثر على هذا الوجه أديب . وصنف واسع الدائرة لا يحيط بها الا القليل ، ومن هذا الصنف المذهب القائل انه علوم اللغة العربية وهى اثنا عشر علما : اللغة والنحو والصرف . . . الخ ، فمن أحاط بهذه العلوم فهو أديب وان كان جامد الفكر ، فاسد الذوق ، ومن قصر فيها أو فى بعضها فهو خارج عن معسكر الأدباء ، فصى عنهم وان كان ألمعيا ، لامع الفكر خصب الخيال ، صحيح الذوق ساهل . والصنف الثالث أوسع دائرة يتعذر أن يحيط بها بشر ، أو يقطعها انسان ، ومن هذا الصنف القول الذاهب الى أنه ثمار عقول أبناء اللغة العربية وتسايج قرائنهم ، فلا يوصف بالأديب على هذا القول الا من أحاط بهذه الثمار وهذا النتاج . وهذا أمر متعذر محال ، فلا أديب اذا ولا أريب . وان تسامحنا وقتنا لا نشترط الاحاطة بل يكفى الاشتراك فى تحقيق تلك اثمار وحصول ذلك النتاج ، لزم أن نزع أن أكثر أبناء الأمة العربية أدباء ، اذ لا تخلو أكثرية الأفراد من هذا الاشتراك ، ولا شك فى بطلان هذا الزعم .

فأنت ترى وتسمع هذه الفوضى فى مفهوم الأدب وما يؤدى اليه كل مذهب من

النتائج المرفوضة والاحتمالات البعيدة من الواقع • ولعل هذا التبليل فى المفاهيم والنتائج ناشئ عن أن الأدب من الأمور غير القابلة للتعريف ، اما لبداهته ، فان البديهيات لا تعرف ، واما لمفوض مفهومه وخفاء ماهيته ، والفاوض أو الخفى مما لا يعرف الا بالرسم ، والرسوم لا تكشف عن الحقائق ولا تقرر الماهيات ، وانما تصور لها شكلا غير واضح كل الوضوح ، ولربما تعددت الرسوم لتعريف شئ واحد ، فكل معرف يرسمه يرسم غير الرسم الذى عرفه به الاخر ، وباستعراض الرسوم يتحقق الاضطراب وتنشأ الفوضى فى المفاهيم الحقيقية ، شأنه شأن العلم ، فقد وقع البون الشاسع والخلاف الواضح فى تعريفه ، فقل فى تعريفه انه حصول صورة الشئ فى الذهن ، وقيل هو المسائل الحاصلة فى الذهن ، وقيل هو ملكة يقتدر بها الانسان على معرفة الشئ • وقيل وقيل • فقد وقع هذا الخلاف وهذا البون فى مفهوم العلم ، وهو من أعرق الحقائق الثابتة الراسخة ، لا ينكره على نفسه أحد حتى الجاهل ، ولا يرضى بالخروج عن حيزه حتى الطفل ، ويتمسك بعروته الوثقى جميع الناس ، مع كل هذا ومفهومه مختلف فيه ، وماهيته كالمجهولة يختلف العلماء فى بيانها ، وتتضارب الآراء فى تقريرها وبحثها • وما ذاك الا لأنه من البديهيات التى تدركها العقول وتقصر عن تحديد ما أدركته بتقرير ماهيته والكشف عن حقيقته ، فلا معدى لها عن التعريف بالرسم دون التطل الى التعريف بالحد • والأدب صنو العلم ، فهما فى العرض والبيان سواء ، فما وقع لآحدهما فى الماهية والمفهوم وقع للآخر •

والذى تشعر به نفس الأديب وتطمئن اليه - على ما أرى - أن لأدب الأئمة مفهومين : عام ، وخاص •

أما العام فهو جميع ما أنتجته الأئمة مما له علاقة بثقافتها من دين وأخلاق وعلوم واجتماع ، وما تسير عليه من ذلك فى حياتها • وهو أعظم ثروة معنوية تبنى عليها الأئمة كيانها وثروتها المادية • ولا يحيط بهذا النوع من الأمور بعد الله الا التأريخ • وهو يختلف قوة وضعفا ، ونشاطا وركودا ، وشهرة وخمولا ، باختلاف العصور • والجدير بهذا النوع أن يتلقاه الباحثون بالبحث من حيث العصور التى مر بها أو مرت به ، وعبر عليها أو عبرت عليه ، تحقيقا للموازنة بين سير أدب الأئمة فى عصور المختلفة ، لتبيين مواطن الضعف ، وعوامل القوة أو الوهن ، لتكوين على بصيرة من أمرها فى أهم مقومات حياتها وهو الأدب بمعناه الواسع • فان هذه المقايسة والموازنة والحصول على النتيجة المترتبة منها ، لاتؤتى أكلها غنية بالفوائد الا اذا نظر فيها من حيث العصور • أما اذا نظر اليها من حيث البيئة أو من حيثيات أخرى فان الفائدة من بحثها تضعف ،

اذ النظر فى ذلك يصبح محليا غير شامل ، مع أن الشمول هو الذى يجب أن يكون المبحوث فيه ، وهو الذى يجب أن يكون محط النظر ، فان هذا المعنى العام لا يلائمه النظر فيه من ناحية محلية ، ولا تتجلى الفوائد من بحثه واضحة الا اذا شمل الامة كافة عامة ، دون تخصيص بيئة أو تمييز بين بيئة وبيئة .

وأما المعنى الخاص فهو ملكة يقتدر بها المرء على الافصاح عن الأشياء - خصوصا ماينطوى عليه المجتمع من محاسن أو معائب - افصاحا يجعلها قريبة من المحس الملموس كتابة ، نثرا أو نظما ، أو خطابا ، جاريا على الأسلوب العربى البليغ . وبعبارة أخرى هو ملكة يقتدر بها المرء على تصوير الأشياء - خصوصا منها حالات المجتمع ودخائله - تصويرا دقيقا من طريق الالفاظ ، كتابة أو خطابا جاريا فى ذلك على الأسلوب العربى البليغ . فهذه الملكة أو القدرة هى الأدب ومالكها أديب . والأدباء تفاوتوا منازلهم رفعة أو انخفاضا ، وبسطة أو انقباضا ، بحسب متانة تلك الملكة وضآلتها ، وقوة تلك القدرة وضعفها . ولا تتكون هذه الملكة وتلك القدرة الا بعد دراسة علوم اللغة العربية والارتياض والتمرن ، وحفظ الكثير من القرآن العظيم ، وشعر فحول الشعراء المبرزين ، وطرف من نثر الكتاب المعروفين ، والدأب على التخيل المسنقيم ، واستقصاء مميزات الأشياء التى يمر بها المتصدى لأن يكون أديبا ، والتعمق فى مؤثرات بيئاتها .

والبحت فى هذا المفهوم من الأدب حرى أن ينظر فيه الى البيئة التى نبت فيها ، والظروف التى ألفتها وأحاطت به ، لا من حيث العصور التى قطعها والأيام التى سار فى موكبها أو سارت فى موكبه . فان الفائدة المرجوة من بحثه من حيث مفرسه ومرباه أجدى منها من بحثه من حيث عصوره وعمره ، وشبابه ، وكهولته ، وشيخوخته . فان الأدب لا يوصف فى الواقع والحقيقة بشباب أو كهولة أو شيخوخة ، بل هو اما حى واما ميت .

فالذا تقرر ما أردت تقريره ، وقبل الأدباء وعلماء الأدب ذلك ، فانى أقترح أن تنفر طائفة منهم لآخذ الأدب بمعناه العام وتضع فيه مؤلفا ضخما يجمع ما غبر وما حضر من مواد وقواعده ومسائله ، ثم تصنف ذلك على وضعين : الوضع الأول بحسب العصور التى مرت به ، ناظرة فى ذلك الى المفهوم العام للأدب . والوضع الثانى بحسب بيئاته ومحيطه ، ناظرة فى ذلك الى المفهوم الخاص للأدب . وأعود فأقول ان المفهوم الخاص للأدب يحسن بحثه من ناحية بيئته ومحيطه

لا من ناحية عصوره ، لما قررته آتفا ، على العكس من الحطة المتبعة فى بحثه الدارج عند كتاب العصر • فانهم عكفوا على بحثه بالمفهوم الخاص من ناحية عصوره ، فجاءت مؤلفاتهم تكاد تكون نسخة طبق أصل واحد : تراجم أدباء معدودين ، واستعراض نماذج - تكاد تكون معينة - من نظمهم وشعرهم • وربما أراد بعضهم التوسع فحشر بين من يستحقون الترجمة ممن يعدون قدوة فى الأدب أناسا ربما كان أكثرهم من المهازيل الضعاف المقلدين ، ظنا منهم أن التوسع فى الموضوع أو التجدد فيه هو بتكثير السواد فيه • ولم أصادف من نحا فى بحثه المنحى الذى أرمى إليه ، ذلك المنحى الذى ينظر الى بحث الأدب بمعناه الخاص من ناحية بيئاته مع قطع النظر عن الأشخاص الذين أوقدوا شموعه ، أو حملوا مشاعله ، اللهم الا بالتبع وعرض الكلام • وكان يحلو لى أن أجرب نفسى بوضع كتاب فى تاريخ الأدب العربى على الطريقة التى أقترحها ، لكن وجدتنى عاجزا عن القيام بهذه التجربة فى الوقت الراهن • ولعل المستقبل يفسح لى وقتا يسهل لى انجاز رغبتى • ولعل فحول الأدباء من المخضرمين أو الشبان يغفوننى عن ذلك •

انى رسمت لنفسى فى هذا الموضوع ثلاث بيئات كبرى ، تتقارب مؤثرات كل بيئة منها ومفاعيلها فى البيئات الصغيرة المنطوية فى ضمنها :

البيئة الغربية ، وتضم الأندلس والمغرب الأقصى •

والبيئة الشرقية ، وتضم ايران وما جاورها من الأقطار الاسلامية •

والبيئة الوسطى ، وتضم مصر وسورية بمعناها الواسع وجزيرة العرب والعراق • وهذه البيئات الثلاث واسعة جدا ، كل بيئة منها تضم بيئات خاصة تمتاز بعض الشيء فيما بينها من بعض الوجوه • فلكل من هذه البيئات الكبرى طابع خاص فى الأدب ، له ميزاته وخصائصه • وليس فى وسعى أن أبحث فى هذه العجالة بحثا مسهبا عن كل من هذه البيئات الثلاث الواسعة الكبر ، وليس بمقدورى أن أنقل الى البيئات الفرعية العديدة التى تضمها كل من تلك البيئات الواسعات الكبر • فان ذلك يتطلب فراغا فى أزمان طويلة وتعاونا فى العمل بين ذوى الاختصاص • وانما أقصر بحتى على هذه البيئات الثلاث بوجه عام ، قائم بكل منها الماما لأوضح الفكرة التى أرمى الى السير على هداها •

وقد عقدت كلامى على وصف الأدب فى كل بيئة من هذه البيئات بوجه عام ، ثم المقارنة بين ألوانه ومراتبه فى كل منها وضرب الأمثلة على ذلك • وليس التوفيق

مضمونا لى فى الخروج من هذا البحر بسلامة وفوز ، فان الموضوع ليس من السهولة
بمكان ، ولكن لابد أن يخرج الباحث فيه بشئ - له قيمته وله فائدته .

لكل بيئة من البيئات الثلاث التى عقدت الكلام فيها مواقع جغرافية لها عواملها
الطبيعية ومؤثراتها الخاصة . ولكل منها حالات اجتماعية وعادات مألوفة وأخلاق معروفة ،
تختلف بها عن أختها فى روابطها الاجتماعية وعاداتها وأخلاقها . فالمواقع الجغرافية
والعوامل الطبيعية والدوافع الأخلاقية والعادات ، لها أهم الآثار فى ساحات الأفكار ،
وأعظم التأثير فى مجازى التفكير وأساليب التعبير . وهل ينكر ما بين الجبل والصحراوى ،
وبين البحرى والبرى من اختلاف فى الخيال والتصوير ، وتباين فى التمثيل والتشبيه ،
والسهولة والوضوح ، أو التعقيد والدقة فى البيان ؟ فهذه المؤثرات والمكونات والدوافع
والروابط والمواقع هى العلل الكبرى فى اختلاف ألوان الأدب باختلاف البيئات .
فاليئة الجبلية تميل فى أصلها الى التضخيم والتكبر ، وقد تصل فى ذلك بالتدرج الى
المبالغات فالغلو فالاغراق ، ويجرى نثرها ونظمها وتصورها وبيانها وتصويرها هذا
المجبرى .

والبيئة الصحراوية تأتى أخيلتها واسعة واضحة ، تؤاخذ السهولة ، بعيدة عن
المبالغات ، فترى فى نظمها ونثرها وتصويرها وبيانها مجرى الوضوح والسهولة ،
متماشية مع الحقيقة أو المجاز القريب منها ، متجافية الغلو والمبالغات القريبة منه .
وربما امتزجت بالحساس متأثرة بما تفيضه الصحراء عليها من وهج ، وما ترسله
أشعة شمسها من حرارة ، وما تخزنه فى أعصاب أبنائها من حساسية .

والبيئة البحرية تجى - أخيلتها أصفى من المرأة المجلوة ، متموجة بموج مياه البحر
الصافية ، ترسم فيها صور مختلفة ارتسام عجائب السماء فى وجه البحار ، وشواطئ
الجبال ، وعوارض السواحل عليها ، هذا مع اتساع عمق المدى . فينصب نظمها ونثرها
وتصورها وتصويرها وبيانها على هذا الفراغ . وهكذا كل بيئة كبيرة أو صغيرة لها
عوارض خاصة وميزات لصيقة بها ومؤثراتها على طبيعة أبنائها ، وما الادب الا وليد
الطبايع .

وشأن الأدب فى الأمة كبير ، وأثره فى حياتها ومقوماتها عظيم ، فانه هو المرشد ،
وهو القوة التى تحرك النفوس ، وتبعث فيها النشاط ثم الحركة والعمل ، وهو
مفتاح النهضة ، وباب الدخول الى السير بالأمة فى طرق الصلاح والاصلاح . واذا
استكملت الأمة أدبها بمعنييه العام والخاص ، فقد بنت مجدها على أسس لا تتصدع ،
وصانت كياناتها من عوادي الدهر وحوادث الزمان .

والوضع الطبيعي يقضى بأن يسبق الأدب بمعناه الخاص الأدب بمعناه العام .
فإن المعنى الأول منه للأمة من رقادها ، مذكراها بأمجادها ، دافعها الى العمل لتحل
مكانها اللائق بها ، خصوصا اذا كانت من الأمم التى اشتركت فى بناء المدنية الانسانية ،
وحفظ التاريخ لها ما جاءت به للعالم من خير وهدى ، وما ساهمت به فى بناء كيان العالم
المتمدن . أما المعنى الثانى فهو نتيجة منبعثة من تلك الدوافع والمؤثرات ، وهو يتسع
ويضيق بحسب نشاط الأمة وميزاتها الطبيعية ، وكفايات أبنائها ومسيرة الحظ لها ،
يحفظها من الاصطدام بعقبات الدهر التى ليست فى الحسبان .

ونخرج من هذا الفصل أن الأدب يتنوع من حيثيات مختلفة ، فهو أدب بالمعنى
العام (الأدب العام) وأدب بالمعنى الخاص (الأدب الخاص) . وهذا النوع ذو فروع
فهو أدب اجتماعى ، وأدب دينى ، وأدب مدنى ، وأدب ريفى ، وهكذا . وإذا تسامحنا ولم
نشرط فى هذا النوع من الأدب كون التعبير جاريا على الأسلوب البليغ ، فإن الانواع
تزداد عددا ، فهناك حينئذ الأدب العامى والأدب البدوى ، وهكذا .

وها انى أقدم صورا من أدب بيثة من تلك البيثات ، من نثرها ونظمها ،
تجلى فيها أفعال البيثة وتأثيرها ، وأعمد فى هذه الصور الى المشهورين من الأدباء ،
ناظرا فى ذلك الى المفهوم الخاص للأدب .

النظم :

القاضى الأرجانى من أدباء القرن السادس :

أنى الى وقد ساويته فى نحوله	خيالى لما لم يكن لى راحم
فدلس بى حتى طرقت مكانه	وأوهمت الفى أنه بى حالم
وبتنا ولم تشمر بنا الناس ليلة	أنا ساهر فى جفنه وهو حالم

تقول للبدر فى الظلماء طلعه	بأى وجه اذا أقبلت تلقانى ؟
وجه السما لى مرآة أطالعها	والبدر وهنا خيالا فيه لاقانى
لم أنسه حين أبكاني وأضحكه	وقوفنا حيث أرعاه وبرعانى
كل رأى نفسه فى عين صاحبه	فالحسن أضحكه والحزن أبكاني

فانظر الى ما فيه من اغراق فاق الاغراق الذى عيب به المتنبى فى قوله :

كفى بجسمى نحولا اننى رجل	لولا مخاطبتى اياك لم ترنى
--------------------------	---------------------------

الثعالبى :

صاحب فقه اللغة وبيتمة الدهر ، وهو من أدياء القرن الخامس :

ياسيدا بالمكرمات ارتدى واتملم العيوق والفرقدا
مالك لا تجرى على مقتضى مودة طال عليها المدى

الحازن :

من القرن الرابع ، يعتذر الى صاحب بن عباد :

لنار الهم فى قلبى لهيب فغفوا أيها الملك المهيب
فقد جاز العقاب عقاب ذنبى وضع الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرة مهج القوافى وغصصها التذلل والتجيب
وقد فصمت عراها واعتراها لسخطك بعد نضرتها شحوب
تجاوزت العقوبة متهاها فهب ذنبى لعفوك يا وهوب
صبت على سوطا من عذاب يذل لبأسه الدهر الغلوب
وأرهقنى نكيرك لى صمودا من الأشجان ليس له صوب
عليك أنيخ آمالى ، فرحب بها ، واليك من ذنبى أنوب

النثر :

الحازن يكتب للصاحب :

كاتبى أطال الله بقاء الأستاذ سيدى ومولائى من الحضرة التى نرحل عنها اختيارا
ونرجع اليها اضطرارا ، ونسير فى فنائها اذا أبطرتنا النعمة ، ثم نعود الى أرجائها اذا
أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذبه الأقاله هذبته العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل
والنهار . وما الشأن فى هذا ، ولكن الشأن فى عشر سنين فانت بين علم ينسى ، وغم
لا يحصى ، وانفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ولم تغن عنى بريش طائر ،
وبعد عن الوطن على غير بلوغ الوطر ، ورجعت يشهد الله صفرا اليدين من البيض
والصفر ، أتلو والعصر ان الانسان لفى خسر .

الصاحب بن عباد فى رسالة له :

نحن وحياتك فى مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ، ونارنجه ذهب ، ونرجسه
دينار ودرهم ، يحملهما زبرجد ، وألسنة الميدان تخاطب الظراف بهلم الى الاقتداح .
لكنا بفتيتك كمقد غيت واسطته ، وعباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون الينا أسرع من
الماء فى انحداره ، والقمر فى مداره .

وفى أخرى :

نحن ياسيدى فى مجلس غنى الا غنىك ، شاكر الامنك ، قد تفتحت فيه عيون
الترجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مجامر الأنرج ، وفقت فأرات النارج ،
وانطلقت السنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقت سوق
الأنس ، وقام منادى الطرب ، وطلعت كواكب الندامى ، وامتدت سماء الند • فجيتانى
لما حضرت لنحصل بك فى جنة الخلد ، وتصل الواسطة بالعقد •

التعالى يقول فى صاحب :

هو صدر المشرق ، وتأريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع الفضل والاحسان ، وكانت
حضرتة محط رجال الأدباء والشعراء ، وموسم فضلهم ومنزع آمالهم • ولما كان نادرة
عطارد فى البلاغة وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب اليه من الآفاق وأقاصى
البلاد كل خطاب جزل وقول فصل ، وصارت حضرتة مشرعا لروائع الكلام وبدائع
الافهام ، ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم وثمار الخواطر ودرر القرائح •

*

* *

فاذا ما قارنا مثل هذه النماذج بأمثالها من رسائل ومقالات وشعر من أمثال الجاحظ
ولسان الدين بن الخطيب وابن زيدون وابن نباتة وأضرابهم من أدباء البيهتين الصحراوية
والبحرية ، يظهر الفرق واضحا كل الوضوح • ولا حاجة الى الرجوع الى العصور
البعيدة ، بل ارجع البصر فى عصرنا الحاضر الى أدب العراق ، وأدب مصر ، وأدب
لبنان ، وأدب المهجر ، تجد الفروق واضحة بارزة ظاهرة من حيث المواضيع
والديباجة والمغازى والأسلوب ، رسمتها بواعث البيئة •

هذا وليس فى وقى سعة للتبسط والاسهاب فى بحث الموضوع ، وفيما سمح لى
الوقت به من هذه الكلمة أكتفى بتوضيح الفكرة التى أرمى اليها ، وعرضها على أنظار
الأدباء ، عسى أن تلقى قبولا ثم تحضرا ، ثم عملا ، ثم انتاجا ؟ ومن الله التوفيق •

منير القاضى

المرأة والرجل

المرأة والرجل محور الحياة ووحدة المجتمع ، والبحث فيهما من أهم المواضيع الحيوية ، التي تؤدي الى الاستقرار والسعادة في الحياة وتجعلها نعيما لا جحيما ، وبالرغم من كثرة البحوث في هذا الموضوع الحيوى فلا يزال معظم الناس متأثرين بالخرافات والتقاليد والشائعات ، يجهلون كثيرا من حقائقه الأساسية . ولا ظرف أنسب من الظرف الحاضر للبحث في مشكلات المرأة والرجل ، لأن المرأة وعت حقها في الحياة وشعرت بالفن الذى أصابها في الماضى والحاضر ، فوثبت وثوب اللبوة للدفاع عن حقوقها ، وأخذت تفض عنها ذل الماضى ، وخرجت عن العرف والتقاليد والاضاع التى حرمت عليها ما أحلته للرجل .

التنافس بين الرجل والمرأة قديم منذ عهد الخليفة ، وقصة آدم وحواء ، قصة اغواء المرأة للرجل ، رددتها الكتب المقدسة والأخبار ، واتخذها الرجل حجة للحط من كرامة المرأة ونسبة الشر اليها .

كان العالم في الماضى ولا يزال في الحاضر عالم رجال ، فلمم الحول والطول والأمر والنهى ، وقد رفع الرجل المرأة الى الأوج حيناً ، وانزلها الى الحضيض حيناً ، ونعما بأشنع النعوت ، وجعلها مصدر الشر .

قال كونفشيوس : يختلف النساء عن الرجال اختلاف الأرض عن السماء ، حقا انهن بشر ، ولكنهن من طبقة أخط من طبقة الرجال . ومن الطبيعى أن تكون المرأة عديمة الارادة وتحت سيطرة الرجل . ومن أقوال « هبونكس Hyponax » الشاعر الاغريقى الشهير : تسعد المرأة الرجل يومين في حياتها ، يوم زفافها ويوم وفاتها . ومنذ زهاء ألفى سنة وصف العالم الرومانى الطبيعى « بلينيوس » المرأة في وقت الحيض الوصف الآتى :

ان لمسها أو وجودها يحول الحمر خلا ، ويتلف المحاصيل الزراعية ، ويميت البذور

النباتية ، ويخرب الحدائق ، ويسقط الاثمار من اشجارها ، ويذهب حدة المواسي ، ويقتل النحل ، ويبيد الصراصير !

وقال نيتشه : وظيفة المرأة مسرة الرجل وجعل حياته مريحة ومرضية . وقال المصلح البروتستانتي الشهير (لوتر) : اذا تعبت المرأة من الحمل ولو ماتت فلا بأس في ذلك لانها خلقت للولادة .

وقد حط الفيلسوف الالماني شوبنهاور من قدر المرأة ، وخطأ الشرائع التي ساوت بينها وبين الرجل .

ويطول بنا الكلام اذا أردنا أن نسرد أقوال الرجال والنساء أيضا ، وآراءهم في المرأة ، وقد تأثر رجال عصرنا بهذه الروح ، روح التحامل على المرأة ، ووسموها بأشنع الصفات ، فالكاتب الذائع الصيت عباس محمود العقاد ، جرد المرأة من كل صفة حسنة تقريبا في كتابه « هذه الشجرة » ، ومما قاله فيها : « المرأة مزودة بوسائل الغواية ، موكلة بالمخالفة والحداع . هي تنوى لاثنها ينبغي أن تراد ، ولا ينبغي أن تريد ، وهي تستهي المخالفة لانها تؤمر وتنهى ، أو لانها رهينة بارادة الآخرين » .

وقال بصدد البحث عن الجمال : « جسم المرأة جسم تابع ، وليس بالجسم المستقل الذي لا ينظر الى تكوين غيره ، وجسم الرجل جميل التكوين لذاته ، لا لانه منظور فيه الى مخلوق آخر يتوقف عليه » .

وقال في بحثه عن الجنس : « الرجل حي النزعة في مجمل صفاته ، والمرأة نباتية النزعة في مجمل صفاتها » .

ويستغرب الانسان هذه الآراء الغريبة التي تحتاج الى كتاب خاص لادحاضها ، وقد جعل خواص الرجال وعوامهم المرأة موضع السخرية والتهمك في احاديثهم ومبازلهم ، والمثل السائر : « فتن عن المرأة » معروف عندنا . وكذلك يعير الرجال بعضهم بعضا بعقل المرأة وتقلبها وعدم محافظتها على الأسرار ، وغير ذلك من ضروب التحامل والتجني عليها .

فلا غرو أن تثور النساء على الرجال ثوران البراكين ، ويشهرن السلاح لاسلح العيون والوجوه والقذود ، بل سلاح العلم والعمل والجهود .

ونحن لن نتناول في بحثنا بواعث الثورة النسوية وأهدافها ونتائجها ؛ لأن هذا موضوع قائم بنفسه ، ولكننا سنبحث عن خصائص المرأة وخصائص الرجل الطبيعية لتبين ان كان في طبيعة كل منهما مؤهلات خاصة تميز كل جنس عن الجنس الآخر ، وهل من مصلحة المرأة والرجل والمجتمع أن تهجر المرأة البيت وتفزوا الأسواق التجارية

والحقول الزراعية وقاعات المحاكم وغرف العمليات ودور الصناعة وساحات القتال ؟ وهل من الممكن تطبيق المساواة التي تشهدها المرأة وتكافح في سبيلها مكافحة المستقبل ؟ وسنحاول أن نكون في دراستنا بعيدين عن التحامل كل البعد ، وندرس هذا الموضوع في ضوء العلم الصحيح لتتوصل الى حل معقول .

وأول سؤال يتبادر الى أذهاننا « أتوجد فروق أساسية بين المرأة والرجل ينتج عنها فروق في الحياة العملية ، أم هذه الفروق عارضة لادخل لها بوظيفتهما في الحياة ؟ » . يحكى أن فتاة كانت تفرج على معرض التماثيل في قاعة بلندن ، وقد رافقتها والدتها ، ولما نظرت الى تمثال آدم وحواء ، التفتت الى والدتها وسألته « أيهما آدم وأيها حواء ؟ » ، فأجابته والدتها « ألا تستطيعين التمييز ! » ، فأجابت الفتاة : « كلا ، انهما عاريان » .

هذا ما يعرفه ويفهمه الناس من الفروق الخارجية بين الذكر والانثى : الشعر الطويل ، والخضر النحيل ، والوجه المستدير ، والصوت الرقيق ، وغير ذلك من الأوصاف التي تميز الانثى عن الذكر ظاهرا .

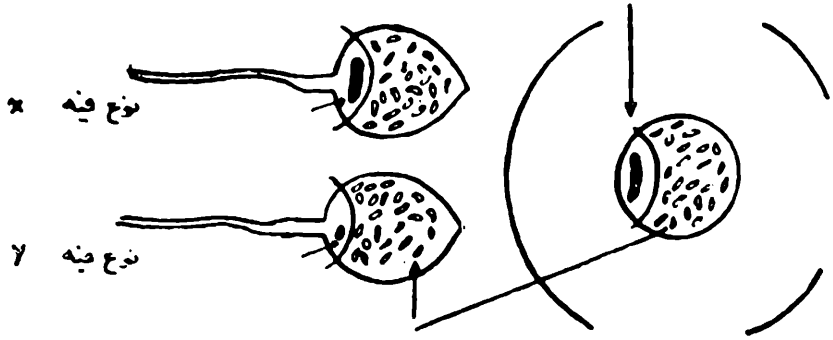
وفي سنة ١٩٢٣ أصدر الألمان Mathilde & Mathias Vaerting ، كتابا موضوعه : (الجنس السائد) زعما فيه أن لافرق بين الذكر والانثى ، وأن الفروق بينهما نشأت من ارتباط كل جنس بجنسه ، وعزوا هذه الفروق الى سيادة الرجل المرأة ، وادعيا أنها ستزول بزوال الأيام ، فيتشابه الجنسان . (ونظرة الى اناث الحيوانات وذكرها ، واناث البشر وذكرها ، تدحض هذه السفسطة) .

فلنبحث بحثا موجزا سهلا عن معنى الجنس أى كيفية تكوين الانثى ، وتكوين الذكر ، لأنه المفتاح الأول لبحثنا والاساس الذى تركز عليه فروق الجنس .

جسم الانسان مركب من ملايين ملايين الخلايا المجهرية ، وفي كل خلية عدا قليل منها نواة فيها جسيمات تسمى (المورثات) Chromosomes ، وهى التى تكسب الانسان صفاته الجسدية والعقلية والنفسية ، فالانسان يخلق طويلا أو قصيرا ، أسود أو أبيض ، ذكيا أو بليدا ، عصبى المزاج أو هادئ ، بتأثير هذه المورثات ، وهى التى تخلق الرياضى والموسيقار وصاحب الفن وغير ذلك من الصفات الوراثية ، التى يتمتع بها البشر . وهذه المورثات نوعية فى النبات والحيوان والانسان ، أى فى كل منها نوع خاص من المورثات ، وعددها فى الانسان ٤٨ مورثا . فلو نظرنا فى المجهر الى خلايا أجسامنا ، لرأينا فى كل منها ٤٨ من هذه الجسيمات الصغيرة التى انطوى فيها العالم الأكبر ، خلا النطف الجنسية التى يكون فيها نصف هذا العدد كما سنوضح ذلك ، وكل مورث مركب من وحدات

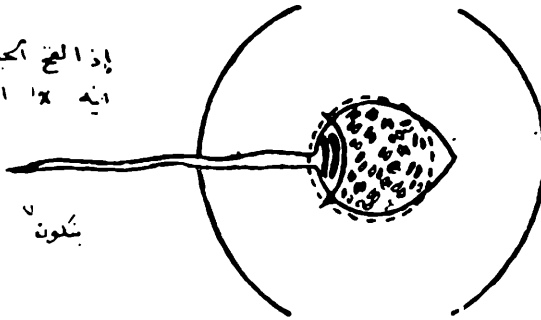
يخرج الرجل فوجين متساويين
من الحيوانات المنوية

تخرج الأم بيضات متساوية
كل منها موزن كبير اسمه x



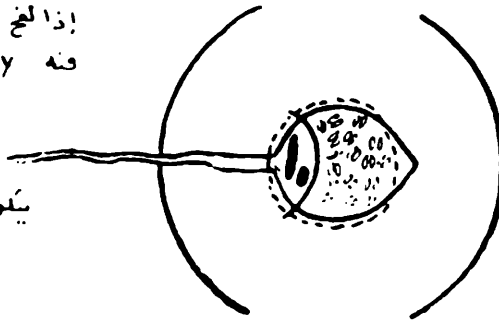
إذا تلخ الحيوان الذي
فيه x البضة

يكون xx إكسان (xx)



إذا تلخ الحيوان الذي
فيه y البضة

يكون xy



الرسوم مأخوذة عن كتاب النساء والرجال تأليف امرام شنفيلد

متناهية الصغر تسمى (العوامل الوراثية أو جينس) ، وتكون هذه المورثات أزواجا أزواجا في جسم الانسان ، أربعة وعشرين زوجا في الانثى وأربعة وعشرين في الذكر ، وهذه المورثات مختلفة الاشكال والحجوم ، وفي عدد العوامل الوراثية الموجودة فيها ، وكل زوج في الانثى يحمل نفس العوامل الوراثية التي في الزوج الذى يقابله في الذكر ، ومن بين هذه المورثات مورث يمتاز عن اقرانه بكونه حججه وعدد العوامل الوراثية الموجودة فيه ويسمى المورث (ج أو \times) ^(١) ، وهو الذى ينقل صفات مهمة جدا ، ولما كان هو الذى يعين الجنس سواء أكان ذكرا أم أنثى سمي (المورث الجنسي) . ويكون مزدوجا في خلية الانثى ومفردا في خلية الذكر ، ففي خلية كل أنثى ٤٦ مورثا اعتياديا ومورثان جنسيان ، وفي خلية كل ذكر ٤٦ مورثا اعتياديا ومورث جنسى واحد \times ورفيق آخر له يسمى (Y أو Y) ، وقبل أن تلقح نطفة الذكر نطفة الانثى تمر كل نطفة بدور يسمى (دور النقصان) تفقد فيه نصف المورثات الموجودة فيها . ولما كانت المورثات الموجودة في نطفة الذكر ٤٨ منها ٤٦ اعتيادية ومورث جنسى واحد وآخر Y فهى تشطر شطرين ، شطرا فيه ٢٣ مورثا اعتياديا ومورث جنسى واحد ، وشطرا فيه ٢٣ مورثا اعتياديا ومورث يسمى (Y أو Y) .

وتحدث لنطفة الانثى العملية نفسها أى تفقد نصف المورثات الموجودة فيها ، فتشطر أيضا شطرين شطرا فيه ٢٣ مورثا جنسيا اعتياديا ومورث جنسى واحد (ج أو \times) ، والشر الآخر فيه مافى الأول ، ففي كل شطر من شطرى نطفة الانثى مورث جنسى حين لا يوجد هذا المورث الا في شطر واحد من شطرى نطفة الذكر ، اذن تكون الحيوانات المنوية على نوعين ، نوع فيه مورث جنسى واحد ، ونوع فيه المورث Y وهو صغير وضئيل الاثر في أغلب الأحيان .

وتوصل بهذه الحقائق الى سر الذكور والانثوية أو تكوين الصبي والبنت . فاذا لقحت الحيوانات المنوية ، التى تحمل المورث الجنسي وفيها نصف عدد المورثات ، البيضة التى تحمل أيضا نصف عدد المورثات ، وبها مورث جنسى ج \times يتكون كائن فيه العدد الكامل للنوع وهو ٤٨ مورثا جنسيا ، منها ٤٦ مورثا اعتياديا ومورثان جنسيان \times ، ويكون أنثى ، لأن وجود المورثين الجسنيين مختص بالانثى ، واذا لقحت الحيوانات المنوية التى فيها Y البيضة التى فيها \times يتكون كائن فيه ٤٦ مورثا اعتياديا ، ومورث جنسى واحد وآخر لا أى ذكر . وباللحظة التى تلقح فيها نطفة الذكر نطفة الانثى يتعين نوع الجنس اذكر هو أم أنثى ، وتبدأ الخلية الملقحة بالانقسام المطرد ، فتقسم هى نفسها الى

(١) : إشارة الى الجنس .

خليتين ، والخلتان الى أربع ، والأربع الى ثمان ، حتى يكتمل نماء الجنين ، ويكون فى كل خلية نفس عدد المورثات التى فى الخلية الأولى أى لا يحدث نقصان فيها كما حدث فى نطفتى الذكر والأنثى .

فانذكرة والانوثة تتوقفان على وجود مورث جنسى واحد فى الحالة الأولى ومورثين جنسيين فى الحالة الثانية^(١) .

وتتوصل بما مر ذكره الى حقيقتين أساسيتين ، الأولى أن نصف الانسان من الأب ونصفا من الأم ، ففى كل امرأة نصف رجل وفى كل رجل نصف امرأة . والحقيقة الثانية : أن تكوين الجنس يتوقف على نطفة الذكر لا على نطفة الأنثى ؛ لأن فى نطفة الذكر مورثا جنسيا واحدا ، فاذا لقح نطفة الأنثى يتولد كائن فيه مورثان جنسيان ، أى أنثى ، واذا لقح نطفة الأنثى حيوان منوى خال من المورث الجنسى وفيه المورث Y يكون الجنين ذكرا . فالرجال هم الذين يكونون الذكر أو الأنثى ولا لوم على النساء بذلك ، ويجنى الرجال على النساء بنسبة ولادة البنات اليهن فان كان من ولادتهن ملامه فهى على الرجل لا على المرأة .

وفى اللحظة التى يتم فيها التلقيح يتعين مصير الجنين ، فيسلك فى نمائه سلوكا خاصا اذا كان ذكرا وسلوكا آخر اذا كان أنثى . يكون طول الجنين فى الاسبوع الرابع نحو من ستمتر واحد وتظهر فيه طلائع الجنس ، ويظهر فى الاسبوع السادس حينما يصبح طول الجنين نحو من ٣ سم بروز هو بواكير أعضاء التناسل ، ولا يمكن تمييز الأنثى عن الذكر فى هذا الدور . ومن الأمور المهمة فى تكوين الإجنّة أن أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل أعضاء تناسل الاناث : تكون المنطقة التناسلية قبل الاسبوع السادس منطقة حيادية ، وتبدأ فى الاسبوع السادس أو السابع أعضاء الذكر بوضوح اذا كان الجنين ذكرا ، ويضمّر الجزء المختص بالانوثة ، ويحدث عكس ذلك اذا كان الجنين أنثى فينشبط الجزء الانثوى ويضمّر الجزء الذكري من المنطقة الجنسية ، فأعضاء تناسل الذكر تظهر بين الاسبوع السادس والسابع مع أن أعضاء الأنثى التناسلية يتأخر ظهورها الى الاسبوع الثانى عشر . ونقول بعبارة أخرى ان أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل أعضاء تناسل الاناث بما يقرب من ستة أسابيع ، والعامل فى النماء الجنسى هو مفرزات الغدد الجنسية : المبيض والخصيتين ، وتنشط مفرزات الأنثى أكثر من مفرزات الذكر فى الجنين الأنثى ، وعكس ذلك فى الجنين الذكر ، وليست المفرزات الجنسية هى التى

نماذج من حدوث النظم في هيكل عظم النبات قبل الصبيان

سورط نظم العظام
جزء الهيكل العظمي

في الصبيان

في النبات

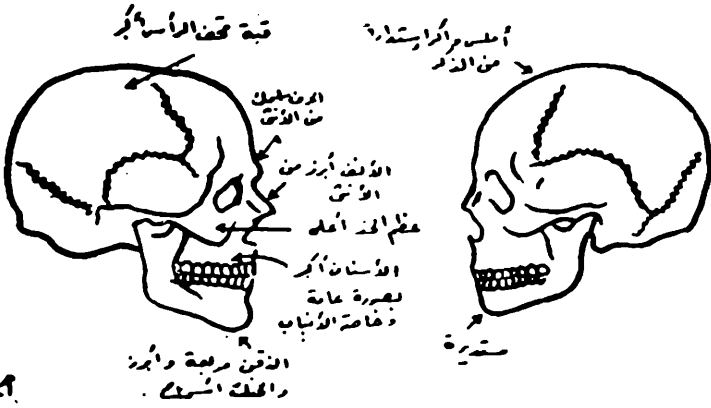


- ١- إظام اليد (العضلات الثاني) الشتر الثاني عشر
- ٢- إظام الرجل الجلب (العضلات الأول) ١٤ = الشتر الثاني عشر
- ٣- الرصفة ٢٣ شتر ٣ سنوات وشهر واحد (١٢)
- ٤- العظم الزورقي في الرسم ٣ سنوات وشتر ٤ و (٤) أشهر
- ٥- عظم الزنت ٤ و (٦) أشهر ٥ سنة
- ٦- عظم القبة ٥ سنوات ٦ و شتر ٨
- ٧- عظم الكاحل ٦ و (١١) أشهر ٨ سنوات
- ٨- عظم العضد (الطرف الأوسط) ٧ = شتر ٨ و (١) أشهر
- ٩- عظم العضد (الطرف الأوسط) ٨ = (٣) أشهر ١٠ و (٥) =
- ١٠- حرت عظم القصة ٩ سنوات ١٠ و (١) =
- ١١- نقر والظلم الأول ١٠ = ١٣ و (٣) =
- ١٢- الأستد والفرابي لعظم الفرج ١١ و (١٣) أشهر ١٣ و (١) أشهر
- ١٣- حرت الحرقفة ١٢ سنة ١٣ و (٥) أشهر
- ١٤- منطقة الحوض ١٣ = وشتر ١٥ سنة

التمييز بين الجيئين في الهياكل العظمية

عظام الذك

عظام الأنث



أخوض



النظام الطويلة



تؤثر وحدها في تكييف الجنين ، بل هناك مفرزات أخرى تأتي من الغدة الدرقية الموجودة في مقدمة العنق ، ومن الغدة النخمية الموجودة في الدماغ ، ومن الغدة الكظرية الموجودة في قمة الكلية ، ولا يسع المقام تفصيل تأثير هذه الغدد .

قلنا ان أعضاء تناسل الذكور تظهر قبل أعضاء تناسل الاناث ، ويحدث عكس ذلك في تكوين الجهاز العظمي ، الذي يتكون في الاناث أبكر من الذكور .

تكون عظام الجنين قبل الشهر الخامس من تكوينه بشكل قالب من غضاريف ، وتبدأ بالتعظم (أى التحول الى عظام) قرب الشهر الخامس فما بعد ، وتعظم الغضاريف في الاثنى بين الاسبوع الثامن عشر والعشرين أى بين الشهر الرابع والخامس ، ويتأخر تعظم غضاريف الذكر نحواً من شهر الى شهرين عنه في الاثنى . ومعنى ذلك أنه يتم تكوين عظام الاثنى قبل عظام الذكر بشهر أو شهرين ، وتكمل كذلك بقية أعضاء جسم الاثنى قبل أعضاء الذكر ، ولكن ليس بنفس السرعة التي يكتمل بها الهيكل العظمي .

فاذا كان تكوين الجنين الاثنى قبل الجنين الذكرى ، فيجب أن تولد الاثنى قبل الذكر ، وأن تكون مدة حملها أقصر من حمل الذكر ، وهذا هو الواقع . وقد تمكن العلماء في أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية من تعيين مدة الحمل بالضبط ، وعرفوا ذلك من الجنود الذين يرخص لهم في العودة الى أوطانهم لمدة قصيرة ، فيجامعون نساءهم مرة واحدة ويرجعون الى ساحات القتال ، وقد وجد الطبيب الالماني « Sergel » سنة ١٩٢١ أن متوسط مدة حمل الذكور ٢٧٦ر٦ يوماً والاناث ٢٦٧ر٦ يوماً ، ووجد الطبيب الانكليزي « Ewart » أن البنات يولدن بمعدل ستة أيام قبل الأبناء ، ويصدق الشيء نفسه على اناث الحيوانات والحشرات وذكرها مما لا مجال لتفصيله الآن .

والاعتقاد السائد أن الذكور أسبق نماء من الاناث ، لاتؤيده الحقائق العلمية ، فقد ذكر ارسطاطاليس أن الذكر يتكون في رحم أمه في اليوم الثالث عشر والاثنى في اليوم الخامس والأربعين . وقد ذهب الناس مذاهب شتى في تمييز الذكر عن الاثنى في أثناء الحمل ، فقالوا ان وجه الأم يكون أكثر بشراً في الجنين الذكر وتكون الحامل ثقيلة الخطأ في الذكر ، وان حركة الجنين تكون في الذكر أبكر من الاثنى ، والحقيقة عكس ذلك ، ولا يوجد لحد الآن طريقة تميز الذكر عن الاثنى في رحم الأم سوى أشعة x أو « فحص » دم الحامل وبولها .

والثابت باجماع الاحصاءات العالمية أن عدد الذكور والاناث متساو تقريباً بالرغم من أن نسبة ولادات الذكور أكثر من نسبة ولادات الاناث ، فكيف نوفق بين هذه الحقيقة والحقيقة الأولى في أن العدد متساو في الفريقين ؟ من الثابت في كل الاحصاءات

أن نسبة ولادات الاناث ١٠٦ ذكور لكل ١٠٠ أنثى ، وقد ذهب العلماء فى تحليل هذه النسبة مذاهب شتى ، ولا نطيل بسرد النظريات ، بل نسرّد نظرية واحدة تفنينا عن سائرّها . قلنا ان فى خلايا الأنثى مورّنين جنسيين وفى خلايا الذكر مورّنا جنسيا واحدا \times وآخر γ ، فمن الممكن أن تكون الحيوانات المنوية التى فيها المورث γ أسرع من الحيوانات الأخرى فتصل قبلها الى نطفة الأنثى فتلقحها ويكون الجنين ذكرا لأن النطفة تحتاج من ملايين الحيوانات المنوية التى يخرجها الذكر الى حيوان واحد لتلقيحها ، ومتى لقحها يسد الطريق فى وجه ملايين الحيوانات الأخرى التى تلاقى حتفها فى هذه المعركة الدامية ، معركة الموت والحياة . وهذه الصفة وراثية ، فرى بعض النساء لا يلدن الا ذكورا ، وغيرهن لا يلدن الا اناثا ، فاذا كان عدد الذكور الذين يولدون يربى على عدد الاناث فلماذا يتساوى الجنسان ؟ والجواب عن ذلك : أن فى خلايا الأنثى مورّنين جنسيين ، وفى خلايا الذكر مورّنا جنسيا واحدا كما ذكرنا ، وتمتاز المورثات الجنسية عن سائر المورثات بأنها أكبر حجما وفيها عدد من العوامل الوراثية أكثر من غيرها ، ومن جملة العوامل التى تحملها : عامل طول العمر ، ولما كانت فى الاناث ضعف عدد الذكور ، فهى بصورة عامة أطول عمرا وأكثر مناعة ضد قسم من الأمراض فى الذكور ، وتذكر الاحصاءات أن متوسط وفيات الاناث ٢٥ ٪ / أقل من الذكور ، ويعد بعض العلماء طول العمر من الصفات الجنسية الثانوية فى الاناث ، وكان متوسط العمر الذى عاشه الذكور سنة ١٩٠٠ = ٤٨٫٢ ، والذى عاشه الاناث ٥١ ٪ / . وبلغ متوسط عمر الذكور فى سنة ١٩٤٢ = ٦٣٫٦٥ ، والاناث ٦٨٫٦ .

ان وفيات الأجنّة الذكور فى بطون امهاتهم أكثر من وفيات الأجنّة الاناث . وتقدر النسبة بـ ١٢٧ وفاة جنين ذكر ، لكل ١٠٠ وفاة جنين أنثى ، واذا اعتلت صحة الأم فى أثناء الحمل يتعرض الذكر للموت أكثر من الأنثى ، واذا تحسنت صحتها ترتفع نسبة ولادة الذكور الأحياء ، لأن مناعة الذكور كما بينا أضعف من مناعة الاناث ، وتؤيد الاحصاءات الحديثة هذه الحقيقة ، فان نسبة الذكور للاناث فى الامهات اللاتى سنهن بين ١٨ - ٢٠ بلغت ١٢٠ صبيا لكل ١٠٠ بنت ، واللاتى سنهن بين ٣٨ - ٤٠ ، ٩٠ صبيا لكل ١٠٠ بنت ، فلما كانت المرأة أكثر فتوة وصحتها جيدة ، كانت أقرب لولادة الذكور من الاناث .

وهناك ظاهرة تستلفت النظر وهى أن نسبة ولادة الذكور تزداد عادة بعد الحرب ، فقد ازدادت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ، فازدادت ٢١ ٪ / فى الحرب الأولى . بلغت النسبة فى المانيا ١٠٨٫٥ ذكور - ١٠٠ أنثى ، وبلغت فى انكلترة بعد

الحرب العالمية الثانية ١٠٧ ذكور - ١٠٠ أنثى أى بزيادة ١٥٠/٠ على الاوقات الاعتيادية .
وقد ذكر العلماء اسبابا كثيرة فى تحليل ذلك : (١) منها كثرة الفتيات الصغار انس
اللاتى يتزوجن باكرا فيرتفع متوسط ولادة الذكور لأن صحة الأم القليلة تكون
غالبا جيدة .

(٢) ازدياد نسبة الولادات الجديدة « First births » ، زيادة كبيرة ، فلا تكون الأم
قد نهكها الحمل والوضع بعد ، فتكون الظروف أنسب لولادة الذكور .

(٣) يكون أزواج كثيرات من النساء فى ساحات القتال ، فيسترحن من غناء الحمل
وتحسن صحتهن ، ويعيش الذكور فى بطونهن ، وتزداد نسبة ولادتهم . ويميل
العلماء الى الاخذ بالنظريتين الاوليين ، ونضرب صفحا عن النظريات الأخرى .
وتكون ولادة الذكور وراثية فى بعض الأسر ، وقد مر بنا تحليل ذلك .

يتضح لنا مما تقدم أن الذكور أقل مقاومة من الاناث فى بطون امهاتهم اذا كان
محيطهم الداخلى غير ملائم لهم . ويموت عدد منهم أكثر مما يموت من الاناث ،
ويتعرض الذكور بعد الولادة لشتى الامراض ، ويخوضون الحروب فينقص عددهم
ويتساوى الجنسان .

نعود الان الى تطور الانثى والذكر : يكون نماء الانثى فى الدور الاول من
الحياة أسرع من نماء الذكر ، خلا اعضاء التناسل التى مر ذكرها ، وتبلغ البنت أبكر من
الصبي ، فهى تبلغ حوالى السنة الثالثة عشرة من العمر ، ويبلغ الصبي حوالى السنة الخامسة
عشرة ، ولا ينمى الهيكل العظمى فى الاناث قبل الذكور فقط ، بل الاناث يسبقن الذكور فى
نماء كافة اعضائهن ، ولكن عظام الذكور تكون أكبر حجما وأثقل وزنا بحكم الوراثة ،
ولهذا يزيد وزن الذكور على وزن الاناث بعد الولادة نحو ٤٠/٠ ، والذكور أثقل
وزنا وأطول قائمة بصورة عامة من الاناث ، ولكن نماء الجسم أسرع فى الاناث منه
فى الذكور . ويجب ان نفرق بين العمر الزمنى وهو العمر مقدرا بالسنين ، والعمر
الاحيائى (البيولوجى) الذى يقدر بالوزن والحجم ، والنضج العقلى ، فقد يتساوى
الذكر والانثى بالعمر الزمنى ويختلفان فى العمر الاحيائى ، فحينما يكون عمر الصبي
والبنت سنتين ، تكون البنت أكبر من الصبي احيائيا بسنة اشهر ، وفى سن الخامسة تكون
البنت أكبر من الصبي احيائيا بسنة واحدة ، وحينما تصل الى سن المراهقة فى سن
الثلاثة عشر عاما تكون أكبر من الصبي بستين . ونأتى بمثال آخر من عالم الحيوانات
فان جرو القطة الذى يكون عمره الزمنى يوما واحدا يعادل احيائيا عمر صبي وبنت
عمرهما سنة .

ان عظام الذكور تكون أثقل وأعرض وأطول نسييا من عظام الاناث ، وعضلات الذكور أكبر وأقوى من عضلات الاناث ، وهذه الحقيقة تدلنا على أن الذكر أقوى من الأنثى جسديا بصورة عامة ، والأنثى لا تستطيع أن تجاريه في الأعمال التي تحتاج الى قوة جسمية . وسنتطرق الى هذا الموضوع حين بحثنا عن توزيع الأعمال بين الرجل والمرأة . ومما يلفت النظر ، ان نساء أوزان الذكور وطولهم يكونان غير منتظمين في الذكور ومنتظمين في الاناث (راجع جدول الطول والوزن) .

« تصير حجرة الصبي أكبر من حجرة البنت منذ السنة الثالثة ، وأوتاره الصوتية أسمك وأطول منها في هذا العمر ، ولهذا يكون صوته أعلى من صوتها « أخشن » . ويستطيع المتخصصون تمييز عظام المرأة والرجل بعد آلاف السنين ١٠٠/١٠٠ ، وتكون هذه الفروق أبرز في الانسان البدائي ، ولما يخطئون في تمييزها ، وإذا ميزوا جزءا منها يستطيعون بسهولة تمييز الأجزاء الباقية ، وتكون أبرز الفروق في الحوض ، فحوض الأنثى أبرز نسييا من حوض الذكر ، ولكنه أعمق من حوضها ، وأثقل وأقوى ، وحوض الأنثى أعرض من حوض الذكر ، ومفارز العضلات أبرز في الذكر من الأنثى ، وعجز الرجل أعلى وأضيق وأقل ميلانا من عجز الأنثى .

وتختلف جمجمة الذكر عن الأنثى بكبر قبتها ، وكبر عظام الحدين والصدغين والأنف ، وجهة الذكر أبرز من جهة الأنثى ، وجهة الأنثى منتصبة أكثر من الذكر ، والمسافة بين الأنف والعينين أبعد في الأنثى منها في الذكر .

عظام الأنثى

عظام الذكر

أملس وأكثر استدارة منها عند الذكور

الجمجمة : قبة قحف الرأس أكبر

الحرف أنخن من الأنثى

الأنف أبرز من الأنثى

عظم الجذع أعلى

الأسنان أكبر بصورة عامة وخاصة

الأنياب

مستدير

الدقن مربع وأبرز والحنك أنخن

أضيق من حوض الذكر

الحوض : أنخن وأثقل وأعرض

عظام العجز : قد تكون أكثر من خمس قطع

العظام الطويلة : الأطراف أثقل في الذكر

مفارز العضلات أعمق

الذكر

الرجل المتوسط

أطول جسمه ١/٦ من الارتفاع وأقل ١/١٠

شمالاً من الأذن وشمالاً من الأذن

شمالاً من الأذن

تقاطع الوجه: الجبهة أبرز، الخلف أكثر تربعاً

الأذن والأذن والأذن أكبر من الأذن

الوجه أكبر رأساً

الرقبة: اسنك، الجبهة أكبر من الخلف

الكتفان: أعرض وأكثر تربعاً

الصدر: أكبر وأوسع من الجبهات الأربعة

العضلات: أكبر وأظهر وأبرز على سطح الجسم

الشريان: أثنان في الذكر

شعر الجسم: أكثر وضوحاً في الذكر وخاصة

من الصدر والذراعين

الذراعان: أطول وأوسع من الخلف، زاوية المرفق

شمالاً من الأذن

شمالاً من الأذن

المركبان: أوسع

البيان والقدمان: أكبر والأصابع والأصابع

أقل وأقوى وأقل مدة

الأضلاع: استوائية بشكل أكثر، والعضلات

بارزة فيها

الساكن: أطول من الأذن، الجزء الخلفي

أبرز

زاوية العود والساعة مستقيمان

يكل الناع في نحو ٤، سلة

من العود

الأنثى



عظام الأنثى

عظام الذكر

العظام أنخن

المرأة المتوسطة

الرجل المتوسط

أطول من الأنثى بنحو من ٦ بالمائة وأقل ٢٠ بالمائة

شعر الرأس : أقصر من الأنثى ويتساقط كلما تقدم سنا •

شعر الوجه : ينمى طول الحياة

ضئيل جدا ولا يرى عادة الا فى الشيخوخة •

تقاطع الوجه : الجبهة أبرز ، الخنك أكثر تريبا ،
الأنف والأذن والأسنان أكبر
من الأنثى ، الوجه أكبر وأطول
نسبيا ، العنان مفرقتان أكثر من الرجل •

الرقبة : أغلظ • الحنجرة أكبر وأطول نحو الثلث

الكفان : أعرض وأكثر تريبا
أكثر استدارة وأملس وأكثر انحدارا •

الصدر : أكبر وأوسع فى الجهات الأربع

العضلات : أكبر وأظهر وأبرز على سطح الجسم
تغطيها طبقات الشحم وتخفى شكلها •

التديان : أثريان فى الذكر
كيران ، الحلمتان وما يحيط بهما أكبر •

شعر الجسم : أكثر وضوحا فى الذكر وخاصة فى الصدر والذراعين •

شعر العانة : يتجه الى الأعلى ويكون بشكل مثلث
الذراعان : أطول وأغلظ فى الذكور •

زاوية المرفق مستقيمة
زاوية المرفق منحنية
الوركين : أضيق •

اليدين والقدمان : أكبر ، والأصابع والأبهام أقل وأقوى وأقل حدة •

المرأة المتوسطة

الرجل المتوسط

الأفخاذ : اسطوانية الشكل أكثر ، والمضلات مخروطية الشكل أكثر وأعرض .
بارزة فيها • من قمتها ولكنها أقصر •

الساقان : أطول من الإناث ، الجزء الخلفي أبرز • أقصر نسيبا وأكثر استدارة
زاويتا الفخذ والساق : مستقيمتان • منحنيان •

يكمل النماء في نحو ٢٤ سنة من العمر • يكمل النماء في نحو ٢٠ سنة من العمر •
ان عضلات الرجل أكبر وأقوى من عضلات المرأة ، وعضلات المرأة أصغر حجما
من عضلات الرجل بنحو الثلث ، والشحم في عضلات المرأة أكثر من شحم عضلات
الرجل ، وهو سر استدارة أعضائها ونعومتها وتحملها للبرد ، وهذا الفارق يجعل الرجل
أخف حركة وأكثر نشاطا ، وعضلات المرأة أطول بالنسبة الى جسمها من عضلات
الرجل •

جلود النساء أرق بصورة عامة من جلود الرجال ، وأطرى منها بسبب كثرة الشحم
تحتها ، وتختلف أسرة الكفين (خطوط الكفين) اختلافا بارزا في الجنسين ، فان أسرة
كف المرأة مستديرة وأسرة كف الرجل منحنية ، ويستعان بهذه الأسرة على إثبات
الشخصية في الأدلة الجنائية وهي ما يعبر عنه ببصمات الأصابع •

وشعر رؤوس الإناث أنخن وبضئ أكثر منه في الذكور في المقطع العرضي ، وشعر
الحاجب أكثر في الذكور منه في الإناث ، وتكون أحشاء الصدر كالقلب والرئتين
أكبر نسيبا في الذكور من الإناث ، وكذلك أحشاء البطن ، وسعة الرئتين أكبر في
الذكور منها في الإناث ، ويقال ان معد النساء أكبر من معد الرجال ، وأمعاءهن أطول
من أمعاء الرجال ، وأكبادهن أكبر من أكبادهم •

الدماغ :

نقتصر هنا على تركيب الدماغ ، وسنذكر فروق الذكاء بين الإناث والذكور فيما
بعد • ان وزن دماغ الذكور أكثر من وزن دماغ الإناث وحجمه أصغر من حجم
دماغهن ، ولكن أديفة النساء مساوية لأديفة الرجال بالنسبة الى أحجام أجسامهن ،
ولاء الدماغ مركز الفعاليات العقلية أقل في النساء منه في الرجال ، ولكنه يساوى لحاء
أديفة الرجال لانه متناسب مع حجم أدمغتهن ، ولا توجد فروق مهمة في أجزاء الدماغ
الأخرى ، ويقال ان مركز العاطفة في النساء أكبر منه في الرجال •

مفرزات الغدد الصم :

ان مفرزات الغدد الجنسية الداخلية هي التي تولد الفروق الجنسية الثانوية في

الطول وَالْوَزْنُ

متوسط مقاييس المبيان والبنات

الوزن بالكيلو غرام

الطول بالسنتيمتر

المعيار	الصبيان	البنات	المعيار	الصبيان	البنات
٣ أشهر	٥٧,٧٥ - ٦٢,٧٥	٥٦,٧٥ - ٦١,٧٥	٤٦٢ - ٤٩٦	٥٠٨٥ - ٥٢٤٧	٤٩٦ - ٥٠٨٥
٦ أشهر	٦٣,٥٠ - ٦٨,٥٠	٦٢,٥٠ - ٦٧,٥٠	٦٩٠ - ٧٨٠	٨٠٩٢ - ٨٢١٧	٧٩٢ - ٨٠٩٢
١٢ شهراً	٧١ - ٧٦,٥٠	٧٠ - ٧٥	٨٥٨١ - ٨٠٨١	٨٠٨١ - ٨٠٨١	٨٠٨١ - ٨٠٨١
١٨ شهراً	٧٧ - ٨٢,٥٠	٧٥,٧٥ - ٨١,٢٥	٩٩٤٣ - ١٢,٣٩٤	٩٩٤٣ - ١٢,٣٩٤	٩٩٤٣ - ١٢,٣٩٤
مشتاب	٨١,٧٥ - ٨٧,٧٥	٨٠,٥٠ - ٨٦,٥٠	١١,٠٢٣ - ١٣,٦٦٥	١١,٠٢٣ - ١٣,٦٦٥	١١,٠٢٣ - ١٣,٦٦٥
٣ سنوات	٩٠ - ٩٦,٥٠	٨٨,٥٠ - ٩٥	١٣,٠٢٣ - ١٦,٠٢٣	١٣,٠٢٣ - ١٦,٠٢٣	١٣,٠٢٣ - ١٦,٠٢٣
٤ سنوات	٩٧ - ١٠٤	٩٥,٧٥ - ١٠٢,٢٥	١٦,٠٢٣ - ١٩,٠٢٣	١٦,٠٢٣ - ١٩,٠٢٣	١٦,٠٢٣ - ١٩,٠٢٣
٥ سنوات	١٠٣ - ١١٠,٥٠	١٠٢,٧٥ - ١٠٩,٢٥	١٩,٠٢٣ - ٢٢,٠٢٣	١٩,٠٢٣ - ٢٢,٠٢٣	١٩,٠٢٣ - ٢٢,٠٢٣
٦ سنوات	١٠٨,٧٥ - ١١٦,٢٥	١٠٧,٧٥ - ١١٥,٢٥	٢٢,٠٢٣ - ٢٥,٠٢٣	٢٢,٠٢٣ - ٢٥,٠٢٣	٢٢,٠٢٣ - ٢٥,٠٢٣
٧ سنوات	١١٣ - ١٢٢,٠	١١٣ - ١٢١	٢٥,٠٢٣ - ٢٨,٠٢٣	٢٥,٠٢٣ - ٢٨,٠٢٣	٢٥,٠٢٣ - ٢٨,٠٢٣
٨ سنوات	١١٨,٧٥ - ١٢٧,٢٥	١١٨ - ١٢٦,٥٠	٢٨,٠٢٣ - ٣١,٠٢٣	٢٨,٠٢٣ - ٣١,٠٢٣	٢٨,٠٢٣ - ٣١,٠٢٣
٩ سنوات	١٢٣,٧٥ - ١٣٢,٢٥	١٢٣ - ١٣١,٥٠	٣١,٠٢٣ - ٣٤,٠٢٣	٣١,٠٢٣ - ٣٤,٠٢٣	٣١,٠٢٣ - ٣٤,٠٢٣
١٥ سنوات	١٢٨,٥٠ - ١٣٧,٥٠	١٢٨ - ١٣٧	٣٤,٠٢٣ - ٣٧,٠٢٣	٣٤,٠٢٣ - ٣٧,٠٢٣	٣٤,٠٢٣ - ٣٧,٠٢٣
١١ سنة	١٣٢,٢٥ - ١٤٢,٧٥	١٣٢,٥٠ - ١٤٣	٣٧,٠٢٣ - ٤٠,٠٢٣	٣٧,٠٢٣ - ٤٠,٠٢٣	٣٧,٠٢٣ - ٤٠,٠٢٣
١٢ سنة	١٣٩ - ١٤٧,٥٠	١٣٥ - ١٤٩	٤٠,٠٢٣ - ٤٣,٠٢٣	٤٠,٠٢٣ - ٤٣,٠٢٣	٤٠,٠٢٣ - ٤٣,٠٢٣
١٣ سنة	١٤٢,٢٥ - ١٥٢,٢٥	١٤٢,٢٥ - ١٥٢,٢٥	٤٣,٠٢٣ - ٤٦,٠٢٣	٤٣,٠٢٣ - ٤٦,٠٢٣	٤٣,٠٢٣ - ٤٦,٠٢٣
١٤ سنة	١٤٦,٥٠ - ١٥٧	١٤٨,٢٥ - ١٥٨,٧٥	٤٦,٠٢٣ - ٤٩,٠٢٣	٤٦,٠٢٣ - ٤٩,٠٢٣	٤٦,٠٢٣ - ٤٩,٠٢٣
١٥ سنة	١٥٧,٧٥ - ١٦١,٢٥	١٥١ - ١٦١,٥٠	٤٩,٠٢٣ - ٥٢,٠٢٣	٤٩,٠٢٣ - ٥٢,٠٢٣	٤٩,٠٢٣ - ٥٢,٠٢٣
١٦ سنة	١٥٢,٥٠ - ١٦٥,٥٠	١٥٢,٢٥ - ١٦٣,٢٥	٥٢,٠٢٣ - ٥٥,٠٢٣	٥٢,٠٢٣ - ٥٥,٠٢٣	٥٢,٠٢٣ - ٥٥,٠٢٣
١٧ سنة	١٥٨ - ١٦٩	١٥٤ - ١٦٤,٥٠	٥٥,٠٢٣ - ٥٨,٠٢٣	٥٥,٠٢٣ - ٥٨,٠٢٣	٥٥,٠٢٣ - ٥٨,٠٢٣
١٨ سنة	١٦١ - ١٧٢	١٥٨,٢٥ - ١٦٥,٢٥	٥٨,٠٢٣ - ٦١,٠٢٣	٥٨,٠٢٣ - ٦١,٠٢٣	٥٨,٠٢٣ - ٦١,٠٢٣
١٩ سنة	١٦٥,٢٥ - ١٧٤,٢٥	١٥٤,٢٥ - ١٦٥,٢٥	٦١,٠٢٣ - ٦٤,٠٢٣	٦١,٠٢٣ - ٦٤,٠٢٣	٦١,٠٢٣ - ٦٤,٠٢٣
٢٠ سنة	١٦٤,٥٠ - ١٧٥,٥٠	١٥٤,٢٥ - ١٦٥,٢٥	٦٤,٠٢٣ - ٦٧,٠٢٣	٦٤,٠٢٣ - ٦٧,٠٢٣	٦٤,٠٢٣ - ٦٧,٠٢٣

الجنسين ، ويفرز الذكر منهما ضعفين ونصفا لما تفرز غدد الانثى ، وتبلغ المفرزات الانثوية ثمانية أضعاف مفرزات الذكر ولكنها تكون غير منتظمة فى الانثى بل تصعد وتهبط باختلاف الظروف ، فهبط فى وقت الحيض وفى اثناء الولادة ، وتزداد فى بعض الفصول ؛ ويرى أحد الثقات فى هذا الموضوع أن مفرزات الغدد الجنسية تزداد فى الذكر والانثى فى فصل الربيع .

الاستهلاك الغذائى :

أشط فى الرجال منه فى النساء ، فستهلك الرجل طاقة أكثر مما تستهلكه المرأة ، فهو أقدر على العمل وأكثر تحملا من المرأة .

الجهاز الدموى :

ان قلوب الرجال أقوى بصورة عامة من قلوب النساء ، ويدفع قلب الرجل دما الى الجسم أكثر مما يدفعه قلب المرأة ، ونضات قلب المرأة أكثر عددا من نضات قلب الرجل ، فنبض فى الذكور ٧٠-٧٥ فى الدقيقة وفى الاناث ٧٥-٨٠ فى الدقيقة ، ويختلف عدد النبض باختلاف العمر والظروف ، ويكون ضغط دم الرجال أعلى من ضغط دم النساء ، وعدد كريات الدم الحمر أكثر فى الذكور منه فى الاناث ، وهذه الكريات هى التى تنقل الاكسجين الى الجسم لحرق فضلاته ، وعددها فى الذكور نحو من خمسة ملايين ومائتى الف كرية فى المليمتر من الدم ، وفى الاناث نحو من أربعة ملايين وتسعمائة الف كرية فى المليمتر المكعب ، ونسبة الهيموغلوبين ، المادة التى تلون الدم باللون الاحمر ، ٩٠ - ١٠٠ ٪ فى الذكور و ٨٥ - ٩٠ ٪ فى الاناث ؛ والماء فى دم المرأة أكثر منه فى دم الرجل .

مقاومة الامراض :

من العقائد الشائعة أن المرأة أضعف من الرجل بصورة عامة ، وقد بينا أن الرجل أصلب عظما وأقوى عضلا من المرأة ، ولكن الرجال يفوقون النساء بالقوة الجسدية ؛ والنساء أشد مناعة ضد الامراض والعوارض بصورة عامة من الرجال ، فالذكر أضعف من الوجهة الاحيائية (البيولوجية) من الانثى . ومما لاشك فيه أن الرجال أكثر تعرضا للاخطار من النساء بسبب الحروب وبسبب طبيعة أعمالهم اليومية بالاستئغال فى المصانع والمناجم ، والتعرض للتعب الشديد ، وغير ذلك من الأمور التى تقتضيها طبيعة أعمالهم ، ولكن بالرغم من أن عدد المولودين من الذكور أكثر من الاناث فإن ضريبة الموت فى الذكور أعلى منها فى الاناث ، وقد ذكرنا الاخطار المحيطية التى تعرض الرجال أكثر من النساء للموت ، ولكن فى الأحوال الطبيعية أيضا

يكون الذكور أكثر تعرضاً للموت من الاناث ، فعدد الذكور الذين يموتون أجنة (فى بطون أمهاتهم) أكثر من الاناث ؛ وقد وجد الدكتور Antonio Ciocco ، أحد المتخصصين بالصحة العامة فى الولايات المتحدة أن عدد الاولاد الذين يموتون أجنة (فى بطون أمهاتهم) أو يولدون أمواتا يربى فى الذكور على الاناث ، ويعزى ذلك الى أسباب احيائية (بيولوجية) . واذا تذكرنا أن فى مورثات الانثى مورثين جنسين وفى مورثات الذكر مورثا جنسيا واحدا ندرك السبب ، والمورثات الجنسية تحمل مضافا الى العوامل الوراثية صفة طول العمر ومقاومة الأمراض ، فالاناث أكثر مناعة ومقاومة للأمراض بسبب وجود مورثين جنسين فى مورثاتهن ، والأمراض الوراثية الميعة أكثر انتشارا فى الذكور منها فى الاناث ، كنزف الدم الوراثى (الهيموفيليا) والعمى اللونى ، والغشاوة ، وغيرها من العيوب الوراثية التى تنقلها المورثات الجنسية ، وهى تنتقل بواسطة الاناث الى الذكور ، ولا تصاب بها الاناث .

والاحصاءات المضبوطة مرآة الأم الصافية فى مختلف مظاهر حياتها ، ولسانها الناطق بأوضاعها الحقيقية ، وليس غندنا مثل هذه الاحصاءات لندرس بوساطتها حقيقة أوضاعنا فلا بد لنا من اللجوء الى غيرنا من الأم الراقية ممن يعنون بهذه القضايا ، ولا تختلف أحوالهم عن أحوالنا ، لا بل هم أكثر منا اهتماما بكيانهم بسبب رقيهم العلمى وتفوقهم المالى .

ثبت من احصاءات وفيات الأطفال فى امريكا فى سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ أن وفيات الذكور أزيد من وفيات الاناث ٠/٠ ، وكانت احصاءات انكلترا مقاربة لها . ان وفيات الأمراض السارية فى الأطفال كالحصبة والجدرى والتيفوئيد والملاريا وذات الرئة والحنثاق وغيرها تكون أكثر فى الذكور بصورة عامة من الاناث ، وكذلك وفيات السفلس ، ولا حاجة لازعاجكم بسرد الاحصاءات المتوفرة لدينا . (راجع ص ٦٤ (N & M)) .

العيوب الوراثية :

ظهر من احصاءات مستشفى Hietleuni العظيم للأطفال فى نيويورك أن اصابات الأمراض فى ذكور الأطفال تربى ١٥ ٠/٠ على اناثهم وبلغت أمراض الاحساس فى الذكور (alleigy) كالربو والشرى والصداع وما أشبه ذلك ضعف الاناث . ويصيب بعض العيوب العضلية الوراثية الميتة الذكور أكثر من الاناث . ومن العيوب البارزة زيادة نسبة العمى الوراثى فى الذكور ، فيزيد عمى الصبيان بنحو الثلث على البنات ، ونسبته فى الولايات المتحدة ٢٠١ لكل مائة الف من الصبيان.

و ١٥٥٠ ألف في البنات قبل السنة الخامسة من العمر ، وتكون هذه العيوب في المورث الجنسي (ج أو ×) .
اللجاجة :

هى التردد في الكلام . ان عيوب النطق أكثر بين الذكور منها بين الاناث بصورة عامة ، وقد عزاها جماعة من العلماء الى أسباب نفسية ، وعزاها غيرهم الى عيوب وراثية في مراكز النطق في الدماغ ، فيتأخر نضج جزء منه ويؤثر في غدة من الغدد اللعابية .
الاصابة بالأمراض :

فلما ان الاناث أكثر مناعة ضد الأمراض من الذكور بصورة عامة ، واذا استئينا الحيض والولادة ولم نجعلهما من الأمراض ، فان اصابات الاناث بالأمراض أزيد منها في الذكور بنحو ٢٥ ٪ ، ولكن وفيات الذكور أكثر من وفيات الاناث ، وهاك الاحصاء الذى قام به Antonis Ciocco فى امريكا لاسباب وفيات الذكور والاناث فى اجهزة الجسم المختلفة :

الجهاز	نسبة وفيات الذكور والاناث
الدموى	يموت ٥٠٢ ٪ من الذكور أزيد من الاناث
التنفسي	يموت ٣٤٢ ٪ من الذكور أزيد من الاناث
العصبى	يموت ٣٣٥ ٪ من الذكور أزيد من الاناث
الهضمى	يموت ٢٥٦ ٪ من الذكور أزيد من الاناث
البولى	يموت ٨٩ ٪ من الذكور أزيد من الاناث
الجلدى	يموت ١٩٩ ٪ من الذكور أزيد من الاناث
العضى	يموت ٥٥ ٪ من الذكور أزيد من الاناث
الغدد الصم	يموت ١٥ ٪ من الذكور أزيد من الاناث

ولا نسترسل فى سرد الاحصاءات الكثيرة تجنبا للتطويل . وتزيد وفيات الاناث على وفيات الذكور بالأمراض الآتية :

المرض	نسبة زيادة وفيات الاناث على وفيات الذكور
السرطان بأنواعه	١٥ ٪
البول السكرى	٦٤ ٪
الجحوظ	٣٨ ٪
حصى المرأة	٨٩ ٪

ولكن مجموع وفيات الذكور بالأمراض المختلفة أزيد من مجموع وفيات الاناث كما ذكرنا . ومن الأمراض العقلية البارزة الجنون ، فان وفيات الاناث فيه أزيد من وفيات الذكور . وتبلغ نسبة الزيادة ٤٠ ٪ . ولكن الرجال أبكر اصابة به من النساء ، فيصاب الرجال به بسن ٣٠ من العمر والنساء بسن ٣٤ .

الصرع :

تكون وفيات الذكور فيه أكثر من وفيات الاناث . ان النساء أطول عمرا من الرجال بصورة عامة كما يظهر من الاحصاءات الآتية :

السنة	متوسط العمر	ذكور	اناث
١٩٠٠	•	٤٨٢٢	٥١
١٩٤٢	•	٦٣٦٥	٦٨٦٦

وقد بينا أن سبب قوة مناعة المرأة ضد الأمراض متولدة من وجود عاملين جنسيين في مورثاتها ، وحكمة ذلك أن المرأة معرضة لخطر لا يتعرض لها الرجل وهي الحمل والولادة والسهر الطويل ورعاية الاولاد ، ولهذا ميزها الخالق عز وجل عن الرجل لأن وظيفتها في الحياة تختلف عن وظيفته ، وستتطرق الى هذه الحقيقة في آخر المقال حين نبحث في مساواة المرأة للرجل .

وقد ذكرنا الفروق الجسدية بين الاناث والذكور ، وسنذكر قسما من مظاهر تلك الفروق التي تستند الى اختلاف تركيبها .

الحركة :

بالرغم من ارتباط الانسان بالمحيط فان الجنسين ينشآن نشأة مختلفة بتأثير مفرزات الغدد الصم والتفاعلات الكيميائية التي تؤثر في الحجم والطول ومقاومة الأمراض وغيرها من الأمور التي ذكرناها . وقد أيدت تحريات علماء النفس ملاحظات الأمهات والمرضات والمربيات في أن الصبيان يكونون أكثر حركة وقوة وميلا للاعتداء بعد الشهر ٢ - ٣ ، وقد تتبع الأستاذ Arnol Gessel ومشاركوه في مستوصف (يال) لتربية الاولاد نشأة ١٠٠ صبي منذ ولادتهم حتى السنة الخامسة من أعمارهم ، ودون ملاحظاته عليهم في كتاب خاص . وقد لخصت الدكتورة Helene Thompson إحدى مشاركاته في هذا البحث ، قسما منها نقطف منه البذرة الآتية :

كان الصبيان أكثر حركة من الاناث في الشهر التاسع من أعمارهم في الجبو وغيره من الحركات التي تتطلب قوة جسدية ، وقد درسنا انتصاب قامتهم في الزحف والوقوف فوجدنا الذكور أسبق من الاناث ، وكان الاناث أقل حركة ونشاطا من

الذكور وأكثر ميلا الى الأعمال التي يعملها الانسان جالسا ، ووجدنا الاناث أهدأ من الذكور في أثناء الرضاعة وكن ينمن أكثر منهم •
وتوصل الى النتائج أنفسها الدكتور Ashly Meech في مستشفى الأطفال في نيويورك •

ويتبين من دراسات جامعة (يال) في هذا الموضوع أن ذكور الأطفال يمشون قبل الاناث بشهر تقريبا ، بيد أننا يجب الانسى العامل النفسى فى هذه الحالات ، فالاناث لا يشجعن على المشى كما يشجع الذكور ، وبالرغم من ذلك لانستطيع أن ننض النظر عن الفوارق الطبيعية بين الجنسين • وقد درس الدكتور Henry Halmerson عددا من الأولاد فى مستوصف الأولاد بجامعة (يال) دراسة دقيقة فوجد الذكور أكثر احكاما من الاناث برمى الكرة فى السنة ٣٥ من العمر ؛ وكان الصبيان فى الخامسة من العمر يضربون الكرة لمدى أبعد من الاناث اللاتى فى السادسة من العمر ، وكانت قامات البنات أكثر اتصاها من الذكور ، وكن يجعلن الكرة فوق أكتافهن أكثر من الصبيان ، ويرشقنها أكثر منهم الى أسفل ، ويضعن ثقل الجسم على أرجلهن اليمنى بينما وضع الصبيان أيديهم بجانبهم وجعلوا ثقل اجسامهم على الرجل اليسرى ، ورفعوا أجسامهم ورشقوا الكرة الى الأمام ؛ فالصبيان كانوا أحكم رميا وأبعد مدى وأكثر استقامة من البنات فى رمى الكرة •

وذكر الدكتور Gessel أن البنات استطعن لبس ثيابهن فى سن أبكر من سن الصبيان لأن توازن حركاتهن أحسن من توازن حركات الصبيان ، ويلبس قسم من البنات ثيابهن ويخلعن فى السنة ٢ - ٣ من العمر ، بينما وجد الصبيان صعوبة فى ارتداء ملابسهم وتزديرها فى السنة الخامسة من العمر ؛ وتدلنا هذه الظاهرة على أن توازن الحركات الدقيقة فى الذكور أبرز منه فى الاناث •

ومن الملاحظات الجديدة بالذكر أن صفار البنات أكثر تميزا للألوان من صفار الصبيان ؛ وظهر من دراسة الدكتور Ruth Staples لهذا الموضوع فى جامعة بزا سكا أن البنات منذ ولادتهن حتى السنة الثانية من العمر أكثر احساسا بالألوان من الذكور ؛ وخاصة الألوان الصعبة كالألوان الأزرق والأخضر ، ومن الممكن أن يكون منشأ ذلك عاملا وراثيا لأن صفة تمييز الألوان فى الاناث أسرع ظهورا منه فى الذكور ، كما أن الذكور معرضون لعيوب العين أكثر من الاناث ومنها العمى اللونى •

النطق :

لما كان البنات أبكر نماء من الذكور بصورة عامة فهن يتكلمن أبكر من الصبيان ، ويكن أسرع تلقنا للغات من الصبيان ، وتصديق هذه الأمور التى ذكرناها

على اناث الحيوانات كالقردة فان صفار اناتها أطوع وألين عريكة في التدريب ، وأكثر استئناسا من الذكور ، والذكور أعند وأفطن من الاناث .
الدماغ :

الفرق في قوى الدماغ العقلية من الأُمُور التي تثير حماسة الجنسين ، وهي عامل من عوامل ثوران المرأة لأن الرجل لا يقر لها بالمساواة ويدعى الفواق عليها ، وسندرس هذا الموضوع في ضوء العلم الصحيح مجردين من تأثير العاطفة النعياء .
بين العلماء الآن نزاع يعتمدون فيه ازالة فروق الذكاء بين الجنسين وعمل مقياس ذكاء يساوى بين الفريقين ، وقد وجد المعنيون بهذا الموضوع منذ استنباط طريقة Semon Binet التي نقحها فيما بعد ستانفورد و أوتس لامتحان الذكاء ، أن البنات كن على الدوام أحسن من الصبيان في قسم من الاسئلة والصبيان في قسم آخر منها ، واستنتجوا أن متوسط الذكاء متساو في الفريقين ، ولا تفوق لأحدهما على الآخر ، وقد جاء في تقرير الأستاذ Quinn Menenan عن مقياس ستانفورد بنت المنقح The reversion of the Stanford Binet seale ما يأتي :

على من يتصدى للتفريق بين مواهب الجنسين العقلية والطبيعية أن يتبع أحد أمرين ، اما أن يدعى أن نتائج امتحانات الذكاء مختلفة تقريبا في الجنسين فيضع لكل منهما مقياسا خاصا ، واما أن يفرض أن الفروق الكبيرة بين الجنسين غير صحيحة بحسب مقياس بنت Binet ، لأنها تنبئ عن الفروق في الاختبار والتدريب لا عن المواهب الطبيعية ، فيستطيع في هذه الحالة الاستغناء عن وضع مقياسين مختلفين لهما ، وقد اتبع الأستاذ كمكناز هذه الطريقة ، وهاك أهم النتائج التي توصل اليها :

كان البنات أحسن من الصبيان في الأمور التي تتعلق بالجمال كالمفاضلة بين الألوان ، وتميز الصور ، وفي مواد اللغة كاللفظ واختيار الكلمات والمفردات ، وفي المهارة اليدوية كترزير الازرار وعقد العقد ، وفي الأمور الاجتماعية كتقدير الأعمار وتميز انواع المظاهر ، وكان الصبيان أحسن من البنات في الأمور الحيلية (الميكانيك) وتركيب الاشياء ، والتعليل الرياضي ، وتفوق الصبيان في نقد الصور الهزلية ، وفي تحديد الالفاظ المجردة كالعلاقة والمقابلة ، والتغلب والطاعة والانتقام ، وتفوق البنات في تحديد الشفقة والاستطلاع والحزن والتعجب . وسرد جدولا في أهم المواد التي تفوق بها كل جنس بحسب الاعمار :

العمر	البنات أحسن من الصبيان
٢ - ٣	بتذكر الصور

العمر	البنات احسن من الصبيان
٢٥ - ٤	بعد الاعداد وعمل المربعات
٣ - ٤	بترير الازرار
٣ - ٥	بتمييز الاشياء الجميلة
٣٥ - ٥	بالمفاضلة بين الاشياء
٤ - ٥	بعمل مثلثات من ورق
٥٥ - ٨	بتقدير الاعمار
٧ - ١٧	بتتضيد عقد اعتمادا على الذاكرة
العمر	الصبيان أحسن من البنات
٤ - ٩	بتقدير الصور الهزلية
٦ - ٩	بالتوجيه
٧ - ١٠	بالادراك
٧ - ١٢	بمعرفة الاضداد
٩ - ١٧	بتسمية وسائط النقل
١٠ - ١٥	بالكلمات المجردة
١١ - ١٧	بالابتكار
١١ - ١٨	بالتفكير الرياضى والاستنتاج

نلاحظ من هذا الجدول أن الامور التي يتفوق فيها الاناث على الذكور تظهر في الدور الاول من حياتهن ، والصبيان في الدور الثاني ؛ ولاحظ الباحثون في هذا الموضوع أن التفوق يكون أسرع في البنات منه في الصبيان قبل سن المراهقة ، ويظهر في الصبيان بعد العمر الذي يظهر في البنات ، فهل يدل ذلك على أن نماء العقل يتمشى مع نماء الجسم ؟ لم يقل العلم كلمته الاخيرة في هذا الموضوع ، ولكننا نرى البنات أكثر تقدما في دروسهن وامتحانات ذكائهن من الصبيان في الدور الاول من حياتهن ، ويرى وولتر ديربرن Walter F. Dearborn مدير مستوصف التعليم النفسى فى جامعة هارفرد أن الاناث لسن ذكيات ذكاء فطريا كالصبيان ويعوض عن هذا الذكاء سبقهن الصبيان بالنضج العقلى فى بواكير اعمارهن فيتساوى الجنسان .

الخلاصة : يظهر من بحوث العلماء المتخصصين أن الصبيان يختلفون عن البنات ببعض النواحي العقلية ، والبنات بنواح أخرى ، فلا نستطيع أن نحكم أن فريقا اذكى من الآخر كما لانستطيع أن نحكم بأن الرياضى اذكى من الشاعر مثلا أو الموسيقار

لأن في الاثنين موهبتين مختلفتين ، كما أننا لا نستطيع أن نقول ان درجة ذكاء إناثول فرانس مساو لذكاء أنشتاين ؛ لأن الاثنين نالا جائزة نوبل في سنة ١٩٢١ وأن الأول نالها في الآداب والثاني في الرياضيات •

ان الصبيان أكثر ميلا للأموال الحلية (الميكانيكية) من البنات ، ونستطيع أن نقول ان هذا الميل اكتسابي لا فطري ، ويتفوق البنات على الصبيان بقوة ذاكرتهن في الشطر الأول من أعمارهن ويسبقهن الصبيان فيما بعد بهذه الصفة •

ومن الفروق البارزة بين الجنسين في السنة الخامسة من العمر قضية الرسم ، فالصبيان يميلون الى رسم القوارب والطيور والأعلام والفيلة وغيرها من الحيوانات ، بينما يميل البنات الى رسم بيت أو سيدة أو دمية أو قطة وغيرها من الأشياء التي يشاهدنها في بيوتهن ، والصبيان يميلون الى رسم الأشياء التي يشاهدونها خارج بيوتهم •

وحب الاستطلاع أقوى في الصبيان منه في البنات منذ دخولهم رياض الأطفال الى حين دخولهم الكليات ، ويظهر الفرق في ميل الجنسين في المذباغ (الراديو) فان البنات يملن الى سماع الروايات التي تتعلق بالمنزل ، والصبيان يميلون الى الروايات الفاجعية ، ويظهر هذا الميل في الروايات السينمائية والكتب التي تتعلق بهذه المواضيع ، ويقرأ البنات أكثر من الصبيان كتب الشعر والقصص ، ويهتم الصبيان بجمع الأشياء العلمية ، بينما يهتم البنات بجمع أدوات الزينة والأشياء الثمينة للعاطفة ، ويظهر الفرق بين ميل الجنسين في الألعاب ، فالبنات يفضلن «الحليلة» أو «الحثية» أو لعبة «الغميضة» في المدارس الأولية ، والنظ على الحبل ، والصبيان يفضلون كرة القدم وكرة الشبكة Base ball أو الدعايل وغيرها من الألعاب التي تتطلب حركة وقوة ، وهذا الميل يدل على اختلاف الجنسين ، والأمور الأكسائية تصبح كالفطرية اذا مارسها الانسان زمنا طويلا ، سواء أكان الميل فطريا أم اكتسابيا •

شخصية الجنسين :

يقول علم النفس الحديث ، ان الفروق بين شخصية الذكر والانثى اكتسابية تولدت من العلاقات الاجتماعية ، ويرى العالم النفساني الشهير Gordon W. Allport من جامعة هافرد أن المولود الجديد يولد فاقد الشخصية ثم يكسها من المحيط بتفاعله معه ، وهذا رأى غيره من المتخصصين بالموضوع ، بيد أننا نستطيع أن نقول ان الأولاد يولدون وفيهم قابليات شخصية خاصة يتطعمون عليها ، ففي الانثى قابليات خاصة بها ، وفي الذكر قابليات خاصة به ، ومتى اختلطا بالمحيط ظهرت في كل منهما

قابليته الخاصة به ، وهالك بعض القابليات الخاصة بكل جنس :

الميل الى التعدى Aggressiveness :

ان الصبيان أكثر شجاعة وأقل جينا من البنات من السنة الثانية فما فوقها ، وهم أكثر ميلا للتعدى والمخاصمة من البنات ، ويلاحظ الشيء نفسه فى اناث القروود وذكرها .

السلبية Naughtiness :

أبرز فى البنات من الصبيان ، وتتجلى بالحجل والخوف من الغرباء ، ونستطيع أن نملل ذلك بأن الامهات يقدمن الصبيان أكثر من البنات لمقابلة الزوار .

الاضطرابات النفسية :

من الأمور المسلمة أن البنات أكثر تعرضا للاضطرابات العصبية النفسية من الصبيان كقضم الاظافر ، ومصص الاصابع ومد اللسان استهزاء يمن لا يرضين عنهم ، وهذه الحالات رموز الى التعبير عن السخط والسخرية وغيرها ، واستعاضة عن الشتم والرفس والحصام وغيرها من الحالات الشبيهة بها التى يتصف بها الصبيان أكثر من البنات .

تختلف أيضا فى صغار الاناث عنها فى صغار الذكور فتظهر فى البنات بين ٧ - ١٠ من العمر بصورة قلقهن على آبائهن ، وخفقان القلب ، أو أرق يصيبهن ، ويشعرن بوخزات كوخزات الابر فى أصابعهن ، وغيرها من الأعراض المنبئة عن الخوف ، وقد تحدث هذه الأعراض فى الذكور ولكنها تكون فى الاناث ٤ - ٥ أضعاف ما هى عليه فى الذكور ، ويخاف الصبيان من الاذى الجسمى كالضرب وما أشبه ذلك بينما يخاف البنات من الظلام والغرباء عنهن .

الشكاسة Naughtiness (الشيطنة) :

الصبيان أكثر شكاسة وأذى من البنات بصورة عامة ، وتبدو الشكاسة فى البنين بصورة عنف ، فالذكور تحت تأثير اجتماعى يفرض فيهم أن يكونوا أقوى وأشجع وأشطر وأكفأ من الاناث ، فعبرون عن اخفاقهم فى هذه الأمور بالعنف والثوران على الأوضاع وسوء السلوك وما أشبه ذلك . ويظهر هذا التعبير مظهرا نفسيا فى البنات كالاضطرابات العصبية .

الحسد :

أكثر وجودا فى البنات منه فى الصبيان ، والصبيان أجراً من البنات فى ابداء رغباتهم ، وأقوى منهن فى الحصول عليها .

وانا مهما بالقنا فى تأثير المحيط وارتباط الشخصية به ، فلا نستطيع أن ننكر وجود

عوامل طبيعية ، تجعل اختلافا بين شخصية الصبي وشخصية البنت • يقول المتخصصون بهذه المواضيع ان منشأ اختلاف الشخصية مفرزات الغدد الصم ، الا أن الغدد الصم أنفسها متولدة من وراثه الانسان الطبيعية ، فالعوامل الوراثية هي المسيطرة ، والشخصية وليدة الوراثة ومفرزات الغدد الصم والمحيط ، وتأثير هذه العوامل الثلاثة يولد اختلافا في شخصية الذكر والأنثى •

ومن تقرير الدكتور Hugh H. Darly :

أن الاولاد الذكور يفرزون في سن ٣ - ١٠ مفرزات ذكرية ضعف ما تفرزه البنات ، والفرق الرئيس أن البنات يفرزن مفرزات جنسية أنثوية ٤٠ - ٥٠ ضعفا لما يفرزه الصبيان ، فهل لهذه المفرزات تأثير في تكيف الشخصية ؟ لقد أجرى العلماء اختبارات على الديوك ، فوجدوا أن الديوك التي تخصي (الحشاء يزيل المفرزات الجنسية فيها) أو غيرها من الذكور تصير أهدأ وأقل نزوعا للمهاجمة وأقرب الى المسالمة مما كانت عليه قبلا ، وقد اقترح بعض الظرفاء خضاء الحاكمين بأمرهم والمستبدين والذين يعيشون في الأرض فسادا ، توصلا للطمأنينة والاستقرار ونشر السلام في العالم •

الاعتماد بالجنس :

ان الذكور أكثر اعتدادا بجنسهم من الاناث ، وقد ظهر من الاستفتاء الذي قام به Allport أن الاناث اللاتي تمنين أن يكن ذكورا ، أكثر عددا بكثير من الذكور الذين تمنوا ان يكونوا اناثا ، وبالطبع يعزى ذلك الى سيادة الرجل وتحديد سلطة المرأة •
أنهنا الآن الفروق الجنسية في سن الحداثة أو الصبا ، وننتقل الى مرحلة ثانية. من مراحل الحياة ، وأخطر مرحلة من حياة البنات والصبيان وهي سن المراهقة •

المراهقة :

هي تطور الفتي والفتاة الفجائي من سن الصبا الى سن الرجولية ، ولها تأثير عظيم في حياتهما الجسدية والعقلية والنفسية ، والمراهقة نوعان : المراهقة الاحيائية (البيولوجية) ، ونسميها البلوغ ، ينمى فيها الجسم والعقل ، وتظهر في كل جنس صفات خاصة نسميها الصفات الجنسية الثانوية وقد مر بنا ذكرها • والمراهقة الاجتماعية ، وتسمى الرشد ، وتظهر فيها صفات نفسية تميز كل جنس من الآخر ، فالنوع الاحيائي (البيولوجي) عام لكل جنس في كل العالم • تبلغ البنت أبكر من الصبي بنحو من ٣ - ٤ سنوات ، وسن البلوغ في الاناث من السنة ١٢ - ١٣ ، وبلغ الذكور في السنة ١٤ - ١٦ ؛ ويختلف سن البلوغ باختلاف الاقليم والمحيط والعرق والثقافة وغيرها من العوامل الأخرى ، فتكون في الاقاليم الحارة أبكر منها في الباردة ، وبين المتمدن أبكر

منها في غير المتمدين • وتقسم الفروق الجنسية الى قسمين ، الفروق الجنسية الاولى وهي أعضاء التماسل في الفريقين ، والفروق الجنسية الثانوية وهي الفروق التي مر ذكرها في العظام والشعر والصوت •

ويعزى ظهور الصفات الجنسية الى مفرزات اندود الجنسية ، الخصيتين في الذكور والمبيض في الاناث ، وكل منها افراز خارجي وهو المنى في الذكور والميوض في الاناث ، وداخل يذهب في الدم ويحفز ظهور الصفات الجنسية ، وعلامة البلوغ الرئيسة في الذكور ظهور المنى وفي الاناث ظهور الحيض (ألم يك نطفة من منى يمتنى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) • فاذا استأصلنا الميوض من الاناث والخصيتين من الذكور قبل البلوغ فلا تظهر الصفات الجنسية في الفريقين ، ويتأخر نماءهما الجسدى والعقلى فلا يظهر المنى في الذكور ولا البيض في الاناث •

لقد لحصنا التطور الاحيائى في الجنسين ، ونأتى الآن الى شرح المرحلة الثانية من المراهقة وهي سن الرشد التى تبدى من البلوغ حتى ما يقرب من السنة الخامسة والعشرين من العمر ، وهو التطور الاجتماعى الذى يمر بالفتى والفتاة ، ومن الامور البارزة فيه أن النضج الجسمى لا يمتشى مع النضج الاجتماعى ، ويخرج فيه الشبان والشابات الى المجتمع بخطا مترجحة غير مزودين بالمعرفة والتجارب الكافية لملاقاة مشكلات المجتمع المعقدة ، فيخرجون من محيط ضيق سهل الى محيط واسع معقد ، ومن اختبارات محدودة الى اختبارات متنوعة لاعهد لهم بها ، وتتجدد بمرور الزمن وتزيد مشكلاتهم تعقيدا فلا يستطيعون تكيف أنفسهم لمعاملهم الجديد ، وبما أن الفتيات يملن قبل الفتيان ، فانهن يقعن الجبهة قلهن غير مزودات بالسلاح اللازم لحوض المعركة الجنسية ، سلاح الارشاد والتجارب والروية وتمييز العواقب وتجنب الانحراف بتيار العاطفة ، ويزيد الطين بلة أن نماءهن الجسمى غير متناسب مع نمائهن العقلى ، والحس الجسمى يتكون فهن قبل الذكور ، وتبدأ علاقتهن الجنسية مع الحس الاخر قبل الذكور ، وبما أن نضجهن الجسمى يكتمل قبلهم (بسن العشرين) ، كما بينا ، فيكن مستعدات للزواج بحكم العامل الاحيائى والاجتماعى والعرفى قبل الذكور ، ولهذا تكون البنت معرضة فى سن الرشد للحب الحيدلى Romantic love وقد فرضت عليها طبيعتها والمجتمع والعرف كبت عواطفها فلا تتجرأ أن تبوح بحبها الجسمى ولا أن تصرفه بالسهولة التى يصرف بها الصبى ، فتعتمد من دون وعى الى الانواء بحركاتها واسها ، وتستعيض عن حب دماها فى الصغر بحب الاطفال ، وتصير وديدا جدا ، ويعرضها كتمان عواطفها للاثراض المعصية النفسية كانهستريا والحدود المعصية ولاغراء الحس الاخر لها ، أضف

الى ذلك العوامل الخارجية كالسينما والروايات والصور الخلية وغيرها من الأمور التي تصور الحياة حياة جنسية صرفة وتجعلها مبنية على الخداع والكذب والحيانة وتهديم الحياة العائلية ، فاذا زلت قدمها تعرضت للأضرار الصحية والاجتماعية ، فيحتقرها المجتمع وتعيش تسنة منبوذة فاقدة السعادة والأمل ، واذا تزوجت لاتستطيع القيام بالاعباء الزوجية كما يجب متصورة أن الزواج حب ودلال وطعام وشراب ولبس وأنس غير حاسبة للمعارك الزوجية حسابا .

ومما لاشك فيه أن اختلافها عن الذكر جنسا ، وتعرضها لمخاطر الحمل غير الشرعى وما ينتج عنه من المخاطر الاجتماعية ، وعدم نضجها العقلى الكافى فى ابان بلوغها ، كانت من العوامل القوية التي حددت حرية البنت ، وأدت الى الضغط عليها وعدم مساواتها بالصبي ، وستتطرق الى العوامل الأخرى فيما بعد .

أما الصبي المراهق ، فتكون حالته النفسية أشد توترا من حالة البنت ؛ لأنها بلغت قبله ، وأصبح لها مركز اجتماعى اكبر من مركزه ؛ لأن البنت تصبح مطمح الأنظار أكثر من الصبي ، وخاصة اذا أوتيت حظا من الجمال . وهى تحلم بزواج سعيد ومستقبل باسم ، فتشب غير معتمدة فى شؤون الحياة على نفسها بقدر اعتماد الصبي على نفسه ؛ لأن هدف المرأة الزواج على ما سنزيده توضيحا . وبينما تحلم البنت بالزواج وتفكر فى نصيب صالح ، يكون الصبي قلقا : يفكر فى مصير . وفى الحرفة التي يحترفها ، وفى التبعة التي تنتظره ؛ لأنه يشعر أنه سيكون رب البيت المسؤول عنه ، وتأبى شخصيته أن يكون غير ذلك ، ولما ندعى أن البنت لاتشعر بهذه التبعة ، ولكن الفروق الطبيعية بينها وبين الصبي والعرف وتقاليده المجتمع فرضت هذه التبعة على الرجل أكثر مما فرضتها على المرأة ، فيشعر المراهق بضغط نفسى ، ويساوره القلق من جراء تفكيره فى نجاحه أو اخفاقه ، ومتى يتزوج ، ومن يختار من الفتيات شريكة لحياته ، أضف الى ذلك الشعور بالحس الجنسى ، والحوافز التي تغذى هذا الحس : كدور السينما ، والقصص ، والروايات ، وأحاديث الناس ، فيصير ينظر الى الشق الثانى غير نظره الأولى التي كانت نظرة بريئة هى نظرة الرفيق الى الرفيق ، والصديق الى الصديق ، ويتعرض لاغراء العيون النجل ، والوجوه الفتانة ، والقذود الهيف ، فيلجأ الى الاستمنا وارتياح دور البغاء تصرفا للحس الحسى ، ويتعرض للمساوىء الصحية والاخلاقية والاجتماعية التي تنجم عنها ، ويعرضه انتقاله فجأة من دور الصبا الى دور الرجولية للأمراض العصبية ، كالتيراستينيا والجنون ، وللأمراض الجسدية كالسل الرئوى وأمراض القلب وما أشبه ذلك . وبعد أن كان ولدا يؤمر وينهى ، أصبح قد دب فيه روح الاستقلال ، فيسير نحو الرجولية

سبعة أدمار في علاقات الصبي والبنت

الطفولة

الصبي والبنت ليلتان
إلا بنفسهما



الحداثة المبكرة

يرغبون برفقة يزمهم
بعض الفلح مما لم يفسد



مخالفة النامة

يفضل الصبيان اللعب بالصبيان
والبنات مع البنات



من ١٠ - ١٤ سنة

يكون الجنان متقاربان



من ١٣ - ١٤ سنة

يلتص الصبيان بالصبيان
ويجادلون جذبهن ويتكبر
الصبيان عليهن



من ١٤ - ١١ سنة

يلتص الصبيان بالبنات
وقسم منهم يمشون أزواجا
أزواجا



من ١٦ - ١٧ سنة

فما فوق

تصير المرافقة بين الجنين
عامة



بخطا مترجرجة ، ويزيد الطين بلة أن يرى شيئا من روح التحيز من والديه والمجتمع نحو أخته ؟ فانهما يقدقان عليها من الثياب وأدوات الزينة ، ويجعلانها معرضا للأصدقاء والزوار ، ويصدرانها في المجالس طمعا في زوج ، فيؤلمه من غير شعور أن يرى أخته محترمة أكثر منه في المجتمعات ، في داخل البيت وخارجه ، ويقع كالبت في الحب الخيالي ، ولكن المجتمع يبيع له ما لا يبيع للبت ، ويفامر أنواع الفامرات : ينجح فيها أو يخفق ، ويسعد أو يشقى ، الى أن يكمل نضجه العقلي ، والصواب والخطأ يكسبانه خبرة ومعرفة في الأمور أكثر مما يكسبان البنت ، والمجتمع يقتفر له زلاته ، بل يشجعه عليها كما سنبينه .

ويشعر الجنسان في هذا الدور غير شعورهما الأول ، فيميل بعضهما الى الآخر ، ويلتقيان في دور العلم وفي المجتمعات والحفلات ودور السينما وحلقات الرقص والمنتزهات ، ويتدربان على أن يكونا زوجا وزوجا ، ولكنهما يجدان تحديدا لحريتهما من المسؤولين عنهما ، فيلجآن الى الكذب والخداع ، ويضربان المواعيد ، ويلتقيان خفية بعيدين عن عيون أهلهم ، وهذه الحالات تدعو الأهل والمربين الى ارشاد المراهقين ارشادا صحيحا ، بشرح أخطار الشباب ومزالقه ، ومن أولى بالارشاد من الآباء والأمهات ؟ وكيف يتمكنون من ذلك وهم أجهل من أبنائهم ؟ لايجرؤون أن يتفوهوا ببنت شفة في هذا الموضوع ، بل يعدون البحث فيه عيبا ومفسدة للأخلاق ، ويعرضون أبناءهم لمزالق الحياة .

وقد درس علماء النفس علاقة البنات والصبيان بعضهم ببعض في مراحل حياتهم بحسب أعمارهم ، وتوصلوا الى هذه النتائج :

انصبيان والبنات لايفضلون جنسا على آخر في السنة السابعة والثامنة من العمر الا اذا دربوا على غير ذلك ، ثم تعقب ذلك فترة يميل فيها الصبيان الى الصبيان ، والبنات الى البنات ، فيلعبون ويسمرون : كل جنس على حدة ، وكل فريق يلعب ألعابا تختلف عن ألعاب الفريق الآخر ، فالصبيان يميلون في السنة الثامنة من العمر الى كرة القدم والأعمال الكشفية وغيرها من الأعمال التي تتطوى على القوة ، ويعبر البنون بعضهم بعضا اذا لعبوا مع البنات أكثر مما تعبر البنات من تلعب من بنات جنسهن مع الصبيان ، ويهتم الآباء في هذه السن بالصبيان أكثر من اهتمامهم بالبنات ، فتتولد روح الفيرة والمنافسة ، ويعقب هذه الفترة فترة اللامبالاة بين السنة العاشرة والثانية عشرة ، فيتظاهر الجنسان بالنفور بعضهما من بعض ، ولكن كلما تظاهر أحدهما بالصدود عن الآخر أصبح ميله اليه أشد . وهذه الظاهرة يسميها علماء النفس « بالانعكاس Inversion »

وفى سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة تتغير الحالة ، ويشد ميل الجنسين بعضهما الى بعض ، وتبدأ البنت قبل الصبي باظهار هذا الميل ، ويتظاهر الصبيان بالصدود والكبرياء ، والبنات هن اللاتي يجذبن الصبيان جذبا خفيا بأنواع الاغراء ؛ لانهن أنضج جنسا من الصبيان ، فينظمن الحفلات والاجتماعات ، وضروب التسلية بلوغ أهدافهن ، ونرى تغيرا محسا بعد هذه الفترة في السنة الخامسة عشرة من العمر ، فالبنت التي تستقر على رفيق واحد تسمو بنظر رفيقاتها . وأما الصبي الذي يميل الى فتاة واحدة ، فقد يعبره رفقاؤه ، وأحيانا أبواه ، وتبدأ العاطفة تمثل دورها في الجنسين بعد هذه السن ، وسيطر عليهما الحب الخيالي ، فيندفعان في مزالق الغواية ، ويعرضان أنفسهما لضروب المخاطر الاجتماعية ، ويكون تأثير هذه الفترة في البنت أكثر من تأثيرها في الصبي كما بينا ، لانها أنضج منه جنسا ، والزواج على قاب قوسين منها أو أدنى . فاذا زلقت فالويل لها ، وإذا أخفقت في مغامراتها قضت على مستقبلها وعاشت شقية بائسة . وأما الفتى فلا تؤثر فيه هذه المغامرات تأثيرها في الفتاة ؛ لأن لديه الوقت الكافي للاختبارات والاستفادة من الصواب والخطأ ، ولا يفصح أمره في مغامراته كالبنت ، فيسيم سرح اللهو كيف يشاء ، ويدلى دلوه مع الدلاء ، فالبنت يحتجن الى رعاية وإرشاد وتحذير من العواقب أكثر من حاجة الصبيان الى ذلك ، والمجتمع غفار للفتى ، ولكنه يحاسب الفتاة حسابا عسيرا . وتعد هذه المغامرات من الذكور ضربا من الرجولية والحيوية ، ويفخر بها الفتى معتدا بنفسه ، ويدافع في مغامراته أشد المبالغة ، ويكذب أحيانا ، ويجعل الحجة قبة ليرهن على رجوليته ، ويفض الآباء والأمهات النظر عن الصبيان في هذه الأمور تاركين لهم الحبل على الغارب ، لا بل يشجعونهم عليها ، بينما يحاسبون البنت حسابا عسيرا ، وهل يجوز للآباء أن يتسامحوا مع الأبناء في علاقاتهم ببنات الناس وهم يستكرونها من بناتهم ؟ ولو عقلوا لما فعلوا ، فميزان الأخلاق واحد .

خلق المرأة وخلق الرجل :

اختلفت آراء الرجال في المرأة ، فجعلها قسم منهم ملكا رحيمًا ، وجعلها غيرهم شيطانا رجيما ، وشبهوها بالشموس والاقمار وبالورد والزهر ، ووصفوها بقلّة العقل والثروة والجن والتقلب وافشاء الأسرار وغير ذلك من النعوت المتناقضة ، وجعلوا اصلاحتها وفسادها منوطا بالرجل .

ومما لاشك فيه أن الرجال الذين نظروا الى المرأة هذه النظرة السطحية كانوا متحاملين أو جاهلين ، وهى نظرة الضعيف الى القوى والسيد الى المسود ، يراه جميلا فى ساعة الرضا ، وقيحا فى ساعة الغضب . فهل للمرأة والرجل خلق طبيعى خاص

بكل منهما ؟ مثال ذلك الأمومة ، أهي غريزية فى المرأة أم اكتسابية ؟ وحب السيطرة أهو غريزى فى الرجل أم اكتسابى ؟

الصفات بحسب قوانين الوراثة نوعان : وراثية ، واكتسابية ، فالصفة الوراثية هي التى تكون متأصلة فى الانسان ، أى موجودة فى مورثاته ، فالانسان يخلق طويلا أو قصيرا ، ذكيا أو بليدا ، يرث قابلية النطق ، لكنه لا ينطق اذا لم يتعلم النطق ، والحيوانات لا تنطق اذا علمتها ؛ لأن قابلية النطق غير موجودة فى مورثاتها . وأما الصفات المكتسبة فهى التى يكتسبها الانسان من المحيط ولا تكون موجودة فى المورثات ، فالانسان يكون شجاعا أو جبانا ، كريما أو بخيلا ، لطيفا أو فظا ، متكبرا أو متواضعا ، بعامل التربية . فالأخلاق تكون اكتسابية اجمالا ، ولكن الغريزة وراثية ، وفى النساء غرائز متكونة من طبيعة بنتين . فالمرأة أضعف من الرجل بهيكلها العظمى ، وعضلاتها ، وسائر تراكيبها الطبيعية ، كما ذكرنا آنفا ، فهذه الأمور غريزية لاغبار عليها .

ولكن هل الأمومة غريزة كالفروق الطبيعية التى ذكرناها . . . ؟ وهنا ندخل فى موضوع عويص ، وهو تعريف الغريزة من الناحية الاحيائية ، ولا نريد أن نخرج عن موضوعنا الأساسى لنعالج موضوعا فرعيا ؛ والعلماء مختلفون فى تعريف الغريزة فمنهم من يقول ان الغرائز آخذة فى الاضمحلال فى النوع البشرى ، وصائرة الى الزوال كلما تدرجنا فى سلم الحيوانات ، فالغرائز محدودة فى الانسان ، ومعظم أعماله متولدة عن التعلم ، وان الأمومة ليست غريزية فى المرأة بل اكتسابية ، والام تحمل الولد وتلده وترضعه وتحضنه وتربيه ، فيتولد فيها روح الحنو والعطف عليه ، ولو ولدت امرأة ولدا من دون أن تدري أنه ولدها فلا تشعر بروح العطف عليه ، أو اذا فصل عنها ورأته بعد زمن فانها تنظر اليه كما تنظر الى ولد آخر ليست لها صلة به . ولكن المرأة مارست الأمومة نحو خمس مئة ألف سنة ، وهو الزمن الذى يقدره العلماء لظهور الانسان على وجه هذا الكوكب ، وهو زمن كاف فى جعل الأمومة كالغريزة فى جنس النساء سواء أكانت هذه الغريزة مخلوقة أم مكتسبة ، فالمرأة منذ فجر التاريخ اقتصت بالأمومة ، واختص الرجل بالسعى ، وهذه الحقيقة هى التى سرت الرجل سيرا خاصا ، والمرأة سيرا خاصا ، فرى الاختلاف ظاهرا بين الجنسين منذ الطفولة الى آخر الحياة ، فيسلك الصبيان سلوكا خاصا فى ألبستهم وألعابهم وحياتهم الاجتماعية ، وتسلك البنات سلوكا خاصا بهن ، فالبناات يملن الى الألعاب المنزلية كالبيوت والاثاث واندى ، والصبيان يميلون الى الجنود والمدافع والطائرات ، فأصبح الميل الى هذه الأشياء كالليل الموروث ، وطبعت كلا منهما بطابع خاص به ، وتؤثر افرازات الغدد الجنسية فى كل منهما تأثيرا

خاصاً ، ولا صحة للقول الذى يقول : « ان الذكر ميال بطبعه الى الاعتداء والقسوة والخسونة ، والأنثى ميانة بطبعها الى السلام والدعة والخو » ؛ لأن الذكر يرث نصف صفاته من أمه ونصفاً من أبيه ، وكذلك الأنثى ، فإذا كانت صفة الأمومة غريزية ، وجب أن تظهر فى الجنسين ، ولكن تأثير العوامل الاحيائية وافرازات الغدد الصم توجه كلا منهما توجيهها خاصاً .

وعلماء النفس وعلماء الاجتماع المحدثون متفقون على أن الفرائز أصبحت ضئيلة الأثر فى النوع البشرى ، وقد تغلبت عليها التيارات الاجتماعية والحضارة البشرية ، وسواء أكان الطبع أم التطبع هما اللذان يسيران الشخصية ، فقد اتصف كل من الذكر والأنثى بصفات جعلته يسلك سلوكاً يختلف عن سلوك الجنس الآخر ، وسنذكر قسماً منها .

العواطف :

من الأمور المسلمة علمياً والمعروفة عند الناس أن عاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل ، وليس معنى ذلك أنها أكثر رقة ، وانما معناه أنها أقوى فى ساعة الرضا وفى ساعة الغضب ، فتكون المرأة أكثر حنوا ورقة ، وأشد قسوة وفظاظه ، ويؤيد ذلك أن الشعوب البدائية توكل تعذيب الأسرى الى النساء ، وكان أكثر الموكلين بتعذيب المجرمين عند النازيين من النساء أيضاً ، وتقسو الأم على أولادها حين تثور طباعها أكثر من الأب . ويستتج من دراسة Prof. Lewis M. Terman و Dr. Winifred B. Johnson فى جامعة ستانفورد للفروق النفسية بين الذكور والاناث « أن عاطفة الذكور أكثر اتزاناً من عاطفة الاناث » وقال الدكتور جونسن « بالرغم من أن من المحتمل أن تكون عوامل الفروق العاطفية بين الرجل والمرأة اكتسابية بسبب القيود المفروضة على المرأة ، فما لاشك فيه احتمال وجود عامل طبيعى للفرق بين الجنسين » .

ومما يجب الالتفات اليه مرض وهمى يصيب النساء يسمى الهستيريا ، والمعروف عن هذا المرض أنه يصيب النساء على الاغلب ، ولكن الدكتور D. Gellespie ذكر فى دراسته لتأثير الحرب العالمية الثانية فى الحالات العقلية فى أثناء الغارات الجوية على لندن أن الاضطرابات العصبية الوهمية كانت بين الرجال أكثر منها بين النساء فى الأحياء التى أصابها أكبر نصيب من القنابل .

وجاء فى البيان الرسمى الذى أصدرته الحكومة البريطانية فى أيلول من سنة ١٩٤١ م عن الغارات الجوية على لندن ما يأتى :

حقيقة ، ان النساء أكثر عاطفة من الرجال فى القصص الخيالية ، ولكنهن كن دونهم

تأثرا بالعاطفة أثناء الغارات الجوية ، وسبب ذلك قوة جبهن لذويهن التي وقتهن من سدمة التأثير ببروق الحرب وعودها ، فكن يشتغلن بهدوء أكثر من الرجال ، وكان الرجال يقومون بأعمالهم كما ينبغي ولكنهم كانوا قلقين فآثر ذلك فى أعمالهم ، واستفاق النساء من تأثير الصدمات النفسية أسرع من الرجال . ومن المعالجات التى كانت متبعة للخروج من تأثير الصدمة ، قص مآحدث على المتأثرين بها ، فيزول روع الصدمة ، وقد زال عن النساء قبل الرجال .

ولكننا نستطيع أن نعلل هذا الفارق تعليلا معقولا ، لادفعا عن الرجل بل عن الحقيقة ، فإن الشجعان والأشداء كانوا من الرجال فى ساحات القتال ، ولم يبق إلا الشيوخ والعجزة والمرضى . فمن البديهي أن يكونوا أكثر تعرضا للتأثيرات العاطفية من النساء ، مضافا الى ذلك عامل الشعور بالتبعة . فالرجال أكثر تحسسا بها من النساء ، فساورهم المخاوف والقلق على ذويهم أكثر من النساء . ولقد استشهد قسم من العلماء على قوة العاطفة فى النساء بتأثير البنج فيهن . ولكننا اذا تذكرنا أن النساء أصغر حجما من الرجال ، لاستغرب سرعة تأثرهن بالبنج ، ولكننا لانستطيع أن نجردهن من تأثير العامل النفسى ، وقدر الاختصاصيون العامل الفسيولوجى بـ ٦٥ ٪ ، والنفسى بـ ٣٥ ٪ .

الانتحار :

من الأدلة المهمة على تأثير العاطفة ، وقد ثبت من الاحصاءات العامة فى أميركا أن الانتحارات فى الرجال أكثر منها فى النساء ، وأن النساء أقل عاطفة من الرجال فى هذه الناحية .

يحدث فى الولايات المتحدة ثمانية عشر ألف انتحار سنويا ، ثلثها من الذكور ، والثلث الباقي اناث . ولما طفت موجة الانتحار فى ألمانيا النازية فى أثناء الحرب العامة الثانية ، كان أكثر حوادث الانتحار بين الرجال . ويمكننا تحليل ذلك بأن الرجال أكثر تبعة وتعرضا للضغط الجسدى والنفسى من النساء ، ولهذا كانوا يتحرون لا عن جبن فى مكافحة انثابات ، بل كانوا يضحون بأنفسهم فى سبيل كراماتهم ، مضافا الى ذلك أن الرجال أكثر تعرضا لأمراض والعوارض وغير ذلك من الأمور التى تجعل الحياة لاتطاق .

الفصيلة والذيلة :

المفروض أن تكون المرأة أكثر خضوعا للقوانين والانظمة من الرجل ، وعزا قسم من العلماء هذه السجية الى خلق فطرى خاص بالمرأة ، ولكننا اذا بحثناها من الوجهة

الاحيائية نجد تعليلا لها ، وهو أن المرأة أضعف جسدا من الرجل ، فهي مضطرة الى معونته فى أثناء الحمل والولادة ، وبعدهما ، فلا تستطيع الاعتماد على نفسها فى القيام بأودها ، فتكون بطبيعتها أقل مقاومة للقوة من الرجل . وقال قسم من الثقات ان المرأة أكثر خشية من الرجل بفطرتها ، ولكن لانس أن الحشمة تكون على الأكثر منبعثة من الخوف ، والتقييد بالسلوك الحس . وعدم مخالفة القوانين والانظمة منشؤه التربية ، والخوف التأثير الشديد فى ردع الانسان عن مخالفة القواعد الاجتماعية والنواهي الدينية وما أشبه ذلك .

الحسد :

من الصفات العاطفية التى يفوق بها النساء الرجال . وقد رأينا من دراسة الأحداث أن البنات أكثر حسدا من الصبيان ، وتنمى هذه الصفات فى البنات وتستمر فيهن الى انكبر . ويمكننا أن نعلل زيادة صفة الحسد فى النساء على الرجال بأن النساء أقل تمتعا بالحرية من الرجال ، والقيود المفروضة عليهن أثقل من القيود المفروضة على الرجال ، فلا عجب أن يكن أكثر ميلا الى الحسد ، وقاية لأنفسهن من قيود المجتمع ، ولا يعنى ذلك أن الرجال خالون من الحسد ، بل معناه أن صفة الحسد فى النساء أبرز منها فى الرجال .

المظاهر :

المعروف أن النساء أكثر ميلا الى المظاهر الخارجية من الرجال ، فهن أكثر اهتماما باللباس والزينة والعطور وما أشبه ذلك من أنواع حب الظهور . ولكن لانسى أننا فى عصر يفرض فيه على المرأة تقريبا هذا الضرب من الظهور . ويظهر الرجال فى مظاهر أخرى كافتاء السيارات والاسلحة والتحف الثمينة وما أشبه ذلك ، فالمرأة تستجيب الى رغبة الرجل فى مظاهرها ، وأما الرجل فيتمسك بالمظاهر حبا بها .

الثروة (كثرة الكلام فى تردد وتغليط) Gossep :

من الأمور المتفق عليها عند الرجال أن الثروة طابع من طابع النساء ، ولا غرابة فى ذلك ، لأن ضيق مجال أعمال المرأة بالقياس الى الرجل ، وحرمانها من الحياة العامة ، واضطرابها الى صرف معظم أوقاتها وهى حلس دارها ، تضطرها الى الاهتمام بالأمور الشخصية والأحاديث التى تروح عن النفس ، وتصرف العاطفة . ويرى بعض الثقات أن المرأة هى التى اخترعت اللغة فى الدور الصيدى ، اذ كان الرجال ينصرفون الى الصيد ، ويبقى النساء فى بيوتهن بغير عمل ، فاخترعن الكلام للتفاهم ولتسلية أنفسهن .

الخرافات :

من الأمور المسلمة أن النساء أكثر انقيادا الى الخرافات من الرجال ، فهن أكثر تطبيقا للخيرة ، وكشف الحظ بفنجان القهوة ، وقراءة الكف والافكار ، ونضروب الطلاسم والسحر وارتقى والتاويز وما أشبه ذلك . ولكن المجتمع هو المسؤول عن ذلك ، فأكراههن على الزواج ، وطلaquهن بمحض ارادة الرجل ، وإباحة الرجال لأنفسهم ما حرموه على المرأة ، وغير ذلك من الأمور ، دفع المرأة الى الاستسلام للأمور الخرافية أكثر من الرجل .

الدين :

قال هافلوك الس الثقة الشهير بالأمور الجنسية : الدين من الصفات الجنسية الثانوية في النساء ، وإذا صح أن منشأ الدين الخوف ، والنساء أضعف من الرجال بصورة عامة ، فلا غرو أن يكن أميل الى الدين من الرجال . ثم عجزهن في أيام الطمث والحمل والولادة ، والحيلولة دون اعتمادهن على أنفسهن في الحياة الاقتصادية ، يجعلهن أكثر ميلا الى الدين من الرجال حين المرض والخوف ، والكوارث وما أشبه ذلك . ولكن اذا نظرنا الى الحقيقة نرى أن الرجال هم الذين يقومون بالشعائر الدينية عند الشعوب البدائية والمتقدمة ، فائساء ما زل ، بحكم العرف ، بعيدات عن القيادة الدينية في المجتمعات النسوية ، ويجب أن لا تتخذ حضورهن الاجتماعات الدينية في الكنائس وغيرها أكثر من الرجال دليلا على شدة تدينهن ؛ لأن الناحية الاجتماعية كالتسلي والتحدث ومبادلة الآراء وغيرها ، هي التي تجذبهن الى ارتياد هذه الأماكن . ان اتجاه النساء الديني حدث جديد في تاريخ حضارة البشرية ، فالزعامة الدينية كانت ولا تزال للرجال .

الخداع :

- من الأمور المسلمة عند الرجال أن الخداع بين النساء أكثر شيوعا منه بين الرجال ، وقد وضع قواعد هذه التهمة الايطاليان المتخصصان بعلم الجرائم Lambroso و Ferrero واستدفا في حكمهما أن المرأة أكثر خداعا من الرجل الى الأمور الآتية :
- (١) ضعف المرأة الجسدي الذي يجبرها على اللجوء الى الخداع والحيل والالتواء في التوصل الى غاياتها .
 - (٢) الطمث ؛ لأن كتمانها اياه يولد فيها روح عدم الصراحة في أمورها الأخرى فيصير الكتمان خليفة عندها .
 - (٣) الأدب (الخشمة) : ان خجل المرأة من الصراحة في الأمور الجنسية يحملها

على الكتمان •

(٤) اجتذاب الرجل ، فان المرأة تتصنع بلبسها وزينتها وسائر مظاهرها الأخرى لاجتذاب الرجل •

ولا حاجة بنا لتفنيد هذه النظريات ، فانها مستوحاة من روح العصر الذى عاش فيه هذان العالمان ، ولا نستطيع مهما انتحلنا من الأسباب أن نلصق تهمة الخداع بالمرأة وحدها ، بل هى سجية عامة فى الجنس البشرى • فاذا كانت المرأة تخدع لماما ، فالرجل يخدع دواما ، وأخلاق الرجل وعدم انصافه المرأة فى أمور كثيرة تلجئها الى الخداع والكذب ، ولا حاجة بنا الى التوسع فى هذا الموضوع ، فكل رجل أعلم بدخلته ، فالرجل يفرض صدقه بالقوة على المرأة •

البديهة وسرعة الخاطر :

وبعدها الرجال حاسة سادة فى النساء ، والنساء أقدر من الرجال على حل الألغاز والأحاجى وما أشبه ذلك ؛ لأن المرأة منذ حداثتها تتدرب على الدقة فى النظر الى الأشياء بسبب تأثيرها فى علاقاتها بالناس ، وهى تهتم بالأشخاص المتصلين بها أكثر من الرجل ؛ لأن الرجل يميل الى الأمور المجردة أكثر من المرأة ، والمرأة أقدر من الرجل فى تقدير شخصية الناس بسبب تمرنها على تربية الأولاد وتكرار ملاحظتها لهم فى طعامهم وشرابهم ولباسهم ، فتصبح دقة ملاحظة الأشياء سجية فيها ، ويصدق الشيء نفسه على اناث الحيوانات اللاتى هن أكثر تيقظا وانتباها من الذكور ؛ لأنهن أضعف منهم ، والذكور يعتمدون على قوتهم ، والقوى لا يتحذر بقدر الضعيف ، والبديهة ضرورية للمرأة لوقايتها فى حياتها الاجتماعية •

الحياة الجنسية :

لانعنى بالحياة الجنسية الأمور الجنسية الصرفة التى يتمتع بها الانسان ، بل السلوك الخاص أو مجموع الصفات التى يتصف بها كل جنس ، وهى النشأة ، السلوك ، المراهقة ، الدوافع الجنسية ، وغير ذلك من الأمور •

لقد ذكرنا ، فيما سلف ، الفروق الطبيعية بين الذكر والانثى وما تولده من الفروق فى وظيفة كل منهما فى الحياة ، ونذكر الآن سلوكهما الاجتماعى • من الحقائق الاحيائية أن نطفة الذكر هى التى تسعى الى نطفة الانثى قبل عملية التلقيح ؛ لأن نطفة الانثى لا تتحرك ، بل تجذبها قناة الرحم من البطن • والمرأة مبيضان : واحد من كل جانب من جانبي البطن ، وهما متصلان بالرحم برباط خاص ، وفيهما نحو من خمس مئة بيضة ، فتضع المرأة فى الاحوال الطبيعية بالتناوب من كل مبيض

بيضة فى الشهر ، شاءت أم أبى ، وهى لا تتحرك ، بل تجتذبها قناة الرحم الى داخلها كما بنا ، حيث تنتظر نطفة الذكر . وأما الرجل فيخرج ملايين الحيوانات المنوية فى الدفعة الواحدة ، تسبح فى المنى بواسطة ذنبها ، متمسكة طريقها نحو البيضة ، وهى تسير بسرعة ٧٠ مليمترا فى الساعة . ويختلف الرجل عن المرأة فى أنه يستطيع اخراج الحيوانات المنوية متى شاء ومنع خروجها حين لا يشاء . والحيوان المنوى الذى يصل قبل أقرانه ، يدخل البيضة ، ويسد الطريق بوجه ملايين الحيوانات الأخرى التى تقضى نحبها ، وتبقى هذه الخلية الملقحة فى قناة الرحم نحو من ثلاثة أيام . والطريف فى هذا الحديث أن البيضة هى التى تنزى الجنين فى هذه الأيام المجاف من الغذاء الذى ادخرته لهذه المجاعة ، وبعد مضى ثلاثة أيام تنتقل البيضة الملقحة الى الرحم حيث تنفوس فيه ، وتستمد غذاءها منه .

تظهر فلسفة التلقيح حقيقتين أساسيتين فى تكوين الانسان ، وهما : أن نطفة الذكر هى المنوط بها الحركة والسعى ، والأُنثى لاعداد الغذاء والحضانة ، والحياة لا تتم فى الانسان من دون تعاون هاتين النطقتين .

والظاهرة الثانية فى النساء هى أن حياتهن التناسلية أقصر منها فى الرجال ، اذ ينقطع الحيض فى المرأة بين سن الـ ٤٥ - ٥٠ حين تبلغ سن اليأس ، بينما يبقى الرجل مستعداً للتلقيح الى سن الستين فما فوق ، ومن الرجال من نقحوا فى الـ ٩٤ من العمر . ان العزة الالهية شاءت تقصير تناسل المرأة لحفظ حياتها من كثرة الحمل ، والتعرض لمخاطره ، والامات كثير من النساء اذا استمررن على الولادة الى ما بعد الخمسين .

ذكر العلماء صفات خاصة للمرأة والرجل فى حياتهما الاجتماعية تؤيد الحقائق الاحيائية ، ومن أبرزهم لويس تيرمان الشهير مستتبب امتحان الذكاء ، وقد وضع بالاشتراك مع السيدة كاترين كوكس ميلز من جامعة كاليفورنيا امتحانا للذكورة والانثوية ، فوضعا سلسلة من الرسوم طلب من الرجال والنساء أن يعرفوا أى شئ تشبه هذه الرسوم ، فرسما رسوما خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء ، وتوصلا بواسطة هذا الامتحان الى النتائج الآتية :

يكون الفرد أميل الى الذكورة اذا كان مجبا للمخاطرة ، ميالا الى العمل فى خارج البيت ، مجبا للأعمال الفنية ، ميالا للاتالات والأشياء الحيلية ، مشغوبا بالعلم والأُمور الطبيعية والاختراعات ، ميالا الى الاشغال التجارية ، ويكون ميالا لحد ما الى المدافعة عن النفس والمهاجمة والحنونة والجسارة وعدم التأق فى اللباس ، والتقىد بالآداب

الاجتماعية وتنميق الكلام • ويكون الفرد أميل الى الانوثة اذا كان مجبا للأمر المتزينة والفن والأدب والموسيقى والبقاء في داخل المنزل ومواساة العجزة والمنكوبين والأعمال الأدبية ، ويكون الى حد ما شقيقا خجولا خونا •

الجرائم والجنس :

من الأمور التي يختلف فيها سلوك الجنسين قضية الجرائم ، فالثابت من الاحصاءات المختلفة أن الرجال أكثر ارتكابا للجرائم من النساء ، فالقتل والسرقات والسلب والنهب والسطو والتعدى على الأعراض والسكر ومخالفة القوانين وغيرها من الجرائم ، تكاد تكون من محتكرات الرجال ، وهى فى الرجال بصورة عامة أكثر منها فى النساء ، ولا حاجة بنا الى سرد الاحصاءات التي قد تزجج القراء • ومن الجرائم الأخلاقية البارزة فى النساء البغاء ، فان معظمه بين النساء ، ويوجد بغاء فى الرجال فى بعض الأقطار الأوروبية وغيرها ، ولكنه قليل جدا بالنسبة الى وجوده بين النساء • وموضوع البغاء مستقل بنفسه لا يسمح لنا الوقت بالدخول فيه •

اللباس :

القصد الاساسى من اللباس وقاية الجسم من الحر والبرد والطوارئ الخارجية ، ومنع الأذى عنه ، وراحته ، وهو مظهر من مظاهر الزينة والاعواء ، كاللباس القصير ، والمزركش والضيق ، ورمز الى مهنة الانسان كالعمامة والقلنسوة ، والاكمام الطويلة ، والمعوزة للطبيب ، والبطيلسان (الروب) للمحامين وغيرهم من أصحاب الألقاب العلمية • يرمز قسم من الألبسة الى مهنة الشخص ومركزه الاجتماعى ، واللباس رمز من رموز الفوارق الجنسية الخارجية ، وليست أزياء الرجال التي ترتديها النساء الآن ، كالبنطلون ، وربطة العنق ، سوى اعتراف بتقليد المرأة للرجل ، وأن مظهره خير من مظهرها ، وهو اعتراف من النساء بسيادة الرجال ، وبعدهن عن ابتكار أزياء خاصة بهن • واذا درسنا لباس النساء ولباس الرجال ، رأينا أن لباس كل منهما ملائم لتركيبه الجسدى ، وتشبه جنس بالآخر يدل على تفوق الجنس المشبه به • وقد حرمت بعض الشرائع تزيى النساء بزي الرجال ، وجاء فى الاصحاح الثانى والعشرين ، العدد الخامس من سفر التثنية فى العهد القديم : « لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس ثوب امرأة ؛ لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب الهى » • وهناك أمور تقليدية فى لباس الرجل والمرأة ، لا تعرف لها أسباب حقيقية ، منها أن الرجل يضع أزرار ثيابه فى اليمنى من سترته ، والعمرى فى الجهة اليسرى ، وتعمل المرأة عكس ذلك ، أى تضع الأزرار فى الجهة اليسرى والعمرى فى الجهة

البنى ، وقد منع النازيون فى ألمانيا وإيطاليا النساء من التزوى بزى الرجال فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

والمعروف أن النساء أكثر اهتماما باللباس والزينة من الرجال ، وهذا هو الواقع فى عصرنا الحديث . ولكن اذا رجعنا الى الحقيقة نرى أن الرجال كانوا أكثر من النساء اهتماما باللباس حتى القرن التاسع عشر ، وفى زمن البابليين والآشوريين والمصريين واليونان والرومان وفى القرون الوسطى بأوربة الى القرن التاسع عشر ، كانت الأزياء محصورة بالرجال ، ولا تزال الالبسة التقليدية للرجال ظاهرة حتى الآن فى انكلترا ومصر وتركيا . واهتمام النساء بالالبسة مبعثه استجابة النساء الى رغبة الرجال ، وقد غالين أشد المغالة وخرجن عن حدود الحاجة الى الزينة والاغواء والاسراف ، فالمرأة تصرف معظم أوقاتها بدرس الأزياء والخياطة والتجول فى الأسواق ، لاختيار الأقمشة الصالحة لها أكثر مما تصرفه فى شؤونها المنزلية .

توزيع الأعمال :

ذكرنا آفا الفروق الطبيعية بين المرأة والرجل ، وسنبحت الآن فيما اذا كانت هذه الفروق تؤهل كلا منهما لأعمال خاصة ، ونبدأ بآبينا آدم وأما حواء . لنفرض أن آدم وحواء كانا متساوين بأعمالهما فى بدء حياتهما ، فلما حملت حواء وجدت نفسها أضعف مما كانت قبلا ، وصارت بالتدريج عاجزة عن الأعمال الشاقة ، ومضطرة الى الراحة والسكنة ، فاضطر آدم أن يقوم وحده بالصيد والقنص ، وحمل الأثقال ، ومكافحة الأعداء من الحيوان ومقاومة العوامل الطبيعية . ولما وضعت حواء ولدا اضطرت الى ارضاع طفلها ورعايته ، وأصبحت قابليتها للأعمال الأخرى محدودة ، ثم حملت ثانية قبل فطام ولدها ، فأفقدتها الحمل عن العمل . واستمر آدم يسعى فى مناكب الأرض لىأكل هو وامرأته من رزقها ، فيصطاد الحيوانات ، ويحارب الأعداء من الحيوان وغيره ، ويقوم بغير ذلك من الأمور التى تتطلب قوة جسدية ، فاعتاد هذا الضرب من الأعمال . أما حواء فكانت مضطرة الى البقاء فى الكهف ، والاكتفاء بالأعمال الهينة التى لا تتطلب جهدا جسديا ، كالتقاط الحبوب الموجودة بالقرب منها ، وجمع الأعشاب والبقول وتهيتها للطعام ، واعداد البيت والثياب ، فصارت منحصصة بها أكثر من آدم ، كما صار آدم متخصصا بالأعمال التى تحتاج الى قوة جسدية ، وقد مضت آلاف السنين ، ويقدر العلماء تاريخ وجود الانسان فى هذا الكوكب بنحو ٥٠٠٠٠٠ سنة ، وحواء وآدم يعيشان هذه العيشة ، ويسلك كل منهما سلوكا خاصا فى أعماله ، تدرب عليها آلاف السنين حتى صار متخصصا بها ،

فالولادة والرضاعة عاملان أساسيان فى توزيع الأعمال بين الجنسين ، وهناك عوامل طبيعية أخرى ذكرناها سابقا ، وهى فواق الرجل المرأة قوة ووزنا وحجما ، وستتطرق الى مستبطنات المدنية الحديثة التى جعلت المرأة تستغنى عن الارضاع والطبخ وإدارة البيت حينما نبحث فى المساواة بين الرجل والمرأة ، وقد حذرت دائرة تشغيل النساء فى أمريكا تشغيل المرأة بالأعمال الشاقة كصناعة الأسلحة والتعدين وصناعة المكائن الثقيلة وما أشبه ذلك ، وجاء فى تقرير الدائرة نفسها ما يأتى :

ان قوة المرأة أكثر بقليل من نصف قوة الرجل ، والأعمال الثقيلة تؤثر فى بنية المرأة الطبيعية ، ومن المحتمل أن تحدث عيوباً فيها تؤثر فى ولادتها . وقد يؤدى الوقوف الطويل المستمر الى اضطراب الحيض ، ويعرض المرأة الى ظهور الدوالى ، أو تجعد العروق الدموية فى الساق ، وتعرض النساء الجليات اللاتى تحملن أحمالاً ثقيلة الى عيوب العمود الفقرى وغيره من أجهزة الجسم ، ويضرب الكثيرون منا المثل بقوة النساء القرويات اللاتى يلدن فى الطريق ويقطعن المشيمة بأيديهن بدون أن يصبن بأذى ، ولكننا نجهل الأخطار التى يتعرضن لها ومقدار العيوب الجسدية والوفيات التى تحدث فيهن .

قال الأستاذ George Murdoch المتخصص بعلم الانسان فى جامعة ييل : تعفى المرأة فى الجماعات البدائية من الأعمال تقريبا حين الولادة ، ولا يوجد فى أية قبيلة امرأة تعود الى أعمالها بعد الولادة حالا .

وبالرغم من مساواة المرأة بالرجل عند السوفييت ، فقد منعوها عن الاشتغال بالاشتغال الشاقة ، وقالوا ان الأعمال الشاقة مضرّة للمرأة ، ووجد أن ثلاثة أرباع النساء اللاتى يشتغلن بصناعة الفحم والتعدين أصبن باضطراب الحيض .

وقد وجد المتخصصون فى المعامل الانكليزية أن النساء اللاتى اشتغلن فى تجهيز الذخيرة فى هذه المعامل كن يساوين الرجال لحدا ما ، ولما زيدت ساعات العمل أصبن بأضرار أكثر من الرجال ، ولما زيدت ساعات العمل من عشر الى اثنتى عشرة ساعة ، زادت اصابات النساء ضعفين ونصفا على الرجال ، فأغمدى على كثير منهن ، بينما كانت اصابات الرجال قليلة .

الرياضة البدنية :

من الأمور المسلم بها أن الرجال أقوى من النساء بصورة عامة فى ضروب الألعاب الرياضية وخاصة العنف منها ، والاحصاءات كلها تؤيد هذه الحقيقة ، ولم

يسجل للمرأة أى تفوق فى الألعاب الرياضية ، فالفوق فى الركض ، والقفز العالى والعريض ، ورمى الأثقال والجريد وغيرها من الألعاب الرياضية ، كان الرجل المجلى فيها ، وتشد السباحة عن الألعاب الأخرى ، فان فواق الرجال قليل فيها ، ويمزى ذلك الى أن السباحة تحتاج الى توازن حركات الجسم ، ونصيب المرأة كبير منه ، وقد اشتهرت Even Helene Moody بلعبة (التنس) فأحرزت البطولة فيها ، ولكنها لم تلعب منفردة ، وليس لدينا ما يثبت فواقها على رجل وحدها ، قال William T. Tider أحد كبار اللاعبين : بالرغم من أن النساء ماهرات جدا فى لعبة التنس كالرجال فان عوائقهن الطبيعية ، كتحديد الطول والوزن ، وسرعة نقل القدم ، وبنية أجسامهن ، تحول دون فواقهن على الرجال ، فهل فواق الذكور من هذه الناحية طبيعى أم اكتسابى متولد من التدريب ؟ لقد مر بنا أن بنية الرجل الطبيعية تجعله أقوى وأكثر تحملا للتعب وأسرع من المرأة فى الحركات الطبيعية . قامت لجنة متخصصة فى لندن بدراسة أنواع التعليم الرياضى للنات Physical Education ، فقررت عدم اعطائهن رياضة عنيفة ، ولم تسمح لهن بالرياضة العنيفة الا لمدة قصيرة ؛ لأنها تضر صحتهن ، وتؤثر فى أجهزتهن التناسلية ، ولكن الحضارة الانسانية جعلت البشر يتخطون الحواجز الطبيعية .

الحرمات :

للحرمات تأثير كبير فى حياة الانسان ، وتكاد تتساوى الامور الوراثية ، والوراثة الاجتماعية تبارى الوراثة الطبيعية فيث الناس التقاليد الاجتماعية جيلا عن جيل ، وقد تأثر البشر بالتعاليم الدينية ، وأصبحت عقائدهم راسخة فى نفوسهم ، وقد جاء فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين من العهد القديم فى مخاطبة البارى عز وجل لحواء وآدم « بالوجع تلدين أولادا ، والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك » .

وقال لآدم : « لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت الشجرة التى أوصيتك قائلا : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها » .

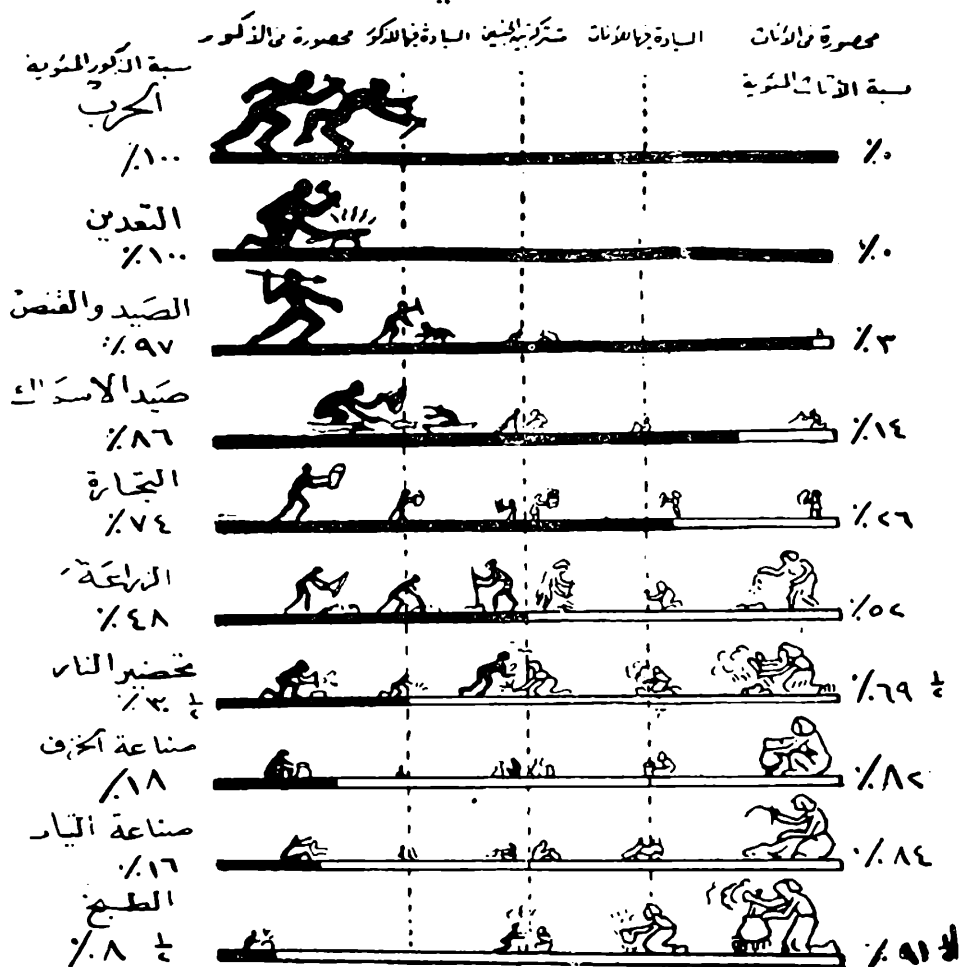
وفى القرآن انكرىم : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الحاهلية الأولى » . وقد أثرت حرمات الطمى تأثيرا كبيرا فى حياة المرأة والاستفادة من الفرص التى نهيات لها لمساواة الرجل فى الأعمال الشاقة ، فالمرأة لاتجوز لها الصلاة ولا الصيام فى أثناء الطمى ، وحرمت كل الأديان السماوية على المرأة ممارسة الشعائر الدينية فى أثناء الحيض ، وجاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين : « اذا اجبلت امرأة وولدت

ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام ، كما فى طمث علتها تكون نجسة ، وان ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها .

ففى من هذه الأقوال وغيرها أن الحرمات الدينية والاجتماعية تحت المرأة عن أعمال الرجل ، ولا نرغب فى أن نخوض فى فلسفة هذه الحرمات ، فمن الممكن أنها استهدفت خير المرأة ، فالطمث والحمل والولادة تؤثر تأثيرا بارزا فى قواها الجسدية . وهناك حرمات اجتماعية مضافة الى الحرمات الدينية حددت أعمالا للرجل وأعمالا للمرأة ، فالرجل الذى يحوك أو يطرز أو يفسل ثيابا أو طفلا يهزأ به الناس ، ويميب الناس الرجل الذى يعمل أعمال المرأة ، ولا يميون المرأة التى تعمل أعمال الرجل . وقد أثرت الحرمات الدينية والاجتماعية فى الجنس البشرى تأثيرا كبيرا ، وجعلت المرأة تختص بأعمال غير أعمال الرجل ، وقد درست لجنة من جامعة « ييل » بارشاد أستاذ علم الانسان فى هذه الجامعة حياة ٢٢٢ قبيلة تمثل قبائل العالم المختلفة ، وتوصلت فى بحثها عن أعمال الرجل والمرأة الى النتائج التى تراها مشروحة فى الرسم .

سُرِبف عمبراه

نسبة توزيع الأعمال بين النساء والرجال في (٤٨) قبيلة
من قبائل العالم قام بدراستها جماعة من اساتذة
جامعة "ييل"



الجغرافيا عند المسلمين

والشريف الادريسي (*)

السلام عليكم • أحبيكم ، وأشكركم على اجابة دعوة المجمع لسماع محاضرتي في هذا المساء عن (الجغرافيا عند المسلمين ومقام الشريف الادريسي بين الجغرافيين الاسلاميين) : هذه المحاضرة التي اخال أن ما سأورده فيها هو غير بعيد عنكم علمه ، ولعله لا يستحق ماكلفكم من جهد الطريق • غير أن ذلك هو جهدي ومبلغ علمي ، لم أظفر بأكثر منه ، وبحسب المقل جهده ، ولن يستطيع امرؤ أن يعطى أكثر مما يملك •

على أنني - ان لم أوفق أن أضمن محاضرتي أشياء غير غريبة عنكم - أرجو أن لا أحرم التوفيق في شيء واحد ، ذلك هو اثاره (الشعور بالهزة القومية) في أنفسكم ، بما أوجب البحث العلمي أن أعرض له : من صنيع الأجداد العظماء في بناء الحضارة الانسانية ، والمجد الباذخ الذي شادوه لأنفسهم وللعالم في ميادين الحياة ، بما كانوا يتحلون به : من علو انهم ، وطموح الغرائم ، وتمشق المغامرات ، والدؤوب على تذليل الصعاب والعقاب التي تعترضهم في سبيلهم الى امتلاك أعنة السيادة المطلقة وحيازة الشرف الرفيع •

والرجاء في عرض هذه الذكريات العذبة أن تنفع في باب اعتبار الحفدة والأبناء بمحاسن صنيع الأجداد ، وأن تؤدي اثارها واسماها للجيل الناشئ الى الانبعاث في سبيل تلك العظومات والحلائق المسلمة من كل عار ومائم

ولست أذكر الماضين مفتخرا لكن أقيم بهم ذكرى لمذكر وبعد ، فأنني قد صاحبت (الشريف الادريسي) أكثر من عام في نقل (خارطته)(^١) التي نسقها (المستشرق الألماني كونراد ملر) ، وفي تحقيقها برجوعي الى أصول كتابه (نزعة المشتاق في اختراق الآفاق) والى كتب أئمة الجغرافيين الاسلاميين • فلما أردت

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ محمد بهجة الاثرى مساء ٢٧/٥/١٩٥٠ بدار المجمع العلمي العراقي

(١) وشاركني في نقلها الدكتور جواد علي أمين سر المجمع

أن أهيمى - بحثى عنه ، لم أجد بدا من تحديد مقامه العلمى بين الجغرافيين الاسلاميين ، فاقضى ذلك البحث فى الجغرافيا عند المسلمين وأصالتهم فى مقامهم العالمى فيها فى الفترة الطويلة بين عهود اليونان وعهود هذه الحضارة الأوروبية ، فمضيت فيه ، فإذا نفس الكلام يمتد ويطول ، وأنا أردته الى الاختصار والايجاز مراعاة لوقت المحاضرة ، حتى استطلعت أن أركز ، وأسوى منه هذا الكلام الذى سستمعونه •

أما بحثى فى الشريف الادريسي و « خارطته » ، فلا مندوحة لى من ارجائه الى وقت آخر ينسج له ان شاء الله •



قضت طبيعة الجزيرة العربية تلك الطبيعة الضنيئة القاحلة على سكانها البداة بضنك العيش وشدة العوز والفاقة ، فاستفزههم ما هم فيه من ذلك الى الرحلة وانتجوا فى مواسم السنة كلها ، ملحين فى تتبع الفيت ، وانتجاع مواطن الكلال والماء ؛ فأوغلوا فى بطون الأودية ، وجابوا السباسب والقفار الى منابت الشجر ، مشرقين ومغربين ، متهمين ومنجدين ، سدا نفم حاجاتهم ، وارتادا لما يقوم بمؤنهم ومراعى المهمل وسوائهم •

فأكسبهم ذلك علما واسعا عجيبا بكل بقعة من بقاع وطنهم المتسع الأرجاء ، الممتد من ريف العراق الى أقاصى اليمن وبحر الهند ، ومن البلقاء وبحر القلزم الى بحر عمان ، كما دلت على ذلك أخبارهم • وزخرت به أشعارهم من أسماء الأماكن والأودية والجبال والبقاع مما لانظير له فى أشعار أمة أخرى •

وقد بلغوا من الاهتداء فى البر والقفرة أنهم كانوا يتعرفون أحوال الأمكنة ، من غير دلالة عليها بالأمارات المحسوسة دلالة ظاهرة أو خفية ، بقوة الشامة فقط ، فيستدلون على البقاع ، وهم فى بطون الفلوات ، بسوف ترابها ، أى شمه ؛ يعلموا أعلى قصد هم أم على غير قصد ، أو يستدلون عليها برائحة بعض النباتات فيها ، أو بحركة حيوان مخصوص ، كما يستدلون بمثل ذلك على وجود الماء فى بطن الأرض • وما برحت هذه الظاهرة مشهودة عند العرب الرحل فى أيامنا على نحو ما تأدى إلينا من بينات التأريخ وشواهد الشعر •

ذلك هو شأن سكان الصحراء من العلم بالأمكنة والبقاع •

أما سكان الحواضر والقرى ، كأهل مكة والطائف ويثرب ، فقد تجاوز علمهم البلدان الى ما وراء البوادي العربية ، الى الحبشة واليمن والشام والعراق وغيرها مما بلغوا برحلاتهم ، فقد صح أن العرب كانوا على اتصال سياسى بمن حولهم من الأمم

كلفرس والروم ، وأن منهم أناسا أصحاب تجارة كانوا على اتصال اقتصادى بمجاورهم ،
يرحلون اليهم فى تجارتهم ، ويلاسونهم فى شؤون المعاش ، • ويقنون الأملاك
والضياع ، وينزلون البلاد المجاورة كأن تلك البلاد أجزاء متممة لبلادهم على اختلاف
بينهم وبين ساكنيها فى الطباع والألسن ، • • واستولت قريش على التجارة فى الجاهلية
ترحل فيها رحلتين : رحلة الشتاء نحو العبالة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم فى أرض
الحبشة ، وأخرى نحو الشام وبلاد الروم فى الصيف ، • على نحو ما جاء فى السورة
المعروفة : (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) • • والايلاف شئ • كن
يحمله هاشم لرؤساء القبائل من اربح ، ويجعل لهم متاعا مع متاعه ، ويسوق اليهم ابلا
مع ابله ، ليكفيهم مؤونة الأسفار ، ويكفى قريشا مؤونة الأعداء ، فكان المقيم رابحا ،
والمسافر محفوظا • •

ولا أشك فى أن من العرب قبل الاسلام تجارا وملاحين تمرسوا بركوب البحار
الى البلاد النائية ، فركبوا البحر الأحمر الى مصر وبلاد الحبشة ، وركبوا بحر عمان
والبحر الهندى الى شواطئ فارس وحواشى بلاد الهند ، يصدرون اليها ، ويستوردون
منها ، حتى صبح لبعض شعرائهم أن يفخر بكثرة سفن قومه فى البحر فيقول :
ملانا البر حتى ضاق عنا • • ماء البحر نناؤد سفيننا !

ولولا صلتهم هذه بالبحر ، واصطنائهم له فى مرافقهم ، لما سهل على شاعر آخر ، وهو
طرفة بن العبد ، أن يصف السفينة فيدع فى الوصف والتشبيه ، ولا ينسى الى ذلك أن
يسمى مكان بنائها وبناءها ، فيقول :

كأن حدود المالكية غدوة • • خلایا سفین بالنواصف من (دد)

عدولية أو من سفین ابن یامن • • يجور بها الملاح طورا ويهتدى

يشق حباب الماء حيزومها بها • • كما قسم الترب الفايال باليد

والخلایا : هى السفن العظام ، واحدها خلية • وعدوية : منسوبة الى عدول ،

وهى قرية بالبحرين • وابن یامن : كان ملاحا من أهل البحرين •

ومن أجل هذا اكتسب هؤلاء معرفة بالاقطار المجاورة ، وعلموا بالمسالك والممالك

لاغبار عليه ، على قدر ما انتهت اليه عزائمهم ، ووقفت عنده مصالحهم ؛ وهو ميراث ورثه

الحلف من السلف ، وظهرت آثاره فى عهود التدوين كما سيأتى الكلام عليه •

•

••

ولما نجم الاسلام فى العرب ، وكان هدفه أن ينتظم هذه الأرض من مشرقها الى

مغربها ، وكان تحقيق هذا الهدف لا يتم الا بأن يحجب اليهم الضرب فى الأرض ، والابعاد فى الرحلة عن الأهل والوطن برا وبحرا ، جهادا فى سبيل الله ، واعلاء لكلمة . . . أذكى القرآن العزائم فى معارض مختلفة ، ليحملها على اقتحام أجواز القفار ، وأواذى البحار ؛ ذلك لأن النفوس لاتزكو بالقعود فى الرحال ، والمطالب الجسام لاتنال بالركود على حال من الأحوال ، وانما تزكو النفوس وتصلح بالنقل والارتحال ، للاطلاع على الغرائب ، والاستطلاع للعجائب ، وكشف الجديد من المشاهد والملاحم والصفات ، كما تنال الأرباب ، باستسهال الهمم للصعاب والعقاب ، وانبعاث العزائم الى تجشم خطيرات الأمور ، والسعى فى تذليل كل شاق عسير

ألم تعلمي أن الثواء هو التوى وأن يسوت العاجزين قبور ؟

وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزاء خطير ؟

وآيات القرآن التى أذكت العزائم فى معارضها المختلفة للضرب فى البر وركوب البحر ، ليست بعيدة ممن يستصبحون بأنوار كتاب الله ، ويقبسون أزوادهم الروحية من مثله العليا !

من من المسلمين لايتذكر آيات الدعوة الى السير فى جوانب الأرض ، ذات الطول والعرض « أو لم يسيروا فى الأرض ؟ » (٣٠ - ٩) . . هو الذى جعل لكم الأرض ذائلا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه ، واليه النشور ، (٦٧ - ١٥) . . قل : يسيروا فى الأرض ، ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، (٦ - ١٢) . . أفلم يسيروا فى الأرض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، (٢٢ - ٤٦) .

ومن من المسلمين لايتذكر آيات الدعوة الى ركوب الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، للاتفاف مما فى البحر من لحم طرى يؤكل ، وحلية تلبس ، وخير يفاد ؛ ومما يؤدى اليه ركوبه من الاتصال بالعالم ، ومعرفة البلاد والعباد ، وعليها يكون قياس العمران ؟

« الله الذى سخر لكم البحر ، لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكروا . . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » (٤٥ - ١١) . . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكروا » (١٤ - ١٥) . . ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ، لتبتغوا من فضله ، انه كان بكم رحيما » (١٧ - ٦٧) . . وله الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ،

(٥٥ - ٢٤) •

ان هذه الدعوة القرآنية الى الانتشار فى العالم المعمور ، بتحبيب الضرب فى الأرض ، وركوب البحار ، قد وافقت من العرب طبيعة موالية ، واستعدادا موروثة ، كسبوه من هذا التطواف الدائم فى مواطنهم ، والرحلة الى البلاد المجاورة وغيرها ، على نحو ما وصفت قريبا .

فما ان استجابوا الى الاسلام ، وأنشأوا دولته ، وحركنهم حوافز نشره الى الفتح ، حتى انبعثوا الى أكناف الأرض جهادا فى سبيل الله ، ونشروا لدينه ، فأوغلوا فيها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وركزت جيوشهم الغازية أعلامها الحفاقة شرقا على نهر الجنجس فى الهند وتخوم الصين ، وغربا على نهر اللوار ومعايير الألب . جابوا اليها بطون القفار ، وتوقلوا فى الجبال ، وركبوا متنون البحار ، فى تأريخ حافل بالعجائب والمدهشات . واستتب هذا الفتح الواسع امتزاجا عاما بين الشعوب ، وشاسطا عظيما فى الحياة شمل العالم المعمور كله ، ولم يسبق له مثيل فى التأريخ .

كان العالم نائما فاقظله العرب بترنمة التوحيد ، ونوروا بصيرته بالاسلام ، وبصره بنور الحياة . هده ، وآخوه ، وهذبوه ، وعلموه الحق والعدل والمساواة ، وما رأينا قبلهم ولا بعدهم أمة فاتحة جعلت أمرها وأمر الشعوب المفتوحة شيئا واحدا .

لقد لابس العرب ، بعد الفتح الاسلامى ، أمم الأرض بالمصاهرة والمناجزة والحكم وجميع ضروب التعاون المطلق فى كل جانب من جوانب الحياة ، وما كان هذا نصيب أمة أخرى من قبلهم ولا من بعدهم الى يوم الناس هذا .

فلا عجب ان رأينا الأمن فى عهودهم الراقية النزاهية قد عم ، حتى شاهد البر والبحر فى كل جهة من جهات العالم قوافل التجار ذاهبة آتية بين الشرق والغرب ، وهى تحمل حاصلات الأمم ومصنوعاتها من قطر الى قطر طوال مواسم السنين . . . وجموع الحجاج من أقاصى الاندلس الى حواشى الصين ، وهى تجيش بالحركة والنقلة فى طول البلاد وعرضها ، لتلتقى فى عراض البلد الحرام حول الكعبة على وحدة العقيدة ووحدة الهدف ، فى ظلال الأخوة الاسلامية العامة . . . ورواد العلم ، وهم كالجيوش عدا ، يرحلون من بلادهم فى كل ناحية من الانبراطورية الاسلامية الى مراكز النشاط العلمى فيها كمكة والقاهرة وقرطبة ودمشق وبغداد وكبريات حواضر ماوراء النهر ، للتأديب والتعلم والتفقه والاخذ من أفواه العلماء . . . والبرد السلمية والبرد الحربية ، وهى تربط أجزاء الانبراطورية العظمى بحمل الرسائل والأخبار من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق برا وبحرا ، فى أوقات معينة ، وأنظمة دقيقة ، وسرعة عجيبة يسروها

بما أوجدوا من محطات للبريد تسمى السكك وهى مزودة بأخيل والراكبين على مسافات معينة ، كل ثلاثة أميال أو فرسخين ، بل كان بين المغرب والمشرق شبه تبادل دولى فى البريد ، فكان بريد الترك يصل الى برسجان الأعلى وهو حد الصين ، وكان بريد آسية الصغرى يواصل الرحلة الى القسطنطينية .

وهذا ونحوه مما لم نذكر من أسباب النشاط والحركة والانصال ، قد أدى الى اتساع معارف المسلمين بالممالك والمسالك اتساعا لم تيسر مثله لليونان ولا للرومان ولا للفنيين ، وكانت هذه الأمم قبل العرب والاسلام أقدم تجار العالم ، وأكثرهم أسفارا ، وأغزرهم علما بالبلاد والمسالك ، ولكنها لم يتح لها ما أتيج للمسلمين : هن امتداد النفوذ والانتشار فى أقطار المسكونة ، ووسائل الاختلاط التى أزلت الفوارق العنصرية أو كادت ، وأقامت مقامها وحدة العقيدة والاخاء الروحى أدت الى امتزاج الدماء .

على أن امتداد المسلمين هذا الامتداد الواسع فى العالم ، قد أثار فى علمائهم وروادهم ورحالهم الرغبة الشديدة فى الازدياد من التوسع فى المعرفة ، والطموح الى كشف المجهول والتفكير فيه والمغامرات من أجله .

*

* *

ولنعرض الان بضرب من الایجاز لهذه النواحي الخطيرة يكشف بعض الشئ عن مبلغ أصالة هذا العلم عند المسلمين ، وقيام ما كتبوه فيه على تأملاتهم واختباراتهم ورحلاتهم ودراساتهم العملية فى تتبع أحوال الاقاليم والأمصار ، وهى ينبوع العظیم الذى استفاض معينه على أفلامهم فى التصوير الدقيق ، والوصف التشخيصى الممتاز للبلدان والمسالك ، وطبائع الشعوب ، وأحوال العالم على عهدهم الميمون :

كان اتساع حدود الانبراطورية الاسلامية العظمى ، وانتشار الدين الاسلامى وثقافة العربية الخالصة فيها ، من أكبر الدواعى الى نشاط هذه الرحلات والأسفار ، والدراسات العملية ، وامتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار الى الأمصار ، وامتداد مطارح أنظارهم الى الآفاق البعيدة . وقد شمل هذا النشاط الخلفاء والملوك والأمراء ، فسماء بهم عن أن يكونوا أحلاس القصور وقرناء الدعة فى ظلال الترف ونضرة النعيم ، وحملهم على قيادة الجيوش والسير فى البلاد وركوب الحزون والوهاد ، كالذى رأيناه من سيرة الرشيد والمأمون والمعتصم وغيرهم من الخلفاء العباسيين ومن سير كثير من الأمراء الأمويين من قبلهم ، حتى صار السعراء يحلوهم أن يمدحهم بذلك كما قال بعضهم يمدح المعتصم بالله العباسى :

تناولت أطراف البلاد بقدرة كأنك فيها تبغى أثر الحضار !

وبهذه النزعة المغامرة الجبارة تعشق رجال الاسلام ، فى مختلف العهود ، الرحلة الى أطراف الدنيا ، وسارت جيوشهم الجراءة الى البلاد ، واخترقت قوافلهم التجارية أنحاء المعمورة برا وبحرا الى الصين شرقا ، وإلى بلاد الصقمانية أى الروسية حتى شواطئ البلقان شمالا ، وإلى ساحل افريقية الشرقى الى مدغشقر جنوبا ، وإلى أرضى السودان الشاسعة حتى شواطئ الاقيانوس الاثنتيكي غربا . ونفذت بعوثهم ورحالهم الى أبعد ما تسمو اليه الهمم من مجاهل الأرض ، لكشفها والاطلاع على أحوالها ، وهو أمر لم يتها لغيرهم من الشعوب الفاتحة من قبل .

توغلوا فى افريقية ، ونفذوا الى مجاهلها ، وشققوا قلب الصحراء فعبروها الى السودان وغيرها ، ولم يجتز الرومان حد الصحراء الشمالى . وكانت رحلتهم الأولى الى هذه القارة العظيمة فى القرن الأول للهجرة رحلة الفتح ، فاستولوا على مصر وبرقة رابسة وطرابلس وتونس والقيروان ، وتوسعوا من بعد فى الفتوحات حتى امتلكوا كل شواطئها الشمالية والشرقية والغربية ، وتوغلوا فى مجاهلها حوالى النيل والنجف وانكونو والزواو وكفروريا (الكفرة) . وكان عرب عمان وحضرموت والشحر والبحرين أول من عرف طريق الهند من عهد سحيق ؟ وفى بدء الفتوحات الاسلامية اجتازت مراكزهم سواحل افريقية كلها ، وملكوا بلاد الصومال وجوب ومبسة وزنجبار وموزينق وجزائر الكومور ، ولم تزل بقايا العرب فى جزائر مدغشقر وفيليبين ، وأسسوا فيها الممالك ، وأقاموا الحصون والقللاع . وكانت بلاد مليندة ومبسة ومقدشو وثبة وسفالة وكلوا ومبا وزنجبار وغيرها ، ممالك مستقلة زاهية عامرة ؛ وكان سلاطينها ، ذوى جاد وسطوة وصوله . ووسعوا تجارتهم فى تلك البلاد ، فاتجروا بالذهب وريش النعام والعاج والبهارات والطيب . وحقيقة الأمر أنه كان للعرب تجارة واسعة فى المصنوعات الخالية فى افريقية كلها ، كما كان لهم فيها الملك والسيادة . وقد تيسر لهم من ذلك فيها ما لم يتيسر لغيرهم من الأمم . وانما ظل الأوربيون حتى القرن الثامن عشر عند سواحلها ، لاناطل أعناقهم الى ما وراءها ، حتى قدر لهم أن يقتحموها ، وليس من موضوعنا أن نعرض لتأريخ ما سى ضياع هذا الملك العظيم من يد العرب ، وكيفية استيلاء البرتغاليين عليه ، فلنضرب صفحا عنه .

وتوغل المسلمون فى القارة الآسيوية الى الصين ، فوطئوا أرضها ، وكانت فيها تجارات واسعة وجوال عربية عظيمة ، ركان الرومان قبلهم يتخللون وجودها تخيلا ، ولا يعرفون من أمرها شيئا .

ويؤخذ من أقوال المؤرخ الصيني « جين يون » (Chén Yüan) الأستاذ في جامعة بكينغ (Peiking) أن أول وفد من الدولة الإسلامية إلى الدولة الصينية أوفد سنة ٦٥١ م ، وكان ذلك في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأن تجار المسلمين - كما يقول المؤرخ الصيني الآخر « فواين جانغ » (Fu yéen Chang) - كانوا يقبضون على ناصية التجارة الدولية في الشرق والغرب من أوائل القرن الثامن إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، يتجرون بمتاجرهم من بحر عمان ، ويعبرون المحيط الهندى حتى يبلغوا مرافئ الصين التجارية « كاتون » حاضرة ولاية « كونغ تونغ » (Kwangtung) و « تسون جو » (Tsuan Chao) ميناء ولاية « فوكين » (Fukien) و « يانغ جو » (Yang Chao) ميناء ولاية « كيانغ سو » (Kiangsu) و « هانغ جو » (Hang Chao) و « منغ جو » (Ming Chao) ميناء « جيكيانغ » (Chekiang) .

وقد وصل الاسلام الى الصين من البر ومن البحر ، والآثار الإسلامية في « كاتون » و « تسون جو » و « هانغ جو » تدل دلالة واضحة على أنه وصل إليها بحرا من طريق الهند . وتدل كثرة المسلمين في الصين الشمالية الغربية أيضا دلالة قاطعة على أنه وصل إليها برا من طريق ما وراء النهر ، والوصول الأول أقدم عهدا على ما يرى الكتاب الصينيون .

وكان تجار المسلمين وأصحاب الرحلات يسرون إلى الصين في البحر ، في رحل محفوفة بالأخطار ، فيتجهون بحذاء ساحل الهند ، أو يتجهون من مسقط إلى ميناء كولام « كيلون الحالية » رأسا ، وذلك في نحو شهر ، ثم يواصلون سيرهم جاعلين سرنديب إلى شمالهم ، ويقصدون جزائر نيكوبار ، ومن ثم إلى مدينة ركدا في ملقا ، وهى على مسيرة شهرين من كيلون ، ومن هناك يقصدون جاوة وجزيرة ماهيت في جزائر سندا ، ثم يسرون خمسة عشر يوما حتى يصلوا إلى كمبوديا ، ومنها إلى كوشين شين وإلى الصين . وكان المسافر إذا وصل إلى الصين عد ذلك عجيبا . أما رجوعه إلى بلاده ، فكان يعد كالمستحيل . فلا عجب أن نسمع أن الرجل كان يرتقى إلى أعلى السارية ، فإذا رأى أول علامات أرض الوطن ، هتف : « رحم الله كل من قال : الله أكبر » ، فعند ذلك بجيه جميع من فى المركب هاتفين « الله أكبر ! » ويهني - بعضهم بعضا - ويكون لما يكون قد هجم عليهم من السرور . ولكن العرب مع هذا الذى يرون ويسمعون من المخاطر ، كانوا لا ينتنون عن اقتحام لجج البحار إلى الصين ، فكانت رحلاتهم التجارية ذاهبة إليها آتية منها ، وكان كثير من تجار المسلمين زاروا قصر انباطور الصين في القرن العاشر للميلاد ، واستقبلوا هناك استقبالا مملوا بالموده .

ومن هذه الصلات التي وجدت بين العرب والصينيين ، عرف العرب من الصينيين استخدام الحلك ، وهو الابرة المغنطيسية أو البوصلة (Bussola) ، وخاصيتها أن يتجه طرفها الى الشمال والى الجنوب . والمرجح الآن أن العرب قد أتخذوا العالم الأوربي بهذه الآلة النافعة ، فأخذها الأفرنج عنهم فى عهد الحملة الصليبية الثانية .

وكان أهم رحلات الرحالين المسلمين الى الصين بعثة الخليفة العباسى الواثق بالله الى سد الاسكندر المشهور فى الثلث الأول من القرن الثالث الهجرى ، وكانت تتألف من خمسين رجلا ، ويرأسها سلام الترجمان . وقد سارت من « سر من رأى » متجهة نحو ارمينية فبلاد السريز والحزر والأرض المنتنة ، فاستغرقت رحلتها من خروجها الى رجوعها ثمانية عشر شهرا .

ورحلة ابن وهب القرشى فى سنة ٢٥٦ ، وهو من ولد هبار بن الأسود ، وكان من أرباب الثراء والجاه فى العراق .

ورحلة سليمان السيرافى ، وتعد من أهم الآثار العربية عن الرحلات انبحرية فى المحيط الهندى وبحر الصين فى القرن التاسع الميلادى ، وربما كانت الأثر العربى الوحيد الذى يتحدث عن سواحل البحر الشرقى الكبير والطريق الملاهى اليها استنادا الى الخبرة الشخصية . وقد دون أخبار رحلته أبو زيد البلخى ، وزاد عليها ما نقله عن غيره وحدثه به السياح الذين احتلوا سواحل الصين .

ورحلة أبى دلف مسعر بن مهلهل الحزرى ، وكان شاعرا أديبا رحانة ، اتصل بالأمير نصر بن أحمد السامانى ، وأوفده هذا الأمير الى الصين حول سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) مع بعثة كان أحد الأمراء الصينيين أوفدها الى البلاط السامانى ، ليخطب ابنة أمير بخارى . وقد زار أبو دلف الهند وآخر مرقا كانت تصل اليه السفن الاسلامية فى الصين .

وأهم هذه الرحلات ، ولعلها خاتمتها أيضا ، رحلة القاضى محمد بن ابراهيم المشهور بابن بطوطة الطنجى فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، وهو أعظم الرحالين المسلمين قاطبة ، وأكثرهم طوفا فى الآفاق ، وأوفرهم نشاطا واستيعابا لأحوال الأمصار ، وما كنبه فى رحلته (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) عن الصين والهند والروسية والسودان ومصر وفلسطين والعراق والحجاز ونجد وفارس وغيرها ، يعد غاية فى النقاسة والفائدة والامتاع . وقد قدرت المسافات التى قطعها فى أسفاره ، فى ثلاثين عاما ، بخمسة وسبعين ألف ميل . وهى مسافة لا يظن أن رحالة غير قطعها نب استخدام البخار فى وسائل السفر .

أما أوربة ، فقد عرف العرب معظم أصقاعها معرفة تامة ، وأقاموا لهم فيها ملكا امتد بقاء بعضه ثمان مئة عام . اقتحموها في أواخر القرن الأول للهجرة من جنوبها الغربي ، فاستولوا على بلاد الأندلس ، ثم اخترقوا جبال البرانس (البيرانية) ففقدوا الى فرنسة ، واستصعوا مدن ساحلها الغربي ؛ ثم أوغلوا في الداخل فبلغوا نهر اللوار ، واحتلوا تور وبواتيه ومقاطعة فرانش كوتى في شرق فرنسة ، وبقي جانب كبير منها ميدانا لجيوشهم زمنا طويلا ؛ ثم تجاوزوا منها الى سافواي ويسيمونت ومونتفرات وسويسرة ، واحتلوا أمنع الحصون من قلب أوربة ، وذلك من خليج سان ترويس الى بحيرة كونستانزه ، ومن نهر الرون وجبل جورا الى سهول جبل فرات ولباردية . وأبعدوا المغار في جبال الألب ، وخضعت لهم معايرها على بيرانجة ، وفتحوا مرسيلية وجميع الساحل الى جنوة ، وغزوا رومة وصعدوا في نهر الطير ، واستولوا على جزر البحر المتوسط : أقرطش وقبرس ورودس وصقلية ومالطة وغيرها ، وطرقوا أبواب القسطنطينية ، في تأريخ حافل لا تنفي به الأجداد .

وهكذا عرف العرب هذه القارة العظيمة معرفة تجربة واختبار ، وقد استقرت أقدامهم في أقاليمها مددا تختلف طولا وقصرا ، واطمأنوا الى العيش في قلبها وأطرافها الغربية والجنوبية ، وتزوجوا من أجمل الفتيات فيها ، وحرثوا وزرعوا ، وصارت لهم فيها علاقات سياسية وعلاقات أخرى اقتصادية وتجارية خطيرة بالروسية والمجر وألمانية وفنلندية والسويد والنرويج وأيسلندية والجزر البريطانية ، وسارت سفائنهم التجارية الى سواحل بحر البلطيق وشواطئ المحيط الأطلسي . وتشير كتب الرحلات الى تردد التجار المسلمين الى جنوبى الروسية ، والى وصولهم الى أوربة الوسطى : يحملون السلع بين الأسواق المختلفة ، ويقومون بالرحلات الطويلة في هذا الشأن . وبحسبنا أن تشير الى الكنوز الوافرة من النقود الاسلامية التى عثر عليها فى الروسية وفنلندية والسويد والنرويج وسويسرة وأيسلندية والجزر البريطانية ، وهى ترجع الى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الخامس للهجرة .

وقد دعا ايضاد بعض أمراء المسلمين انرسل والسفراء ، الى رحلات طريفة الى الأصقاع الأوربية التى لم تطأها جيوش المسلمين . ومن ذلك ، البعثة البغدادية الى الفولجا فى الروسية ، فى مطلع القرن الرابع الهجرى ، وهى بعثة المقتدر بالله العباسى الى ألس بن شلكى بطوار ملك الصقالبة ، وقد سأله هذا الملك أن يبعث اليه من يفقهه فى الدين ، ويعرفه شعائر الاسلام ، ويبنى له مسجدا ، وينصب له منبرا ، ليقم عليه الدعوة فى جميع بلده وأقطار مملكته ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له . فأنفذ

اليه بعثة كان فيها أحمد بن فضلان ، وانفصلت البعثة من بغداد لاجدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٠٩ هـ (٩٦١ م) متجهة الى بخارى فخوارزم فبلاد البلغار حيث وصلت لانتى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٠ هـ . والبلغار تطلق عند العرب على بلاد الصقالبة ، وهم الروس ، وعلى الشعب نفسه ، وعلى عاصمتهم التى كانت تقع شرقى نهر الفولجا المسمى عند الجغرافيين الاسلاميين بـ (اتل) . وقد ضمن ابن فضلان رحلته هذه صورة رائعة لهذا الشعب وحضارته وعاداته وتجاراته ، وعرض للظواهر الطبيعية فى بلاده ، كقصر ما بين مغيب الشمس ومطلعها هناك ، وتعذر تحديد أوقات الصلاة ، فكتب يقول ، وقد صلى مغرب أول ليلة باتها فى العاصمة : « ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قبتى لتتحدث ، فتحدثنا بمقدار نصف ساعة ونحن نتنظر أذان العشاء ، فإذا بالأذان ، فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر . فقلت للمؤذن : أى شيء أذنت ؟ قال : الفجر . قلت : فغشاء الأخيرة ؟ قال : نصليها مع المغرب . قلت : فالليل ؟ قال : كما ترى ، وقد كان أقصر من هذا ، وقد أخذ الان فى الطول . وذكر أنه منذ شهر مازام الليل ، خوفا من أن تفوته صلاة الصبح »

وقد زار بلاد البلغار ، بعد ابن فضلان ، رحالون وعلماء من المسلمين ، منهم عبدالله أبو حامد الأندلسى الغرناطى صاحب « تحفة الأنباب ونجبة الاعجاب » ، وقد زار بلاد البلغار سنة ٥٣٠ هـ وصحبه قاضيه يعقوب بن النعمان ، وذكر أن هذا القاضى ألف كتابا فى تاريخها .

وأهم الرحالين المسلمين الذين ساحوا فى بلاد الروسية ، ابن بطوطة ، فقد أبحر من ثغر صوب شمالى آسية الصغرى الى شبه جزيرة القرم ، وغادرها الى أزاق ، ومنها الى القوقاز حيث اتصل بالسلطان محمد أوزبك خان ، فأعانه بدليل أوفده معه ليوصله الى مدينة بلغار ، فلما بلغها أراد أن يجاوزها الى الشمال لزيارة أرض الظلمة (أى سيبيريا وشمالى الروسية) ، وبينها وبين مدينة بلغار أربعون يوما ، ولكنه أضرب عن ذلك ، وعلل عدوله بعظم المؤونة وقلة الجدوى ، وقال : « ان السفر انهما لا يكون الا فى عجالات صغار تجرها كلاب كبار ، فإن تلك المفازة فيها الحليد ، فلا تثبت قدم الأدمى ولا حافر الدابة فيها » ثم عاد الى أوزبك خان فى القوقاز ، وأتيح له أن يغادره الى القسطنطينية فى رفقة الخاتون ييلون زوجة هذا السلطان .

ومن رحلات المسلمين الى شمالى أوربة ، السفارة الأندلسية نحو سنة ٣٦٢ هـ الى أوتو الأكبر انبراطور الجرمان ، التى يرى بعض الباحثين أن من المحتمل أن بعض أعضائها كانوا مصدر ماكتبه زكريا بن محمد القزوينى فى كتابه « آثار البلاد وأخبار

العباد ، عن بعض البلاد الألمانية •

وقد ذكر القزويني في هذا الكتاب بعض البلاد الفرنسية والألمانية والهولندية ، مثل ايطرخت Utrecht وأبولدة Fulda ومغانجة Mainiz وشلشويق Schleswig ، والمعروف عنه أنه اتصل بكثير من الرحالين ، وقرأ كتبهم ، وأفاد من مشاهداتهم ، كالمثاني والطروطشي اللذين أتيج لهما رؤية بعض المدن في فرنسا وأوربة الوسطى •

ويعد (الادريسي) أهم من عرف أوربة الغربية والشمالية من الجغرافيين الاسلاميين ، وقد عني الأخوان الفنلنديان دل غرين - توليو ، وآ م • م • تال غرين بتعيين كل ما أتى به في « خارطته » من أسماء وطنهما وبيان أهميتها ، ورسمها في « خارطة » فنلندة العصرية بغاية الاتقان ، وألفا من ذلك رسالة في ١٥٤ صفحة نشرها باسم :
Studia Orientalia III, Idrisi: La Finlande et les autres Pays Baltiques orientaux ^(١)

ولم تقف همم رواد المسلمين عند هذا الحد من ارتياد المعمورة حسب ، بل تجاوزوه الى البحث عن عوالم جديدة ، وفكروا فيما عسى أن يكون في المحيط الأتلتتيكي أو وراءه من مجاهل الأرض • وكان العرب قد اتخذوا الأساطيل فيه للدفاع عن ملكهم في الأندلس والمغرب ، ومارس فتیانهم ورجالهم البحار ، وألفوا أهوالها ، ثم خرجوا من حيز هذا التفكير الى حيز التنفيذ ، وحاولوا التوغل في الأتلتتيك • ومما يشهد بذلك هذا الحديث الرائع الذي رواه (الادريسي) ^(٢) عن الفتية الثمانية المغربين أو المغربيين ، من مدينة لشبونة عاصمة البرتغال ، كلهم أبناء عم ، اتفقوا حوالي القرن الرابع الهجري على القيام في الأتلتتيك بمغامرة جريئة • ليعرفوا ما فيه ، والى أين انتهأؤه ، فأنشأوا مركبا حمالا ، وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر • ثم دخلوا البحر في أول طاروس ^(٣) الريح الشرقية ، فجروا بها نحواً من أحد عشر يوماً ، فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش ^(٤) قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا فلاعهم في اليد الأخرى ، وجروا مع البحر في ناحية الجنوب اتني عشر يوماً ، فخرجوا الى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذ عد ولا تحصيل ، وهي سارحة لا راعي لها ولا ناظر اليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها ، فوجدوا بها عين ماء

(١) يوحنا آهتيتن كارسيكو

(٢) « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ورقة ١٩٢ و ١٩٣ من نسخة المجمع العلمي

العراقي المصورة عن نسخة « باريس » •

(٣) طاروس الريح : هبوبها •

(٤) التروش : الصخور التي لا يكاد يستترها الماء •

جارية وشجرة تين برى عليها ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها ، فأخذوا من جلودها ، وساروا مع الجنوب اثني عشر يوما ، الى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها الى عمادة وحرث ، فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا في مركبهم الى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها في دار ، فرأوا فيها رجلا شقرا زعرا ، شعور رؤوسهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولسائهم جمال عجيب . فاعتقلوا فيها في بيت ثلاثة أيام . ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، ثم سألهم عن حالهم ، وفيهم جاؤوا ، وأين بلدهم ؟ فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيرا ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك . فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأئس من أنهم اقتحموا البحر ؟ ليروا ما به من الأخبار والمعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ، ضحك ، وقال للترجمان : « أخبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا في عرضه شهرا ، الى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدى . » ثم أمر الملك الترجمان أن يعد القوم خيرا ، وأن يحسن ظنهم بالملك . ففعل . ثم انصرفوا الى موضع حبسهم الى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعصبت أعينهم ، وجرى بهم في البحر برهة من الدهر . وال قوم : « قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جئ بنا الى البر . فأخرجنا وكفنا الى خلف ، وتركنا بالساحل الى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكفاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس ، فصحنا بجملتنا ، فاقبل القوم الينا ، فوجدونا بتلك الحال السيئة ، فحلونا من وثاقنا ، وسألونا فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا بربرا ، فقال لنا أحدهم : كم بينكم وبين بلدكم ؟ قلنا : لا نعلم . فقال : ان بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : وأسفى ! فسمى المكان الى اليوم « أسفى » . . . وهو المرسى الذي في أقصى المغرب ، على قول الادريسي .

وواضح من سياق الحديث أن هؤلاء قد استطاعوا العودة الى لشبونة ، وحدثوا الناس بأخبار مغامرتهم . وقد شهر خبرهم واستفاض على الألسنة ، وكانت رحلتهم من أجل كشف العوالم المجهولة في الأتلنطيك مثار الإعجاب ، فما لبث أهل وطنهم أن نعتوهم بالمفررين أو المغربين ، وأطلقوا هذا النعت على الشارع الذي كانوا يسكنونه ، اعترافا بفضلهم ، وتمجيذا لذكراهم . قال الادريسي : « ولهم بمدينة لشبونة بموضع

بمقربة الحمة درب منسوب اليهم يعرف بدرب المرزبين الى آخر الأبد .
وقد ظلت فكرة كشف ما وراء الأتلتيك تساور أذهان علماء المسلمين بعد ذلك ،
فتخيلوا في بحوثهم العلمية وجود أمريكا قبل كشف كرسstof كولب لها بقرن
وصف فرن ، وقال أبو التاء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني^(١) : « لا أمتع أن يكون
ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتا ، منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمتع
أن يكون منكشفاً من تلك الجهة ، لا أمتع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن
مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى » .

فـ . للأصفهاني وهو بمصر - كما قال بعض الباحثين^(٢) تعليقا على هذا الاستدلال
العقلي الناضج - فضل السبق على كرسstof كولب وهو بالاندلس ؛ لأنه قال بهذه
النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللأصفهاني فضل أكبر على مكشف أمريكا :
لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال . وأما كولب فتخيل فقط وجود طريق
جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي أبو التاء في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) ،
وأما كولب فقد اجتهد في اقناع فرديناند وايزابلا صاحبي الاندلس بصدق نظريته
في سنة ١٤٩٢ م (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) .

على أن من علماء أوربة من رجع فضل كشف كولب لأمريكا الى عاملين عربيين :
ارتقاء علم الجغرافيا عند العرب ، وعقول العرب وموادهم ورجالهم . فقال جوتييه^(٣) :
« من دار حول افريقية ؟ فاسكودي غاما . ومن كشف أمريكا ؟ كرسstof كولب .
ومن السهل أن يدرك أن هذين الكشفين اللذين فاقا جميع ما تقدمهما ، قد تما على
أيدى بحارة من العرب ، وكان تحقيقهما متعذرا بدون ارتقاء علم الجغرافيا عند العرب .
وتم هذان الكشفان العظيمان بعقول العرب وموادهم ورجالهم تحت امرة النصارى » .

وبعد ، فان الاسترسال في تفاصيل الدراسات العملية التي قام بها رواد المسلمين
وجغرافيوهم يخرج بي ، اذا أرته ، الى مؤلف ضخم . وأنا انما أردت توضيح ملامح
الأصالة في معارفهم الجغرافية بما اكتسبوه بالاضطرار ، وأن ماكتبوه في جغرافيا بلادهم
أو جغرافيا العالم - منذ البداية بالتدوين - كان كله من دراستهم العملية ، ومن مشاهداتهم
رأى العين في أسفارهم البرية والبحرية في آماط طوال ، لم يسبقهم أحد الى وصفها ،
وقلما نقلوا من غيرهم أو أفادوا في عهد الترجمة شيئا ذا غناء في هذا الباب كما سأزيد
توضيحا وتديلا .

(١) نقله العمري في مسالك الأبصار (ج ١) . (٢) أحمد زكي باشا

(٣) نقله صاحب الاسلام والحضارة العربية (٢ / ٢١١) .

قال ملطبرون : • ان المسلمين جازوا حدود الأرض المعروفة ، وتوغلوا في آسية وافريقية ، وان الخلفاء في صدر الاسلام أمروا جيوشهم وعمالهم أن يرسموا خطط البلاد التي افتتحوها واستولوا عليها . •

*
**

كان اتساع المسلمين في تدوين جغرافيا العالم يضارع اتساعهم في الفتوحات ، ويربى عليه كما سمعتم قريبا . فكان عظمة التأليف في هذا العلم ، التي انفردوا بها بين أمم الحضارات الغابرة ، هي من لوازم عظمة الفتوحات وعظمة الأئمة في السلطان واستبحارها في العمران . •

فلما زابلتهم تلك العظمة بالانقسامات والحروب والقتن وانتشار الجهل والخراب ، وأضاعوا ملكهم ، وشمل الخراب أوطانهم وديارهم ، وعادوا الى الصحراء وحواشي الجزيرة ، وقبعوا في زوايا الحواضر والقرى : يسومهم الاستبداد سوء العذاب تضائل عندهم هذا العلم كما تضائل شأن غيره من العلوم والفنون والاداب ، ولم تبق الداعية اليه متوافرة كما كانت أزمان عزهم وسلطانهم وعظمتهم ، الا ما كان يسلكه أفراد من علمائهم في التأليف من طرق الجمع والنقل عن السابقين ، وقلما أتوا بشئ جديد ، خلا ما جد في كتب الرحالة من أوصاف . •

وهكذا عظم شأن هذا العلم خينا ، وصغر حيناً آخر ، وذلك بمقدار ما كان يساور من الهمم قوة واقتدرا ، أو قوة وفئورا ، وقديما قال شاعر العرب : • على قدر أهل العزم تأتي العزائم ! • •

بدأ العرب بوضع تقويم البلدان قبل أن يبدأوا بترجمة كتب اليونان ، اذ كانت الداعية اليها متوافرة ، وعلمهم بالممالك والمسالك كانوا قد حذقوه بالأسفار ، وأنفذوا أعمارهم في تحصيله بالدرس والاختبار . فوضع أئمة الأدب واللغة ورواد الأخبار والأشعار تصانيف فيه ضمنوها ذكر البوادي والقفار والمنازل والمناهل والجبال والأماكن العربية الواردة في أشعار العرب وأخبارهم . ولا شك في أن هذا الضرب من كتب تقويم البلدان عربي خالص ، تفردوا بوضعه ، وتنزه من شوائب الاختذاء والاقباس ؛ لأنهم انما وصفوا فيها مواطن هم أهلها ، وعينوا مواضع هم روادها ، و • أهل مكة أدري بشعابها ! • •

ومن أقدم من انتصبوا للتأليف في تقويم البلدان العربية من علماء العرب ، النضر بن شميل من أئمة اللغة والنحو والأدب ، أقام في البادية ، وأخذ عن فصحاء

العرب كآبى خيرة الاعرابى وأبى الدقيش وغيرهما . ألف كتاب الصفات فى خمسة أجزاء ضمنها أشياء مختلفة ، وقصر جزءا منها على « الأئخية والبيوت وصفة الجبال والشعاب » ، وهو فيما يلوح لى باللغة أشبه ، ولكن عده بعض الباحثين من كتب تقويم البلدان ، وقال : « انه موجود فى بعض المكتبات العربية » ، فلعله رآه وقرأه فقال فى وصفه ما قال .

ومنهم هشام بن محمد الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ) . ألف كتاب البلدان الكبير ، وكتاب البلدان الصغير ، وكتاب الاقاليم ، وكتاب الانهار .
وعبد الملك بن قريش الأصبغى (المتوفى سنة ٢١٤ هـ) . ألف كتاب جزيرة العرب ، وذكر ياقوت فى مقدمة معجم البلدان^(١) : أنه « ظفر بكتابه رواية لابن دريد عن عبدالرحمان عن عمه » ، ولم يسمه ، ولكنه سلكه فى الكتب التى قصد فيها ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية . وكان الأصبغى من حفاظ اللغة والأدب . عاصر الرشيد ، وقدم بغداد فى أيامه مع أبى عبيدة ، ثم عاد الى البصرة . ولما تولى المأمون ، استقدمه اليه ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه ، فيجيب عنها .

وجاء بعد هؤلاء كثيرون سلكوا مسلكهم فى التأليف كآبى عبيدة السكوني ، والحسن بن أحمد الهمداني فى كتاب جزيرة العرب ، وأبى الأشعث الكندي فى جبال تهامة ، وأبى سعيد السيرافي ، وله كتاب فى جزيرة العرب ، وأبى محمد الأسود الغنجداني وله كتاب مياه العرب ، وأبى زياد الكلابي ، ومحمد بن ادريس بن أبى حفصة وله كتاب مناهل العرب ، وأبى على الحسن بن عبدالله المعروف بلفدة وله كتاب فى ديار الجزيرة العربية ومناهلها ومعادنها ، وهو فى غاية الافادة والامتناع ، ومنه نسخة مخطوطة فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى . وهؤلاء وغيرهم ممن لم نذكر ، كلهم أو أكثرهم عولوا فى كتبهم على المشاهدة لا الرواية أو النقل .

ونستطيع أن نسمى ماكتبوه فى هذا الباب بالجغرافيا الخاصة ، لانه اختص بقاع معينة ، هى بقاع الجزيرة العربية : باديتها وحاضرتها .

ثم خطا التأليف الجغرافى عند المسلمين خطوته العالمية ، فطفق الجغرافيون فى القرن الثالث الهجرى وما بعده يؤلفون فى تقويم البلدان ، ويصفون أجزاء انباطوريتهم وما يجاورها من الاقاليم وصفا علميا منظما قائما على المشاهدة والدراسة العملية ،

فصنوا حدود الأرض وتقاسيم الممالك ، ووصفوا البلدان وملامحها الخاصة والمسالك والجبال والبحار والأنهار والمعادن والآثار ، وضبطوا المسافات بين الأمصار بحساب الأميال ضبطا دقيقا كل الدقة ، وأحصوا مقادير الجبايات ومبالغ الخراج ، ودونوا الى جانب ذلك أخبار الفتح ، وشرحوا أحوال الشعوب والأجناس وأكلهم وشربهم ولباسهم وتجاراتهم وصادراتهم ووارداتهم وما يمتاز به كل شعب من الخصائص النفسية والبدنية والاجتماعية والعلمية والأدبية ، الى غير ذلك مما أوفوا به على الفاية من الاستقصاء والاستيعاب والتحقيق والتدقيق ، واشتملت مؤلفاتهم على وثائق عظيمة الشأن فى تاريخ الإنسانية وحقائق بليغة الأثر فى نماء ضروب المعرفة لا مندوحة لكل باحث - فى التاريخ التجارى أو التاريخ الاقتصادى أو نظام السياسة والحكم فى الشعوب الاسلامية والأُمم التى اتصلت بها - من الوقوف عليها والاستئارة بها ؛ والا كانت بحوثهم خالية الوفاض ، بادية الانفاض ، تموزها المادة والحيوية والقوة .

كان عمل هؤلاء المؤلفين فى الجغرافيا العامة امتدادا لعمل المؤلفين فى الجغرافيا الخاصة الذين مهدوا السيل فى التأليف الجغرافى عند المسلمين ابتداء وابتداعا ، لا نقلا ولا محاكاة لامة من الأمم .

وقد قضى بهذا الامتداد اتساع رقعة الانبراطورية الاسلامية ، ووجوب حمايتها ، وما يتعين على الدولة من احصاء جبايتها وخراجها ، وتيسير طرق انبريد ، وتحديد المسالك وأبعادها وجهاتها للسفارة والتجارة والجيوش . فلم يكن بد لعلماء الملة من التأليف فى هذا الباب ، والتوسع فيه مسيرة للحاجة ، وهو عمل لا يتيسر امتلاك ناصيته الا بالرحلات وانكشاف والدراسات العملية ؛ لذلك كان الجغرافيون الذين نبغوا فى القرنين الثالث والرابع للهجرة وفى قرون أخرى أيضا ، كلهم ممن تمرسوا بالأُسفار ، وركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، أمثال أبى القاسم بن أحمد بن خرداذبه مؤلف كتاب الممالك والمسالك ، وأحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى مؤلف كتاب البلدان ، وأبى اسحاق الاصطخرى الكرخى مؤلف كتاب الاقاليم ، وأبى القاسم محمد بن حوقل البغدادى مؤلف كتاب صورة الأرض أو المسالك والممالك ، وأبى عبدالله محمد بن البشارى المقدسى مؤلف أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، وعلى بن الحسين بن على المسعودى من ذرية عبدالله بن مسعود الصحابى الجليل مؤلف أخبار الزمان ومروج الذهب والأوسط والتنبيه والاشراف ، وغيرهم .

ثم من جاء بعدهم فى القرون التالية واعتمدوا فى تاليفهم الجغرافية على منهلين : كتب من سبقهم ممن ذكرنا ولم نذكر ، وأسفارهم ودراساتهم العملية ، وهم كالشريف

محمد بن محمد الادريسي مؤلف « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذى فزع اليه روجر الثانى النورمندى ملك صقلية وجنوبى ايطالية لرسم « الخارطة » العالمية وتدوين شروحها ، وسنخسه بحث مستفيض ، وعلى بن أبى بكر بن على الهروى الموصلى الذى قال عنه ابن خلكان : « لم يترك برا وبحرا ولا سهلا ولا جبلا من الأماكن اننى يمكن قصدها ورؤيتها الا رآه ، ولم يصل الى موضع الا كتب خطه فى حائطه ، وقد سار ذكره بذلك حتى عرف باسم الهروى السائح » ، وهو مؤلف كتاب « منازل الأرض ذات الطول والعرض » ؟ وياقوت الحموى البغدادى المؤلف الجغرافى العظيم الذى يأتى فى مقدمة كتبه كتابه الرائع معجم البلدان ، الممتاز بترتيبه على حروف الهجاء وبدقته واتساعه وجمعه بين الجغرافيا والتاريخ والعلم والأدب ، وقد حاز هذا الكتاب اعجاب كبار المستشرقين حتى قال فيه المستشرق الفرنسى المشهور « كارا دى فو » (Carra de Vaue) فى كتابه^(١) (Le Penseurs L'Islam) : « انه من المؤلفات التى يحق للإسلام أن يفخر بها كل الفخر » . وضع ياقوت معجمه الجغرافى العظيم هذا ، ولم يكن للجغرافيين الأوربيين معجم جغرافى على نمطه ، انما كان أول مصنف لهم من نوعه فى منتصف المئة السادسة عشرة ، وضعه أورتيلىوس البلجى ، وطبعه فى أنورس سنة ١٥٧٨ م ، وكان ياقوت فرغ من معجمه فى سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) .

الى غير هؤلاء العظماء الذين ألفوا فى الجغرافيا العامة ، وتوافر النص على أن ما كتبه فى هذا الباب هو من مشاهداتهم ، أو من مشاهداتهم ومن النقل عن سبقوهم معا .

*

**

بعد هذه الافاضة فيما قدمت لكم من مجهود الجغرافيين الاسلاميين الضخم العظيم فى الدراسات الجغرافية العملية فى عصور عدة ، أستطيع أن أقرر جازما فى غير تردد أن الجغرافيا عند المسلمين انما هى من صنع أنفسهم ، ووليدة بحوثهم ، وتاج نهضتهم السياسية الاجتماعية العمرانية العالمية ، وأنهم لم يكونوا فيها حميلة على الرومان أو اليونان أو السريان كما أقرته التعاليم المريضة فى أذهان من لا سبيل لهم الى التعمق والتأمل فى تراث العرب ومدينة الاسلام : من نشأ هذه الأزمان ، الذين حيل بينهم وبين ما يجب أن يفقهوه من عبقریات قومهم فى مختلف الشؤون ، ثم ملئت أذهانهم عنهم ، ملاءم « موتورو الشعوب وتجار العقائد ووراث الأحقاد » ، بكل زور من القول ، وبهتان من

التلفيق ، وضلال من الأحكام .

نعم ، لقد ترجم المسلمون فى عصر المأمون من اليونانية كتب أفلاطن وفيثاغورس وبطلميوس فى الجغرافيا والعمران ، واطلع علماؤهم على هذه الكتب ، واتصلوا بأرائهم فيها وفى المجسطى وغيرهما ، ولكن ما انتهى اليهم من هذه الكتب اليونانية كان لا يطابق أكثر ما فيها ما كانت عليه الدنيا فى أيامهم ، اذ كانت معالم البلدان وأحوال الناس خاضعة للتغير والتبدل كلما تطاوت عليها العهود ، فلم يعتمدوها لانبهام أمرها عليهم ، وقد قال ياقوت ، وهو أعظم جغرافى اسلامى اعتمد على رحلاته ودراساته : « . . . وقد وقفت لهم منها على تصانيف عدة جهلت أكثر الأماكن التى ذكرت فيها ، وأبهم علينا أمرها ، وعدمت (فائدتها) لتطاول الزمان فلا تعرف . » وقال يوحنا آهنتين كارسيكو الفنلندى ، وهو يوازن بين خارطة بطلميوس وخارطة الادريسي ، وبينهما ألف عام : « وقعت قبل هذه الخارطة بألف سنة محذولة وضع خارطة عامة باللغة اليونانية للأرضين المعروفة فى تلك العصور ، وقد رسمها بطلميوس بمصر ، الا أن خارطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية ؛ لانه ذكر فى خارطته نحو ثمانية آلاف من أسامى الأماكن ، والى الان لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر فى خارطته . أما هذه « الخارطة » (خارطة الادريسي) ، فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأمكنة ترد اليوم فى خوارطنا المصرية ، وهى معلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعد هذه الخارطة خارطة عالمية بالمعنى الذى نعرفه اليوم من هذا اللفظ ! » .

ومعنى هذا أن الجغرافيين الاسلاميين قد بدأوا عهدا جديدا لتدوين علم الجغرافيا النعمة بما كتبوه فى هذا اثنان وحققوه ، ولا يزال ما تركوه من التراث الضخم فى مكان الاحترام والتقدير والاستفادة . وبحسبهم ذلك فخرا ، تملو به الجباه ، ويدعو هذه الأجيال الناشئة الى استثاف سيرتهم العلمية العملية وتجديدها .

وقد قال أدورد ستيفنسن الأميركى : « بينما كانت المسيحية قائمة باستقاء معلوماتها الجغرافية من موارد منحطة ، كانت الشعوب العربية تنمى معارفها وتنشر معلوماتها الجغرافية الفلكية ، وكان العرب يعملون الى درجة ما طبقا للقواعد اليونانية ، ولكنهم شيدوا على هذه القواعد صرح أبحاثهم المستقل الخاص بهم » .

وأقول : ما أشار اليه أدورد ستيفنسن « من عمل العرب الى درجة ما طبقا للقواعد اليونانية » ، لم يكن فى غير الشكل الذى أخذه بعض الجغرافيين الاسلاميين فى القرن الثالث ، اذ سلكوا فى تأليفهم قريبا من طريقة بطلميوس فى تقسيم العالم الى سبعة أقاليم تتضمن ذكر البلاد ، وتعيين مسافة الطرق والمسالك ، كما فعل ابن خرداذبه ومن حذا

حذوه . أما الجوهر الذى احتوته كتبهم ، فكان عربيا اسلاميا محضا كما قدمت البراهين عليه ، وأثبت أن كل ما كتبه كان من مشاهداتهم واختباراتهم وتحقيقاتهم فى الرحلات العظيمة التى اضطلعوا بأعبائها جيلا بعد جيل ، فأربوا على ما عرفه غيرهم من قبل ، وأتوا بالجديد انطريف ، وصححوا مغالط اليونان ، حتى استوى لهم من ذلك كله علم مستقل خاص بهم مفرد بأصوله وخصائصه وملامحه المنسجمة مع الحياة التى عاصروها والآفاق الواسعة التى انبسطت لهم من العالم وارتادوها وكشفوها فى كل ناحية وكل زمان .

على أن البحاثنة سيفنصن الأميركى يرى أن « اليونان وضعوا علما نوصف الكون مبنيا على التخيل مثل الشعوب التى سبقتهم » . وقد سما الجغرافيون الاهلاميون على ذلك ، وأمضوا فى الحقائق وفى المغامرات من أجل كشف المجهول .

وقد أجمع الباحثون والمحققون على أن بطليموس الذى وصل كتابه الى يد العرب ، انما اتحل فى كتابه - كما اعترف هو نفسه - جغرافيا مارينوس الصورى من أهل القرن الثانى قبل المسيح ، وأن غاية ما فعله مارينوس أنه نقل من كتب السلف فى علم الجغرافيا ، وجمع أخبارا نقلها عن البحارة وأهل الرحلات ، فألف منها كتابا فى الجغرافيا أضاف اليه خوارط رسم فيها خطوط الطول والعرض ، ويقال : ان غاية ما فعله بطليموس تنقيح هذا الكتاب ، وقد أخطأ فى التنقيح قدر ما أصاب .

وقد سمعتم ما قدمت من رأى آهتين كارسيكو الفنلندى فى انعدام الفائدة من خارطة بطليموس لمجز أهل العلم عن تعيين أقل قليل مما ذكر فيها ، بخلاف خارطة الجغرافى الاسلامى الادريسي التى اعتدها خارطة عالمية بالمعنى الذى نعرفه اليوم من هذا اللفظ .

*

**

ذلكم تراث الجغرافيين اليونان ، وهذا تراث الجغرافيين الاسلاميين . وبحسب النصف أن يصدر فى ضوء ما قدمت حكمه ، كما أصدر كارسيكو فى موازته بين بطليموس والادريسي ، وهما يمثلان طرفين أو أمتين غيتا بهذا الشأن ، ففضى على تراث اليونان بالعقم ، وعلى تراث المسلمين بالخلود . واذا شاء أصحاب التعاليم المريضة أن يتغافلوا عن هذه البيانات والدلائل ليتهمونى بالتحيز والعصية ، فلن يستطيعوا أن يتهموا بهما « جوتيه » و « سيفنصن » و « كارسيكو » وغيرهم من المستشرقين المحققين .

محمد بهجة الأثري

معركة أجنادين

متى وقعت ؟

وأين وقعت ؟ (*)

كنا أشرنا في مقالنا في « المجلة العسكرية » عن قيادة خالد بن الوليد في حروب الردة ، الى ما يعانيه الباحث من مشقة وصعوبة في تمحيص الوقائع اى حدثت في فتوح صدر الاسلام ، وذكرنا باختصار الغموض الوارد في كتب التأريخ الباحثة عن تلك الفتوحات سواء أكان في تثبيت تأريخ الوقائع أم في تعيين مكان وقوعها أم في كيفية وقوعها . ومما يدل على هذا الغموض ما كتبه المؤرخون القدماء عن (معركة أجنادين) . ويتضح لمن يقرأ كتب التأريخ أن المؤرخين القدماء لم يتفقوا على تأريخ وقوع معركة أجنادين ؛ فالبلاذري واليعقوبي مثلا ذكرا أنها وقعت سنة ١٣ هـ ، على حين ذكرها الطبري في حوادث سنة ١٥ هـ . واستند ابن الأثير الى ما ذكره الطبري ، فجعلها من وقائع السنة المذكورة . أما ابن خلدون فقد ذكر أنها وقعت في سنة خمس عشرة الهجرية . وأما ابن عساكر الدمسقي فيستند الى رواية شيخه أبي القاسم ابن اسمرقندى التي تنتهي الى أبي حذيفة اسحاق بن بشر القرشي ، ويجعل معركة أجنادين من وقائع سنة ١٣ هـ .

والغريب في الأمر أن الطبري وابن الأثير أشارا الى وقوع الحادثة ضمن وقائع السنة الثالثة عشرة الهجرية والسنة الخامسة عشرة الهجرية .

وللتثبت في تأريخ وقوع معركة أجنادين خطورة من حيث تنفيذها للروايات الزاعمة أن أول عمل قام به « عمر » بعد استخلافه عزله لخالد بن الوليد ، ونصبه

(١) لقد اعتمدنا في كتابة مقالنا هذا على البحوث القيمة التي نشرها المستشرق الطياني « لثونه كيتاني Leone Caetani » في كتابه « حوليات الاسلام Annali Dell' Islam » (الجزء الأول من المجلد الثالث ، من الصفحة ١٣ الى الصفحة ٧٣)

أورد كيتاني في بحوثه تلك جميع الروايات الاسلامية والأجنبية الباحثة عن « معركة أجنادين » ، ومحصيا ووازن بينها ، واستنبط منها نتائج رائعة دلت على براءته في تمحيص وقائع التأريخ الاسلامي في منتصف القرن الهجرى الأول .

أبا عبيدة بن الجراح محله قائدا عاما على الجيوش العربية في بلاد الشام • والواقع أنه ان ثبت أن المعركة وقعت سنة ١٣ هـ ، وهى السنة التى تولى فيها عمر الخلافة ، فتصبح الروايات الذاكرة لعزل عمر لخاند حين استخلافه لأبى بكر غير صحيحة ؛ لأن الروايات كادت تجمع على أن عمر عزل خالدا قبل معركة اليرموك التى ان ثبت أن معركة أجنادين جرت فى سنة ١٣ هـ ، فينبغى أن تكون وقعت (معركة اليرموك) فى سنة ١٥ هـ ؛ لأنه لا يصح أن تقع المعركتان فى وقت واحد ، وهما على ما يظهر وقعتان حاسمتان •

ان للتثبت فى تأريخ وقوع معركة أجنادين كما ذكرنا سابقا أهمية خاصة تهلق بعزل خالد بن الوليد • فان وقع العزل قبل معركة اليرموك فانه يكون عمر قد أجل عزل خالد الى سنة ١٥ هـ ، على الرغم من أنه كان ينتقد أعماله فى خلافة أبى بكر ، وحاول كثيرا أن يحمله على عزله • وهو مما يدل على كياسة عمر وبعد نظره كما فصلنا خبره فى كتابنا (حكومة عمر) (١) •

متى وقعت معركة أجنادين ؟

ولأجل أن نعرف اليوم الذى وقعت فيه معركة أجنادين ينبغى لنا أن نمحص الروايات الذاكرة لها ، ونوازن بين الروايات التى زعمت أن المعركة جرت سنة ١٥ هـ ، والروايات الأخرى التى ذكرت أنها نشبت فى سنة ١٣ هـ • ومن الطبيعى أننا سنفضل روايات الاخباريين اقدماء على الروايات المتأخرة •

ومن الحقيقة أن أصحاب الروايات القديمة ، منهم من عاشوا فى نهاية القرن الهجرى الأول ، ومنهم من عاشوا فى القرن الهجرى الثانى ، ومعنى ذلك أنهم ذكروا رواياتهم بعد وقوع المعركة بأكثر من نصف قرن ، فى أقل تقدير ، فانهم لم يشهدوا الوقائع ، وإنما رووها عن تقدمهم من الرواة اسنادا ، حتى تنتهى الرواية بمن شهد الواقعة ، أو سمعها ممن شهدها • فالغموض انذى نشاهده فى حوادث فتوح صدر الاسلام ، والاختلاف فى تأريخ وقوعها ، وكيفية وقوعها ، ناشئ من أن الاخباريين الذين سجلوا أخبار الفتوح ، لم يشهدوا الوقائع ؛ وإنما ثبتوها بعد حدوثها بمدة غير قليلة • وفى الأمر غموض آخر ناشئ من الأخطاء التى ارتكبها النساخ ، كدهالهم لنقطة ، أو وضعهم نقطة فى غير محلها • ولا يخفى ما لهذا الاهمال من تأثير سيئ فى صحة الاعلام • أما الروايات التى شرحت معركة أجنادين ، فقد ورد ذكرها

في أقدم كتب الفتوح ، وهى : كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، وتأريخ ابن واضح اليعقوبى ، وتأريخ الطبرى . أما الكتب التاريخية الأخرى التى نشرت من بعد ، فهى اما كررت ما جاء فى الكتب المتقدمة بلا اسناد ، واما استندت الى روايات أخرى بالاسناد روى أكثرها الأخباريون الذين جاء ذكرهم فى الكتب المتقدمة المذكورة .

ولا بد من تفضيل رواية على رواية أخرى ، فالروايات المدنية مثلا تفضل على الروايات العراقية حين البحث فى وقائع فتوح الشام ؛ لأن أهل الحجاز شاركوا فيها ؛ ولهذا كان من الطبيعى أن تفضل روايات ابن اسحق واثوابدى على روايات سيف بن عمر مثلا .

والان فلنبداً بذكر الروايات العربية مقدمين الأخباريين على حسب تأريخ وفيتهم :

(١) روايات محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ . جاءت هذه الروايات من كتاب الطبرى فى وقائع السنة ١٣ الهجرية عند ذكره سفر خالد بن الوليد الى الشام . - وانا لمن فيها من المسلمين ، ونذكرها كما يلى : « ثم سار (خالد) حتى نزل على وادى بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان ، فمضى بها عليها ، فربطوها حتى صالحت بصرى على الحزبة ، وفنحها الله على المسلمين . فمضى أول مدينة من مدائن الشام . . . » الى أن يقول : « ثم ساروا جميعا الى فلسطين سدا لمعرو بن العاص ، وعمره مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسسعت الروم بهم ، فانكسفوا عن جلق أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل . . . » .

وبعد أن ذكر ابن اسحاق وقوع المعركة ، قال : « قلوا : وكانت أجنادين فى سنة ثلاث عشرة المئتين بقيتا من جمادى الأولى . . . » (١) .

(٢) رواية سيف بن عمر . توفى سيف بن عمر سنة ١٨٠ هـ ، وهو من قبيلة بنى أسد ، وأسد لم تشارك فى فتوح الشام . وتميزت رواياته بالاسهاب والمبالغة . وقد اعتمد الطبرى على كثير من رواياته بالرغم من أنه لم يكن له رأى حسن فيه ، وتعد رواياته أقل وثاقة من روايات أهل المدينة فيما يتعلق بفتوح الشام . والرواية التى وردت فى تأريخ الطبرى فى حوادث سنة ١٥ هـ بعنوان فتح بيسان وروعة أجنادين ، تختلف كثيرا عن الروايات التى ذكرها رواة المدينة لتلك المعركة . وقد يظن القارى أنها معركة أخرى جرت فى أجنادين ، وهذا غير واقع . نذكر الرواية كما يأتى : « ولما توجه علقمة الى غزة ، وتوجه معاوية بن أبى سفيان الى قيسارية ، صمد عمرو بن العاص الى الارطبور ، ومرت

بازائه ، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته ٠٠٠٠ فخرج عمرو بن العاص حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم ، وعليهم الأرطوبون ٠٠ (١) . ومن الغريب أن سيف بن عمر أسهب في ذكر المعركة ، وزعم أن عمرو بن العاص .. نسع بقائد الروم أرطوبون ، وجرى بينهما حديث خدع به عمرو أرطوبون ، ولكنه لم يذكر تاريخ وقوع المعركة ، مع أن الرواة الآخرين - على اختصارهم للحوادث - ذكروا تاريخ المعركة بيومها ووقتها .

(٣) رواية الواقدي ، وهو من رواة المدينة الثقات ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . وردت هذه الرواية في تاريخ ابن عساكر كما يأتي : « وقال الواقدي : واليقين عندنا أنه أجنادين كانت في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وبشر بها أبو بكر باخر رمق » (٢) . وذكر ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته في ترجمة عمرو بن سعيد أن عمرا قتل في يوم أجنادين في خلافة أبي بكر في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وكان على الناس يومئذ عمرو بن العاص .

(٤) رواية على بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ . ذكر الطبري روايته في قائع سنة ١٣ هـ ، ونذكرها كما يأتي :

« قال المدائني : وأتى خالد دمشق ، فجمع له صاحب بصرى ٠٠٠ » الى أن قال : « فنواف جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ٠٠٠ » (١) .

(٥) ما ذكره البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ في كتابه فتوح البلدان . ذكر البلاذري أن معركة أجنادين وقعت في سنة ١٣ هـ ، وكتب خبرها في كتابه بعنوان يوم أجنادين ، وقال : « ويقال أجنادين الأولى بكسر الدال والثانية بفتحها ٠٠٠ » الى أن قال : « ثم كانت وقعة أجنادين ، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف ، سرب هرقل أكثرهم ، وتجمع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ٠٠٠ » .

وبعد أن ذكر خبر المعركة ومن استشهد فيها من الصحابة ، قال : « وكانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، ويقال لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال لليلتين بقيتا منه ٠٠ » (٢) .

(١) تاريخ الطبري (١٠/٣) .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (١٤٤/١) .

(٣) تاريخ الطبري (٦١١/٢) .

(٤) فتوح البلدان (١٢٠ و ١٢١) ، طبع القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

(٦) ما ذكره ابن واضح اليقوبى المتوفى سنة ٢٩٢ هـ فى كتابه تاريخ اليقوبى ، قال : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد ، بعد وصوله من الشام الى العراق ، صار الى غوطة دمشق ٠٠٠ وصار الى حوران ، فقصد مدينة بصرى ، فحاربهم ، فسألوه الصلح ، فصالحهم ٠ ثم صار الى أجنادين ، وبها جمع الروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة ٠ وكانت وقعة أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، ^(١) » .

يظهر من هذه الروايات القديمة التى ذكرناها عن معركة أجنادين أن جميع الرواة اتفقوا على أن المعركة وقعت سنة ١٣ هـ ، ما عدا سيف بن عمر ، فقد ذكر أنها وقعت سنة ١٥ هـ .

(٧) جاء فى كتاب الغزوات لأبى القاسم عبدالرحمان بن محمد الأنصارى المرسي الملقب بابن حبيش ، المتوفى سنة ٥٨٤ هـ : أن أبا بكر توفى لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة ، ليلة الثلاثاء ، أى بعد أجنادين بأربعة وعشرين يوما ٠٠٠ . « وأخبر هذا يؤيد أن المعركة وقعت فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ^(٢) » .

(٨) تراجع ابن عبدالبر النمرى القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتاب الاستيعاب . جاء فى ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص ما يأتى :
« وقتل عمرو بن سعيد مع أخيه بأجنادين سنة ١٣ الهجرية ، هكذا قال الواقدي وأكثر أهل السيرة ٠٠٠ » .

وفى ترجمة أبان بن سعيد بن العاص : « وكانت البرموك يوم الاثنين لحمس مضي من رجب سنة ١٥ هـ فى خلافة عمر ٠ وكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ قبل وفاة أبى بكر بدون شهر ، ^(٣) » .

(٩) تاريخ ابن عساكر : وردت رواية فى هذا الكتاب لأبى القاسم ابن السمرقندى بإسناده الى أبى حذيفة اسحاق بن بشر القرشى مؤداها أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية وقت صلاة الظهر .
وفى رواية للزهري أن أجنادين وفحلا وقعتا سنة ١٣ الهجرية ٠ وأما أجنادين ، فكانت فى جمادى الأولى ٠ وأما فحل ، ففي ذى القعدة ٠

(١) تاريخ اليقوبى (ص ١١٢) طبع النجف .

(٢) لم نطلع على هذا الكتاب ، وذكرنا الرواية نقلا عن كتاب كيتانى ، والكتاب يبحث فى أخبار الفتوح من سنة ١١ الى سنة ٣٥ هـ وهو مخطوط فى خزانة كتب برلين الملكية .

(٣) الاستيعاب (١ / ٣٧) و (٢ / ٤٢٩) .

ومع هذا الوضوح فى الروايتين اعتمد ابن عساكر فى شرح حوادث المركة على رواية سيف بن عمر ، فقدم اليرموك على أجنادين ^(١) .

(١٠) جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى أن أبا بكر بعث عمرو بن العاص والجنود الى الشام ، فكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، ونصر المسلمون ، وبشر بها أبو بكر باخر رمق . وفيها كانت وقعة مرج الصفر ، ^(٢) .

(١١) ذكر ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان فى مادة أجنادين : أن أبا اسحاق ابن بشر المتوفى سنة ٢٠٦ هـ روى أن وقعة أجنادين كانت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر .

(١٢) أما ابن خلدون ، فيظهر أنه تأثر بروايات سيف بن عمر ، ووصف المركة كما جاء فى تاريخ الطبرى برواية سيف فقال : « تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها ، وهذا على قول من جعلها بعدها » ^(٣) . ولكنه حينما وصف وقائع اليرموك فى الصفحة (٨٥) قال : « وكانت وقعة اليرموك فى رجب بعد أجنادين » .

(١٣) ذكر الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى كتابه تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، وقعة أجنادين فى حوادث سنة ١٣ الهجرية . قال : « وقال ابن اسحاق : ثم ساروا جميعا قبل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين جرش ، والأمرء كل على جنده . وقيل : ان عمرا كان عليهم جميعا ، وعلى الروم القيقلان ، فقتل ، وانهمز المشركون يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . وقال الواقدي : ان الثبت عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى ، وبشر بها أبو بكر » ^(٤) .

(١٤) قال ابن كثير ، بعد أن ذكر أن وقعة اليرموك فى سنة ١٣ قبل فتح دمشق استنادا الى رواية سيف بن عمر وبتأييد الطبرى : « وأما الحافظ ابن عساكر ، فانه نقل عن يزيد بن أبى عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبى معشر ، أنها كانت فى سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . ثم قال : « وقال محمد بن اسحاق : كانت فى رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط : قال ابن الكلبي : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لحمس مضيئ من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر : وهذا هو المحفوظ ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة ، فلم يتابع عليه » ^(٥) .

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر . (٢) تاريخ الخلفاء (٥٢) .

(٣) تاريخ ابن خلدون (١٠٦/٢) .

(٤) تاريخ الذهبى (٣٧٥/١) طبع القاهرة

(٥) تاريخ ابن كثير (م ٧ ص ٤) .

(١٥) جاء في تاريخ الحميس لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، وهو من المتأخرين : « ان الناس تراحفوا يوم أجنادين غداة السبت » . ثم روى عن سهل بن سعد أنه قال : « وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشم ، وكانت سنة ١٣ هـ في جمادى الأولى لليتين بقينا منه » (١) .

المصادر الرومية واللاتينية والسريانية (٢)

وردت أخبار الفتوح الأولى في المصادر الرومية واللاتينية والسريانية غامضة ، فهي فيها عبارة عن اشارات وتلميحات قد يصعب استنباط الحقيقة منها ، وفيها تنف وردد هنا وهناك ، من غير ذكر لأسماء اماكن . ومع ذلك يستطيع الباحث المنقب أن يستخرج منها معلومات تساعده على استقصاء أخبار الفتوح الأولى .

ومن المصادر الرومية كتاب ثوفانس المتوفى سنة ٨١٩ م ، أى في حدود سنة ٢٠٠ هـ . وقد ذكر هذا المؤرخ أن أبا بكر بعث سنة ٦٣٤ م (سنة ١٣ هـ .) أربعة قادة (وكان معهم العرب الذين سخطوا على هرقليلوس ؛ لأنه قطع عنهم الاتاوة) يدلونهم ، ففتح أولئك القادة (Lu Héra) وجميع بلاد غزة ، فنقدو نحوهم على عجل سرجيوس حاكم قيسارية على رأس قوة صغيرة ، ولكن قوته هذه المؤلفة من ثلاث مئة رجل كسرت شر كسرة ، وقتل سرجيوس في أول المعركة ، فرجع العرب بالغنائم والأسرى بعد هذا الانتصار الباهر .

ويشير ثوفانس الى وقعة سماها « ديمس » أو « دثما » ، وينبغي أن تكون وقعة الدثينة أو دائن التي ذكرها الرواة المسلمون ، ووقعت بين الروم وأبى أمامة القضاعى الذى بعثه يزيد بن أبى سفيان . ذكر دى غويه الذى اقتبسنا هذا الخبر من كتابه (مذكرة عن فتح سورية) (٣) ، أن سرجيوس لم يقتل في هذه المعركة ، كما يظهر من كتاب صفرنيوس بطريك القدس المرسل الى سرجيوس . وقد سمي صفرنيوس بطريكاً سنة ٦٣٤ م . ويضيف دى غويه أنه لا يستطيع أن يبين موقع (Héra) التي أشار إليها ثوفانس ، ويلوح له أن المؤرخ المذكور خلط وقائع العراق بوقائع جنوبى فلسطين - وهو مؤرخ بيزنطى ربما لاتهمه زقائع العراق . وعلى كل حال ينبغي

(١) تاريخ الحميس (٢٣٤/٢)

(٢) أشار كيتانى في بحثه عن معركة أجنادين الى هذه المصادر ، وذكرها المستشرق انبولندى دى غويه في مذكرته عن فتح سورية

(٣) (ص ٣٤) De Goje: Mémoire sur la Conquête De La Syrie

أن تكون (هيره) الواردة في كتابه هي (الحيرة) التي افتتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ .

أما المؤرخ الأرميني سيبؤس ، فقد ذكر « أن العرب عسكروا في رهابوث مواب في بلاد سبط روبن ، على حين عسكر جيش الروم في (العربية) . هاجم العرب الروم بقتة ، فكسروهم وقتلوا منهم عددا كبيرا بعد ما هزموا ثيودوس أخا الانباطور ، ثم رجعوا الى العربية » . يشير دى غويه الى أن العربية الأولى التي عسكر فيها الروم هي العربية ، أو وادي العربية . أما العربية الثانية التي تسحب اليها العرب ، فينبغي أن تكون البلاد العربية . ويظهر مما ذكره المؤرخ الأرميني أنه خلط بين قشال وادي العربية أو الدثينة وبين معركة أجنادين (١) .

ثم يأتي نيسوفورس بطريرك القسطنطينية (وهو معاصر لتؤفانس . مات سنة ٨٢٩ م) ، فقد ذكر هذا المؤلف « أن العرب استولوا على بلاد انطاكية ؟ بعد الاحتفال الذي جرى لهرقل ببضع سنوات بمناسبة عودته اليها من حرب الفرس فاتحا . ثم أشار نيسوفورس ، في الصدد هذه الحوادث ، الى قتل سرجيوس قائد غزة بعد أن ذهب على رأس قوته ليحول دون توغل العرب في جنوبي فلسطين . وهو الذي ذكر بعض مؤرخي العرب أنه قتل في معركة الدائن ٠٠٠ » ثم ذكر أن هرقل غضب على أخيه ثيودور وجعل بدله قائدا آخر يدعى ثيودور وجعله (تريثوروس Trithurins) زناط به قيادة الشرق ، وأوصاه بألا ينشب المعركة مع الشرقيين (العرب) . ولكن العرب رتبوا كميناً ، وأفرزوا قوة صغيرة لمناوشة الروم ، وحملوهم على التقدم شيئا فشيئا حتى أرقسوهم في الكمين ، فهجموا عليهم من جهتين ، وقتلوا عددا كبيرا من جنود الروم وقادتهم ٠٠٠ » (٢) .

يصعب الحصول على فكرة واضحة مما كتبه نيسوفورس ، ولعل القتال الذي يشير اليه وقتل فيه خلق كثير من الروم هو القتال الذي وقع في يوم اليرموك ؟ لأن هرقل سخط على أخيه وأبعده عن سورية بعد حادثة (أجنادين) كما يتضح مما جاء في كتب التاريخ .

أما المؤرخ السرياني ميخائيل ، فذكر أن عمر تولى الخلافة بعد أبي بكر ، وأرسل جيشا الى العربية (أي المنطقة الرومانية التي تدعى العربية ، وهي شرقي الأردن) ففتح العرب مدينة بصرى ، وغربوا عدة مدن . وقد وقع ذلك في

(١) دى غويه : مذكرته عن فتح سورية (ص ٣٥) .

(٢) كيتاني : (م ٣ ج ١ / ٢٦٥) .

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب^(١) .
 وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان ثوذريك كان يقود الروم . ولا بد أن يكون هذا أخا هرقل الذي سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انهزام الروم في غربة الدنية وقبل اليرموك ، فلا بد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التي وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بنى اسماعيل العرب بالانتصار ، وفي ذلك ارادة الله التي أفقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التي ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .
 وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التي وعظها صفرنيوس بطريرك القدس في عيد ميلاد المسيح في (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهي :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر في هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وآماننا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والبقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اتنا ، والحق يقال ، نسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التي قبلت الرب الاله ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا نرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل خوفا من سيف البدو . . . » .

وفي موعظة أخرى :

« فإذا كملنا اذن ارادة الله الابوية ، وحافظنا بنيات على الايمان القديم ، فسنعصى عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، ونصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفي وقت قصير سنشاهد بيت لحم الآتية ، وستأمل المعجائب التي تحتويها . . . » .

وفي محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بنى هاجر الاشرار هي الان شاغلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين في عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد البتة بالذهاب اليها . وان القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيته للذهاب الى هذه

تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق في المسير . أما الروايات التي تزعم أن الجيوش تحركت في وقت واحد ، فلا يؤبه لها ، وكذلك الروايات التي تجعل أبا عبيدة بن الجراح الأمير الرابع ، هي على ما ظهر لنا ضعيفة . أما أن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمس الثبت . وجاء في أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء إلى يزيد بن أبي سفيان . وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله ردها في تيماء ، أي عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيدا لارسالها إلى الشام . وذكر ابن الأثير في تأريخه أنه قيل : إن أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد إلى العراق ^(١) .

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق إلى حد ما على الواقع ؛ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذي كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان مكلفين بجمع انصافات . ولعل أبا بكر أرسله إلى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المنتصرة عملاء البيزنطيين ، إذ قد ينهز الروم الحرب الداخلية في بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة في الانتصار للمرتدين .

وإيس من شك في أن أبا بكر فكر في إرسال الجيش إلى الشام عقب انتهاء حركات الردة . وعزمه على إرسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأى الصحابة لما طلبوا إليه أن يكف عن إرسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف في المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ هذا يجوز أن يكون أبو بكر قدم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم في الشام . ويظهر أنه استمع بعد ذلك إلى رأى عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبي سفيان في محله .

وفي رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التي عقد لها هو جيش يزيد بن أبي سفيان ، وكان هدفه اللقاء ، وطريقه طريق تبوك . ولعل عمرو بن العاص كان على رأس الجيش الثاني الذي سلك طريق الساحل من الوجهة إلى أيلة ، وهدفه جنوبى فلسطين . أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحبيل بن حسنة الذي يلوح أنه أرسل مددا ليزيد بن أبي سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات . وفي التواريخ روايات تروى

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب^(١) .
 وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان ثوذريك كان يقود الروم . ولا بد أن يكون هذا أخا هرقل الذي سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انتهزام الروم في عربة الدنية وقبل اليرموك ، فلا بد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التي وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بنى اسماعيل العرب بالانتصار ، وفي ذلك ارادة الله التي أنقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التي ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .
 وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التي وعظها صفرنيوس بطريرك القدس في عيد ميلاد المسيح في (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهي :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر في هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وأثامنا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اتنا ، والحق يقال ، نسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التي قبلت الرب الاله ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا نرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل خوفا من سيف البدو »
 وفي موعظة أخرى :

« فإذا كمذا اذن اراده الله الأبوية ، وحافظنا بنبات على الايمان القديم ، فسنعصى عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، ونصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفي وقت قصير سنشهد بيت لحم الآتية ، وستأمل العجائب التي تحتويها . . . »
 وفي محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بنى هاجر الاشرار هي الار شاعلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين في عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد السلة بالذهاب اليها . وار القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيتة المذهب الى هذه

تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق في المسير . أما الروايات التي تزعم أن الجيوش تحركت في وقت واحد ، فلا يؤبه لها ، وكذلك الروايات التي تجعل أبا عبيدة بن الجراح الأمير الرابع ، هي على ما ظهر لنا ضعيفة . أما أن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمس الثبت . وجاء في أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء إلى يزيد بن أبي سفيان . وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله رداً في تيماء ، أي عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيداً لارسالها إلى الشام . وذكر ابن الأثير في تأريخه أنه قيل : إن أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد إلى العراق ^(١) .

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق إلى حد ما على الواقع ؟ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذي كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان مكلفين بجمع الصدقات . ولعل أبا بكر أرسله إلى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المنتصرة عملاء البيزنطيين ، إذ قد ينهز الروم الحرب الداخلية في بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة في الانتصار للمرتدين .

وليس من شك في أن أبا بكر فكر في إرسال الجيش إلى الشام عقب انتهاء حركات الردة . وعزمه على إرسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأى الصحابة لما طلبوا إليه أن يكف عن إرسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف في المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ لهذا يجوز أن يكون أبو بكر قدّم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم في الشام . ويظهر أنه استمع بعد ذلك إلى رأى عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبي سفيان في محله .

وفي رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التي عقد لها هو جيش يزيد بن أبي سفيان ، وكان هدفه البلقاء ، وطريقه طريق تبوك . ولعل عمرو بن العاص كان على رأس الجيش الثاني الذي سلك طريق الساحل من الوجه إلى أيلة ، وهدفه جنوبي فلسطين . أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحيل بن حسنة الذي يلوح أنه أرسل مدداً ليزيد بن أبي سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات . وفي التواريخ روايات تروى

ارسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبي سفيان مددا . ويتراى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث الى الشام : اما على رأس قوة قليلة ، واما وحده ليتولى امرة الشام . ولعله ترك المدينة الى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة . وذكر البلاذري أن أبا بكر أراد أن يعقد لابي عبيدة ، فاستغفاه من ذلك ، وأضاف قائلا : « وقد روى قوم أنه عقد له ، ، وليس ذلك بثبت . ولكن عمر ولاء الشام حين استخلف ، ^(١) . ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبي عبيدة في معركة اليرموك ، ولم تشر الى وجوده في معركة أجنادين الا روايات قليلة .

اذن يتضح لنا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبي سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته اللقاء . وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مددا لجيش يزيد بن أبي سفيان .

لنظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجري الآن في الجيوش التي تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص . ومع أنها كانت تتحرك على انفراد في مناطق خاصة بها ، ففي الاخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع في منطقة واحدة لتعاون على دحر العدو ، لهذا ظن الى الأمراء في هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذي تجرى الحركات في كورته .

والآن ، فلنبحث في الطريقة المثلى التي ينبغي أن تسلكها هذه الجيوش حين توغلت في بلاد الشام . فالمبادئ الحربية تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب وجهتها الشمال ، وأن تسمى في زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتي اليها منها ، ولأنها سوف تلتجى اليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها . ويلاحظ لنا أن الروايات التي ذكرت أن هدف يزيد بن أبي سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهذا نجزم بأن اللقاء كانت هدف يزيد بن أبي سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص . ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز الى أحدهما عند الضرورة .

لا نعلم شيئا عما صادفته هذه الجيوش في طريقها ، فالروايات سكنت ، وقد نستطيع

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات في وصف معركة أجنادين والتي حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائعها بوقائع اليرموك .

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية في بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية . ولما كانت فلسطين الهدف الاقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها . وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم . وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؛ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمره ابن العاص يترث في المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبي سفيان ، ويستجد بأبي بكر . تقدمت قواته في بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشتت الغزاة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب في نفوس الأهليين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت في غمر العربات ؛ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب . وفي هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقي دمشق ، فأغار على الفسائيين في عيد فصحهم في مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى .

ولعل القوات الرومية بقيادة ثودور كانت قد وصلت وقتئذ الى جلق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء . واذا أردنا أن نصدق الروايات التي جعلت فتح بصرى على يد أبي عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التي جعلت فتح بصرى على يد خالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبي سفيان في جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمر بن العاص استعدادا لمواجهة الروم . وتمت هذه المواجهة في أجنادين ، فكسر الروم في المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتوى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا في بيسان أولا ، وفي فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب في هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؛ إذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية في منازلة القلاع المستحكمة . ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التي أنجدها حامية دمشق ، في مرج الصفر . وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

إرسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبي سفيان مدداً . وبترأى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث إلى الشام : أما على رأس قوة قليلة ، وأما وحده ليتولى امرة الشام . ولعله ترك المدينة إلى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة . وذكر البلاذري أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة ، فاستغفاه من ذلك ، وأضاف قائلاً : « وقد روى قوم أنه عقد له » ، وليس ذلك ثبت . ولكن عمر ولاء الشام حين استخلف ، ^(١) . ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبي عبيدة في معركة البرموك ، ولم تشر إلى وجوده في معركة أجنادين إلا روايات قليلة .

إذن يتضح لنا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبي سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته اللقاء . وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مدداً لجيش يزيد بن أبي سفيان .

لنظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجري الآن في الجيوش التي تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص . ومع أنها كانت تتحرك على انفراد في مناطق خاصة بها ، ففي الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر إلى الاجتماع في منطقة واحدة لتعاون على دحر العدو ، لهذا طلب إلى الأمراء في هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذي تجري الحركات في كورته .

والآن ، فلنبحث في الطريقة المثلى التي ينبغي أن تسلكها هذه الجيوش حين توغلبا في بلاد الشام . فالبادي الحرة تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب ووجهتها الشمال ، وأن تسمى في زحفها إلى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتي إليها منها ، ولأنها سوف تلتجى إليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها . ويلاحظ لنا أن الروايات التي ذكرت أن هدف يزيد بن أبي سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهذا نجزم بأن اللقاء كانت هدف يزيد بن أبي سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص . ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز إلى أحدهما عند الضرورة .

لأننا نعلم شيئاً عما صادفته هذه الجيوش في طريقها ، فالروايات سكنت ، وقد نستطيع

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات في وصف معركة أجنادين والتي حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائمها بوقائع اليرموك .

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية في بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية . ولما كانت فلسطين الهدف الاقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها . وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم . وأسسا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؛ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمرو ابن العاص يترث في المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبي سفيان ، ويستنجد بأبي بكر . تقدمت قواته في بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشتت الغيرة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب في نفوس الأهليين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت في غمر العربات ؛ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب . وفي هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقي دمشق ، فأغار على الفسائيين في عيد فصحم في مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى .

ولعل القوات الرومية بقيادة ثودور كانت قد وصلت وقتئذ الى حلق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء . واذا أردنا أن نصدق الروايات التي جعلت فتح بصرى على يد أبي عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التي جعلت فتح بصرى على يد خالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبي سفيان في جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص استعدادا لمواجهة الروم . وتمت هذه المواجهة في أجنادين ، فكسر الروم في المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتوى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا في بيسان أولا ، وفي فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب في هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؛ اذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية في منازلة القلاع المستحكمة . ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التي أنجدها حامية دمشق ، في مرج الصفر . وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

فحاصروها • ولعل هذا الحصار هو الحصار الأول لمدينة دمشق • أما الثاني ، فهو الحصار الذي وقع بعد معركة اليرموك •

هكذا يتضح لنا من مجرى الحركات على هذه الصورة أن الجيوش العربية في قتالها للروم كانت تحرص دائما على أن تكون خطوط اتصالاتها وراء ظهرها ، ولم تتقدم من فلسطين الى دمشق الا بعد أن طردت الروم منها • ولم تلاق كبير غناء في حصارها الأول لدمشق • وبعد أن تم لها فتح هذه المدينة ، توجهت نحو حمص من غير مقاومة تذكر • والروايات التي تشير الى وقوع قتال بين دمشق وحمص في أثناء حصار دمشق ، لعلها تشير الى محاولات رومية مخففة استهدفت فك الحصار عن دمشق • ولم يك في استطاعة هرقل تجهيز جيش آخر بسرعة ، وقد نهكت حروب الفرس قواته ، وربكت خزانة الدولة ، وكان هذا الارتباك من الأسباب التي سهلت فتح العرب لبلاد الشام ، كما أشار اليه المؤرخ البيزنطي ثيوفانس مينا أن عدم أعطيات المرتزقة العرب جعل هؤلاء ينفرون من الروم ، وحملهم على مساعدة المسلمين • لهذا لم يستطع هرقل تجهيز جيش آخر الا سنة خمس عشرة الهجرية ، وذلك بجلب قوات من ارمينية ، والاستفادة من العرب المنصرة بعد أن أكثر الاعطيات •

ومما يؤيد وقوع معركة أجنادين قبل اليرموك أن الروايات العربية لم تذكر استرداد الجيوش الرومانية للمدن التي افتتحها العرب في زحفها من حمص الى دمشق ، فلسطين ، لمقابلة العرب في أجنادين ، كمدن بصرى ويسان وفحل وغيرها ، مما يدل على أن معركة سنة خمس عشرة الهجرية وقعت عند اليرموك ، لا في أجنادين •

يوم المعركة

تتأكد الروايات تتفق على أن معركة أجنادين وقعت في شهر جمادى الأولى ، ولكنها اختلفت في يوم المعركة ، فذكر ابن اسحاق أن المعركة كانت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، وقال الواقدي : واليقين عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى ، وأيد ابن سعد في طبقاته هذه الرواية ؛ اذ ذكر أن عمرو بن سعيد قتل في يوم أجنادين في جمادى الأولى • أما المدائني ، فذكر أن المعركة وقعت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى • وقال البلاذري : ان المعركة وقعت يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ويقال : لليلتين خلتا من جمادى الأخرى ، ويقال : لليلتين بقيتا منه • ويؤكد اليعقوبي رواية ابن اسحاق والمدائني بقوله : « رقة أجنادين كانت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى » • وأورد ابن حيش أن أبا بكر توفي بعد أجنادين

بأربعة وعشرين يوماً . وهذا يؤيد روايتي ابن اسحاق والمدائني . أما ابن عبد البر ، فكرر ما ذكره اليعقوبي بقوله : ان أجنادين كانت في جمادى الأولى قبل وفاة أبي بكر بدون شهر . وذكر الزهرى أنها وقعت في جمادى الأولى . وروى أبو خزيمة اسحاق بن بشر أنها وقعت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى . وقال السيوطي : ان الوقعة كانت في جمادى الأولى . وجاء في تأريخ الخميس أن الناس تراحفوا يوم أجنادين غداة السبت ، ثم يشير الى رواية تذكر أن المعركة وقعت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وذكر ابن خلدون أن معركة أجنادين وقعت في منتصف جمادى الأولى .

يظهر من هذه الروايات أن ابن اسحاق والمدائني واليعقوبي وابن حيش متفقون على تأريخ وقوع المعركة ، ويقول المدائني واليعقوبي : انها وقعت يوم السبت . وفي الحقيقة أن تأريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية يصادف يوم السبت . أما البلاذري ، فذكر ثلاثة تواريخ ، وجعل يوم الاثنين يصادف ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، مع أن يوم الأربعاء يصادف هذا التاريخ ، وتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الأربعاء كذلك . أما تأريخ ٢٨ جمادى الآخرة فيصادف يوم الاثنين . ولعل البلاذري غير أسماء الشهور ؛ لأن تاريخ ١٨ جمادى الآخرة وتاريخ ٢ جمادى الأولى وتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة من سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الاثنين . ولعل التاريخ الصحيح فيما كتبه البلاذري ٢٨ جمادى الأولى ، لا ٢٨ جمادى الآخرة ، وهو يتفق مع رواية ابن اسحاق واليعقوبي والمدائني .

فيتضح من كل ذلك أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية ، أي في ٣٠ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية .

أين وقعت المعركة ؟

راجع الخارطة (٢)

واذا كان في معرفة التاريخ الذي وقعت فيه المعركة بعض المشقة ، فان معرفة المحل الذي جرت فيه المعركة أشق . لقد جرت أكثر معارك الفتح الأولى في أماكن معلومة لم يطرأ عليها تبدل ما ، أو أنها ظلت سدة غير قصيرة من الزمن كذلك . وقد حدث بعض التحريف في الأسماء سببه الخطأ في النسخ ، كالباقوسة والفاقوسة والواقوسة ، من السهل تمييز الصحيح منها بمعرفة اسم المحل كما يذكره أهله . والغريب أن بعض المؤرخين لم ينتبهوا الى خطأ النسخ ؛ لهذا راجعوا يفسرون معنى الاسم المكتوب خطأ ، ويحاولون أن يجدوا صلة بين ذلك الاسم المفلوط فيه وما وقع في الحادثة ، فقالوا : سميت بالواقوسة ،

لأن الروم وقعت أعناقهم حين سقوطهم في الهاوية ، على حين أن اسم القرية التي جرت فيها آخر صفحة من صفحات معركة اليرموك هي الياقوصة ، وما تزال موجودة ، لا الواقوصة كما كتبها المستسخون خطأ . وكتب البلدان العربية مشحونة بتعليل تسمية الأعلام الجغرافية ورجع التسمية الى أصل عربي ، مع أن الأعلام المذكورة أسماء أجنبية ارامية أو فارسية لا صلة لها بالعربية .

جرت معركة اليرموك قرب نهر اليرموك ، واسم الجابية ما يزال يطلق على الرابية قرب قرية نوى ، كما أن مرج راهط الذي جرى فيه قتال بين خالد بن الوليد والغساسين أطلق عليه بعد ذلك اسم عذراء ، ولعله مرج عذراء ، كما أشار الى ذلك ابن عساكر . وقرية عذراء أو عدرا ، ما تزال موجودة ، واقعة شرقي دمشق على طريق ضمير . واسم الفجر ما يزال في خارطة فلسطين في وادي العربية قريبا في ملتقاء بالبحر الميت . أما المدن الأخرى التي حوصرت وفتحت كبصري وقيسارية ، والتي وقع فيها القتال كيسان وفحل ، فأعلام واضحة . ولكن أجنادين ومرج الصفر ليسا من الأسماء التي لها أماكن معلومة . ولا شك في أن مكانهما كان معلوما لدى من شهد وقائهما أو من ذكر خبرهما من الأخباريين الأولين . لهذا اكتفى المؤرخون بذكر اسمهما كما ورد في الروايات من دون أن يشبها من محلها .

وقد اختلف أصحاب المعجمات في اسم أجنادين ، فذكرها بعضهم بكسر الدال ، وآخرون بفتح الدال على صيغة التنثية . وكان محل أجنادين معلوما في القرن الثاني الهجري ، فان المسعودي ذكر أن نائل بن قيس قتل في أجنادين في فلسطين في عهد عبد الملك (١) .

ونذكر الآن تعريف الرواة والمؤرخين لموقع أجنادين ، وسنرى أنهم لم يتفقوا على المحل ، فقال بعضهم : انه في جنوب دمشق ، وقال آخرون : انه في الأردن . والذين قالوا انه في فلسطين اختلفوا في تعريفه . والروايات هي :

١ - قال ابن اسحاق : ان أجنادين بين اللد والرملة وبين جبرين (٢) .

٢ - وقال أبو حذيفة اسحاق بن بشر : ان أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين (٣) .

٣ - ذكر عبدالله البكري في كتابه معجم ما استعجم أن أجنادين على لفظ التنثية

(١) مروج الذهب ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٨ ، (٤٢/٣)

(٢) الطبري (٦١٠/٢) . (٣) معجم البلدان : مادة (أجنادين)

كانه تشية أجناد : موضع من بلاد الأردن بالشام ، وقيل : بل بأرض فلسطين بين الرملة وجبرون .

- ٤ - وقال النويري : ان أجنادين من فلسطين بين بيت جبرين واليرموك .
- ٥ - جاء في تاج العروس شرح القاموس : أن أجنادين موضع مشهور بالقرب من دمشق الشام كانت فيه الوقعة العظيمة بين الروم والمسلمين .
- ٦ - جاء في كتاب المؤلف والمخالف لأبي زكريا يحيى النوى : قال بعضهم : أجنادين محل مشهور في الشام بالقرب من دمشق .
- ٧ - جاء في تاريخ الاسلام للذهبي استنادا الى رواية ابن اسحاق أنه أجنادين بين الرملة وجرش^(١) .

- ٨ - ذكر ابن خلدون أن أجنادين وراء الرملة شرقا^(٢) .
- ٩ - جاء في الاستيعاب عن الحسين بن عثمان الزيادي أن أجنادين في فلسطين بين أبيال جبرين أو جبرون والرملة^(٣) .
- ١٠ - في لسان العرب لابن منظور : ويوم أجنادين معروف كان بالشام أيام عمر ، وهو موضع مشهور من نواحي دمشق ، وكانت فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم . هذا ملخص المعلومات عن موقع أجنادين ، ويتضح منه أن المؤرخين المسلمين لم يتحملوا عناء البحث في تثبيت موقع أجنادين . وإذا كان للمؤرخين القدماء ، كالبلاذري والطبري واليعقوبي ، عذر في ذلك ؛ لأنهم كانوا مقتنعين بأن المحل معروف لدى القراء ، ليس من حاجة الى تعريفه ، فليس لمن بعدهم هذا العذر ، ولا سيما أن الروايات التي استندوا اليها اختلفت كثيرا في تعريف المحل ، وكان ينبغي لهم أن يقارنوا بين هذه الروايات ، ويتحققوا من محل أجنادين ، ويذكروا الرأي الذي توصلوا اليه ، بينما نراهم يكررون قول من سبقهم . والاغرب أنهم ذكروا الاختلاف كقولهم : « وقيل ان أجنادين في فلسطين ، أو الأردن ، أو الشام » .

وسلك أكثر مؤرخي الغرب أيضا الطريقة نفسها ، فكوسن دي برسفال ذكر في كتابه تاريخ العرب أن أجنادين واقعة غربي القدس مسافة ١٥ - ٢٠ ميلا^(٤) .

(١) المجلد الأول (٣٧٥) .

(٢) المجلد الثاني (٨٥) .

(٣) الاستيعاب (٥١٩) .

(٤) انظر الى هامش (ص / ٤٤٨) من المجلد الثالث :

وذكر في (م ٤٩٩ / ٣) ، بعد أن قدم معركة اليرموك على معركة أجنادين ، أن أجنادين قرية في غربي القدس بين الرملة وبيت جبرين .

أما المستشرق الانجليزي موير Muir ، فقال في كتابه « الخلافة : قيامها وأفولها وسقوطها » ^(١) « ان الحصين (العرب والروم) تقاطعا في ميدان أجنادين المشؤوم بين الرملة وبيت جبرين يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية (٣١ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية) . يجوز اعتبار هذا التاريخ صحيحا . أما موقع أجنادين فقد اختلف فيه الراء ، ف قيل انه في شرقي الأردن ، وقيل : انه اسم لحون (مجدو) محرفا من كلمة (لجيونوم Legionum) اللاتينية ؛ لأن أجنادين مشتقة من كلمة جند (الجيش) العربية . والفرضية الأخيرة هذه تدل على أن جنوبي فلسطين كان قد فتح قبلا ، وأن المتحاربين كانوا يتقاتلون وقتئذ في فلسطين الوسطى التي سميت فيما بعد جند الأردن . والاعتراض الرئيس الذي يوجه ضد الفرضية الأولى ترك الروم لأعدائهم أرضا واسعة ودفاعهم عن مناطق بعيدة سكن أغلبها البدو ، بينما كان ينبغي أن يحموا أخطر ناحية من نواحي الانبراطورية (أي فلسطين) . »

وقال دى غويه في كتابه « مذكورة عن فتح سورية » : « ان عدم وجود اسم أجنادين في خارطة فلسطين ، ووروده على شكل تشبة جمع جند (أجناد - أجنادين) ، جعل (هانبرج - Haneberg) يشك أن تكون أجنادين الترجمة العربية لكلمة (لجيو - Legio) أي (مجدو) القديمة . لقد ذكر جغرافيو العرب هذا المحل باسم (لجون - لجيونوم - Legionum) ، ولا ينكر أهمية هذا المحل في مدخل مرج بنى عامر (سهل أزدريون) الذي كان له شأن في تاريخ فلسطين العسكرى » ^(٢) .

وقال كيتاني : « ان هانبرج أخطأ في اعتماده على مصدره الوحيد كتاب فتوح الشام المنسوب الى أبي اسماعيل الأزدى بجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك ، ولم يشأ أن يلتفت الى مصادر أخرى ، ولم يرغب في ذلك . لقد فُتس عن أجنادين في أطراف دمشق ، ولهذا ظن أن معركة أجنادين وقعت في أثناء حصار دمشق ، وافترض أن أجنادين تشبة جمع جند أي (جيش ، معسكر) ، ولاح له أنها تذكرو لاسم (Legio) الحصن الروماني الشهير الذي ذكره أوسيوس ، ويسمى الآن لجون . ويحتمل أن تكون مجدو القديمة قرب سهل مرج بنى عامر في فلسطين الشمالية ولكنه استند فيما بعد الى

(١) The Caliphate : Rire, decline and fall. الطبعة الأخيرة ، (ص ٧٠)

(٢) Mémoire sur La Conquete De Syrie (ص ٤٤)

أسباب أخرى ، واستنتج منها أن موقع أجنادين يجب أن يكون في شرقي الأردن ، ملاحظاً أنه يشبه كثيراً كلمة (مخنايم) الواردة في الكتاب المقدس التي تعني جند - جندين ، أى معسكرين . ولما لم يتمكن من تثبيت المحل ظن أن موقع أجنادين يجب أن يكون بين حمص وحصى ، خلافاً للمصدر الذى اعتمد عليه^(١) .

وذكر كيتانى فى هامش الصفحة الـ (٣٣) أن برنيسه (Pernice) يرى أن معركة أجنادين هى المعركة التى سماها المؤرخ الأرمنى سبؤس معركة (ربوث موآب)^(٢) . فأجنادين هى ربوث موآب . وبذلك تجنب جميع الدلائل الواردة فى المصادر العربية ، واعتمد على سبؤس وحده برغم انتقاده للغلطات والارتباكات الكثيرة فى كتابه . ويستند برنيسه فى رأيه هذا الى ما زعمه هانبرج من أن أجنادين واقعة فى شرقي الأردن ، بينما لا يوجد مصدر عربى وضع أجنادين فى شرقي الأردن . والذى أوقع برنيسه فى هذا الخطأ الفاحش قول سبؤس : ان المعركة وقعت فى بلاد العرب ، بينما كلمة Arabia الواردة فى نصه لاتعنى بلاد العرب ، انما تعنى (العرب) التى ذكرها مؤرخو العرب حيث جرى فيها قتال بين الروم والعرب . لقد خلط سبؤس بين معركة العرب ومعركة أجنادين .

ثم أشار كيتانى الى استنتاجات (فون سيتزن Von Seetzen)^(٣) الذى ارتأى أن أجنادين شمال شرقي دمشق ، لوجود محل يشبه أجنادين نفذاً يسمى جادين ، أو جيادين . ولكنه بعد أن علم أن الاسم الحقيقى هو (جب عدين) أخذ يفتش عنه شرقي جبل حوران ، أى على حدود البادية .

أما (وايل - Weil) ، فانه - بالرغم من استناده الى المصادر العربية المختلفة - أشار فى كتابه تاريخ الحلفاء الى أن موقع أجنادين ينبغى أن يكون شمال شرقي الرملة فى اتجاه الأردن .

وكذلك اكفى مولر بما ذكره المؤرخون العرب .

ولنعد الآن الى ماجاء فى المصادر العربية ونوازن بينها ، لتوصل الى الحقيقة فى تثبيت موقع أجنادين . واذا أهملنا الروايات التى تجعل أجنادين فى الشام والأردن ، وقد رواها البكرى والنوى والزبيدى صاحب تاج العروس ، نرى أن الروايات الأخرى

(١) الجزء الأول : Annali Dell, Islam س (٢٧/٣) .

(٢) Angelo Pernce مؤلف كتاب الانباطور هرقليوس ، طبع فلورنسة سنة ١٩٠٥ .
Raboth Moab قرية ربه الواقعة شمال الكرك شرقي البحر الميت .

(٣) حوليات الاسلام ، الجزء نفسه (ص ٢٧) .

تتفق على أن أجنادين في فلسطين قرية من الرملة ، كما جاء في رواية ابن اسحاق وابن حذيفة ورواية البكري الثانية وابن خلدون . أما رواية النويري ، فقد جعلت أجنادين بين بيت جبرين واليرموك ، وبذلك قاربت الروايات الأخرى . وأما رواية الزيادي في الاستيعاب فتجعلها بين أبيال جبرين وحبرون . واذ ليس هنالك موضع باسم أبيال جبرين في فلسطين، ولا سيما في جوار حبرون ، فلا بد أن تكون كلمة أبيال قد حرفت بالنسخ من أبيات أو بيت ، فيكون الصحيح بين بيت جبرين وحبرون ، أي مدينة الخليل التي كانت تسمى قديما باسم حبرون ، وجاء ذكرها في معجم البلدان لياقوت . ولعل كلمة جبرون الواردة في رواية البكري الثانية ، محرفة من اسم حبرون .

هكذا يتضح لنا أن الروايات كادت تتفق على أن أجنادين موقع بين الرملة وبيت جبرين ، أضف الى ذلك روايتين جعلتهما بين الرملة وحبرون ، فينبغي لنا اذن أن نقف عن هذا الموقع في مثل رؤوس الرملة وبيت جبرين وحبرون . على أن رواية ابن اسحاق التي ذكرها الذهبي تلقى بعض الضوء على كشف الموقع ، وقد جاء في هذه الرواية أن أجنادين بين الرملة وجرش . ومن الطبيعي ألا تكون جرش هذه قصبة جرش الواقعة شرقي الأردن ، لأنه لا يعقل أن تكون القصبة المذكورة أداة تعريف ، أولا لأنها بعيدة كثيرا عن الرملة ، ثانيا لوجود مواقع أخرى مشهورة كالقدس ونهر الأردن . فلا بد أن تكون جرش الواردة في الرواية موقعا آخر قريبا من الرملة . وإذا نظرنا الى خوارط فلسطين القديمة ، ولاسيما الخوارط الحديثة أخص منها بالذكر (خارطة فلسطين مقياس واحد على مئة ألف المطبوعة في دائرة مساحة حكومة فلسطين السابقة) نجد قرية تسمى « جرش » بين لطرون وبيت تيف ، أي جنوبي شرقي الرملة على بعد خمسة وعشرين كيلومترا . ولا يستبعد أن الرواية تشير الى هذه القرية بحيث يصح أن تكون واسطة تعريف لموقع أجنادين . وجاء في رواية النويري أن أجنادين بين بيت جبريل واليرموك . أما كلمة جبريل فمحرفة من جبرين . وأما اليرموك ، فلا يمكن أن يكون نهر اليرموك ؛ لأنه بعيد جدا عن بيت جبرين ، ولأنه توجد مواقع شهيرة كنابلس وجنين وبيسان بل حتى طبرية ، بين نهر اليرموك وبيت جبرين . لهذا يجوز أن يكون اليرموك هذا اسما لموضع يسمى « يرموك » قريبا من الرملة . وفي هذا الصدد أيضا تساعدنا في البحث خوارط فلسطين القديمة والحديثة ، لأنه توجد خربة في شمال بيت تيف تدعى يرموك أو برموث ، وهي واقعة الى جنوب غربي جرش على مسافة خمسة كيلومترات ، والى

شمال غربي بيت جبرين على مسافة خمسة عشر كيلومترا • وسرى فيما توصل اليه دى جويه ، والمستشرق الروسى مديكوف ، أن وجود هذا الموضع بالقرب من أجنادين أدى الى ارتباك المؤرخين القدماء فى خلط معركة أجنادين بمعركة اليرموك • « ويرموك » هذا ، موقع قديم ، ورد ذكره فى سفر يشوع فى العهد القديم باسم يرموث كما جاء فى الاصحاح العاشر ، الاية الرابعة : « فأرسل ادوين • صادق ملك أورشليم الى هوام ملك حبرون وفيرام ملك يرموث • • والاصحاح الخامس عشر ، الاية (٣٥) : « وزانوح وعين جنيم وتفوح وعينام ويرموث • • والاصحاح الواحد والعشرين ، الاية (٢٩) : « ويرموث ومسرحها • • ومن السهل قلب يرموث الى يرموك فى الاستسناخ • ويجوز أن اسم يرموث انقلب الى يرموك مع الزمن ، فكانت القرية فى زمن الفتح تسمى اليرموك •

وذكر كيتانى فى الهامش من الصفحة (٢٩) من الجزء الأول من المجلد الثالث نكتبه الاتف الذكر أن الأستاذ (نلينو) لفت نظره الى أن فى بعض الحوارط الحديثة جاء اسم خربة يرموق باقاف بدلا من يرموك بالكاف •

وإذا صح هذا الاستنتاج ، أى أن جرش الواردة فى رواية ابن اسحاق هى قرية جرش الواقعة الى جنوبى النبطوس ، وأن يرموك الواردة فى رواية التويرى هى خربة يرموث الواقعة الى شمالى بيت تيف ، وجب أن نبحت عن موقع أجنادين فى المثلث الواقع بين الرملة وجرش وبيت جبرين •

والآن نذكر ما توصل اليه دى جويه من بحث مستفيض فى كتابه « مذكره عن فتح سورية • • والحق انه أول من بحث بتدقيق وانعام نظر فى موقع أجنادين ، ففند الروايات ووازن بينها ، واستند الى مجرى الحوادث ، معتمدا على أصح الروايات وأوثقها سواء أكانت اسلامية أم أجنبية ، وانتهى من بحثه الى تثبيت المنطقة التى ينبغى أن يقع فيها موقع أجنادين •

قال دى جويه : « ان هناك ثلاثة افتراضات يجب أن نختار أحدها ^(١) •

الفرضية الأولى : تفترض أن أجنادين فى ضفة الأردن الشرقية • ومن الداعين اليها هانبرج • وقد حاول أن يجعل أجنادين فى شرقى حوران ، واستند فى محاولته الى كتاب فتوح الشام الذى طبعه Lees فى كلكتة المنسوب خطأ الى الواقدي • وإذا سح زعم هانبرج وجب أن تنسب المعركة على حدود سورية الشرقية ، وفى هذه

الحالة تصبح خطرة العرب الحربية ، وكذلك خطرة الروم غير مفهومة ؛ لأن الحدود المذكورة كانت دائما معرضة للغارات البدوية . وقد ناط الروم أمر اندفاع عنها بالعرب القاطنين فيها ؛ فضلا عن أن أهلها ، وهم سكان حوران والبلقاء ، كانوا يميلون الى العرب ؛ لهذا كيف يفترض أن الروم يرسلون خيرة جنودهم للدفاع عنها ، ويتركون فلسطين مفتوحة بوجه العرب وهم يعلمون أن العرب في حربهم هذه يستهدفون فتح البلاد وامتلاكها لا غزوها ؛ والعرب يفضلون ارسال قواتهم اليها ، بدلا من أن يحشدوها في حوران والبلقاء ؛ لأنهم يعلمون أن فتح فلسطين يجعل تلك البلاد في قبضة يدهم بلا فتسال .

أما الفرضية الثانية ، فتفترض أن أجنادين في عمالة الأردن ، وهي شمال فلسطين . وكان سبب ذلك أن خوارج فلسطين لا تذكر اسم أجنادين . ومن المتحمسين لهذه الفرضية هانبرج أيضا ، وتفترض ، كما قلنا من قبل ، أن أجنادين تنبئ أجناد ، جمع جند ، وهي ترجمة Legio اللاتينية التي تعني الجند ، أي مجدو القديمة .

وقول دى جويه : ان رواية البلاذري قد تؤيد هذه الفرضية ، اذ ذكر البلاذري : أن أول الناس الذي حاصر قيسارية عمرو بن العاص . نزل في جمادى الأولى سنة ٦٣ هـ ، فكان يقيم عليها ما أقام ، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم ، سار اليهم ، فشهد أجنادين (١) .

يظهر من ذلك أن عمرو بن العاص ذهب من قيسارية الى أجنادين ، فتكون أجنادين وقتئذ من عمالة الأردن ، أي في شمال فلسطين . واذا صحت هذه الفرضية ، فينبغي التفتيش عن غمر العربية في شمالي فلسطين بدلا من جنوبها ؛ لأن أكثر الروايات تؤيد انصار عمرو بن العاص في غمر العربات قبل مجيئ خالد وذهابه منها الى أجنادين ، بينما يقع غمر العربية في غور فلسطين قريبا من ملتقى البحر الميت بوادي العربية . أضف الى ذلك أن فتح أجنادين مهد لسقوط غزة ، لا سقوط قيسارية .

وأما الفرضية الثالثة : فهي التي توافق رواية ابن اسحاق التي جعلت أجنادين بين الرملة وبيت جبرين . وهي تتفق تمام الاتفاق مع سير الحركات في جنوبى فلسطين قبل نشوب معركة أجنادين . وقد أشرنا من قبل الى مجرى الحركات فيها وكيف أنها انتهت الى اجتماع الجيوش العربية في أجنادين . وذكر دى جويه اجتماع الروم في ثنية جلق كما جاء في رواية سيف بن عمر في تاريخ الطبري جعل مسيره نحو

أجنادين . وقال سيف بن عمر : « وأرسل هرقل الى عمرو أخاه تذارق لائيه وأمه ، فخرج نحوهم في تسعين ألفا ، وبعث من يسوقهم ، حتى نزل صاحب الساقة في ثنية جلق بأعلى فلسطين ، . وقد حاول دى جويه أن يقتل عن موقع جلق في شمالي فلسطين شمال الخط الذى يصل بيسان بقيسارية ، وقال : انه من المشكوك فيه أن يكون في هذه المنطقة ، ثم ذكر الرواية التى تجعل جلق في قرب دمشق كما جاء في شعر حسان ابن ثابت :

لله در عصابة نادتهم يوما بجلق في الزمان الأول

وأراد أن يجعل جنين محرفة من كلمة جلق ، وجنين واقعة - كما نعلم - شمالي نابلس ، في المنطقة الجبلية التى تسيطر على مرج بنى عامر . وقال : ينبغى أن تكون ثنية جلق هنا . وذكر ان هذا التحريف أمر طبعى لدى النساخ (١) .

وقال دى جويه : ومما يؤيد أن أجنادين في جنوبى فلسطين شعر زياد بن حنظلة :

ونحن تركنا أرطبون مطيرا الى المسجد الأقصى ، وفيه حصور

عشية أجنادين لما تابعوا وقامت عليهم بالعرء نسبور

وأرطبون هذا : قائد الروم في أجنادين . ولاجل أن تسحب فلول الروم بعد المعركة الى القدس « المسجد الأقصى » ، ينبغى أن يكون ميدان القتال واقعا غربى المدينة ، أو الى جنوبى غربها ، أى في جنوب فلسطين لا في شمالها . واليت هذا يؤيد ما ذكره أوطيخيوس أن عمرو بن العاص دخل كورة غزة بعد مجيئه من المدينة . ولما رأى أن قواته لا تكفى لفتح المدينة ، كتب الى أبى بكر ، وطلب اليه إرسال التجدة ، فأمر أبو بكر خالدًا بالذهاب الى الشام . ولما انضم هذا القائد الى عمرو ، حاصر مدينة غزة ، وبعد مفاوضات مخففة جابه في أنثائها خطرا كبيرا لم يتخلص منه الا بفراصة

(١) لم ينتبه دى جويه الى أن جلق قد تكون محرفة من جلين ، وهى قرية واقعة جنوبى تل الجابية على بعد عشرين كيلومترا يمر بها طريق (دمشق - أذراء) ، ويهبط منها الى أعالي وادى اليرموك مجتازا عقبة أوثنية . ولابد أن جيش تذارق قد نزل بالجابية مترقبا أخبار جيوش المسلمين . وقدم صاحب الساقة الى قرية جلين أو جلق ، ولما تأكد أن المسلمين يحتشدون في الجنوب بغية الدخول في فلسطين ، ترك الجابية واجتاز نهر الأردن . ودخل شمالي فلسطين فانضمت اليه قوات من قيسارية ، ثم تقدم نحو أجنادين . ويظهر من رواية سيف بن عمر أن صاحب ساقة تذارق نزل بجلين ، أو جلق ، مراقبة قوات المسلمين في البلقاء ، وحماية القسم الأكبر من جيش الروم حين اعتزاهم المسير نحو فلسطين . وبظننا أن هذا الاستنتاج يوافق مجرى الحركات العسكرية . ولما كان الاسم ورد في بيت حسان بن ثابت « جلق » لا « جلين » فلا يستبعد أن يكون بمرور الأيام تغير الى جلين .

مولاه وردان ، وقعت معركة في أجنادين منى الروم فيها بهزيمة نكراء ، والتجأت
فلولهم الى القدس وقيسارية .

ويشير دى جويه بعد ذلك الى رواية سعيد بن عبدالعزيز التنوخى نقلا عن
البلاذرى ^(١) جاء فيها : أن المسلمين اجتمعوا عند قدوم خالد على بصرى ، ففتحوها
ضلحا ، وانتشوا فى أرض حوران جميعا ، ثم مضوا الى فلسطين والأردن . ثم قال
دى جويه : « اذا كان هدف المسلمين غزة وفلسطين ، فيتوقع أن تنشب المعركة أيضا
فى فلسطين . ويؤيد ذلك شعر زياد بن حنظلة من جهة ، وما ذكره أوطيخيوس من
جهة أخرى . » ثم أشار الى الارتباك الذى أوقع مؤرخى المسلمين فى الخلط بين معركة
اليزموك ومعركة أجنادين ، وتقديمهم الواحدة على الأخرى ، الى أن قال : « ان سيفا
(سيف بن عمر) جعل معركة (اليرموك - الياقوصة) المعركة العظيمة الأولى التى
وقعت فى سورية ، بدلا من معركة أجنادين ، استادا الى روايات قديمة مازلتنا نرى
آثارها لدى البلاذرى والمداينى ، بالرغم من أنهما قدما معركة أجنادين على معركة
اليزموك ستين ؛ لأنهما يتحدثان عن مناوشة جرت فى الياقوصة بعد معركة أجنادين
بعدة قصيرة . »

نذكر رواية البلاذرى التى ذكرها دى جويه آنفا : قال البلاذرى : « قالوا ثم
جمعت الروم جمعا بالياقوصة ، والياقوصة واد فمه الفوارة ، فلقههم المسلمون هناك » ^(٢) .
ثم يقول دى جويه : « وقعت معركة الياقوصة فى المكان الذى ينصب فيه وادى
الياقوصة فى وادى اليرموك . وكان من أمر ذلك أن المعركة سميت تارة باسم النهر ،
وتارة أخرى باسم الوادى . لقد وجد هذان الاخباريان فى بعض الروايات التى استندا
اليها خبر معركة الياقوصة . ولأجل أن يحافظا على تاريخ وقائعهما من جهة ، ويظلا
تمسكين الى حد ما بتلك الروايات من جهة أخرى ، سوغا لأنفسهما - بتمحيص
غريب بعض الغرابة - أن يجعلوا من معركة واحدة معركتين ، وأن يسميا كلا منهما
بأحد الاسمين الواردين فى الروايات المذكورة . فضلا عن أنه يستبعد جدا أن ينشب
قتال مرتين فى محل واحد ، فانه يستحيل جغرافيا وقوع المعركة فى الياقوصة بين
معركة أجنادين ومعركة فحل . أضف الى ذلك انه ليس هنالك سبب ما يؤيد افتراض
وجود نهرين أو وادين بالاسم نفسه .

ويظهر من ذلك أن الرواية التى تشير الى أن معركة اليرموك وقعت هنا ، هي

رواية قديمة جدا ، فلا يصح أن تعد محض تلفيق ابتدعه سيف • ولكي ترى كيف نشأت تلك الرواية ، أذكر ما تراءى لى فى هذا الصدد فاقول : جعل ابن اسحاق موقع أجنادين بين الرملة وبيت جبرين • أما البكرى ، فقد جعله بين الرملة وجبرون (جبرون) • ويوجد موقع يرموث القديم قرب هذين الموقعين ، وهو موقع كان يسمى فى عهد أرسوس وجيروم (يرموثا) حيث عده (روبنسن) الموقع الذى نشبت فيه معركة اليرموك (١) .

ثم قال دى جويه : « اذا قلنا أن أجنادين واقع قرب يرموث ، أمطنا اللام فورا عن الغموض الذى أحاط بالأمر • هكذا يتضح لنا كيف أن معركة أجنادين لاحتلقت ، أو كادت تحتلظ بمعركة اليرموك • فيتجلى لنا لماذا ذكر أحد المؤرخين أن البطل الفلاني استشهد فى معركة اليرموك ، بينما قال مؤرخ آخر أن ذلك البطل استشهد فى أجنادين • »

وبعد أن أشار دى جويه الى ما أورده البلاذرى من أسماء بعض الصحابة المعروفين الذين قتلوا فى أجنادين ، أورد قول البلاذرى : « ويقال انهم قتلوا فى اليرموك • » وينظر دى جويه ان استبدال يرموك بيرموث ، كان من أهم الأسباب التى أدت الى الارتباك الغريب فى تأريخ وقائع فتوح الشام (٢) .

ويستدل مما سبق على أن الساحة التى جرت فيها معركة أجنادين ينبغى أن تكون فى المثلث الذى يؤلف رؤوسه كل من موقع الرملة وجرش وبيت جبرين ، وألا تكون بعيدة عن خربة يرموك • ومما يلفت النظر أن الحوارط القديمة والحديثة التى ذكرت قرية جرش وخربة يرموث - ويرجع عهد هذا المكان الى قبل عهد يسوع - لم تشر الى أجنادين •

ترى أطلق العرب كلمة أجنادين على يوم من أيامهم جرى فيه القتال بينهم وبين الروم ، جريا على عادتهم فى الجاهلية فى تسمية الأيام أم هى كلمة معروفة من عمل النسخ • وقد نرى لدى جويه هذا الظن فى كتابه ، فقال : « كنت أرى قبلا أنه من الخائز أن أجنادين اسم جنس صيغ من تشية جمع جند ، مضطرب الى وقعة أو يوم اطباقا على قاعدة جمع المجموع فى اللغة العربية كخمايم (الجدار المضاعف) وكما هو شائع فى اللغة العربية • فيوم أجنادين قد يعنى وقتذ المعركة التى جرت بالجيشين المجتمعين ، جيش الشام وجيش العراق ، الا أن هذا الظن خطأ ؛ لأن أجنادين فى

(١) مذكرة عن فتح سورية (٥٨ و ٥٩) •

(٢) مذكرة عن فتح سورية (٦٠) •

هذه الحالة لا يمكن أن تستثنى عن حرف التعريف (يريد أن يقول يوم الأجنادين) ، أضف الى ذلك أن كلمة أجنادين أو أجنادين لم ترد بشكل اسم خاص في شعر زياد ابن خنظلة وفي شعر كثير - كما ذكره ياقوت والبكري^(١) فحسب . ولكن ذكرها المسمودي في كتابه مروج الذهب حينما يقول : ان نائل بن قيس قتل في وقعة أجنادين في فلسطين في عهد عبد الملك^(٢) .

يعتقد كيتاني أن المشرق الرومي ميدنيكوف هو أول من كشف السبب الذي وضع اسم أجنادين ، وخلاصة ما ذكره كيتاني من كشف ميدنيكوف هي : أن ميدنيكوف استند في بحثه الى ما توصل اليه دى جويه من أن المعركة ينبغي أن تجري قرب خربة يرموث أو يرموك ، واستشهد بخارطة دليل فلسطين ليديكر ، وقال ان الخربة تقع في جوار ملتقى الطرق الممتدة بين غرة وبيت جبرين وبين بيت جبرين والقدس وبين بيت جبرين والطررون والرملة . ويمتد وادي السمط في جنوبي الخربة ، وهو يؤلف خط دفاع بين المعسكر العربي والمعسكر الرومي ؛ لأن الروم بواسطة هذا الخط الدفاعي يحتفظون بخطوط مواصلاتهم سواء بالقدس أو باللد أو بيسارية التي كانت من أهم المراكز العسكرية في فلسطين .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم وعسكر الروم في شمال الوادي قرب خربة يرموك . وفي جنوب الوادي موقعان وهما الجنباء الغربية والجنباء الشرقية ، والطريق يمر من بينهما ، وارتفاع الأولى (٩٥٠) قدما ، وارتفاع الثانية (١٢٤٥) قدما . أما ارتفاع خربة يرموك فهو (١٤٦٥) قدما . وقد عسكر الروم في هذا الموقع المسيطر المشرف على وادي السمط ، فحفظوا خط الاتصال بالقدس وبيسارية على جانبيهم .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم سمو المعركة بمعركة الجنايتين ، كما استعملوا كلمة الأباين في تسمية الجبلين الواقعين في نجد ، وكما سمو الأشمونين في مصر للدلالة على تنية أشمون . ويضيف كيتاني قتيلا : « لهذا توصل ميدنيكوف الى افتراض موفق عبقرى بافترضه أن اسم أجنادين يمكن أن يكون من خطأ النساخ الذين وجدوا كلمة الجنايتين بغير علامات . ولما كانوا يجهلون محل هذين الموقعين ، قلبوا الكلمة الى أجنادين . وهذا ارتباك سهل معرفته

(١) شعر كثير المذكور في كتاب معجم ما استعجم للبكري هو :

فلا تكن بالشمام دارى مقيمة فان بأجنادين كنى ومسكنى

(٢) مذكرة عن فتح سورية : (ص ٥٩ و ٦)

إذا ما كتبت الكلمات بحروف من غير علامات ، (١) .

ثم قال كيتانى ما يلى : « اذا صح أن أجنادين تحريف الجانبين ، لزمنا - خلافاً لندى جويه - أن نفضل كتابة أجنادين (بفتح الدال) على أجنادين (بكسر الدال) » (٢) .
وأخيراً يلخص كيتانى بحثه المسهب عن موقع أجنادين ، فيقول : « انه قد جمع كل امواد المتعلقة بالقضية ، وقد يتجلى للدارس الامور الاتية التى لا يسهه أن يبدى فى شأنها انتقاداً ما :

(١) أن اسم أجنادين غير قياسى ، ولا بد أن يكون محرفاً ، كما حرف الساخ كلمة يقوصة الى واقوصة .

(٢) أن معلومات المصادر كلها ، باتفاق أكثرية المطلعين الموثوق بهم ، تجعل معركة أجنادين فى جوار خربة يرموك وبيت جبرين .

(٣) يوجد فى طرف ميدان المعركة موقعان يسميان بالجنابة ، تنى بالجانبين ، وإذا ما كتبت هذه التنية بغير علامات أشبهت كثيراً كلمة أجنادين .

ثم يقول : لكل امرئ أن يختار النتائج التى يفضلها . وإذا كان افتراض ميدنيكوف خاطئاً ، فإن ذلك لن يضمف قيمة النتيجةين الآخرين .

وصف طبغرافى للأرض التى نظن أن المعركة وقعت فيها .

(راجع الخارطة ٣)

ولما أنهى دى جويه بحثه التأريخى والجغرافى الثمين عن معركة أجنادين ، قال : ان درس حالة الأرض فى جوار خربة يرموك يميظ اللام عن الموضع الذى جرت المعركة فيه ، ويكشف عن كلمة أجنادين أهى استنباخ عربى للاسم الرومى القديم (اجنابتون) أم هى ترجمة (٢) .

وذكر كيتانى أن مشاهدة الأرض وتدقيقها توصلان الباحث الى التأكيد منها هل كانت صالحة لنشوب معركة فيها ؟ وقال : انه فكر مرات أن يذهب لمشاهدة الأرض ، ثم حاول ذلك ولكنه لم يوفق ، لهذا رجا من المستشرق جوزيف هورويج الذى زار الشرق سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م ، أن يدرس حالة الأرض ، فشاهد هذا المستشرق الأرض سنة ١٩٠٦ م ، ودرسها ، وأخذ تصويرها ، ثم كتب الى كيتانى يقول : ان نظرة يلقيها

(١) هامش (ص ٣٣) .

(٢) حوليات الاسلام : الجزء الأول من المجلد الثالث (ص ٣٣) .

المرء على الأرض تجعله يقتنع كل الاقتناع أنها صالحة جدا من الوجهة الطبغرافية والعسكرية لنشوب معركة فيها ، وبذلك أيد ما وصل إليه دى جويه وما استنتجه ميدنيكوف . فأبدى كيتاني بعض الملحوظات العسكرية ، وتساءل : هل حالة الأرض بمساعدة لنشوب معركة كبيرة فيها ؟ ويجب أن ما وصفه هورويج وما جاء في الصور وما رسم في الخارطة يؤيد ذلك . فحالة الأرض تصلح لحركة قوات كبيرة فيها ، وهي متموجة غير وعرة ، تتحرك الجيالة فيها بسهولة . ويمر وادى السمط من الثلث الذي تؤلف رؤوسه خربة يرموك والجنابة الشرقية والجنابة الغربية ، ويجرى موازيا لها . وهو عريض تسيطر عليه خربة يرموك ، رأس الثلث ، في محل مركزي في وسط الطرق . والأرض بين الخربة والوادى متموجة ومسورة بأدغال ، والآثار الباقية تدل أنها كانت مسكونة فيما مضى . وخربة يرموك واقعة فوق رابية على جانب المرتفع . وتمتد هضبة متموجة الى الجنوب نحو الوادى ، وتتخللها تلول صغيرة . ويمكن الجزم أن الروم اجتلوا هذه الهضبة المسيطرة على وادى السمط الممتد من الشرق الى الغرب . والموضع قوى ، يستر خطى المواصلات في جانبيه .

وفي الضفة الجنوبية للوادى يمتد خط مؤلف من رواب تقوم أنقاض الجانبين في جانبيه . والجنابة الغربية أقل ارتفاعا من الجنابة الشرقية ، وهي واقعة على هضبة واسعة ، الحد الغربي لوادى السمط . واذ أن الروم أتوا من الشمال ، والعرب تقدموا من الجنوب ، فيقتضى أن يكون خط الروابي المرتفع بين الجانبين الموضع الذي احلله العرب قيل المعركة ؛ لأنه يسهل الدفاع عنه ضد الروم من جهة ، ويصلح من جهة أخرى للمهجوم على موضع الروم .

ثم يقول كيتاني : اذا كانت هذه الاستنتاجات صحيحة ، يستتبط منها أن انتصار العرب تطور الحركات الحربية من الجانبين نحو الشمال الى وسط الوادى ، ثم امتدت حتى موقع يرموك (١) .

النتيجة

أثبتنا فيما سبق كل ما قيل عن أجنادين ، وواظنا بين الروايات ، وانهينا من بحثنا الى أن معركة أجنادين وقعت بين الرملة وبيت جبرين قرب خربة يرموك ، ورأينا أن دى جويه وكيتاني بحثا الموضوع بعناية ودراية ، وأن المستشرق الروسى ميدنيكوف أيد رأي دى جويه ، وزعم أنه كثيف بسبب تسمية العرب للمعركة بأجنادين . وقد أيد

كيتاني في زعمه هذا الى حد ما .

أما أن المعركة وقعت في فلسطين ، فلا شك في ذلك ، ونقصد بفلسطين هذه القسم الجنوبي من فلسطين ، أي القسم الواقع جنوبي خط يوصل القدس بقيسارية ؛ لأن العرب سموا البلاد الواقعة شمالي هذا الخط بالأردن . فطبرية ويسان ونابلس وقيسارية وعكا من الأردن ، وغزة وعسقلان وبيت جبرين وحبرون واندلس والرملة من فلسطين . والذي يفهم من الروايات العربية المتضاربة والأخبار الرومية والسريانية ، ولا سيما ما كتبه أوطيخيوس ، أن عمرو بن العاص دخل فلسطين من الجنوب ، وتقدم في كورة غزة ، ونشب قتال بينه وبين بطريق غزة . ولما تأكد أن الروم أقوىاء تسحب الى الفمر في غور العرب ، وطلب النجدة من أبي بكر . أما الروم ، فلما بلغهم أن العرب توغلو في جنوبي فلسطين ، وأنهم يستهدفون الفتح لا الغارة ، اهتموا للأمر . ولا بد أن بطريق القدس استنجد بهرقل ، فبعث هذا أخاه ثودور على رأس قوة على أن تنضم اليه بعض الحاميات المرابطة في أنحاء فلسطين . فصار هذا بجيشه من حمص حيث كان هرقل ، وأرسل من يسوق قوته حتى نزل صاحب الساقة بنية جلق . وهذا الموقع هو - كما ذكرنا آنفا - في جنوبي الجابية على طريق (دمشق - اذرعات) . ولعل صاحب الساقة كلف مراقبة قوات يزيد بن أبي سفيان وشرجيل بن حسنة في شرقي الأردن . ثم أتى خالد بن الوليد بجنده من العراق ، واجتمع بتلك القوات ، وبعد فتحه بصرى تقدم نحو الجنوب على رأس القوات المذكورة ، والتقى بجند عمرو بن العاص في الفمر . ولا يستبعد أن جيش الروم مكث مدة من الزمن قرب الجابية يراقب حركة جيش خالد . ولما علم أن خالدا سار نحو الجنوب ، ترك الجيش الرومي الجابية هدفه فلسطين ، فاجتاز الأردن ، وتقدم الى وسط فلسطين . وكان هدفه الأول حماية القدس وبيت لحم ، فوصل الى الخط الذي يوصل القدس بالرملة ، وارتأى قائده الوقوف في أطراف خربة يرموك شمال وادي السمط ، وبذلك يكون قد اختار موضعا مركزيا لسد الطرق بوجه المسلمين اذا أرادوا التقدم نحو القدس أو نحو قيسارية قاعدة البلاد . وفي هذا الموضع تلتقي الطرق الرومانية القديمة . ولما رأى قائد الجيش الرومي صلاح هذا الموضع للدفاع والهجوم ، عسكر في الهضبة الممتدة جنوبا نحو وادي السمط جعل طريق القدس على جانبه الأيسر ، وطريق (الرملة - قيسارية) على يمينه . وبذلك يكون قد اختار موضعا جنيبا ، كما يصر عنه في المصطلحات العسكرية ؛ لأنه يسهل جميع الطرق القادمة من الجنوب ، ويضطر العدو الى مهاجمته ،

ولا يمكن للقوات العربية أن تترك الجيش الرومي على جانبها ، وتتقدم نحو القدس أو فبسارية •

وبلوح لنا أن الجيش الرومي سبق القوات العربية في احتلاله هذا الموضع ؛ لأن الطريق بين الجابية وخربة يرموك أقصر كثيرا من الطريق التي قطعها خالد ، مجتازا شرق الأردن من الشمال إلى الجنوب ، حتى وصل إلى الغور في جنوبي البحر الميت ، واجتمع بجند عمرو بن العاص في وادي العربية • ثم سارت القوات جميعها نحو الشمال الشرقي ، فتجنبت المدن الحصينة كجبرون وغزة وغيرها ؛ لأن الروايات لم تسهب في فتح مدن فلسطين قبل معركة أجنادين • أما ما ورد من أخبار فتوح بعض المدن قبل أجنادين ، فلا بد أنها تخص فتوحات وقعت بعد الانتصار • وأخيرا تقدمت القوات العربية شمالا ، ولما وصلت جنوب وادي الصمت ، عسكرت في الهضبة الجنوبية ، وجعلت الوادي ستارا لها • ولعل انتفاة العرب قد استخبروا من أهل البلاد عن حركة الجيش الرومي ، وعلموا أنه يعسكر في الشمال ، وتؤيد ذلك رواية الطبري ، إذ قال : « فخرج (عمرو بن العاص) حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم » (١) •

ان من ينظر إلى خارطة فلسطين (مقياس ١ : ١٠٠٠٠٠) ، وكذلك الخارطة المفصلة (مقياس ١ : ١٠٠٠٠) ، ويدرس حالة الأرض وأوصافها الطبغرافية على طرفي وادي الصمت ، يتبين له صلاح تلك الأرض للمقاتل في الدفاع وفي الهجوم على حد سواء • إلى هنا يستمر البحث منسجما أقرب ما يكون إلى الواقع ، ومنطبقا على المقضيات العسكرية • انما الذي لا يدعو إلى الاطمئنان زعم ميديكوف أن أجنادين محرفة من الجانبين ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) إذا صح هذا التعريف ، يكون قد وقع في زمن متقدم جدا ؛ لأن كلمة أجنادين وردت في جميع المصادر العربية القديمة بلا استثناء ، ولا سيما رواية يعقوبى الباحثة عن مقتل نائل في زمن عبد الملك ، فانها تشير إلى أجنادين نفسها •

(٢) ينبغي أن تكون قريتا الجابية الشرقية والخابية الغربية موجودتين في زمن الفتوح ، والواقع أن كلمة جابية عربية ولا يوجد في المعجمات الجغرافية القديمة موقع جابية في فلسطين ما عدا الجابية الواقعة في بلاد فارس كما ذكرها ياقوت في معجمه قاتلا : بلدة صغيرة من سواحل فارس •

(٣) لا نظن أن القرى العربية قد انتشرت كثيرا في فلسطين في زمن الفتوح •

ويلوح لنا أن القريتين المذكورتين أقيمتا بعد الفتح حينما استوطن العرب فلسطين . لهذا لا تتفق مع مديكوف وكيثاني على أن كلمة أجنادين محرفة من الجنابتين . ويرأى لنا أن الاستدلال الأقرب الى الواقع ما ارتآه دى جويه من أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، بالرغم من أنه عدل عن رأيه هذا مستندا الى أنه كان ينبغي أن يسبق الاسم حرف تعريف ، كقولك يوم الأجنادين ، أو وقعة الأجنادين ؛ ولأن يعقوبى أشار الى مقتل نائل فى أجنادين فى فلسطين فى عهد عبد الملك ، مما يدل على أن هذا الموقع كان موجودا فى فلسطين فى ذلك العهد .

وبالرغم من صدوف دى جويه عن هذا الرأى يلوح لنا أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، وسببه أن المعركة وقعت لأول مرة بين العرب والروم ، واشترك فيها من جانب العرب أربعة أجناد : أى جند خالد ، وجند عمرو بن العاص ، وجند يزيد بن أبى سفيان ، وجند شرحبيل بن حسنة . واذا كانت العرب اشتركت بأجنادها ، فقد ظهر للعرب أن الروم أيضا اشتركت بأجنادها : أى جند قيسارية ، وجند غرة ، والجند الذى جهزه هرقل بقيادة أخيه ثودور . ولا شك فى أن المعركة كانت أول اصطدام بين العرب والروم بقوات كبيرة لم يسبق لها مثيل . والروايات العربية مجمعة على أن الجيش العربى كانت عدته أربعة وعشرين ألفا ، وقيل : سبعة وعشرين ألفا . واشتركت الروم بخيلها ورجلها وبطارقتها وقسيسها .

وقد سبق أن سمى العرب بعض أيام حروبهم بأسماء لا تدل على محل ، انما تدل على سبب القتال أو وصف القتال ، أو ما وقع فيه من حالات ، كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم الزويريين ويوم الشقيقة ويوم الصفقة وحرب حاطب . وكذلك فعلوا فى عهد الفتوح ، ففي القادسية مثلا سموا معاركها بيوم أرماث ويوم أغوات ويوم عماس ويوم الهرير ، وسموا المعركة التى وقعت بأطراف البصرة بين على والزبير وطلحة بوقعة الحمل . وهناك معركة بحرية سميت بذات الصوارى . وأطلقوا على اسم المعركة التى وقعت بين عبد الرحمن النافقى والافرنج معركة بلاط الشهداء .

والسبب الذى ساق دى جويه الى العدول عن رأيه لايؤيه له ؛ لأنه متى أصبحت كلمة أجنادين علما لمعركة فيجوز أن تذكر بلا حرف تعريف ، ويجوز أن النسخ أهملوا كتابة حرف التعريف . وكذلك وجود موضع يدعى بأجنادين فى فلسطين فى زمن عبد الملك ، لا يكون نافيا للاستدلال على كلمة أجنادين . وما دامت المعركة سميت بمعركة الأجنادين ، فلا مانع من أن يحتفظ ميدان المعركة بالاسم نفسه .

نوار مخ مصرية أغفال ونصريف بمؤلفيها

١ - شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب

فى المتحف البريطانى بلندن نسخة من تأريخ موسوم بشفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب رقمها « ٧٣١١ » فى الفهرست العتيق ، ومخرمة مقدار ورقة واحدة كن اسم مؤلف التأريخ مكتوبا فيها فذهب معها ، وقد صورت الجامعة المصرية نسخة من هذا الكتاب ، لتحفظ فى خزائنها ، ولبعض أدياء مصر نقل منها فى ترجمة شرف الدين ابن عنين الشاعر ، قال هذا الدكتور المؤرخ فى أول استشهاده بهذا الكتاب : « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ... وهو مخطوط مجهول المؤلف ، منه صور شمسية فى مكتبة جامعة فؤاد الأول ، (١) » .

ونسخة الأصل التى أشرنا إليها مكتوب عليها بخط أحدث من خطها الأصل « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » مرتين ، وعدة ورقها « ١٣١ » ورقة ، ولها نسخة المؤلف عنها بالنظر الى تأريخ الخط ، والمقدمة تدل على أن المؤلف أهدى كتابه الى أحد الملوك ، وابتدأ الكتابة بمدحه ، والثناء الحسن عليه وعلى أهله ، والباقى من ذلك كما جاء فى أول الورقة الثانية :

« سلفه الطاهر وأبنائه ، ويجمع له منهم الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب والبادى والحاضر ، وذلك جهد المقل ، ومن بذل جهده فقد أوجب حمده ، وجاء فى الصحيح : صدقة درهم سبقت مئة ألف درهم . وما ذلك الا لهذا المعنى ، فجمعت لحضرته العلية المقام ، ورتبته المولية الانعام على الدوام ، كتابا يزداد به ذكره على مرور الأيام جده ، ويذكر بمحاسن الأهل عند الوحدة ، (كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لهم بن سنان (٢) : ما أعطى أبوك زهير على فصيدته اللامية ؟

(١) جمال الدين الشيبلى فى مجلة الثقافة (ج ٢٥٤ / ص ١٩ ، سنة ١٩٤٣) .

(٢) هذا وهم ، والصحيح أنه قال لبعض ولد هرم بن سنان ، وفى الأغاني (٣٠٤ / ١) من طبعة دار الكتب : أن عمر قال لبعض ولد هرم : أنشدنى بعض مدح زهير أباك . فأنشده ، فقال عمر : ان كان ليحسن فيكم القول قال : ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء . فقال : ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم وهذا أشبه بأسلوب ذلك العصر مما نقله هذا المؤرخ

قول : ياأبا وأزنا وأشياء أفناها الدهر • قال عمر : لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر ،
وفى رواية : أعطاه كذا وكذا وأشياء أنسيها • فقال : ما أعطاكموه لا ينسى)
فى ما نرى بيته الذى رفع على أحسن عماد ، ومقاب أهله الأجواد الأُمجاد ، سلاطين
الاسلام ، وأعيان الأعلام ، وزين الزمان ، وفخر الأوان ، الذين هم - كما قال
بعضهم :

عاشوا كراما وماتوا كراما وعاش فى فضلهم الكرام
خلت الأسرة والمنابر منهم فعليهم حتى الممات سلام

وختمته بذكر مناقبه التى هى واسطة^(١) هذا النظام ، ومحاسنه الشريفة التى هى
مسك الختم • وقد أوردته المملوك ، بذكر السادة الملوك ، أولاد المقام الأشراف الذين
هم عين الأعيان ، ونخبة الزمان ، والنجوم الزواهر ، والبحور الزواجر
من تاق منهم تقل لأقبت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى
اللهم ! شد عضده وساعده ، وكن فى الحوادث معاضده ومساعد • وسميته
« شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » ، على أننى لا ألزم استيعاب الأخبار ، ولا ذكر
جميع الأثر ، لكن نبهنا بما ذكر على ما لم يذكر ؛ فان عجائب البحر لا تحصى ولا
تحتصر ، فان وقع من خاطره الكريم فى حيز القبول ، فهو غاية المقصود ومنتهى
السؤل ، والا

ففايتى أن ألوم حظى وحظى الحائط القصير

والمسؤول من احسان الواقف عليه ، والواصل اليه ، أن يغفر الزلل ويسمح ،
الخطأ ويصفح ؛ فانى معترف بالتقصير ، معذرا الى حضرة من اليه هذا الكتاب يصير ،
متمثل بقول العالم الكبير :

وان تجد عيا فسد الحللا جل من لا عيب فيه وعلا

وبالله أعتضد فيما أعتد ، وأعتصم عما يصم ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ومن هنا
نشرع فيما نحن بصدده ، والله الموفق والمعين والمسهل للاتمام •

وقد صرح باسم والد الملك المذكور فى الورقة « ١٢٦ » ، قال : « ومنهم الملك
العادل ، السلطان الأعظم ، الملك الاكرم ، العالم العامل ، المجاهد المراتب ، السيد
الأجل ، مجمع الفضائل ، معدن الفواضل ، محط رحال الأفاضل ، الملك السعيد
الشهيد العادل ، أبو الفاخر سليمان فخر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ... »

(١) بين واسطة وهذا كلمة مضروب عليها بالقلم •

ابن الملك العادل شهاب الدين غازي ابن الملك العادل مجير الدين محمد بن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر بن شادي ، وقيل : محمد بن الموحد تقي الدين عبدالله ابن المعظم غياث الدين ، ١٢٧ (١) . استدللنا على ذلك بقوله في الورقة « ٩ » : « وأحسن من ذلك كله قول المقام العادلي - نعمة الله برحمته - والد الملك الأشرف ، من جمع باسمه هذا الكتاب - خلد الله ملكه . »

وقد توفي الملك العادل سنة ٨٢٧ هـ ، قال ابن العماد الحنبلي في وفيات هذه السنة : « وفيها الملك العادل فخر الدين أبو المفاخر سليمان بن الملك الكامل غازي ابن محمد أبي بكر بن شادي صاحب حصن كيفا وابن صاحبه ، تسلطن في الحصن بعد موت أبيه ، وحسنت أيامه . وكان مشكور السيرة ، محباً للرعية ، مع الفضيلة التامة ، والذكاء ، والمشاركة الحسنة . وله ثر وديوان شعر لطيف . . . واستمر في مملكة الحصن الى أن توفي ، وأقيم بعده ولده الملك الأشرف أحمد المقتول بيد أعوان قراييل في سنة ست وثلاثين وثمانمائة » (٢) .

وذكره قبله الحافظ شهاب الدين ابن حجر ، قال في وفيات سنة ٨٢٧ هـ : « سليمان ابن الملك العادل . . . ابن أيوب ، أقعد ملوك أهل الأرض في مملكة حصن كيفا . . . واستقر بعده في مملكة الحصن ولده الملك الأشرف أحمد بن سليمان ، ثم قتل أحمد في سنة ست وثلاثين واستقر في مملكته ولده عز الدين الفضل . . . » (٣) .

وجاء في وفيات سنة ٨٣٦ هـ من الشذرات : « وفيها الملك الأشرف أحمد بن العادل سليمان الأيوبي صاحب حصن كيفا ، قال ابن حجر : كان ديناً فاضلاً ، له شعر حسن ، وقفت على ديوانه وهو يشتمل على نوائح في أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك . وكان جواداً ، محباً في العلماء (كذا) . خرج في عسكره للملاقاة السلطان (٤) على حصار آمد ، فاتفق أنه نزل لصلاة الصبح ، فوقع به فريق من التركمان ، فأوقعوا به على غرة فقتل ، ووصل بقية أصحابه وولده خليل ، فقرر ولده في مملكة أبيه وتقب بالصالح » (٥) .

(١) هنا نقصان .

(٢) شذرات الذهب (١٧٨/٧)

(٣) أصول التاريخ والأدب (٩٦/١٢) نقلاً من الجزء الثاني من « أنباء الغمر بابناء العمر » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس . ١٦٠٢ هـ و « ١٣٩ » .

(٤) هو أبو النصر برسبای بن عبدالله الدقماقي الملقب بالملك الأشرف المتوفى سنة ٨٤١ هـ .

(٥) الشذرات (٢١٦/٧)

فهذا الكتاب أهداه مؤلفه الى الملك الأشرف أحمد بن الملك العادل غازى الأيوبي المذكور ، ولم نجد فى الكتاب تاريخا يتجاوز عهد هذا الملك فى النزول ، وآخر سنة ذكرها فى الكتاب هى سنة ٨٢٤ هـ ، وقال فى الورقة « ١٠٦ » يذكر تشابه حادثتين : « قال جامع الفقير : وكذا جرى فى مصر سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، استهلت والسلطنة للمؤيد شيخ ، ثم توفى رابع ذى الحجة ، وولى ابنه الصالح » . وجاء فى آخر النسخة فى « و ١٣١ » : « هذا كتاب ملكه أفقر العباد ملا مصطفى بن ياسين أفندى نائب بغداد » .

مؤلف الكتاب وأسلوبه

ان نقصان الكتاب ورقة واحدة من أوله ، منع فهرس كتب المتحفة البريطانية من معرفة المؤلف ، ولولا بقاء تصريح المؤلف باسم كتابه فى المقدمة لضاع اسم الكتاب أيضا ، واعتراه الابهام من جهة التأليف والمؤلف ، الا أن الذى يسر لنا معرفة الكتاب هو ثبوت اسمه كما أشرنا اليه ، وإشارة شمس الدين السخاوى اليه فى ذيل تاريخ قضاة مصر الذى لابن حجر العسقلانى الموسوم - أعنى الذيل - ببغية العلماء والرواة فى الذيل على كتاب شيخى فى القضاة ، فقد ذكر فى ترجمة « عزالدين أبى انبركات أحمد بن ابراهيم بن نصرالله الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى القاضى الحنبلى القادرى » أن من تأليفه « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » (١) .

ومختصر ترجمة القاضى عزالدين الكنانى أنه ولد فى سادس عشر ذى القعدة من سنة ثمانمائة بالندسة الصالحية بالقاهرة ، ونشأ بها فى كفالة أمه لموت والده فى مدة رضاعه ، وحفظ القرآن وجود قراءته على أحد الشيوخ ، وحفظ مختصر المزنى (٢) حفظا تاما ، وتفقه ودرس العربية ، وقرأ القرآن بالقراءات والتفسير والمعانى والبيان ، فضلا عن سماعه الحديث وتعلمه الفرائض والأصليين والحكمة والمنطق . ومن أعلام الشيوخ الذين درس عليهم شهاب الدين ابن حجر ، وعز الدين عبدانسلام البغدادى . ولبس خرقة التصوف مع تلقين الذكر ، وناب عن قاضى الخبالة وهو ابن سبع عشرة سنة ، واستتابه أحد شيوخه فى التدريس بالندسة الجمالية والحسينية ومدرسة أم السلطان ، وبأشر تداريس أخرى والخطابة فى جامع الملك بالحسينية والتحديث

(١) أصول التاريخ والأدب (٢١٥/١٧) نقلا من الكتاب المذكور ، « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٢١٥٠ ورقة ٧ » .

(٢) مختصر المزنى فى فروع المذهب الشافعى للإمام اسماعيل بن يحيى المزنى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

بأحد الجوامع • وكان لا يتردد الى أحد من بنى الدنيا الا لافادة علم ، ولا زاحم أحدا على سعى فى وظيفة أو راتب • وسافر الى عدة بلاد : زار بيت القدس والحليل ، ودخل الرملة والنسام ، وحج غير مرة ، وأكثر من الجمع والتصنيف والانتقاء والتأليف حتى لقد صنف فى أكثر الفنون نثرا أو نظما ، وبعد صيته ، وصارت داره مجمعا لكثير من الفضلاء ، ثم ولى قضاء الحنبلة مع التدريس المضافة الى القضاء • وكان متواضعا ، مستأنسا بأصحابه وسائر من يتردد اليه ، عفيفا شهما كثير المحاسن ، أنشأ مدرسة ومسجدا وسيلا « سقاية » وصهريجا وغير ذلك من القربات • وكانت داره أيضا مألفا لطائفة من الأراذل ونحوهم • قال السخاوى : « ولا أعلم الآن من يوازيه فى ذلك » يعنى احاطته بالعلوم • ثم قال : « وما علمت من أستأس به بعده » (١) • وذكر أن له فى التاريخ « طبقات الحنبلة الكبرى » (٢) فى أربعة عشر مجلدا ، والوسطى فى ثلاثة ، والصغرى فى مجلد • وهى على أسلوبين : على الحروف ، وعلى السنين • وذكر له « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » وقال : « أهدها لصاحب الحصن » يعنى الملك الأشرف بن الملك العادل كما أسلفناه من الكلام ، و « النشر فى التاريخ » فى واحد وأربعين جزءا ، جرد فيه كثيرا من التراجم التى أودعها السخاوى تأريخه الحافل - هكذا قال - وعمل كل مئة من التاريخ فى تصنيفين : على الحروف والسنين • أما (المئة) الثامنة فاختصر فيها « الدرر النكاملة » لابن حجر مع زيادات يسيرة جدا ، وأما التاسعة فاستمد فيها من انباء الغمر لابن حجر أيضا ومن معجمه وتعليقه ، وما عدهما فقد استمد فيه من تأريخ الاسلام للذهبي ولم يخرج عنه الا فى النادر ، ولم يمن بالحوادث ولا بالوفيات على طريقة المؤرخين مع اشتهاؤهم بالتأريخ عند كل أحد ، قال السخاوى : « بل أكثر ما يوجد بخطه عن المتأخرين فمما طالعه منى • وله فى فن الأدب كتاب فى المنامات المنظومة ، مرتب على حروف المعجم فى مجلد سماه تنبيه الأخيار فيما قيل فى المنام من الأشعار » (٣) • وقال نور الدين على بن داود الخطيب الجوهري الحنفى : « ولأزم شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر - رحمه الله - فى بداية أمره كثيرا ، واتفق به فى أشياء منها كتابه الذى صنفه فى الأشعار التى سمعت فى المنامات • وقد

(١) انضو اللامع (٢٠٥/١) وما يليها

(٢) لم يذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون •

(٣) أصول التواريخ والأدب (٢١٥/١٧) نقلا من بغية العلماء والرواة فى الذيل

على كتاب شيخى فى القضاء المذكور سابقا •

شهد له شيخنا شيخ الاسلام ابن حجر بعد موت المحب^(١) أنه عالم الحنابلة ، وعظمه في عدة مواضع من مصنفاته منهم (كذا) « رفع الاصر عن قضاة مصر » . وكذا عظمه الشيخ شمس الدين السخاوى الحافظ المحدث فى الذيل الذى صنعه على رفع الاصر بترجمة عظيمة تبلغ كراسة فى كامل الشامى . . . فمن أراد الوقوف عليها يراها ،^(٢) وجاء فى الشذرات أنه « له من التصانيف مختصر المحرر فى الفقه وتصحيحه ونظمه ، ومنظومات متعددة فى علوم عديدة فقها ونحوا وأصولا وتصريفا وبيانا وبديعا وحسابا وغير ذلك . وله من غير النظم « توضيح الاُفقية » وشروحها وشروح غالب هذه المنظومات وتوضيحاتها الى غير ذلك من التواريخ والمجاميع ، واختصر تصحيح الخلاف المطلق فى المقنع للشيخ شمس الدين بن عبدالقادر النابلسى ، وكان ينظم الشعر الحسن ،^(٣) .

وقال نور الدين الجوهري : « وكان رحمه الله يودنى ويميل الى ، ووقف على جزء من تأريخى الكبير فى فضائل أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - وكب لى عليه كتابة جيدة . والتأريخ الذى وقف عليه « نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الأزمان » ابتدأت فيه من آدم - عليه السلام - الى الآن^(٤) . . . وقال السخاوى : « ولما مات المحب^(٥) البغدادى تكلم غالب الأعيان معه فى الاستقرار فى وظيفته فى القضاء ، وامتنع أشد امتناع ،^(٦) .

وذكر هو فى شفاء القلوب أن له أيضا « تسليية المصاب بفقد الاحباب » قال فى تشابه الحوادث : « ومثله ما جرى لى ، وهو أنى صفت كتابا سميت تسليية المصاب بفقد الاحباب ، فما تم حتى جاء الطاعون فرق لنا شملا » . وذكر مقطعات من شعره قال فى الورقة « ١٢٩ » يمدح الاُشرف : « وجامعه الفقير يقول ، ويسأل القبول :

له قلم يزجى نداءه ويتقى فيوصل أرزاقا ويقطع أوصالا
ويفعل فعل البحر فى حالة الرضا ويفعل فعل السيف ان غيظ أوصالا

(١) أراد محب الدين أبا الفضل أحمد بن نصر الله البغدادى قاضى قضاة الحنابلة المشهور (٧٦٥ - ٨٤٤ هـ) له ترجمة فى رفع الاصر عن قضاة مصر وأنبا، القمر بأنبا، العمر والضوء. اللامع والشذرات وغيرها كالنجوم الزاهرة .

(٢) أصول التاريخ والأدب (١٢٣/٣) نقلا من أنبا، الهصر بأنبا، العمر لنور الدين على بن داود الخطيب الجوهري الحنفى ، نسخة باريس « ١٧٩١ ورقة ١٣٤ » .

(٣) الشذرات (٣٢١/٧ - ٢)

(٤) المرجع المذكور فى الرقم ٣ . (٥) المرجع المذكور فى الرقم ١ .

(٦) انظر الحاشية رقم (١) .

ومن أشعاره التي ذكرها :

يلقاك منفردا من فرط هيته كأنه واحد في عسكر لجب
ومن نظمه أيضا قوله :

ما بال قلبك لا يرق فيعطف يوما على وأنت غصن أهيف ؟
لما سنت الهجر في سنن الهوى حرمت نومي جهد ما أتكلف
كيف السلو ورمح قدك عادل يبدى صوارم ناظر لا ينصف ؟
أم كيف أتركه وفوق أسهما من قوس حاجبه الذي هو مشرف
مالي وحقك في هواه منصف (كذا) الا الذي يدعى الملك الا شرف^(١) (كذا)

الى آخر الأبيات الباردة انفس الملحون فيها ، مما لا طائل فيه .

ذكر المؤرخون المقدم ذكرهم أنه توفي ليلة السبت حادى عشر جمادى الأولى من سنة ٨٧٦ هـ ، وصلى عليه السلطان قايتباى والقضاة وأركان الدولة ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن في الصحراء من القاهرة .

وكتابه « شفاء القلوب » من التواريخ المختصرة ، اعتمد فيه على الوفيات والمرآة وغيرهما ، وقد جمعه على الطبقات أى البطون ، قال تحت « قاعدة الكتاب » : « أذكر أولا أصل البيت الأيوبي ، وهم منتسبون الى أيوب بن شادى بن مروان - كما نذكره فى محله - ثم تتبعه بذكر التراجم على الطبقات . فالطبقة الأولى أولاد شادى ، والثانية أولاد أولاده ، والثالثة أولاد أولاد أولاده ، وكذا الى آخر الكتاب ؛ وأقدم من الاخوة وأسبقهم (كذا) موتا ، ثم أتبعهم بمن ثم أعلم وفاته ، ثم أتبعهم بأخواتهم النساء كذلك ، ثم أذكر أولادهم فى الطبقة التى تلى طبقتهم على حسب ترتيب أصولهم ، وكذا الى آخر الطبقات » .

قال فى الورقة « ٣ » : « ويقال : ان مروان من أولاد الخلفاء الأموية ، وادعى ذلك اسماعيل بن طفتكين بن أيوب ، وأنكره عمه العادل أبو بكر . وذكر ابن القادسي^(٢) أن شادى كان مملوكا لهرورز الخادم ، وهو غلط ، ما كان مملوكا قط ، وإنما هو من

(١) شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .

(٢) هو الشيخ الأديب المؤرخ الكبير أبو عبدالله محمد بن أبى العباس الفادسي - قادسية سامراء - الكتبي ، سمع الحديث واعتنى بالتواريخ وغيرها ، وألف الذيل على المنتظم لابن الجوزى وتاريخ الوزراء وله تأليف أخرى وهو مرجع جماعة من المؤرخين كسبط ابن الجوزى وأبى شامة وغيرهما ، توفي فى جمادى الآخرة سنة ٦٣٢ هـ ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب - على ما ذكره الميذرى فى « التكملة لوفيات النقلة » - وقد ذكره ابن خلكان فى ترجمة ابن هبيرة ويقوت فى المشترك .

الانكراد الروادية ، وهى بطن من الهذبانية ، من دوين فى آخر أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج . »

والكتاب مختصر ، جمع فيه مؤلفه كثيرا مما تفرق فى الكتب . وكان تأليفه فى أيام شببته ، وترك فيه بياضا لما لم يصل اليه علمه ، أو لما يجوز أن يضاف اليه .

٢ - تاريخ الأمير يشبك الظاهرى

سماه جرجى زيدان « رحلة الأمير يشبك الظاهرى فى آسيا الصغرى وما وراءها من سنة ٨٧٥ - ٨٧٧ » . قال : « ليس عليها اسم مؤلفها ، ولكن يؤخذ من مطالعتها أن المؤلف كان قاضيا للعسكر ، وانتدبه الأمير يشبك فى مهمات سياسية ، وأنه كان رفيقا للأمير فى رحلته : تبدأ الرحلة من القاهرة الى العريش فالحرمين فالشام فحلب ففسرين الى آسيا الصغرى فتبريز وغيرها . ثم عاد الى مصر ، وقد دون ما لاقاه هذا الأمير من الحفاوة أو المقاومة والمحاربة هو وحاشيته الكبيرة ، ويتخلل ذلك فوائد تاريخية وسياسية وذكر بعض الأدوات الحربية كالملكحلة ^(١) لرمى الحجارة وكيفية استخدامها ، ومخابرات سياسية مع سلاطين آل عثمان . منها نسخة فى المكتبة الحديوية من جملة كتب زكى باشا فى ١٣٩ ص « اهـ (٢) » .

وسماها شمس الدين السخاوى - كما يأتى - « سفرة سوار » ، لأن يشبك حاصر الأمير سوارا .

وجاء فى الجزء الخامس من فهرست دار الكتب المصرية (ص ٧٦) وملحقه (ص ٤٧) : أن الكتاب هو « تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ورحلته من القاهرة الى آسيا الصغرى . وهو المقر السيفى الأمير يشبك بن مهدى الظاهرى ثم الأشرف أحد ملوك الأتراك بانديار المصرية ^(٣) وفى لوحة (٧٧) ما يفيد أن مؤلفه أحد تلامذة الجاحظ ابن حجر العسقلانى .

أوله : الحمد لله الذى نصر عباده المؤمنين النخ . وهو يتضمن تاريخ الأمير ورحلته التى تبدى من القاهرة فى يوم الاثنين العاشر من شهر شوال سنة ٨٧٥ هـ الى آسيا الصغرى وغيرها ، وترجمته وسيرته وأعماله ، نسخة فى مجلد مأخوذة بالتصوير الشمسى

(١) يعنى « المدفع » فى طوره الأول .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية (٢٢١/٣) طبعة سنة ١٩١٣ م .

(٣) كذا ورد فى تعريف المفهرس ، وليس بصواب ، فانه كان أميرا كبيرا ولم يكن ملكا ولو صفيرا . وسيأتى النقل من الكتاب بأنه كان أميرا فى قول المؤلف : « ولم يخرج أحد ممن تقدم من الأمراء مثله » .

عن النسخة الأصلية في شهر رمضان سنة ١٣٢٧ عنى بنسخها أحمد زكى باشا سكرتير مجلس النظار سابقا ، والمحفوظة بالمكتبة السلطانية بالقسطنطينية ، وبها خرم من لوحة (١١٦) . ونسخة أخرى مأخوذة بالتصوير الشمسى بمطبعة دار الكتب المصرية عن النسخة الفتوغرافية المحفوظة بالدار برقم (٢٥٩٢ تاريخ) ، فى ١٣٩٠ ، لوحة ، ومسطرتها ١٣ سطرا فى حجم الربع - ١٠ هـ .

قلت : وقد رأيت نسخة منها محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس رقمها ٦٠٢٦ عربيات ، ، وفى الورقة الأولى منها : « هذا كتاب فى تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ، ، ثم يرى الرأى : « لقد نصركم الله . . . بسم الله الرحمن الرحيم . . . أما بعد ، فلما كان نهار الاثنين العاشر من شوال توجه المقر الأشرف الكريم العالى الأمير الكبرى المشيرى النظامى المخدومى السيفى يشبك الظاهرى ثم الأشرفى أعز الله أنصاره وملكه أنصاره - من القاهرة المحروسة فى أبهة عظيمة لم يخرج أحد ممن تقدم من الأمراء مثله ، وسذكر وصف الهيئة التى خرج فيها ، ونزل بالريدانية ، وفوض إليه أمر المملكة الشامية » الورقة ٢ . من العريش الى الفرات . . . وأقام بها ، وأرباب الدولة والأمراء يترددون الى خدمته ، ونزل اليه السلطان الملك الأشرف قايتباى - خلد الله ملكه مرتين ، (١) . وهذه النسخة فى « ٧٤ » ورقة .

أما الأمير يشبك الذى نسبت الرحلة اليه فقد ذكر ابن أياس أنه كان « أميرا عظيما مهيا عسوفاً ، وكان له بمصر حرمة وافرة . وقد اجتمع فيه من الوظائف ما لا اجتمع (كذا) فى غيره من الأمراء . وكان أشقر اللون ، مستدير الوجه ، أشهل العينين ، طويل القامة ، غليظ الجسد ، عارفا بأحوال المملكة ، صلبا فى محاكماته ، لا يراد فى الكلام . وهو الذى أشأ القبة فى المطرية ، والقبة التى فى الحسينية . وله غير ذلك آثار كبيرة على جهات البر والصدقة . وكان له محاسن ومساوى . » قتل فى سنة ٨٨٦ هـ فى وقعة بينه وبين الآق قوينلية على عهد السلطان يعقوب بن حسن الطويل « أوزن حسن ، ، وذلك أنه لما قرب من الرها بالجزيرة الفراتية ورأى كثرة العساكر معه طمع فى بلاد الدولة الآق قوينلية ، وكانت تلك البلاد للأمير بيان در من أمراء آق قوينلو ، فقوى عزم الأمير يشبك على قتاله ، واستعد الأمير بيان در للقائه ، وجرت بينهم وقعة عظيمة هائلة قرب الرها ، دحر فيها الأمير يشبك وجيشه ، وأسر هو مع جماعة من الأمراء ، ثم قتل صبرا ، وطيف برأسه على رمح فى بلاد الدولة الآق قوينلية ،

(١) أصول التاريخ والأدب (٧٧/٣) نقلا من نسخة بباريس .

ثم اعتذر السلطان يعقوب بن حسن الطويل الى سلطان مصر ، وقامت والدته في الصلح مقاماً محموداً ، وخمدت الفتنة (١) .

مؤلف الكتاب ونبد منه

كل ما استطاع واصفو الكتاب وخزانه أن يعلموه من خبره أنه كان تلميذا لابن حجر العسقلاني ، وأنه كان قاضيا للعسكر ، مستدلين بما ورد في الرحلة من تصريحه بذلك ، ولكن المؤلف بقي مجهولا أمره ، وبقي الكتاب غفلا من اسمه . وقد حرصنا على أن نبحث عن حقيقته ، حتى اهتدينا الى معرفته ، بالمقابلات التاريخية والتصور التاريخي العام ، والاستدلال الضمني ، وهو : « القاضي شمس الدين محمد بن محمود المعروف بابن آجا ، فقد ذكر في رحلته أنه حمل رسالة الى الأمير سوار الخارج على السلطان قايتباي ببلاد سيس ، قل و ٢٥ : » وفي عشرين من تاريخه وصل قاصد من عند سوار المخدول ، فجهزوني اليه ، » ثم قال : « فما لبثت غير ساعة رملية حتى طلبني ، فلما قربت منه قام ولاقاني خطوات وأجلسني بجانبه والظاهر أن قاصده أخبره بذلك ؛ لأن المقر الأشرف أمير دوا دار - أيده الله بملائكته - قال للقاصد المذكور : قد جهزت انيكم قضى العسكر ، وهو والدنا كلنا ، واعتمدنا على كلامه ، ورضاه رضانا ، ومهما اتفق معكم كان ذلك ، وما ثم (٢) خلاف . فحاولت داو ا دار - الكتاب الذي صجني وقد ذكر هذه الحادثة ابن اياس في حوادث سنة « ٨٧٦ هـ » ، قال : « فيها أرسل السلطان الى سوار تجريدة ، وهي التجريدة الثالثة ، وكان (٢) باش العسكرية المقر السيفى يشبك بن المهدي أمير آخور وجماعة من الأمراء المقدمين . . . فخرج الأمير يشبك في طلب عظيم . . . وتوجهوا جميعا الى « زمنطو » التي هي محط رحال سوار ، فأقاموا هناك يحصرو « كذا » قلعتهما مدة وسوار بها . فلما أراد الله - تعالى - خذلان سوار ، غلت يده ، وزال سعده . فأرسل يسأل في الصلح ، ويطلب الأمان من الأمير يشبك ، فأجابه الى ذلك . ثم ان سوار أرسل يطلب الأمير تمراز قريب المقام الشريف ، فأشار الأمير يشبك على الأمير تمراز بالتوجه الى سوار ، وأخذ صحبته القاضي شمس الدين آجا قاضي العسكر ، فطلبوا الى سوار الى قلعة « زمنطو » ،

(٢) المرجع المذكور (ص ٤٣ - ٧) ومن شاء فليرجع الى النسخة المطبوعة من « بدائع الزهور » والضوء ، اللامع (٢٧٢/١) .

(١) قصد « وما بقى خلاف » ، وهو من التعابير العامة ، ولا يزال العامة عندنا بالعراق بل كثير من الخاصة يستعملون هذه العبارة .

(٢) يعني مقدم العسكر ، وهي كلمة « باش » التركية المعروفة .

واجتمعوا بسوار ، وأكل معهم » . وآل الأمر الى أنهم غدروا به واعتقلوه ، ثم نقلوه الى القاهرة ، وصلبوه مسرعا على باب زويلة حتى مات في العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ (١) .

ومما قدمنا ، علم أن مؤلف « رحلة يشبك » وتأريخه هو القاضي المذكور ، أعنى شمس الدين ابن آجا . قال السخاوى في ترجمة الأمير يشبك المذكور في المقال : « كان هو باش العسكر المتوجه لدفع سوار ، واحتال حتى أحضره في طائفة ، وكان أمرا مهولا ، أفردده امامه الشمس ابن آجا بالجمع ، فبالغ ، وأضيف اليه الوزر فقطع ووصل ورفع وخفض » (٢) .

وخلاصة ترجمته أنه : « محمد بن محمود بن خليل الحلبي الحنفى التركى الأصل ، وكان واثقه يلقب باجا ، فعرف بابن آجا . ولد في سنة عشرين وثمانمائة بحلب ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وكتاب القدورى في فروع المذهب الحنفى ومنار الأنوار في أصول الفقه للإمام أبى البركات عبد الله بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، ودرس في النحو « الضوء » أعنى ضوء الدرر في شرح ألفية ابن معط ، لزين الدين عمر بن مظفر ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، واشتغل بالفقه ، وسمع الحديث ، ولقى العلامة ابن حجر في سنة ٧٣٦ هـ فأخذ عنه ، ثم لقيه بالقاهرة حين دخلها ابن آجا صحبة خاله شهاب الدين أحمد بن أبى بكر صالح المرعشى ، ودرس على غيره . ثم كثر تردده الى القاهرة ، ولأزم خطيب مكة المعروف بأبى الفضل ، واختص بالأمير أربك الظاهرى ، وأم به وقتا ، ثم ارتقى الى صحبة الداوداد الكبير يشبك (٣) ابن مهدى ، ونفق عليه ، وبعث رسولا من السلطان ومنه الى عدة ممالك كبلاد العجم وبلاد السوم ، وحج مرتين ، وزار بيت المقدس والحليل مرارا ، ثم استقر في قضاء العسكر ، وحدث بالشفافى تعريف حقوق المصطفى لأبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى القاضي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ، وترجم فتوح الشام للواقدى بالتركي نظما في اثني عشر ألف بيت ، (٤) قاله السخاوى ، وذكر أيضا أنه « عمل سفرة سوار » (٥)

(١) أصول التأريخ والأدب (٤٠/٣) نقلا من تأريخ ابن اياس ، نسخة دار الكتب الباريسية المذكورة .

(٢) الضوء ، اللامع (٢٤/١٠) .

(٣) تذكر أكثر الكتب « يشبك من مهدى » بدلا من « ابن مهدى » وكان ذلك اشارة الى كون أمه أم ولد « أمة » .

(٤) اطلع حاجى خليفة على قول السخاوى وقال في كشف الظنون : « فتوح الشام . . . نظمها محمد بن محمود بن محمود بن آجا التركى في اثني عشر ألف بيت » .

(٥) يعنى تأريخ يشبك المذكور ، كما أوامنا اليه آنفا .

وفيها منكر كبير ، ^(١) وجمع طبقات الحنفية في ثلاث مجلدات - كما في كشف الظنون -
 وخالق الناس بالجميل ، وقصد بالشفاعات خصوصا أواخر عمره ، وحمد الناس أمره
 فيها . وكان عاقلا عارفا ذكيا متوددا متواضعا . مات في جمادى الآخرة سنة ٨٨١ هـ
 بحلب ، وكان قد توجه إليها عقب توعك طالت علته به ثم قضى عليه ^(٢) .
 ودونك شيئا من رحلته في أثناء سنة ٨٧٦ هـ قال - يعنى الأمير يشبك -
 « وكان عيني قاصدا نلأمر حسن باك ^(٣) صاحب العرايين وما مع ذلك ، وجهاز ممي
 أرمانا ^(٤) يليق به ، فقبلت يده وودعته ، وحملتني مشافهة أديها للأمير حسن باك
 في أمور تتعلق به للمملكة الاسلامية ، وتوجه في حرز الأمن والسلامة منها بالقلوب
 معه ، وتوجهت الى جهة تبريز مصحوبا بالأمن والسلامة ان شاء الله ووصلنا
 الى مدينة أرجيش ، ونزلنا براوية السلطان المرحوم قره يوسف بن محمد باك صاحب
 تبريز وبغداد والعرايين - كان - وبها قبره ، وهى فى غاية الاتقان دخلنا مدينة
 تبريز ، وهى مدينة عظيمة كثيرة الأشجار والمياه ، وبها من العماثر ما يضرب بها الأمثال
 خصوصا تربة محمود قازان من ذرية هلاكو ، وهو مشهور بين أهل الساربخ . وأما
 تربته الآن بتبريز والجامع بجانب التربة ، فما رأيت فيما شاهدت مثلا وحسن ترتيبها .
 وهذا يدل على عظم الملك وسعة مملكته . وأما الجامع والمارة التى أنشأتهما زوجة
 جهان شاه بن قره يوسف بالمدينة ، ففى غاية الاتقان والحسن ؛ وحقيقتهما لا تعلم الا
 بمشاهدتهما طلبنى السلطان حسن للحضور بين يديه فاعتذرت لسخونة عرضت
 لى ولما كان يوم الخميس ، جاءنى المهندار ، وقال لى : ان البادشاه يرسم لك
 بالحضور بعد الظهر الى محل خلوته ، فصليت الظهر ، وتوجهت معه . فلما وصلنا الى
 قصره ، أدخلنا مكانا وجلسنا فيه الى العصر ، ثم طلبنا فدخلت عليه وغنده جماعة من
 أهل العلم والتجار الواردين عليه من سائر الأقاليم . فلما قربت منه ، قام من مكانه
 وأجلسنى بجانبه ، فأول ما بدأ أن سألنى عن مولانا السلطان الأشرف قايتباى - خلد
 الله ملكه - ثم عن المقر الأشرف الأمير يشبك الداوادر نظام الملك وباش العساكر
 الاسلامية - أعز الله أنصاره - فقلت : بخير ، ويسلمان على البادشاه . فأتنى بكل خير ،

(١) الضوء اللامع (٤٣/١٠) .

(٢) الضوء اللامع فى الموضوع المذكور آنفا .

(٣) يعنى حسن - بيب الطويل ملك آق قوينلو وسلطانهم ولا يزال أهل الموصل
 يلفظون « بيب » بك ، وهى مولدة من باك .

(٤) الطاهر أن الأرمان هو التقدمة والهدية ، وقد كرره فى رحلته هذه

وفال : والله أنا أحبهما ، ولا أعلم الا مملكتى ومملكتهما واحدة ، وهذه عساكرى حاضرة ، مهما اخترت منهم ، وقد سألت السلطان بذلك مرارا فلم يرد على جواب ، وما علمت المراد ^(١) . فقلت : بسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - وعسكر البادشاه ، الأمر ما يحتاج الى هذا ، وسوار أقل وأخس من أن يجتمع عليه عسكر مولانا السلطان ... وعسكر البادشاه ، وهذا من بعض تركمان المملكة الحلية . وما سبق من الأمور ، فسيبه ظاهر لا يحتاج الى التفصيل ؛ لأن مجلس البادشاه لا يحتمل بسط ذلك ... ثم سألتى عن أمر العساكر الاسلامية ^(٢) وما هم فيه ، فأخبرته بكثرتهم وقوتهم واتفاقهم وانقيادهم لنظام الملك - أعز الله أنصاره - وأن كلا من الكفلاء والأمراء يطلب رضاه ، وأخبرته بما هم فيه من الاهتمام وكثرة آلات الحصار والزردخانه والصناع وغير ذلك . فظهر لى من وجهه الكراهة لما سمع قوة العساكر . ثم التفت الى القاضى حسن وقال : اقرأ كتابه . وفهم ما فيه بعد أن ترجم له بعضه القاضى حسن ^(٣) ، ثم قال لفقيه حاضر بالمجلس : اقرأ لنا شيئا من الحديث النبوى ، وذكر لى أن عادته فى كل ليلة جمعة يجتمع عنده علماء توريز ، ويقرأ عنده شئ من البخارى ، يفعل ذلك للتبرك والفائدة ... ثم حضر الطعام فأكلوا ، وكنت متوعكا ، ومد السماط للحاضرين ، وفى أمام البادشاه مائدة صغيرة فيها خمسة أو ستة صحون ، فطلبنى الى مائدته المختصة به فرأى اشتغالى بأكل الحبز عن الطعام واللحم ، فسألتى عن ذلك ، فقلت : ان لى مدة ثمانية عشر يوما محتج عنهما ، فطلب رب حصرم ، وأحضر ذلك فى صحن من دهنج ، وأشار الى بالأكل من ذلك ، فأكلت منه قليلا لأجل خاطره ، ثم قمت على عادتنا ، فتعجب من قيامى ، وقال : لم لم تصبر حتى يرفع السماط ؟ فاعتذرت اليه بأن الطبع والعادة أغلب ، وقد سبقانى الى ذلك من غير اختيارى ، وكان الأمر كذلك ... فلما رفع السماط ، أذن لنا ، ففرق المجلس ، وتأخر البعض ... ثم طلبنى يوم الأحد فى محل خلوة ، وأحضر سماطا ، فتمنعت من الاكل لما سبق من الضرورة . فلما رفع الطعام قل لى : ان فى مطالعتك أن الأمير الداوادار حمل معك (كذا) مشافهة فهاتها . فقلت : نعم ، أما الأولى فانه يطلب أمير أصلان بن ملك أصلان بن ذلغادر . فقال : قد رسمت بذلك ، ان أراد أن يتوجه بنفسه ، أو يجهز قاصده معك ، ثم ما (ذا) ؟

(١) أشار بذلك أنه كان مستعدا أن يمد سلطان مصر بقطعة من جيوشه لمحاربة سوار الخارج على السلطان المذكور آنفا .

(٢) يعنى العساكر المصرية ومن انضم اليهم

(٣) هو قاضى عسكر السلطان حسن الطويل المذكور

فقلت : الثانية أن بنى ربيعة قد تحصنوا ببلاد الرها ، وفى كل وقت يقطعون الطريق ببلاد حلب ، وينهبوا (كذا) ما يجدوه (كذا) • وكان موسى كبير بنى ربيعة حاضرا ، فطلبه ، وأنكر عليه انكارا بالغا ، ومن جملة ما قال : والله ، وتربة جدى ، ما يلفنى صحة هذا الا وسلخت جلد الأبعد ، وأخرجت جميع بنى ربيعة ! كم مرة أوصيكم بالرعية خصوصا رعية الشام ؟ فشرع يعتذر ، ويحلف ان هذا الأمر ما وقع من طائفته ، وانما هم عرب غيرهم يسمون باسمهم • فقال : ما أعرف • ثم قال : اذا حصل من هؤلاء شئ أو غيرهم ممن تعلق بى فصحيحوا ذلك ثم أعلمونى ••• فقال : أيش غير هذا ؟ قلت : ان جماعة حضروا وذكروا أن البادشاه أنعم عليهم بقرى • يابتلاسروج • (كذا) ، وهى متعلقة باليرة ، وانقرى التى بها هى اقطاع للجسرية باليرة • فقال : والله ، ليس لى علم بذلك • ثم رسم بكتابة مرسومه الى نائب الرها بالوصية بأطراف بلاد الشام ، وأنه لا يدع أحدا ولا يمكنه للعرض للقرى التى فى حد الشام ، وأكد عليه فى ذلك ، وكذلك تفحص عن الكردي الذى يشوش على القرى التى من جهة الفرات المتعلقة بقلعة المسلمين ومقاتلته أشد المقاتلة ، وكنت ذكرت له ذلك أيضا •

ولما كان يوم الخميس طلبنى أيضا ، فتوجهت الى قصره ، فرأيت فى جمع كثير من علماء تبريز ، وكان حاضرا عنده ابن السيد الشريف شارح الكشف من شيراز وجماعة من علماء بغداد وسمرقند ، فقام وأجلسنى بجانبه • فلما تكامل المجلس ، أمر بقراءة البخارى على عادته فى ليلة الجمعة ، فقرأ القارىء حديث « سبعة يظلمهم الله » الحديث • فلما فرغ من قراءة الحديث ، شرع يترجم للبادشاه بالتركي يفسره له ••• فحضر السماط ومدوه ، وأكل ، وكان جماعة تبريز قد استحضروا مسائل من سائر العلوم ، فلم يحصل لأحد منهم نوبة للكلام ، لما سبق ، وكان ذلك من فضل الله وعونه ، (١) •

٣ - تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور

رأيت الجزء الثانى من هذه السيرة فى دار كتب إريس الوطنية ، ورقمها • ١٧٠٤ عربيات • وفى الورقة الاولى من هذه النسخة مكتوب : « الجزء الثانى من تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور » • والمراد هنا سيف الدين قلاوون عبدالله الألفى النجمى التركى ملك مصر والشام ، حكم من سنة « ٦٧٨ » هـ الى سنة « ٦٩٠ » هـ ، وهو معروف السيرة •

وهذا الجزء غفل من اسم المؤلف ، ولم أجد اسم الكتاب بهيئته الأصلية وصورته

اللفظية مثبتا في كشف الظنون ، وانما رأيت في باب السير « سيرة الملك المنصور قلاوون للقاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي اليسانى المصرى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ ست وتسعين وخمسمائة ، سيرة الأشرف ابن قلاوون له أيضا ،^(١) . وهذا غلط قبيح من فأنه ووهم صريح ، فانه لا يصح أن ينسب الى رجل كتابة سيرة آخر ، وهذا الآخر ممن تأخر زمانه عن زمن الكاتب هذه المدة الشاسعة العظيمة ، فوفاة القاضي الفاضل - كما هو معلوم - كانت سنة « ٥٩٦ هـ » ، ووفاة قلاوون كانت سنة « ٦٩٠ هـ » ، كما قدمنا ، فالوهم واضح .

وهذا الجزء من تشريف الايام والصور ، يتدى . بسنة « ٦٨٠ هـ » ، وآخره ناقص ، وينتهى في نقصانه بسنة « ٦٨٩ هـ » ، وليس هو بـ « السيرة المنصورية » التي ألفها شرف الدين^(٢) محمد بن موسى المقدسى الكاتب ، ونقل منها جمال الدين يوسف بن تغرى بردى^(٣) ؟ فان اسمها « السيرة المنصورية » كما ذكرنا ، فمن ذا الذى ألف هذه السيرة وترجمها بهذا الاسم المسجوع الطويل ؟

تحريثا عن المؤلف كثيرا حتى علمنا أنه « ناصر الدين شافع بن علي بن اسماعيل ابن عساكر الكنانى السقلانى ثم المصرى » المتوفى سنة « ٧٣٠ هـ » . فقد ذكر الصفدى فى الوافى بالوفيات^(٤) ونكت الهيئات أن له « سيرة السلطان الملك المنصور قلاوون » و « سيرة الملك الأشرف خليل » . والسجع المعروف فى أسماء مؤلفاته مثل « حسن المناقب السرية المترعة من السيرة الظاهرية »^(٥) ، يؤيد نسبتها اليه . وفى نسخة باريس أنه « تأليف العبد الفقير الى الله تعالى الخناب الناصرى شافع بن علي بن عباس الكاتب - عفا الله عنهما - » . وفى سيرة المنصور قلاوون هذه ما يدل على أنه ألفها فى حياته ، فانه يقول فى موضع منها : « فى تجهيز رسل أبواب مولانا السلطان » ، وفى موضع آخر : « وردت كتب رسل مولانا السلطان » ، وفى ثالث : « ورد الى أبواب مولانا السلطان ولد الشريف » .

(١) كشف الظنون (١٠١٦/ع) طبع نظارة المعارف العثمانية .

(٢) ذكره ابن العماد فى الشذرات فى وفيات سنة « ٧١٣ هـ » (٣٢/٦) قال :

« وفيها الأديب محمد بن موسى القدسي ، عرف بكاتب أمير سلاط » وذكر له أبياتا .

(٣) النجوم الزاهرة (٣٢٢/٧)

(٤) أصول التأريخ والأدب (٢٨٩/١٠) نقلا من الوافى نسخة دار الكتب الوطنية

بباريس . ٢٠٦٥ و ١٣٢٢ هـ .

(٥) فيه نسخة بدار الكتب المذكورة رقمها « ١٧٠٧ هـ » .

المؤلف وأسلوبه

ذكرنا آنفا أنه ناصر الدين شافع بن علي بن عباس الكنانى العسقلانى ثم المصرى ، ولد بمصر سنة « ٦٤٩ هـ » ، ونشأ بها وتأدب ودرس النحو على ابن النحاس واشتغل وحصل ، وسمع الحديث من جماعة ، وأخذ عن الشيخ جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية وغيره ، وتعلم على الآداب ، وأتقن الخط المنسوب والانشاء ، ونظم الشعر ^(١) وكتب فى الديوان زمانا . ثم أصابه سهم فى صدغه فى وقعة حمص بين التتار بقيادة منكوتر والملك المنصور سنة « ٦٨٠ هـ » ، فكان ذلك السبب فى عماء الذهى اضطره الى لزوم بيته . وكان جماعة للكتب ، ترك نحو من عشرين خزانة ملائى من الكتب النفيسة . وكان من شدة حبه للكتب اذا لمس الكتاب فى أيام عماء ، قال : « هذا الكتاب الفلانى ، ملكته فى الوقت الفلانى . واذا طلب منه مجلد ، قام الى الخزانة ، فتناوله كما وضعه فيها . وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب ، وبقيت تباع منها بعد وفاته الى سنة ٧٣٩ هـ . »

روى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان الأندلسى والشيخ علم الدين البرزالى وجمال الدين ابراهيم الغامى وغيرهم من الطلبة ، واجتمع به صلاح الدين الصفدى فى داره غير مرة ، واستجاز بالقااهرة سنة « ٧٢٨ هـ » فأجاز له رواية تصانيفه . وهى : « سيرة الملك قلاوون ، وسيرة الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وسيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونظم الجواهر فى سيرة الملك الناصر ، وما يشرح الصدور فى أخبار عكا وصور ، والاعراب عما اشتمل عليه البناء الملكى بسرياقوس من الاغراب ، وافاضة أبهى الحلل على جامع قلعة الجبل ، وقلائد الفرائد وفرائد القلائد فيما للشعراء المصريين من الاماجد ، ومناظرة ابن زيدون فى رسالته ، وقراصات الذهب المصرية فى تقريب الحماة البصرية ، والمقامات الناصرية ، ومماثلة سائر ما حل من الشعر وتضمن الآى الشريفة والأحاديث النبوية من المثل السائر ، والمساعى المرضية فى الغزوة الحمصية ، وما يظهر من الدلائل فى الحوادث والزلازل ، والدر المنتظم فى مفخرة السيف والقلم ، والأحكام العادلة فيما جرى بين المنظوم والمنثور من المفاضلة ، والرأى الصائب فيما لا بد منه للكتاب ، والاشعار بما للمتنبى من الأشعار ، وتجربة الخاطر المخاطر فى مماثلة فصوص الفصول ، وعقود العقول ، مما كتب القاضى الفاضل فى معنى السعيد ابن سناء الملك ، وشنف الآذان فى مماثلة تراجم قلائد العقيان ، وعدة الكتب وعمدة المخاطبة ،

(١) قال فى الورقة ٣٧٣ من السيرة : « ومما نظم المجلوك جامع السيرة . . . »

وشوارد المصايد فيما لحل الشعر من الفوائد ، ومخالفة المرسوم في الوشى المرقوم ،
ودبوان شعره . فتأليفه تجاوزت عشرين تأليفا .

ترجمه الصفدى فى الوافى بالوفيات وفى نكت الهميات - كما بان من كلامنا -
وترجمه أيضا ابن شاکر الکلبى فى الفوات (١٨٢/١) ، وابن حجر فى الدرر
(١٨٤/٢) وقال : « ذكر ابن رافع فيما قرأت بخطه أنه سبط القاضي محيى الدين
عبدالله بن عبد الظاهر ويلقب ناصر الدين ، قال : وسمع من جده لأبيه ومن خطيب
المرّة وعبدالرحيم الدميرى ، وأجاز له جمال الدين ابن مالك ، ورأيت خطه بالأجزاء ،
قول : وقرأ النحو على ابن النحاس . وذكره البرزالي فقال : كان مشهورا بالفضيلة وفى
الأدب ، كثير الحكايات والنوادر ، وتصدر لأقراء النحو بالجامع الصالحى ، قلت : وهو
ابن أخت محيى الدين لا سبطه » (١) . وله مقطعات منقولة فى التواريخ .

توفى فى ليلة الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة سابقا ، أغنى سنة
« ٧٣٠ هـ » ، وفى الفوات أنه توفى سنة « ٧٣٣ هـ » . وذلك من الوهم . وفى
الفوات هفوات (٢) .

وأسلوب تأليف هذه السيرة على السنين ، ومن عادة المؤلف أن يستوفى ذكر الأخبار
على اختلاف رواياتها ، قال فى حوادث سنة « ٦٨٠ هـ » . « ذكر هلاك أبنا ، ورجوع
الملك الى تكدار المسمى أحمد » .

« وفى هذه السنة تواترت الأخبار بموت أبنا بن هلاو ، وذلك لما ناله عقيب
كسرة منكومتر من رعب وخوف ، ولما شاهده من هول بقتل عساكره وأكابر المغول .
وبينما هو فى هذه الحال ، اذ بلغه أن خزائنه وخزائن أبيه كانت فى برج من قلعة على
البحر ، وأن ذلك البرج خسف الله به ، وغارت الأرض به فى البحر بجميع ما فيه ،
ولم يسلم الا قطعة من البرج . قيل : ان أبنا دخل الحمام وخرج منها ، فسمع
أصوات جملة من الغريبان وهى تنعق ، فقال : هذه تقول أبغامات ، أبغامات . وركب من
الحمام ، فاذا كلاب صيده كلها عوت فى وجهه ، فتشام بذلك . ومات أبنا فى نصف ذى الحجة
سنة ثمانين وستمائة فى قرية من قرى همدان اسمها نابل ، وقيل : فى بلد اسمها
كرمانشاه من بلد همدان . وسبب موته أنه لما عاد من جهة الرحبة تصيد وساق وراء

(١) وترجمه من المتأخرين أمين العمري فى كتابه « عنوان الشرف » كما فى أصول
التاريخ والأدب (١٣٨/٢٣) ، عن « نسخة باريس ٥١٣٨ ور ١٢٩ »

(٢) من ذلك ما جاء فى ترجمة شرف الدين ظفر ابن الوزير عون الدين ابن هبيرة
(١٩٨/١) أنه توفى سنة « ٦٥٢ » ، والصواب « ٥٦٠ » ، ولعل الوهم من الناسخ .

غزال فتقطر من الفرس ، فنزل فى خرّكاء ، ودخلت السحرة عليه ، فقال : أى شئ- هؤلاء اللابسون الأسود ؟ وحمل فمات - كما ذكرنا - ودفن فى قلعة تلا عند أبيه ، ومات بعده بيومين أخوه أجاي ... ولما مات أيضا بن هلاون ، وقع الاختلاف فيمن يقعد فى التخت ، فتعصب جماعة لأحمد بن هلاون ، واسمه الحقيقى تكدار ، واسم أمه فتوخاتون (كذا) ، وهى نصرانية ؛ واتفقوا على إقاعده فى تخت الملك ، وما هن على بعض المنول قصود أحمد ؛ لأنه ادعى أنه مسلم ، فحضر أخوه قنفرطاي^(١) ، وقال لأرعون بن أيضا بن هلاون : ان أيضا شرط فى الياسة^(٢) أنه اذا مات ملك ما يقعد عوضه الا الأكبر من أولاده ، وقد رتبنا أحمد ، ومن خالف يموت . فاطاعوه ، وسيروا الاجية لاحضار الملوك ليكتبوا خطوطهم بالارتضاء بالملك أحمد . ولما جرى ذلك ، تحدثوا فيما بينهم فى أن قوتهم قد ضعفت ، ورجالهم قتل ؛ وأن المسلمين كلما راحوا فى قوة ، وأنه لا حيلة فى هذا الوقت من اظهار الاسلام ، والتقرب الى مراضى مولانا السلطان واكتفاء بأسه (كذا) بذلك واشاعة هذا الامر . فسير (أحمد تكدار) كتابا الى بغداد هذا مضمونه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا آله الا الله محمد رسول الله ؛ وانا جلسنا على كرسى الملك ، ونحن مسلمون ، فيتلقون أهل بغداد (كذا) هذه البشرى ، ويعتمدون فى المدارس حقه فى أوقات المساجد والمدارس^(٣) ، ولا يخرجون عن القواعد الاسلامية . « وأتم يا أهل بغداد مسلمون ، وسمعا عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لا تبرح هذه العصاة الاسلامية مستظهرة ظافرة الى يوم القيامة . وقد عرفنا أن هذا الخبر صحيح ورسول صحيح (كذا) ورب واحد فرد صمد ، فتطيبون قلوبكم ، وتكتبوا الى البلاد جميعها . « وشرع الملك أحمد فى تجهيز رسل الى أبواب مولانا السلطان ، فسير قطب الدين محمودا الشيرازى قاضى سيواس والأمير بهاء الدين أتاك السلطان مسعود صاحب الروم ... »^(٤) .

ويظهر مما نقلنا من هذه السيرة أن المؤلف اتهم السلطان أحمد بن هولاکو فى

(١) جاء ذكر هذا الأمير التترى فى حوادث سنة « ٦٤٨ هـ من مختصر الدول (ص ٤٥٦) بصورة « قنقور تقای » . وفى حوادث سنة ٦٨٣ من المسمى الحوادث الجامعة ص ٤٣٦ « قنقورتای » .

(٢) المتعالم أن « الياسة » من وضع جنكيزخان وهى مجموعة سياسة دولته وأحكامها وآدابها .

(٣) هذا المنشور هو الذى حمل تلامذة المستنصرية على الوثوب بناظر الاوقاف وصدرها جمال الدين المستجردانى - كما ورد فى الحوادث (ص ٤٤٢) .

(٤) أصول التاريخ والأدب (١٨١/٥) عن الكتاب المذكور .

اسلامه ، وأنه انما أظهر الاسلام احتيالا ومخادعة • وهو رأى يدل على فكر جواد في تحليل الحوادث التاريخية ، ولا يستلزم بجولانه أن يكون مصيبا ، وقد قال في غير هذا الكتاب يذكر رأيه في تجهيز الملك الظاهر بيبرس للخليفة المستنصر الانصر من مصر وتوجيهه نحو العراق لمحاربة المغول واستفاد العراق منهم سنة « ٦٥٩ » هـ : « أقول : ما رأيت أعجب من هذا الرأي ، وأعجب منه موافقة ذوى الرأى والمشورة عليه ، وقوم قد استولوا على البلاد بكثرة عددهم واستعداد عددهم وقوة جأشهم وكثرة جيشهم ، كيف تسير اليهم هذه الشرذمة المتحقق أنها لا تقى بألف منهم ، وانما هى أموال ضيعة ، وأرواح للحياة ودعت ؛ ولو توجه العسكر المصرى بكماله ، والشامى بعربه ورجاله ، لكان فيه أعظم تقرير ، وانما هى المقادير • والسلام » (١) • فهذا رأى مؤرخ زنيق لمؤرخ مفكر متدبر بعيد النظر حر الفكر ، ومن المؤسف لنا ولكل أديب أريب أن تظل آثار هذا المؤرخ الكاتب مطمورة فى الحزائن المقفلة واندفائن المغفلة ، فلا تنشر لتكون منارا للباحثين فى ظلمات التواريخ ، ومشارع لأهل التحقيق والتدقيق • ونود أن نستمر على ذكر فوائد من تاريخه المذكور ، قال كما فى الورقة ٩٦ : (ذكر وصول الشيخ عبدالرحمن^(٢) وصداغو رسلا من جهة أحمد بن هلاون) « قد سبق ذكر هذا الشيخ عبدالرحمن ، وأنه قدوة الملك أحمد ومسيره ، وأنه هو المشير عليه بالاسلام خديعة ومكرا ، حتى يطمئن الى هذه الجهة ، ويكتفى أمر السلطان ، ويتفرغ لقتال قومه وأقاربه واخوته وولد أخيه أرغون ، وتحكم هذا الشيخ عبدالرحمن فى البلاد ، وتحدث فى الاوقاف جميعها ، فى العجم وبلاد العراق والشرق والروم ، وجيت اليه ، وأظهر للمغل أشياء أخذ عقولها بها ، وهو موصلى ، ويقال ان أصه مملوك ويعرف بعبدالرحمن النجار • وما بقى من لا أطاعه (كذا) وصار انلك أحمد وعشيرته من المغل يقفون بين يديه ، ويستمعون اشارته ، وأطاعه كل من فى بغداد والعراق ، وخرق عقولهم بأنواع من التارنجيات (كذا) ، واستولى

(١) أصول التأريخ والأدب (١٩٦/٥) . نقلا من « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية » نقلا من نسخة دار الكتب الوطنية بباريس المشار اليها « ١٧٠٧ ورقة ٢٢ » •

(٢) هو قطب الاقطاب كمال الدين عبدالرحمن بن مسعود ، راجع الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة ص ٤٣١ « وتلخيص معجم الالقب » ج ٤ ص ٣١٤ « و » ج ٥ ترج ٤ ، ٤٠٢ من الكاف « وتاريخ الاسلام للذهبي » نسخة المتحفة البريطانية ، ١٥٤٠ و ٢٥ « والوافى بالوفيات » نسخة بارييس ٢٠٦٦ و ١٧٦ ، وتالى كتاب وفيات الاعيان « نسخة بارييس ٤٠٢ بارييس ٢٠٦١ و ٥٠ » توفي سنة « ٦٨٣ » بدمشق •

على عقولهم ، وأفهم الملك أحمد أنه يصلح له مولانا السلطان ، واعتقد أن أمورهم تتم عند مولانا السلطان كما تمت هناك ، وأنه سيحضر فتكون له صورة ^(١) في البلاد وعظمة واسم ، وتجتمع اليه الناس . وكان الأمر بخلاف ذلك ؛ وذلك أنه لما بلغ مولانا السلطان خروجه من الأردن صارت أخباره تصل الى مولانا السلطان منزلة فتنزلة ومرحلة فمرحلة ، فوصل الى ماردين في الرابع من شهر ربيع الآخر ، ثم وصل الى البيرة ، وصحبته من أكابر المغل صمداغو ، ومعه جماعة من كتاب وفقهاء ومغل لخدمته ، يحملون جترا يرفع على رأسه ، وسلاحدارية وأرباب سلاح وغير ذلك من غلمان ، وحواش وأرباب أشغال ، وذوى خدمة عالم كثير .

وكان مولانا السلطان قد سير بازالة هذه النواميس ، وازالة زخم العجم ، الذي يقصدون اقامته في بلاد مولانا السلطان ، فلما ركبوا من البيرة المحروسة تلقاهم الأمير جمال الدين آفش الفارسي ، أحد الأمراء بحلب المحروسة ، فمنعهم من حمل الجتر وحمل السلاح ، وركوب المغل خلفه ، وركبهم في الليل من غير رهج ولا اعلام أحد بأمرهم ، وسار بهم منكبا عن الطريق السلوكية ، فعز عليهم ذلك وانزعجوا ، فما التفت اليهم جمال الدين آفش الفارسي ، ولا شال بهم رأسا ، وقرر أن أحدا من المجردين معه لا يكلمهم ولا يحدثهم ولا يساقطهم ولا يملأ منهم عينا ولا نظرا .

ووصل بهم حلب في سادس عشرين من شوال من هذه السنة (٦٨٢) وأخفى أمرهم حتى لم يعلم بهم أحد ، ولم يجسر أحد يكلمهم ، ولا يتحدث في أمرهم بشيء ، ثم أخرجوا من حلب في الليل وعدل بهم عن الطرقات السلوكية ، وصاروا يسوقون جملة والمجردون بعيد منهم ، بحيث لا يسمعون كلامهم ، وهم ينزعجون ويحردون ، ولا يلتفت أحد عليهم ، حتى وصلوا الى دمشق ، كما ذكرنا ، فدخل بهم في الليل الى القلعة ، وأنزلوا في دار رضوان ، وكثرت الاقامات عليهم ، من كل شيء من سائر الأصناف ، وجرى الأمر على أن أحدا لا يكلمهم ، ولا يتحدث معهم بشيء . بل يسمع ما يقولون ولا يرد عليهم جواب (كذا) . وجعل غلمانهم وحواشيهم وأرباب الخدم ناحية ، في أماكن محفوظة ، وأقيمت لحيلهم ودوابهم غلمان يدورون بها ويخدمونها ، وحفظت عددها وآلاتها . واستمر حالهم على ذلك الى حيث حضور مولانا السلطان الى الشام ، على ما سيذكر .

« ور ١٠٣ » سنة ٦٨٣ (ذكر خروج مولانا السلطان في هذه السنة الى الشام

(١) أراد بالصورة « الناموس والقدر العالي » .

(المحروس) :

«... فلما وصل الى غزة وردت الأخبار بأن الملك أحمد مات ، وقوم يقولون أسر وأن أرغون اتفقوا معه جماعة من المفل على امساك أحمد وخلعه من الملك ، وأن فرقة تقدير أربعة آلاف فارس حضرت مقفزة من التتار طالين الشام المحروس ... فدخل دمشق المحروسة ، في تاريخ يوم السبت ثاني جمادى الآخرة ... وكان في ابتدائه احضار رسل الملك أحمد ، وهم الشيخ عبدالرحمن وسمداغو ، فأحضرهم وقد صبح عند مولانا السلطان موت الملك أحمد مرسلهم هذا ، ولم يعلموا به ولا وصلهم خبر عنه ، وبقي كل من يحضر اليهم يمسك ويحضر الى أبواب السلطان ، وهم لا يعلمون ، وتؤخذ الكتب وتقرأ ، وهم لا يفهمون . وجلس مولانا السلطان في الليل وأوقدت الشموع الكثيرة ، ولم يبق حول مولانا السلطان غير خواص مماليكه لا غير ، وهم في أحسن زى وأكمل صورة ، ومولانا السلطان قد بهر جلاله ، وكان يأخذ العقول جماله ... فلما دخل الشيخ عبدالرحمن اعتقد أن ذلك المقام لا يهول ، وانه (لا) يستخف عقولا مثل تلك العقول ، فدخل بزى الفقراء ، فرسم له بتقيل الأرض ، فأبى كبرا منه وزهوا ، فأهوى به الى الأرض حتى كادت أعضاؤه تنفسخ عضوا عضوا ، وفعل ذلك طرعا عدة ، والعين اليه من مولانا السلطان غير ممتدة ، وكذلك فعل بسمداغو وشمس الدين ^(١) ابن الصاحب الواصل معهم . ولما حضروا سمع مولانا السلطان كلامهم وأخذ الكتاب الوارد من الملك أحمد على يد الشيخ عبدالرحمن ، وقاموا من بين يدي مولانا السلطان ، فسير لهم الخلع الفاخرة مرارا ، وتفقدتهم وأعلمهم بعد ذلك بموت السلطان أحمد ، ثم أحضرهم مرة أخرى ، وكان الشيخ عبدالرحمن قد أحضر هدية قبلت ، واستقروا على حالهم ، في الاحسانات والاقامات الواسعة والمعاملة بأجمل . ثم ذكر نسخة الكتاب ^(٢) وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله - تعالى - بإقبال قآن فرمان أحمد .
الى سلطان مصر ، أما بعد فإن الذى يجب على العاقل بذل الجهد ، وترك الاهمال

(١) فى تاريخ المفضل بن أبى الفضائل « نسخة باريس ٥٢٥ : ور ٨٢ » انه « ابن التيتي وزير صاحب مارددين » وهو أبو القداء اسماعيل بن أحمد المعروف بابن التيتي الوزير الفقيه على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ولد سنة ٥٩٩ هـ . وذكره أبو حامد ابن الصابوني فى تذييله على نقييد ابن نقطة « نسخة الاوقاف ٨٥٢ ور ٨٦ . وأثنى عليه (١) وهى مخالفة للنسخة التى ذكرها ابن العبرى فى مختصر الدول « ص ٥٠٦ » .
والأخرى المنقولة فى ملاحيق السلوك « ج ١ ص ٩٧٧ » .

والتواني ، واستفاد الوسع في اقتناء الذكر الباقي الذي هو العمر الثاني ، وقد انحصر التناء الجميل والثواب الجزيل في التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ، واستعمال العدل والنصفة المندوب اليهما . وأتى عدل ونصفة أعظم قدرا ، وأعلى ذكرا في سائر الأصقاع والممالك ، من انقاذ الأنفس بجريعة الذن من المهالك واطفاء نائرة أكباد حرى وقلوب جرحى ، ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس . ولما لم يكن لنا بفضل الله وإحسانه الجسم افتقار ولا بنية ، ولم يبق في ضميرنا ارادة ولا منية ، سوى رفاهية العالم ، وطمأنينة بنى آدم خصوصا الطائفة الاسلامية ، وأهل الملة الخنيفية ، أنفذنا الأيلجية^(١) الى اخواننا نوقاي أفا وتول منكرو وغيرهما ، ونبهناهم على أن الملك العقيم الذى ادخره لنا جدنا جنكيزخان وآباؤنا الكرام ، بعد الصبر على المشقة فى تحصيله والمقاساة ، وتحمل أعباء الشدائد والمعاناة ، بمجرد النزاع والحصام ، وخلاف الوفاق واختلاف الكلام ، قد أشرف على شحوب بهجته ، وبهائه ، وتكدير رونق صفاء مائه ، والآن أن نستبدل وحشة النزاع بأنس الصلح^(٢) ، وتنعوض عن غيب ليلة النفار والنقار تابشير الصبح ، ونغمد السيوف البواتر التى استلت من الأعماد ، ونفى أثر الهرج والمرج ونعرض عن الأعراض والأحقاد ، ونفق الجميع على القيام بواجب كيوخ قآن وخدمته ، والالتزام بواجب طاعته ، والاشتغال على ما ينوط بمصلحته ، وحيث تأملوا ذلك بعين البصيرة ، ورأوا من حنكة دوران الفلك والتجربة تبين لهم أن هذا الرأى محض شور لا يشوبه غش ولا مدهانة ، وخالص تنبيه لا يغادره (كذا) سوى زبدة المباحة ، فقالوا : ان الذى وقع من الخلاف ، كان بين من قد قضى نجه من الآباء والأسلاف ، ولم تجر بيننا مخاشنة ، ولا وقع خلف ومشاحنة ، فعدنا الى ما كان عليه أبائنا القدماء الكرام ، من الاتفاق والاتلاف وحفظ العهود والذمام ، والتزمنا أن لا ينحل عقد هذا النظام ، والله الموفق للرشد والهادى الى السداد . ولما تفرغ البال لاصلاح ذات البين ، واستحكمت مرائر الاتلاف بين الحهتين ، أنفذنا الايلجية ، بعد النية الخالصة لله وللرسول ، تسكيناً للفتن النائرة ، واطفاء للهب تلك النائرة ، وحقنا لدماء المسلمين وسدا للثة الدين ، فكانت خلاصة جوابه ، وزيدة خطابه ، عند وقوفه على ما كتب به اليه : أنه لو أنفذ أبونا شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن كنكت أسكن

(١) اليلجية هم البريديون وستأتى الكلمة بصورة « الايلجية » وبها سمي بيت الايلجى ببغداد .

(٢) هذا وهم من الكاتب والصواب « أن نستبدل أنس الصلح بوحشة النزاع » .

الى أمانته ، وأخلد الى دياناته ، وأسمع منه ما لم تحتمل ايداعه الكتب ، وأشافه بما
عدى من المصالح ، وأخاطبه بما ينطوى عليه ضميرى للمسلمين من النصائح ، هذا
وغير خاف أنه يمزج علينا بعباده ، ويوحشنا بينه وفراقه ، وربما اتصل به ما نستفيد من
حسن معاشرته ، وجميل مصاحبته ، وحيث كان التماسه موجبا لاشاعة الخير العام ،
واذاعة شعار الاسلام ، رضينا بتوجيهه الى جهته ، اسعافا لمقترحه ، وجعلناه فى اتخاذه
المهد واليمين ، بدلا عن شماننا واليمين ، ولم يكن بين كلامنا وكلامه بون ، اذ هو لنا
فى أمور الدنيا نعم العون ، والترمنا كل ما عساه يسندنا اليها ، وبما يرى ، ثقة بأنه الناصح
الأمين ، الذى لا ينطق عن الهوى ، وربما شرذمة من الجهال ، من الجهتين من أهل
الشقاق والتفاق (الذين) لا تجتمع كلمتهم على الوفاق ، ينافى طبائعهم الصلح ، « يريدون
ليطفوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره - « لاختلاف ملتهم ، وطمعا فى ادراك بغيتهم ،
فالواجب أن لا تسع أقوالهم ، وترك أفعالهم « أولئك الذين حبطت أعمالهم » ومن
المعلوم أن كل أمر ... (١) الوجه الجميل ، بحيث تتجسم فيه مواد القال والفيل ،
لا ينبغى أن تكون الحال فيه بانحد ، وخصوصا فى الخطب الأدب ، والامر الحد . الحمد
لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وكتب فى أوائل ربيع الأول
سنة اثنين وثمانين وستمائة ، بسلام تبريز ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم

سنة ٦٨٤ هـ ور ٢٣٩ هـ « وكذلك أغار الأمير هبة (٢) بن الأمير شرف الدين عيسى
ابن مهنا على بلد الشرق ، من جهة آمد وصيين ، وكان معه حشود كثيرة من أصحابه
ومن حشود الرجة ، وغنموا ما يزيد عن (كذا) ثلاثين ألف رأس من الأنعام ، وجملة
من الأبقار ، وغير ذلك ، وخرجوا سائمين غانمين ، وارتجت بلاد الكفار بهذه الاغارة ،
وذلت بها الأعداء »

مصطفى جواد

(١) بياض فى الأصل

(٢) لعل الأصل « مهنا » .

(٥) المصطلح الفني في اللغة العربية

أهمية المصطلح الفني

يقوم الانتاج في المجتمعات المصرية ويقوم العمل في حقول التخصص العلمي والفني على قواعد من العلوم الطبيعية والرياضية . ففي المصنع والنجم والمزرعة ، وفي الجامعة ومعهد البحوث والمختبر ، يجري العمل على طرائق وفي أوجه تخصص نشأت من تلك العلوم الطبيعية والرياضية وعلى تطبيقات هندسية و « تكنولوجية » لها .

ان الذين يعملون في حقول الانتاج فيتخذون موضوعات التخصص الفني العديدة مهنة لهم من مهندسين وكيميائيين وفيزيائيين وعمال ماهرين ، عليهم أن يستخدموا لغة التفاهم والتعامل يكون للمصطلح الفني فيها المقام الاول .

وان مؤسسات البحث والاشتغال العلمي ومعاهده بنوعها الاساسية والتطبيقية - وقد لازمت الانتاج المصري وأضحت مصدر تقدمه - تجد نفسها قاصرة عن تأدية مهمتها اذا لم تول المصطلح الفني عناية كبيرة ، وتسرع على أسس وقواعد صحيحة في وضعه وفي استخدامه . والمصطلح في محيط عمل تلك المؤسسات ، في نشوء وتكون وتولد ، يسير مع نشوء العلوم وتقدمها .

وان الذين يدرسون للتخصص بالعلوم والفنون ، عليهم أن يدرسوا ويتبعوا في لغة لا يمكن التعبير فيها بنبر المصطلح الفني .

وان مؤسسات الانتاج عامة اذا كانت مما يتصل مباشرة بالمصنع أو النجم أو المزرعة ، أو اذا كانت مما له علاقة بها في الادارة أو التوزيع أو غير ذلك من متمات الانتاج ، تواجه جميعها المشكلة نفسها .

وان معدل القارىء يجد العلوم والفنون تلك قد دخلت في حياته اليومية كفرد وكمواطن . وقد كان ذلك خلال السنوات العشر الماضية على الأخص الى مدى يتضح من تتبع ما يقدم الى معدل القراء في الصحف اليومية وفي المجلات في البلاد الصناعية من بحوث ومعلومات علمية وفنية كانت - الى ما قبل الحرب العالمية الاخيرة - تعد من شأن العلماء والباحثين دون سواهم . وقد كان ذلك نتيجة دخول تلك العلوم والفنون في الحياة العامة وارتباطها بواجبات المواطن وتكون صلتها بوعيه السياسي والاجتماعي وعلاقتها بمشكلات يومه .

يتضح من كل ذلك ما للمصطلح الفني من أهمية في لغة الانتاج المصرى ومؤسسات البحوث والاشتغال العلمى ، وفى الدراسات الجامعية للتخصص بالعلوم والفنون ، وفى الحياة العامة فى المجتمعات المصرية .

مشكلة المصطلح الفني فى اللغة العربية ونتائجها

ان الأسس والقواعد العلمية للانتاج والتطبيقات والمبتكرات ، التكنولوجية ، فيه ، وان موضوعات التخصص الفني ومواد البحوث العلمية والفنية ، جميعها تنأت علومنا وفنوننا جديدة أو فروعاً جديدة فى نطاق علوم قديمة .

ان اللغة العربية محرومة من تلك العلوم والفنون الجديدة . ومشكلة المصطلح الفني ، وصعوبة وضعه فى اللغة العربية ، كانت ولم تزل من أول أسباب ذلك . لا شك فى أن هنالك مشكلات فى التعبير فى الموضوعات الفنية باللغة العربية ، وتلك المشكلات تختلف بطبيعتها عن مشكلة المصطلح الفني . وحل مشكلات التعبير الفني ، مرهون بالزمن وبدوال العلم والفن ، وهى لذلك لا تدخل فى نطاق بحثنا .

يجد العامل فى ميدان العلوم والفنون فى المجتمع العربى (وخاصة فى حقول الصناعة والتعدين والزراعة وفى البحوث العلمية والفنية وفى تدريس العلوم والفنون) أن اللغة العربية لا تصلح وسيلة للتفاهم فى حقول التخصص تلك ، ويجد أن قيام انتاج مصرى فى البلاد ووقوع تطور علمى وفنى فيها على قياس مجد يتصل بقبول اللغة العربية تلك العلوم والفنون وما نشأ منها من تطبيقات ، تكنولوجية ، قبولاً تاماً ، ويجد كذلك أن لا مناص من فتح باب اللغة العربية على مصراعيه اذا أريد ألا تكون اللغات الأجنبية وسائل للتفاهم والتعامل فى حقول الانتاج والاشتغال العلمى وفى محيطات الدراسة ، تلك اللغات التى تعدد باختلاف البلاد التى يكسب فيها أبناء الضاد تخصصهم . هذا الى أن استخدام اللغات الأجنبية فى التفاهم والتعامل فى حقول الانتاج ، يضع على الكثرة من أبناء العربية ممن يتلقون العلوم والفنون فى بلادهم اكساب المراتبة والخبرة والتخصص ، ثم يعوق انتشارها ، كما أنه يحول دون التفاهم بين القلة ممن تلقوا العلوم والفنون فى البلاد الأجنبية بلغات مختلفة .

ان ما يحول دون قبول اللغة العربية تلك العلوم والفنون هو مشكلة المصطلح الفني وصعوبة وضعه فى اللغة العربية ، فان ما وضع من مصطلحات علمية فى اللغة العربية خلال سنوات عديدة خلت ، لا يتعدى مبادئ العلوم من مستوى الدراسة الابتدائية والدراسة الثانوية . أما المحاولات التى كانت لوضع مصطلحات فنية عربية فى حقول الانتاج من صناعة وتعدين وزراعة وفى اعمال البحوث العلمية والفنية وفى تدريس الموضوعات التخصصية فى الجامعات والمعاهد ، فقد كانت عديمة الجدوى . وما وضع من مصطلحات قليلة جاء موسوماً بالتكلف ضعيفاً فى مؤداه يختلف باختلاف القطر الذى وضع فيه ، وما أزالنا السنين الطوال اختلافاً فى وجهات النظر وتبايناً فى الأسس

والفروع كانا يصحبان تلك المحاولات .
تلك صورة لمشكلة المصطلح الفني في اللغة العربية في مرحلتها الراهنة .

بعض ما كان من حلول

وضعت بعض المصطلحات الفنية في اللغة العربية باختيار ألفاظ عربية تقارب المعاني الظاهرة للمصطلحات الأجنبية ، وصفت بعض المصطلحات من الأصول الأفرقية واللاتينية للمصطلحات الأجنبية ، واستعين في الاصطلاح - في بعض الحالات - بالمصادر والنصوص القديمة . وفي الفقرات التالية تناول بالبحث كلا من تلك الحلول .

وضع المصطلح الفني : عاملا للنشوء والزمن في تكوين المصطلح الفني الأجنبي .

ان اختيار لفظ عربي يقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبي ، لا يفنى بالغرض ، وهو الى ذلك مطلب عسير . فاللفظ الموضوع اذا أريد أن يكون متداولاً ، وهو الأفضل في الوضع وأقرب الى تأدية الغرض ، فإن المعاني المتداولة في بيئة مبتدئة في مضمار التقدم العلمي يندر أن تصح مقابلاً للمفاهيم العلمية والفنية العصرية وتطبيقاتها « التكنولوجية » المخصصة . أما اذا كان اللفظ الموضوع بعيداً عن التداول ومعنا في الغرابة - وهذا ما كان ينحو اليه المعنيون بهذا المجال في كثير من الحالات - فإن النتيجة تكون عديمة الفائدة ، ويعيثا على القارئ والدارس والمتبع ، ولا تكون عوناً لهم في حال ما .

ان المصطلحات الفنية نشأت في اللغات الأجنبية مع نشوء الموضوع العلمي والفني فيها ، فكان المصطلح يوضع لمفهوم علمي جديد ، فينمو بمعناه بصورة تدريجية مع نمو المفهوم العلمي الذي يعبر عنه في ذلك الموضوع ، فيصطبغ المصطلح بالمعنى ، ويسهل قبوله لدى القارئ . ومن الواضح أن نشوء المصطلح على هذا الشكل يختلف اختلافاً تاماً عن الحالة الناشئة عن دخول علم متكامل الى لغة لم يكتب فيها قبلاً كما هي الحال في وضع المصطلح باللغة العربية . فنحصر النشوء والزمن اللذان يسرا وضع وتكون المصطلح في اللغات التي نشأ فيها العلم أو الفن - هما مفقودان في حالة الوضع دفعة واحدة وعلى قياس واسع في اللغة العربية . فلا النشوء والتدرج يعينان على ربط اللفظ بالمفهوم العلمي خلال فترة النشوء ، ولا عامل الزمن كائن ليجمع من تخصيص اللفظ للمفهوم العلمي المعين مساعداً على بناء مصطلحات أخرى في ذلك العلم والتقدم خطوة أخرى في كتابة الموضوع في اللغة الجديدة ، وعامل الزمن ذو أهمية قصوى في هذا المجال ، وكثيراً ما عمل الزمن وشيوع المصطلح في التداول على ثبوت ذلك المصطلح على الرغم من نقص في معناه عند وضعه .

ولايضاح كيفية نشوء المصطلح الفني في اللغات الأجنبية مع نشوء الموضوع الفني ، نقدم مثالا من صناعة التليب ، وهي صناعة حفظ المنتجات الغذائية في علب الصفيح . كان نشوء صناعة التليب قبل مئة سنة تقريبا ، وقد وجدنا في مجلة أخبار لندن المصورة - في جزء منها صادر قبل مئة سنة (٣١ كانون الثاني سنة ١٨٥٣) - وصفا

لعمل من المعامل الأولى التي تأسست في هذه الصناعة ، وقارنا المصطلح والتعبير اللذين كانا يستخدمان في زمن نشوء الصناعة بالمصطلح والتعبير القياسيين في هذه الصناعة في الوقت الحاضر .

كان ما يعرف اليوم باللولب البخارى (Steam Coil) يوصف في ذلك الحين بأنه «تفرعات كثيرة من الأنابيب البخارية (Abundent ramifications of steam pipes) ووصف ما يعرف اليوم بالتخلية (Exhausting) في هذه الصناعة بوصف مطول كثر فيه إيراد المترادفات والألفاظ ، فقل : ولكيما يطرده الهواء من عظام الدجاج والفجوات الأخرى يقوم السادة أبرت وكولدنر بتبديد كل أثر باق من الهواء الجوى .

(The need to expel all the air from inside the bones of fowls and other interstices, Messrs. Appert and Goldner dispel every lingering trace of atmospheric air)

يظهر من هذا أن مصطلحين فنيين في موضوع هذه الصناعة هما اللولب البخارى (Steam Coil) والتخلية (Exhausting) ، كانا في أول نشوء الصناعة عبارة عن تعريفين تكرر فيهما الأوصاف والمترادفات ، فصارا بعد تقدم الصناعة زهاء مئة عام مصطلحين مخصصين شائعين سائغين في اللغة الانكليزية يحملان مفهومين محددين قياسيين ، ويتبلان قبولا طبعيا في التعبير والتعامل والكتابة في صناعة التعليب وفي غيرها من الصناعات ، حيث استخدم اللولب البخارى في التسخين وحشا دخلت التخلية في الصنع .

صوغ مصطلح عربى من الاصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الاجنبى

ان ترجمة الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الفنى وصوغ مصطلح عربى منها ، يعطيان مصطلحا ناقصا فى معناه . فالمصطلح الفنى لم يعد باقيا فى حدود معانى أصوله الاغريقية واللاتينية ، بل نما بمفهومه الفنى باضراء نمو الموضوع الفنى ، وأصبح بعيدا عن مدلوله الأول . ومحاولة كهذه لا تعطينا الا مصطلحا عربيا قد تجرد مما تجمع فى مقابله الأجنبى من مفاهيم علمية وفنية اكتسبها خلال نشوء العلم والفن . وكمثال لذلك نأخذ مصطلح (Halogenation) . فكلمة هلوجين (Hologen) معناها فى الاغريقية مولد الملح، وهو عنصر أو جذر يكون الملح اذا اتحد مع فلز ، ومن أمثله الكلور والبروم والفلور . ان توليد الملح من الكلور (فى أحد مركبانه) مثلا ، والفلز (فى مركب فلزى) وهو التوليد الذى أعطى الكلور اسم مولد الملح ، لم يعد التفاعل الأول للكلور فى الكيمياء أو الصناعة أو البحث ، بل أصبح دخول الكلور أو البروم أو الفلور فى التركيب العضوى وما يقوم على ذلك من صناعة وفنون وبحوث من المفاهيم العلمية الواسعة التطبيق الكبيرة الأهمية . واذا كان مفهوم (Halogenation) قد نما فى اللغة الانكليزية باطراد نمو الموضوع ، فابتعد عن المعنى الاغريقى الأصيل من الناحية الواحدة ، واكتسب المفهوم العلمى الجديد من الناحية الثانية ، فان شيئا من هذا لم يقع فى اللغة العربية ، ولذلك

لا يمكننا استخدام كلمتى التوليد الملحق كمصطلح فنى يقابل (Halogenation) بأى حال من الأحوال . وليس لنا الا أن نقبل بمصطلح (الهلجنة) فهو يؤدى المعنى التام من الناحية الواحدة ، وهو لفظ يمكن استخدامه فى التعبير على اختلاف مشتقاته وفى مختلف المواضيع من الناحية الثانية .

قد يفى بالفرض صوغ المصطلح من الأصول الاغريقية واللاتينية فى مبادئ العلوم من مستوى الدراستين الابتدائية والثانوية ، الا أنه لا يفى بالفرض فى حقول الانتاج والاشتغال العلمى ومعاهد البحوث العلمية والفنية والدراسات الجامعية التخصصية . أضف الى ذلك أن المصطلحات العلمية والفنية فى هذه الحقول لا تكون من أصول أغريقية أو لاتينية الا فى القليل من الحالات .

الرجوع الى المصادر والنصوص القديمة واختيار مصطلحات مما ورد فيها

إذا رجعنا الى المصادر والنصوص القديمة نستمد منها مصطلحات علمية وفنية نستخدمها فى حقول الانتاج العصري ، نجد أن ما ورد فى تلك المصادر من مصطلحات لا يمكن استخدامه فى تلك الحقول ، كما أننا نجد أن كثيرا من المصطلحات القديمة تعبر عن مفاهيم لم تعد جزءا من أسلوب الصنع الجديد ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى نجد أن المصادر القديمة ليست غنية بما يمكن أن يتخذ مادة خاما فى وضع المصطلحات فى علوم وفنون جديدة ، وأن أساليب الصنع الحديثة ومراحلها وعملياتها والمفاهيم العلمية والفنية التى تنطوى عليها والتى تأخذ بها المصطلحات الجديدة ، لا مقابل لها فى المصادر والنصوص القديمة .

فإذا أخذنا أحد تلك المصادر وهو (المخصص) لابن سيدة ، وبخشنا فى موضوع الدباغة مثلا ، وهو موضوع تناول (المخصص) مصطلحاته القديمة بأوسع مما تناول الموضوعات الأخرى ، نجد أنه قد أورد عددا كبيرا من المصطلحات الفنية فى موضوع الدباغة بأساليبها الأولى عند العرب ، ونجد أن هذه المصطلحات شاملة متقنة فى نواح خاصة قليلة لم تعد جزءا من أسلوب الصنع فى الدباغة المصرية ، ثم نجد أن المخصص خال من مصطلحات تقابل مفاهيم وعمليات الصنع الأساسية فى الدباغة المصرية . ولايضاح ذلك نورد أمثلة من تلك المصطلحات ، وتناول البحث فيها .

ولنبداً بمصطلح للجلد المدبوغ المد ، ويقابل ذلك كلمة (Leather) فى اللغة الانكليزية . فقد أورد المخصص مصطلح « المنبة » وهو الجلد أول ما يدبغ ، ثم « الاثاق » وهو المستوفى للدباغ ولم يشق بعد ، ثم « الاديم » وهو الاثاق اذا شق وبسط حتى يبالغ فيه ما قبل من الدباغ ، ، فيبدو أن كلمة الاديم هى المصطلح المطابق لكلمة (Leather) . ولكننا لا نلبث أن نجد كلمة الاديم قد أطلقت فى مواضع كثيرة من المخصص نفسه ومن غيره من المصادر على الجلد الخام غير المدبوغ ، ومن هنا كان استخدامها مصطلحا مخصصا لكلمة (Leather) غير سليم .

أورد المخصص مصطلحا للجلد الخام صالحا هو الالهاب ، وما استخدم هذا المصطلح لغير الجلد الخام . الا أن المخصص كان خاليا مما يمكن اطلاقه على صنفين رئيسيين من الالهاب هما الالهاب الخفيفة ، ومقابلها فى الانكليزية (Skins) ، وهى ألهاب الضأن والماعز . والالهاب الثقيلة ، ومقابلها فى الانكليزية (Hides) ، وهى ألهاب البقر والجاموس والابل . وهذان الصنفان من الالهاب ، جعلنا من صناعة الدباغة المصرية فرعين رئيسيين يختلف أحدهما عن الآخر . فمن الأهمية بمكان أن يكون لكل من الصنفين مصطلح فى الصناعة . وفى اللغة الانكليزية نجد لمصطلحي (Skins) و (Hides) أهمية كبيرة فى التعبير والتعامل فى محيط هذه الصناعة .

أورد المخصص لجلد السخلة أسماء كثيرة هى : « الشكوة - مسك السخلة ما دام يرضع ، و « البدره - مسك السخلة اذا فطم ، ، و « السقاء - مسك السخلة اذا اجذع ، ، و « الوطب - جلد الجذع فما فوق ، ، وهى مصطلحات شاملة فى ناحية معينة الا أنها لا تمت الى أساليب الصنع فى الدباغة المصرية بصلة مجدية .

ومن مصطلحات المخصص : « الحلم - الجلد اذا تنقب من الثفن ، ، و « الحلاء - قشرة الجلد الرقيقة التى تكون فى أصول الشعر يقشرها الدباغ ، ، و « التحلىء - شعر وجه الأديم ، ، وهى مصطلحات لا تسد فراغا فى التعبير فى موضوع الدباغة المصرية . ومهما يكن من أمر المصطلحات الواردة فى المخصص فى موضوع الدباغة ، فإنها لا تتاول المفاهيم التى تطوى عليها أساليب الدباغة المصرية وأجهزتها والعمليات التى تألف منها فى مختلف المراحل . ففى المراحل التحضيرية من الدباغة ، نجد المصطلحات الانكليزية التالية :

Pickling, Sweating, Lining, Plumping, Falling, Bating, Puer-ing, Drenching

وفى مراحل الدبغ الكرومى والنباتى والشبى والحديدى والزيتى وغيرها ، نجد

المصطلحات التالية : Stuffing, Fat Liuering, Curryng, Loading

وفى المراحل الاكالمية ، نجد المصطلحات التالية :

Staking, Glazing, Rolling, Ironing, Plating, Graining, Embos-sing, Buffing

وليس بين المصطلحات الواردة فى المخصص ما يمكن أن يتخذ مقابلا لمصطلح من هذه المصطلحات الانكليزية فى الدباغة ، وليس بينها ما يتاول موضوع تلك المصطلحات من قريب أو بعيد لكيما يتخذ مصطلحا بعد أن يخصص ويشاع استخدامه ، فهى لذلك لا تسد فراغا يذكر فى موضوع الدباغة المصرية .

لقد تناولنا فى مثالنا موضوع صناعة قديمة هى الدباغة ، وبحثنا فى مصدر من أغنى المصادر القديمة ، فلم نجد من المصطلحات ما يمكن التعبير به عن أساليب الصنع الجديدة

فى تلك الصناعة • فاذا كانت الصناعات التى نستمذ مصطلحات عربية فى موضوعها من المصادر والنصوص القديمة صناعات جديدة مستحدثة تقوم على فنون اكتشفت فى العصر الحديث ، ولم يكن للعربية سابقة فيها ، فان ما يمكن للمصادر القديمة أن تمدنا به نادر حقا •

وضع مصطلحات عربية على نطاق واسع دون غيرها ليس بعلى

قلنا فى فقرة مقدمة ان تكوين المصطلح الفني فى اللغات الاجنبية جاء مع نشوء الموضوع الفني فى تلك اللغات ، فكان التدرج فى الموضوع الفني يعين على قبول المصطلحات الجديدة التى تنشأ فى مراحل ذلك التدرج • ومن الواضح أن وضع المصطلحات الفنية فى اللغة العربية فى علم أو فن دفعة واحدة كما تقضى به الحال ، لا يساعد على تكوينها تكوينا صحيحا ، لذلك فان اختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الاجنبى اذا جرى فى موضوع ما على نطاق واسع ، لا يفى بالغرض ، ولا يعطينا مصطلحات مفيدة • ان مصطلحى اللولب البخارى (Steam Coil) والتخلية (Exhausting) اللذين وردا فى فقرة مقدمة هما بعيدان - على الرغم مما يبدو من صلاحتهما - عن أن يكونا مصطلحين مخصصين مقبولين قبولاً عاماً فى العربية ، وقد يكونان كذلك بعد بضع سنين • أضف الى هذا أن المصطلحين يتناولان عملين أوليين فى الصناعة ، وأنهما بالقياس الى المصطلحات • التكنولوجيا • الأخرى ، يعدان من المصطلحات الابتدائية •

وقلنا فى فقرة أخرى ان صوغ المصطلح العربى من الأصول الاغريقية واللاتينية للمصطلح الاجنبى ، يعطينا مصطلحا قد تجرد مما تجمع فى مقابله الاجنبى من مفاهيم وتداعى معان ومما ارتبط بالمصطلح من محيط استعماله خلال نشوء العلم • فاذا ضعفت المصطلحات العربية من الأصول الاغريقية واللاتينية على نطاق واسع ، واستخدمت فى كتابة الموضوعات الفنية ، جاء الموضوع المكتوب ثقيلًا يسر تبعه •

وبنا أن ما يمكن للمصادر والنصوص القديمة أن تمدنا به من مصطلحات عربية فى موضوعات الانتاج العصرى التى تتناول علومًا وفنونًا جديدة لم يكن للعربية سابقة فيها ، نادر جدا •

المصطلح العلمى مصطلح اعمى

يسم العلم بطابع الأمية فى منشئه وفى استخدامه ، فقد نشأت العلوم قديما وحديثها من نتاج علماء من أمم كثيرة ، ودونت فى لغات عديدة ، ولم يكن استخدامها ملكا للأمة دون أخرى • ولغة العلوم والفنون المصرية أممية فى ناحية المصطلح • فالمصطلحات العلمية والفنية موحدة بين اللغات الحية الى مدى بعيد جدا ، فالانكليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية وغيرها تشترك فى المصطلحات العلمية والفنية ، ولا يقف هذا الاشتراك عند حدود اللغات الغربية ، فقد تمداها الى لغات شرقية كثيرة لما أخذت تلك اللغات بالانتاج العصرى وفنونه •

قبول المصطلح الأجنبي في العربية

إذا كان وضع المصطلحات العربية على نطاق واسع باختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبي ليس بحل ، وإذا كان صوغ المصطلح العربي على نطاق واسع من الأصول الأغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبي ليس بحل ، وإذا كان الرجوع إلى المصادر والنصوص القديمة على نطاق واسع ليس بحل ، فالحل في أن يكون وضع المصطلح العربي باختيار ألفاظ عربية تقارب المعنى الظاهر للمصطلح الأجنبي في حدود تؤمن سلامة الموضوع الفني وسهولة فهمه والابتعاد عن أرباك الدارس والمتبع ، وهي حدود لا شك ضيقة ، وأن يكون صوغ المصطلح العربي من الأصول الأغريقية واللاتينية للمصطلح الأجنبي في حدود ضيقة كالتي بنا آفا ، وأن يكون ذلك في نطاق الدراستين الابتدائية والثانوية وفي المواضيع التخصصية في العلوم الأساسية في الدرجة الأولى وليس في العلوم التطبيقية ، وأن يكون الرجوع إلى المصادر والنصوص القديمة في حدود ضيقة أيضا . فإذا تعذر بعد ذلك وضع مصطلح عربي صحيح مفيد سائغ ، أو صوغه ، نعود إلى المصطلح الأجنبي ، ونقبل منه في العربية . ومن غير تردد كل ما يترتب علينا قبوله في سبيل نقل الموضوع العلمي أو الفني إلى اللغة العربية وفي سبيل تأمين سلامة الموضوع الفني وسهولة دراسته والتبع فيه . وقد يكون ما نقبل من المصطلحات الأجنبية في القلة في بعض الحالات والموضوعات ، وقد يكون في الكثرة في بعض آخر ، وذلك تبعاً لنوع الموضوع ولما ييسر تأمينه من المصطلحات العربية عن طريق وضع المصطلح باختيار الألفاظ العربية المقاربة ، أو صوغ المصطلح من الأصول الأغريقية واللاتينية أو الرجوع إلى المصادر القديمة .

ناظران في قبول المصطلح الأجنبي

ينبغي أن يكون قبول المصطلح الأجنبي في العربية بأقسية عربية ، وأن يكون له عن طريق المجامع العلمية واللغوية .

اللغة كأداة للانتاج وكأداة علم

ان من أول ما يجب تحقيقه في سبيل قيام مجتمع عربي عصري أن تكون اللغة العربية أداة للانتاج العصري وأداة للتعبير في حقول التخصص العلمي والفني ، ومن هنا ينبغي أن ينظر إلى مشكلة المصطلح الفني على أنها مشكلة علم ولغة ، وليست مشكلة لغة فقط .

ان انتقال العلوم والفنون المصرية إلى اللغة العربية باق ما دامت مصادر التقدم العلمي والفني تكتب بلغات غير عربية ، وما دام العلم والفن وأساليب الانتاج أممية تنمو بما تتقضى من نتاج الأمم كلها . وفي مجال هذا الانتقال يعمل في حقول الانتاج وفي حقول الاشتغال العلمي والفني جماعة من أبناء الضاد تلقوا العلوم والفنون في لغات أجنبية . وتتقدم في ناحية أخرى من هذا المجال جماعات كثيرة من أبناء الضاد تلقوا العلوم في بلادهم عاملين

على اكتساب الخبرة والمرانة والتخصص عن طريق التتبع والاتصال بالمراجع العلمية والفنية وعن طريق الاشتغال العلمي في الانتاج وفي المعاهد الفنية .

ان وضع المصطلحات العربية باختيار ألفاظ عربية أو صوغها من الأصول الاغريقية واللاتينية ، أو الرجوع الى المصادر القديمة على الصورة التي بناها في فقرات متقدمة ، ثم الاعراض عن قبول المصطلح الاجنبى فى اللغة العربية ، لما يكلف الذين تلقوا العلوم والفنون فى لغات أجنبية عناء العمل فى لغة فنية لا يعرفونها ، فيربك عليهم العمل ، ثم يكلف الذين تلقوا العلوم والفنون فى بلادهم عناء التتبع فى لغات أجنبية لا يرتبط المصطلح فيها بمحيط استعماله فى لغة دراستهم فيعوق ذلك - الى حد بعيد - تقدمهم فى موضوع تخصصهم واكتسابهم الخبرة والمرانة .

وفى كلتا الحالتين تقف المصطلحات العربية التى لا يراعى فى وضعها ما قدمنا على فقرات سابقة عائقا فى طريق انتقال التخصص فى العلوم والفنون ، واكتساب الخبرة والمرانة ، وقيام انتاج عصرى على قياس مجد فى بلادنا ، وتكون ثروة من العلم والفن فى مجتمعنا لا يعادلان بشئ .

بحث فني

موارد تأريخ الطبرى

تأريخ الفرس والروم

وتختفى أسماء الرواة فى الفصول التى دونها الطبرى عن تأريخ الفرس والروم ، فلا نقرأ تلك الجمل التى كان يكثر من ترديدها فى تأريخ الرسل والأنبياء فى صدر كل خبر ورواية ، مثل : « حدثنا فلان قال حدثنا فلان عن فلان عن ... قال : » ، أو « حدثنى فلان ، قال : حدثنا ... قال : أخبرنى فلان .. قال : أخبرنى ... قال : ... » ، واستعاض عن هذا وأمثاله فى الغالب بجمل بنيت على المجهول ، لم يصرح فيها باسم الراوية الذى روى له الخبر ، أو المورد الذى أخذ منه . وقد أوجد لنا الطبرى بطريقته الجديدة هذه مشكلات حالت بيننا وبين التوصل الى الموارد التى نقل منها تلك الأخبار .

ونجد فى « تأريخ الأئمة والملوك » تفصيلا عن تأريخ الفرس لا نجده فى كتاب آخر دون فى زمانه أو بعده فى التأريخ العام ، وهو - لما حواه من مادة - من الموارد التى يعتمد عليها الباحثون اليوم فى تدوين تأريخ العجم ، ولكن هذا لا يعنى أنه حوى كل ما وعاه الفرس ، وما نقله النقلة الى العربية من تأريخ الفرس ؛ فثنا نجد فى الكتب الباقية التى تعرضت لتأريخهم أو لتأريخ العرب والفرس أمورا لا نجدها فى تأريخ الطبرى . وقد اعتمد عليه « نولدكه Noldeke » فى تدوين تأريخ الفرس والعرب فى أيام الساسانيين (١) .

وقد قسم بعض المؤرخين تأريخ الفرس الى أربع طبقات : الطبقة الاولى الفسدادية وهم أقدم الطبقات ، والطبقة الثانية الكيانية ، والطبقة الثالثة الاشغانية ، والطبقة الرابعة الساسانية (٢) . أما الطبرى ، فقد سلسل تأريخهم على هذا الأساس ، ولكنه لم يتحدث عن طبقة طبقة فى فصل خاص ، الا الاشغانية الذين يبدأ تأريخهم بـ « أشك بن أشجلان » ، فقد وضع لهم عنوانا خاصا هو : « الملوك الاشغانيون » ، وقد دعاهم أيضا بـ « ملوك

The Noldeke, Geschichte der Perser und Araber zur zeit (١) der Sasaniden. Aus der Arabi. chronik. des Tabari übersetz und mit ausführlichen erlauterungen und erganzungen versehen. Leiden 1879.

الطوائف ،^(١) ، وجعل عنوان الطبقة الرابعة ، وهى الطبقة التى خلفت « الاشغانية » ، « ملوك الفرس » ، وذكر أن أول ملك من ملوكها هو من أبناء ساسان^(٢) . وهذه الطبقة هى طبقة الساسانيين .

ويبدأ تاريخ الفرس عند الطبرى بداية تاريخ البشر ، أى بتاريخ آدم ، وآدم هو جيومرت^(٣) على رأى أكثر علماء الفرس . ولذلك تحدث عنه فى أثناء الكلام على « آدم » ،^(٤) ، وذكر أن بعضهم كان يزعم أنه أبو الفرس^(٥) . وأما أوشهنج ، فهو أول ملوك الفرس^(٦) . وقد عاش فى أيام آدم أو بعده بمئتى عام^(٧) . ولم يصرح بالطبرى بأسماء من أخذ منهم أخباره عن جيومرت وأوشهنج ومن خلفه من الملوك الفيشدادين ، ويظهر من تعابيره التى استعملها فى الأوراق التى دونها عنهم أنه استمدّها من المعين بتاريخ الفرس ومن مؤلفاتهم ، وذلك كالذى يظهر من قوله : « وأما الفرس فانهم قالوا ... »^(٨) . ولابن الكلبي أقوال وتعليقات^(٩) لا ندرى من أين جاء بها الطبرى ، أجاها بها من كتب ابن الكلبي ، أم أخذها من أفواه مشايخه ؟ والذى يخيّل الى أنه نقلها من كتبه ومؤلفاته ، والا فما الذى منع الطبرى من الإشارة الى أسماء من دون تلك الأخبار . وقد قص علينا فى أخبار الرسل والأنبياء وفى أماكن أخرى أسماء من حدثه بروايات ابن الكلبي وعن أخذوا الى أن يتصل بهشام ، أو بصاحب الخبر ، أو بشاهد العيان . وما دونه الطبرى وغيره عن تاريخ الفيشدادية والكيانية والاشغانية ، أكثره أساطير وقصص شعبية يذكرنا بقصص اليونان وبالأساطير التى رويها عن ملوكهم ، وأقله تاريخ جمع ودون فى عهد الساسانيين . أما تاريخ الساسانيين ، فأحسن حالا ؛ فيه مادة تاريخية . وقد كتب فى أيام الساسانيين كذلك ، وأضاف الى المحفوظ ما دونه أهل النجيرة ، وما حفظه الرواة والأخباريون عن علاقة العرب بالفرس .

(١) الطبرى (١١/٢) .

(٢) الطبرى (٥٦/٢) .

(٣) « كيومرت » حمزة (ص ١٢) « فالفرس كلها بأسرها تزعم أن ابتداء التناسل كان من رجل يقال له كيومرت ملك الطين ، أى كلشاه ، وبقي على الأرض أربعين سنة » .

(٤) الطبرى (٧٣/١) .

(٥) الطبرى (٧٤/١) .

(٦) حمزة (ص ١٢) .

(٧) الطبرى (٧٦/١ - ٧٧) .

(٨) الطبرى (٨٦/١) .

(٩) الطبرى (٨٦/١) وفى مواضع أخرى

وابن الكلبي هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المندر اتوفى سنة ٢٠٤ .
أو ٢٠٦ للهجرة^(١) ، وهو فى طليعة المشتغلين فى الأنساب والأخبار وفى تاريخ العرب
قبل الاسلام ، والمرجع الممول عليه فى تاريخ الحيرة والعراق واليمن . ورث من أبيه
الميل الى الأخبار ، فصار من كبار الأخباريين ، وألف فى ذلك كتباً . وله أكثر من مئة
وخمسين مصنفاً^(٢) ، أو مئة وأربعة وأربعون مصنفاً^(٣) . وقد اتهمه المحدثون بالضعف ،
والكذب ، وترك أكثرهم الرواية عنه . وأعتقد أنهم تخرجوا الرواية عنه فى حديث
الرسول وفى التفسير . أما الأخبار والأنساب ، فانهم يعترفون بعلمه فيها ، وبإعانة الطويل
فى هذين الموضوعين .

ويرى نولدكه أن هذه التهم التى وجهت الى ابن الكلبي لم تكن دائماً على حق ،
ويرى أن كثيراً مما رواه كان صواباً ! وأنه قد سلك سبيلاً قريباً من العلم فى دراسة الوثائق
الأصلية والمخطوطات^(٤) . وأنا ، مع تقديرى لجهود ابن الكلبي وسعة حفظه وعنايته بأخبار
العرب قبل الاسلام ، أرى فيه ضعفاً من حيث ميله الى التظاهر بالعلم والدراية بكل خبر
قديم . وفى تاريخ الطبرى وفى مؤلفات أخرى ، روايات نسبت اليه ، ان صح أنها صدرت
منه وأنه هو قائلها حقاً ، فانها تدل على ضعف ملكة النقد لديه ، وعدم تمييزه بين المعقول
والمقول ، بين الصحيح والفاقد ، ولا سيما فى أخبار الأوائل وفى الاسرائيليات . وقد
كان من المغالين فى الأخذ بأقوال أهل الكتاب الذين لم يكونوا فى الواقع من أصحاب
العلم والفهم . فرى أن شيئاً كثيراً مما رواه على أبيه من التوراة ، لا يمت إليها بصلة ما ،
بل لا يمت بصلة ما حتى الى التلمود و « المدراس » ، وقد نرى خلطاً يصعب وقوعه من
رجل من أهل الكتاب . وهذا مما يحملنا على اطراح الثقة به فى بعض الأمور ، والشك
فى صحة ما يرويه ، بل يحملنا على التفكير فى أنه كان يفتعل الأخبار أحياناً للظهور
بمنظر العالم المحيط بكل خبر قديم .

وترجع أكثر الروايات المدونة فى تاريخ الطبرى عن صلوات الفرس بالعرب ،
ولاسيما باليمن ، الى ابن الكلبي . ولضياح أكثر مؤلفاته وعدم وصولها إلينا حتى الآن ،

(١) ابن سعد (٢٤٩/٦) ، الارشاد (٢٥٠/٧) وما بعدها ، تاريخ بغداد (٤٥/١٤) ،

ابن حجر تهذيب (٢٦٦/٩) ، الذهبى : طبقات الحفاظ (٣١٤/١) .

(٢) لسان الميزان (١٩٦/٦) .

(٣) الفهرست (ص ١٤٠) وما بعدها ، لسان الميزان (١٩٧/٦) .

(٤) Noldeke, geschichte der Araber und Perser, S. xxvii .

يلتصّب علينا رجوع ما نقله الطبرى عنه الى أصوله لدى ابن الكلبي : غير أن فى الامكان الاستعانة بضاوين بعض مؤلفاته لتعنين المورد الذى أخذ الطبرى منه . ففمن المتعكن مثلا رد ما ذكر عن الضحّاك ، وهو بيوراسب أو الازدهاى من روايات مرجعها ابن الكلبي ، لم يذكر لنا الطبرى من حديثه^(١) ، الى مؤلف من مؤلفات هشام لم يصل إلينا ، ولعله الآن مقبور فى خزائن الكتب ، استمع خبر الضحّاك^(٢) ، يظهر أنه أخذ من الكتب التى نقلت عن الفهلوية الى الغربية ، أو من رواة الفرس المصنين برواية تاريخهم وحفظه ، وقد كان منهم عدد فى الكوفة . أما المتعلق منه باليمن وبالغرب ، ونسب الضحّاك فى اليمن ، فلا يمكن أن يكون من أصل فارسى . بل لا بد أن يكون من أصل عربى ، من وضع ابن الكلبي نفسه ، أو من وضع غيره . وقد يكون من وضع « الأبناء »^(٣) الذين بقوا فى اليمن ، فربطوا بين تاريخى الغرب والفرس .

وأما ما رواه الطبرى من روايات نقلت عن ابن الكلبي فى ملوك الطوائف ، فإن من الممكن رجعه الى كتاب آخر لم يصل إلينا أيضا ، وإنما ورد اسمه فى الفهرست لابن النديم ، اسمه كتاب ملوك الطوائف^(٤) . وقد أضاف الطبرى الى روايات ابن الكلبي أخبارا يظهر أنه اقتبسها من كتب أخرى منقولة عن الفهلوية ، أو من كتاب ستر ملوك الفرس .

ولابن الكلبي كتاب آخر له علاقة بتاريخ الفرس الساسانيين ، اسمه كتاب أخذ كسرى رهن العرب^(٥) ، وكتاب ثان اسمه كتاب اليمن وأمر سيف^(٦) ، كما أن له كتابا فى ملوك اليمن من التبابعة^(٧) ، وفى أقيال حمير^(٨) ، وفى الأوائل^(٩) ، من الجائز

(١) الطبرى (٩٨/١) وما بعدها غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للشعالبى (ص ١٨) وما بعدها .

(٢) الفهرست (ص ١٤١) ، وقد دعاه « حى الضحّاك » وهو تحريف من التساخ على ما يظهر ، الأصنام تحقيق أحمد زكى باشا (ص ٧٣) .

(٣) « الأبناء » هم أبناء الفرس الذين جاءوا الى اليمن لتحريرها من الأحباش .
Brey. , I , P. 72, Noldeke , geschichte der Perser und Araber zur zeit der Sassaniden , S. 220.

(٤) الفهرست (ص ١٤١) . (٥) الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٤) .

(٦) الفهرست (ص ١٤١) ، وكتاب اليمن وأمر سيف بن حى يزن ، الأصنام

(ص ٧٥) .

(٧) « كتاب ملوك اليمن من التبابعة » الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧١) .

(٨) « كتاب أمثال حمير » الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٢) .

(٩) الفهرست (ص ١٤١) ، الأصنام (ص ٧٢) .

أن يكون ابن الكلبي قد تعرض فيها لتأريخ الفرس . والظاهر أن الأوراق التي حبرها الطبري عن اليهودية في اليمن وعن النصرانية في نجران وغزو الحبشة لليمن ، ونهوض « سيف بن ذي يزن » لطرد الأحماس عن وطنه ، وهي روايات ابن الكلبي مضملا إليها روايات « محمد بن اسحاق »^(١) أخذها الطبري من « كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن » لابن الكلبي ، ومن مؤلف « ابن اسحاق » . أما ابن اسحاق ، فترجع رواياته - على ما ستري - الى محمد بن كعب القرظي ، والى وهب بن منبه ، والى جماعة من أهل نجران . وما دونه عن كندة وصلتها بالفرس ، والحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ^(٢) ، قد انتزعه من كتاب آخر لابن الكلبي اسمه كتاب ملوك كندة^(٣) . وقد نسب الطبري خبره الذي دونه عن قباذ والحوادث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي الى ابن الكلبي ، الا أنه لم يذكر - على العادة التي جرى عليها في تأريخ الفرس - اسم المحدث الذي نقل اليه قول هشام . ونظرا لما عرفناه عنه من اغفال أسماء الكتب التي ينقل منها ، والكتاب الذي ينقل منه ، واستعمال جمل مبهمه مثل : « وذكر أهل العلم . . » ، أو « يوزعم جماعة من علماء المعجم . . » ، أو « وحدثت عن هشام بن محمد قال . . » ونحو ذلك مما يشير الى أنه نقل ما ذكره من الكتب ، فأننا ربما لا نكون مخطئين اذا قلنا ان الطبري قد نقل خبره المذكور من هذا الكتاب .

وربما لا أكون بعيدا عن الصواب اذا ما زعمت لك أن الطبري قد نقل من كتاب آخر من كتب ابن الكلبي ، هو كتاب عدي بن زيد العبادي^(٤) . وقد اعتمد - في تأليفه - على ما سمعه من « اسحاق بن الجصاص » ، وعلى ما أخذه من أبيه محمد^(٥) .

واسحاق بن الجصاص ، أو اسحاق بن عماد ويعرف بابن الجصاص ويكنى أبا يعقوب ، هو من موالى اليمن ، وكان صاحب عيسى بن موسى في أوائل الدولة ، فكان الناس يقرؤون عليه الشعر في دار عيسى . ودرس عليه جماعة من كبار العلماء مثل الكسائي^(٦) وابن الكلبي وأضرابهما . وقد سمع ابن الكلبي أخبار عدي بن زيد مشافهة

(١) الطبري (٩٤/٢) وما بعدها

(٢) الطبري (٨٩/٢) وما بعدها

(٣) الأضنام (ص ٧١) .

(٤) الأضنام (ص ٧٤) .

(٥) الطبري (١٤٦/٢)

(٦) الارشاد (٢٣٢/٢ - ٢٣٣)

من شيخه ابن الجصاص ، كما نقل من كتاب حماد^(١) . ومات فى آخر أيام المنصور .
وقد اشتغل عبدالله بن المقفع ، وهو فى الأصل « روزبة بن دادويه » ، بنقل جملة
كتب فى التاريخ والأدب من الفهلوية الى العربية ، منها : « كتاب خدينامة فى السير »
« خدای نامك »^(٢) ، و « كتاب آيين نامه فى الأصر »^(٣) و « كتاب مزدك »^(٤) ، و « كتاب
التاج فى سيرة أنو شيروان »^(٥) ، و « كتاب كلیلة ودمنة » ، و كتب أخرى^(٦) . فمهد
ابن المقفع - بترجمته لهذه الكتب - للمؤرخين الذين كانوا لا يعرفون الفهلوية أن
يحصلوا على معارف فى تاريخ الفرس القديم . وذكر ابن النديم أن ابن المقفع « كان
أحد الثقلة من اللسان الفارسى الى العربى ، مضطلما باللغتين ، فصيحاً بهما »^(٧) . أما
فصاحته ومعرفته بالفهلوية فمسألة تحتاج فى رأى الى دراسة دقيقة ومقابلة بين الأصول
الفهلوية والنقول التى عملها ابن المقفع بالعربية ، للحكم فيها حكماً علمياً . ولا يصح
الابخذ بالشهرة وبأقوال القائلين الذين لا تصدر أحكامهم عن دراية وعلم عميقين فى
الغالب . وقد ضاعت الأصول ، كما ضاعت نقول ابن المقفع ، ولم يبق منها غير تف وقطع
حفظت فى كتب التاريخ والأدب ، لذلك صعب على المؤرخ والأديب اصدار حكم علمى
فى فصاحة ابن المقفع فى الفهلوية ، وفى دقة نقله وسلامته ، وان كنا لا نشك فى فهمه
لها وفى معرفته بفارسية زمانه ، وفرق كبير بين الفهم والفصاحة كما هو معلوم .
وقد ذاعت لابن المقفع شهرة واسعة فى الناس ، ومال القوم الى مطالعة ما كان
يخرجه ، أو يخرج باسمه . قال المسعودى : « على أن من شيم كثير من الناس الاطراء

(١) الطبرى (٢/١٤٦) .

(٢) « خدای نامه » « خدينامة » . خدينامة فى السير ، الفهرست ص ١٧٢ ،
« خدای نامه » ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمي كتاب تاريخ ملوك
الفرس ، « حمزة ص ١٥ » . « خدای نامه » فى الفارسية الحديثة و « خدينامك »
« خدينامك » فى الفهلوية . Ency. , vol , IV , P. 180

(٣) الفهرست (ص ١٧٢) .

(٤) الفهرست (ص ١٧٢) ، سراج الملوك للطبرطوشى (ص ١١٨) « طبعة بولاق

، ١٢٨٩

(٥) الفهرست (ص ١٧٢) . Brockelmann , Suppl. I, S. 235.

(٦) الفهرست (ص ١٧٢) ، ذكرت أسماء كتبه الأخرى فى :

Brockelmann J. Suppl. , 1 , S. 234-235.

(٧) الفهرست (ص ١٧٢) .

للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين ، ومدح الماضي وذم الباقي ، وإن كان في كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه ، فلا يرى الا سماع تصفى اليه ، ولا الارادات تبعم نحوه ؛ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ، ثم ينحله عبدالله بن المقفع ، أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها ، ويسارعون الى نسخها ، لا لشيء الا لنسبتها الى المتقدمين ، (١) .

ويظهر أن جملة رجال نقلوا كتاب خدينامة الى العربية ، ويعرف هذا الكتاب في الفهلوية « خدينامك ، خدينامك Khvadhaynamagh (٢) (Khwadainamak) (٣) ، وقد اشتهرت ترجمة ابن المقفع من بينها خاصة ، فرجع اليها أكثر المؤرخين . ومع شهرتها هذه ، وحرص الفرس على حفظ تأريخهم ، ضاع الأصل ، كما ضاعت ترجماته ، ترجمة ابن المقفع وترجمات بقية النقلة ، وهذا في الواقع أمر غريب . وقد نقل الطبري من ترجمة ابن المقفع ، غير أنه لم يشر الى اسمه ، ولم يذكره الا مرة واحدة في تأريخه ، في موضع لا علاقة له بهذه الترجمة ، أو بتاريخ الفرس (٤) .

وقد نقل ابن قتيبة أبو عبدالله محمد بن مسلم الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ أو ٢٧٦ للهجرة (٥) ، من ترجمة ابن المقفع ، وأشار الى ذلك في مواضع من كتابه عيون الأخبار (٦) .

وللتأكد من أخذ الطبري من ترجمة ابن المقفع ، تمكن المقابلة بين تأريخ الطبري وبين ما جاء في عيون الأخبار عن الفرس . وقد تبين لي من المقابلة بينهما أن الطبري قد

(١) التنبيه والاشراف (ص ٧٦ - ٧٧)

(٢) Arthur Christensen, L'Iran Sous les Sassanides, Copenhagen (٣) 1936 . P.54

(٣) Brockelmann , I, S.151 , Suppl. I , S. 235.

(٤) فهرست تأريخ الطبري (عمل دى غويه) ص ٥٦٧ .

(٥) الفهرست ص. ٧٧ ، السمعاني : أنساب ورقة ٤٤٣ (١) . ياقوت ارشاد

(١/١٦٠) تاريخ بغداد (١٠/١٧٠) ، الياقنى مرآة (٢/١٩١) ، العماد شذرات الذهب (٢/١٦٩) . السيوطى بغية ٢٩١ .

(٦) « عيون الأخبار » طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٥م وقد طبعت

منه الأجزاء الأربعة في أوربة بين عامي ١٨٩٨ - ١٩٠٨ للميلاد

وقف على ترجمة ابن المقفع ، ونقل منها^(١) . ويظهر لى أن الطبرى قصد ابن المقفع فى بعض الجمل ، مثل قوله : « وقال غير هشام من أهل الأخبار »^(٢) ، فإن العبارات التى ذكرها بعدها هى العبارات نفسها تقريبا الواردة فى « عيون الأخبار » ، وهى منقولة من كتاب سير المعجم لابن المقفع . ويظهر أيضا أن الطبرى قصد كتاب خدينامه فى قوله : « ولذلك قصد لذكرهم فى كتاب سير الملوك »^(٣) ، وأما الضمير ، فيعود الى ابن المقفع مترجم الكتاب . وقد استفاد ابن قتيبة فى كتابه المعارف من ترجمة خدينامه ، وصرح بذلك فى مثل قوله : « وجدت فى كتب سير المعجم » و « قرأت فى كتب سير ملوك المعجم »^(٤) .

ونجد قطعا من نقل ابن المقفع فى كتاب آخر لم يطبع حتى الآن اسمه فى سجلات المخطوطات نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب ، توجد نسخة كاملة منه فى المتحف البريطانى^(٥) ، ويوجد بعضه فى خزانة كتب مدينة « كوتا gotha » بألمانية^(٦) ، وهو فى تاريخ الفرس والعرب . جاء فى نهايته : « انقضى ملك المعجم والحمد لله وحده . تم كتاب النهاية وهو سير الملوك على يد الفقير الحقير المعترف بالذنوب والتقصير ، الراجى عفو ربه ذو الفضل والوفا على بن الحاج مصطفى الشهير بالمقدسى . غفر الله له ، ولوالديه ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والمسلمين . وكان الفراغ من نسخه نهار الثلاثاء المبارك فى عشرين نهار خلت من شهر جمادى الأول من شهور سنة ثلاث وأربعين وألف من الهجرة النبوية »^(٧) .

(١) راجع قصة غزو « فيروز بن يزدجرد بن بهرام » لمدينة بلخ وحروبه مع ملكها « اخشنوار » . « عيون الأخبار (١/١١٧) » . وقابل ذلك بما دونه الطبرى عنه الطبرى (٨٣/٢) .

(٢) الطبرى (٨٣/٢) .

(٣) الطبرى (١٢/٢) .

(٤) المعارف (ص ٢٦ ، ٢٨٥) .

(٥) Brockelmann, Suppl., I , P. 164 , Catalogus codd. Mss. qui in Museo Britannico Asservantur, Pars II, Codd. Arab. Amplectens, 3 vols. London 1846- 1879, Nr. 904, 1273.

Brockelmann, Suppl., I. S 164, Pertsch, w. , Die Arabischen (٦) Hdss. der Herzoglichen Bibliothek zu gotha. Bd.1-gotha 1877-1892. Nr 39 , 4.

(٧) ورقة رقم 267 من مخطوطة المتحف البريطانى .

وأما مطلع الكتاب فهو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين . الحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ولا اله الا الله أحسن الخالقين ؛ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين . قال الأصمعي رحمه الله : كان هارون الرشيد الامام اذا نشط يرسل الى ، فكتت أحدثه بحديث الأئمة السالفة والقرون الماضية ، فيبينا أنا أحدثه ذات ليلة ، فقال : يا أصمعي أين الملوك وأبناء الملوك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! مضوا لسبيلهم . فرفع يديه الى السماء ، ثم قال : يا مغنى الملوك ! ارحمنى يوم تلحقنى بهم . ثم دعا صالحا صاحب مصلاه ، فقال : انطلق الى صاحب بيت الحكمة فمره أن يخرج اليك سير الملوك ، واثنتى به . فأخرج اليه الكتاب . قال : فأمرنى أن أقرأ عليه . فقرأت منه تلك الليلة ستة أجزاء .. الخ ،^(١) . ثم أوصاه الخليفة بالذهاب الى « أبى البختري »^(٢) للاستعانة به فى كتابة ما كان بين آدم وسام بن نوح . ولم يكن هذا مدونا فى كتاب سير الملوك الذى يبدأ بسم بن نوح ، فذهب اليه وأخبره ما أمر به أمير المؤمنين ، فأخذنا كتاب المبدأ ونسخا منه هذا الجزء ونسقا وجعلناه فى عشرة أوراق قدمت على سير الملوك . وتبدأ هذه الأوراق بهذه العبارة : « قال : أبو البختري الفقيه حدثنى عطاء عن الشعبي عن ابن عباس .. »^(٣) ، وتنتهى فى الورقة الحادية عشرة بهذه العبارة : « ثم الجزء الملحق بسير الملوك مبتدأ كتاب السير وأخبار الملوك .. »^(٤) تليها جملة : « قال عامر الشعبي : سبحان الملك الدائم الذى لا يفنا ولا انفصال له ، والسنطان الباقي الذى لا زوال له .. » الخ ،^(٥) الى أن قال : « وهذه قصص الملوك الماضية والأئمة السالفة ، وكان الذى ألف وصنف هذا الكتاب ونسقه وأتم نظمته سماع عن الثقات من العلماء عامر الشعبي وأيوب بن القرية ، وكانا من حكماء العرب الذين بحثوا عن أمور الأئمة

(١) مخطوطة المتحف البريطانى الورقة الأولى ، وهى النسخة المصورة المحفوظة

فى خزانة كتب المجمع العلمى العراقى تحت رقم ٩

(٢) « أبو البختري » هكذا فى النسخة . ويقصد به « أبا البختري » القاضى الفقيه . ويظهر أن الناسخ نسى وضع النقطة فوق حرف « الخاء » فصار الخاء حاءا . وسأتحدث عنه .

(٣) « أبو البختري » هكذا فى الأصل ، والصحيح « أبو البختري » بالخاء المعجمة ، الورقة الأولى من المخطوطة ؛ السطر الثالث عشر من الصفحة الواقعة الى يسار القارىء .

(٤) الورقة الحادية عشرة ، الصفحة الواقعة الى يسار القارىء ، السطر السابع

عشر .

(٥) السطر الثامن عشر وما بعده من الصفحة المذكورة

انسالفة ، وعلّموا ما كان فى القرون الماضية ، وأعانهما على ذلك عبدالله بن المقفع ، وكان من علماء المعجم الذين عرفوا سير الملوك وتحروا فى معرفة أمورهم ومخارج آدابهم ومعالج حكمتهم . وكان الذى جمعهم لذلك عبدالملك بن مروان سنة خمس وثمانين . قال عامر الشعبي وأيوب بن القرية : حدثنا عن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، قال : ان الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل خلقه بعد الطوفان من صلب نوح عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ... الخ . . (١) .

وجاء فى موضع آخر من الكتاب : « قال الشعبي وابن القرية : حدثنا علماء حمير أنهم وجدوا فى كتب ملوكهم التى توارثها آخر عن أول ... » (٢) .

وورد فى بعض المواضع : « قال أيوب بن القرية ... » (٣) . وانفرد عامر الشعبي بالرواية فى كثير من المواضع (٤) . وترد فى أثناء قصصهما أو قصص أحدهما أسماء الأشخاص الذين رووا ذلك القصص ، مثل كعب الأخبار ، وعبدالله بن سلام ، ودغفل النسابة الشيباني ، وابن الكيس النمرى ، وعبيد بن شربة ، وأمثالهم من طبقة القصاص وأصحاب الأخبار . ولم يصرح « الشعبي » بأسماء محدثيه فى كثير من الروايات المنسوبة إليه ، ولا سيما فى الروايات التى تخص عمان وحضرموت واليمن ، والحفائر التى عثر فيها على كنوز وآثار (٥) .

أما تأريخ الفرس ، فصاحبه فى هذا الكتاب عبدالله بن المقفع ، خلا المواضع التى يكون لها اتصال بتأريخ العرب ، فيورد الكتاب أخبارا عن الشعبي وعن آخرين (٦) . والظاهر أن ما نسب الى ابن المقفع قد أخذ من كتاب سير الملوك .

وبعد ، فيتبين لنا من مطالعة هذا الكتاب أن الناسخ يزعم أن صاحبه هو الأصمعي أبو سعيد عبدالملك بن قريش المتوفى بين سنة « ٢١٤ » و « ٢١٧ » للهجرة (٧) ، وأنه جمعه

(١) الورقة ١٢ ، الصفحة اليمنى .

(٢) الصفحة اليمنى من الورقة الرابعة عشرة .

(٣) الورقة الثانية عشرة .

(٤) الورقة ٢٤

(٥) « قال الشعبي أخبرني رجل من عمان قال ... » الورقة ٥٨ . « قال الشعبي وأخبرني رجل ممن وقع على حفيرة ... » الورقة ٩٩ ، « قال الشعبي أخبرني رجل من أهل الجابية قال ... » الورقة ١٢٧ .

(٦) الورقة ١٨٥

(٧) (١/٣٦٤) Brockelmann, Suppl., I, S. 164. الوفيات

وألفه للخليفة هارون الرشيد ، وأنه أخذه من كتاب المبتدأ ومن كتاب فى سير الملوك كان فى خزانة بيت الحكمة ، وهو مما عمل فى الأصل للخليفة عبد الملك بن مروان ، عمله ثلاثة أشخاص ، هم : عامر الشعبي ، وابن القرية ، وابن المقفع . وقد نسق الجزء الذى ألحق بالكتاب ووضع قبل سير الملوك الفقيه المعروف أبو البخترى ، فأصبح الكتاب شاملا لتاريخ العالم منذ آدم أبى البشر حتى مبعث النبى .

أما أن هذا الكتاب فى تاريخ الفرس والعرب والأنبياء ، فذلك أمر لا شك فيه . وأما أنه من وضع الأصمعى وتأليفه ، وأنه من محصول علماء ثلاثة سبقوا الأصمعى فى الوصول الى العالم الثانى ، فمسألة فيها نظر ، وقضية تحتاج الى تفكر ودرس ، وليس من السهل علينا عددا منتهية كما تصور ناسخ الكتاب « على بن الحاج مصطفى المقدسى » رحمه الله ومن علق على الكتاب ودخل فى ملكهم من المستترين .

والأصمعى عالم من كبار علماء اللغة والنحو والأخبار والنوادر ، له كتب كثيرة فى اللغة ذكرها ابن التديم ، ولم يذكر بينها اسم هذا الكتاب ^(١) . وذكرها « ابن خلكان » ولم يذكر معها اسم هذا الكتاب ^(٢) .

وكان الأصمعى من أهل البصرة ، فقدم بغداد عاصمة الخلافة ، واتصل بالخليفة « هارون » فكان يسأله ويطلب علمه ، ويصله ويبره ، كما كانت له صلات بابنه الخليفة المأمون . وكان معاصرا ومنافسا لعالم لغوى أخبارى كبير يعد فى طبقته وأفراده هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى بين سنتي « ٢٠٨ » و « ٢١٣ » للهجرة ^(٣) . وهو ممن نقل الطبرى أخبارهم فى تاريخه ، ومنها أخباره عن معركة « ذى قار » ^(٤) . وقد ورد اسم الأصمعى فى أحد عشر موضعا من تاريخ الطبرى ^(٥) . كما ذكر اسم أبى عبيدة فى أكثر من خمسين موضعا فى هذا التاريخ ^(٦) .

وأما « أبو البخترى » ، فهو وهب بن وهب - القاضى أبو البخترى القرشى المذنبى المتوفى سنة ٢٠٠ للهجرة ببغداد فى خلافة المأمون ^(٧) . روى عن جعفر الصادق ، وهشام

(١) الفهرست ص ٨٢

(٢) الوفيات (١/٣٦٤ - ٣٦٥)

(٣) Brockelmann, Suppl., I, S. 162

(٤) الطبرى (٢/١٤٦)

(٥) فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٤٥

(٦) فهرست تاريخ الطبرى (ص ٣٧١)

(٧) الوفيات (٢/٢٤٠)

ابن عردة بن الزبير ، وعبيد الله بن عمر العمرى • وروى عنه المسيب بن واضح ، والربيع ابن ثعلب ، ورجاء بن سهل الصاغاني ، وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب ، وغيرهم • وقد انتقل من المدينة الى بغداد فى خلافة هارون الرشيد ، فولاه القضاء بمسكر المهندي فى شرقى بغداد • وكان فقيها أخباريا نسباً • وقد ضعف فى الحديث ، ونهى بعضهم الأخذ منه ^(١) • وذكر ابن خلكان له هذه التصانيف : كتاب الروايات ، وكتاب طسم وجديس ، وكتاب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب فضائل الأنصار ، وكتاب الفضائل الكبير ، وكتاب نسب ولد اسماعيل عليه السلام ، ويحتوى على قطعة من الأحاديث والقصص ^(٢) ، فالبخترى اذن من أصحاب المؤلفات ومن الأخباريين والنسابين •

وعامر الشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل المتوفى بين سنة ثلاث ومئة وخمس ومئة ، وهو فى الأصل من حمير ، وعادته فى همدان ، ثم هو كوفى تابعى • أقام بالمدينة هارباً من المختار أشهراً ، فسمع من ابن عمر ، وتعلم الحساب من الحارث الأعور ، وشهد وقعة الجمامم مع ابن الأشعث ، ثم نجا من سيف الحجاج ، وعفا عنه ^(٣) • وكان فقيها محدثاً ، يحدث بالمغازى ^(٤) • وقد ورد اسمه فى مواضع كثيرة من تاريخ الطبرى ^(٥) ، فى الاسرائيليات وفى القصص والتبابة وأخبار اليمن • ومرجعه من أسلم من أهل الكتاب ، ومن كان يعنى بأخبار الأوائل ، مثل عبيد بن شربة الجرهمى ، وجماعة من الأعراب ممن كانوا يدعون رؤية المدن العجيبة المذتررة والآثار القديمة • وتجد نماذج مما روى عنه فى هذا الباب فى تاريخ الطبرى وفى هذا الكتاب الذى تحدث عنه • والظاهر أنه كان يميل الى تتبع الأخبار •

وتولى الشعبي الكتابة لقتية بن مسلم الباهلى ^(٦) ، وكان مفسراً من كبار مفسرى الكوفة • ولم يذكر مترجموه له كتاباً لا فى التفسير ولا فى غيره • ولكننا نجد نماذج من تفسيره للقرآن الكريم فى تفسير الطبرى وفى تاريخه وفى كتب التفسير الأخرى •

(١) لسان الميزان (٦/٢٣١ وما بعدها) • وأبو البخترى بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة ، وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راه • وهو مأخوذ من البختره التى هى الخيلاء • وهو يتصفح على كثير من الناس بالبخترى ، الوفيات (٢/٢٤١) •

(٢) الوفيات (٢/٢٤ وما بعدها)

(٣) تذكرة الحفاظ (١/٧٤ وما بعدها) • الوفيات (١/٣٠١) •

(٤) تهذيب التهذيب (٥/٦٧ وما بعدها) •

(٥) فهرست تاريخ الطبرى (ص ٢٧١)

(٦) Ency. of Islam, vol, II , P. 243

وقد أخذ الطبرى روايات الشعبى فى التفسير من جملة مشايخ ، منهم : أحمد بن محمد ابن حبيب عن أبى نصر عن المسعودى عن أبى خالد من رواية الشعبى ^(١) ، ومنهم ابن بشار عن سلم بن قتيبة عن يونس بن أبى اسحاق السبعى عن شيخه الشعبى ^(٢) ، ومنهم أبو كريب عن ابن يمان عن اسرائيل بن يونس بن أبى اسحاق السبعى المتوفى سنة ١٦١ أو ١٦٢ للهجرة ^(٣) عن جابر عن الشعبى ^(٤) . ومنهم على بن مجاهد ^(٥) ، وأمثالهم . وقد كان على بن مجاهد من المشتغلين بالتأريخ ، قال عنه المسعودى : « وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين » ^(٦) .

وأما ابن القرية ، فهو أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالى . وكان أعرابيا مفرط الذكاء فصيحاً عارفاً بأخبار القبائل وأسابيها ، اتصل بالحجاج وبخليفة عبد الملك بن مروان ، ثم انضم الى ثورة ابن الأشعث ، فحكم عليه بانوت فقتل سنة ٨٤ للهجرة ^(٧) . وروى بعضهم أن ابن القرية شخص خرافى لا وجود له ، انما أوجده أصحاب القصص والأخبار . قال أبو النرج الاصبهاني : « قيل ان ثلاثة اشخاص شاعت أخبارهم ، واشتهرت أسماؤهم ، ولا حقيقة لهم ، ولا وجود فى الدنيا . وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أبى العقب الذى تنسب اليه الملاحم واسمه يحيى بن عبدالله ابن أبى العقب ^(٨) » .

من الممكن اجتماع ابن القرية بالشعبى . أما اجتماعهما بعبدالله بن المقفع ، ومعاوته لهما فى تأليف كتاب ، فذلك أمر لا يمكن وقوعه . فقد قتل عبدالله بن المقفع فى عام ١٣٩ أو ١٤٢ للهجرة ^(٩) ، ولم يكن قد جاوز الأربعين عاماً . ثم ان من المستحيل جمع الخليفة عبد الملك بن الشعبى وابن القرية سنة خمس وثمانين لتأليف الكتاب على نحو ما جاء فى كتاب نهاية الأرب : « وكان الذى ألف وصنف هذا الكتاب ونسقه ، وأتم

(١) الطبرى دورة أولى ص ١٣ (طبعة ليدن)

(٢) الطبرى دورة أولى ص ٢٩٦ ، ٣١٦

(٣) تذكرة الحفاظ (١/١٩٩) .

(٤) الطبرى دورة أولى (ص ٢٩٨)

(٥) الطبرى : دورة أولى (ص ٢٠)

(٦) المروج (٥/١) .

(٧) تاريخ الطبرى : دورة ثانية (ص ١١٢٧ - ١١٢٩) ، وفيات الأعيان (١٠٢)

وما بعدها .

(٨) الأغاني : الطبعة المصرية : فهرست الأسماء

(٩) زيدان : آداب اللغة العربية (١٣١/٢) ، Ency. , vol. II, P. 404

نظمه سماعا عن الثقات من العلماء : عامر الشعبي ، وأيوب بن القرية ، وكاتا من حكنه العرب الذين بحثوا عن أمور الأمم السالفة ، وعلموا ما كان فى القرون الماضية . ولما هما على ذلك عبدالله بن المقفع ، وكان الذى جمعهم لذلك عبد الملك بن مروان سنة خمس وثمانين . ، ولهذا ذكرت أنه قتل عام ٨٤ للهجرة (١) ، أى قبل السنة المذكورة بسنة .

هذا الكتاب اذن حاصل كتب قد يكون من بينها كتاب من كتب الأصمعى ، وكتاب فى المبتدأ أى فى قصة الخلق وما بعدها من الرسل والأنبياء ، لعله كتاب المبتدأ (٢) أو المبدأ (٣) أو كتاب المبتدأ والسيرة (٤) أو مبدأ الخلق (٥) المنسوب الى وهب بن منبه رواية عبد المنعم بن ادريس بن سنان ابن ابنة وهب بن منبه (٦) ، أو كتاب آخر فى هذا الموضوع ، وكتاب من الكتب المنسوبة والمروية عن عبيد بن شربة ، أو المروية عن الشعبي ، وقصص روى عن ابن القرية ، مضافا الى كل هذا ما أخذ من كتاب ابن المقفع ، فكون من المجموع هذا الكتاب . وانى لأستصعب كون هذا الكتاب من تصانيف الأصمعى ، اذ لا يعقل صدور هذه الغلطات التى ذكرتها من عالم كبير مثله . وأظن أنه من جمع شخص آخر ، قد يكون وضع هذه المقدمة على لسان الأصمعى ، أو أنه أخذها من كتاب من كتبه ، ثم أضاف الى الكتاب نقولا من جملة مصنفات حتى ظهر على الشكل الذى نراه .

وتجد نقولا من ترجمة سير الملوك لابن المقفع فى كتاب آخر مطبوع هو كتاب غرر أخبار الفرس وسيرهم لأبى منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة (٧) . ويفيدنا هذا الكتاب أيضا فى تكوين فكرة عن أصل تاريخ الطبرى ،

(١) ابن الاثير : الكامل (٤/ ٢٠٥) .

(٢) الفهرست (ص ١٣٨) .

(٣) Ency, vol. II , P. 1084

(٤) Ency., vol. II , P 1084

(٥) ابن قتيبة : المعارف (ص ٤)

(٦) توفى سنة ٢٨٢ للهجرة . الفهرست (ص ١٣٨) .

(٧) العماد : الشذرات (٣/ ٢٤٦) ، الدميرى : الحيوان (١/ ١٦٣) . ابن خلكان :

الوفيات (١/ ٣٦٥) .

Ency., vol. II , P. 73 off ., Wustenfled, gesch , No. 191, Brock-
elmann, I, S. 284, Suppal., I, S. 499. off.

فقد نقل الثعالبي منه وأشار الى ذلك ؛ لهذا تستحسن المقابلة بين هذه النقول وتأريخ الطبرى المطبوع لمعرفة مبلغ انطباق المطبوع على نقول الثعالبي المتوفى بعد الطبرى بـ ١١٩ عاما . وفى كتاب غرر أخبار الفرس وسيرهم توسع فى أخبار الفرس لا نجده فى تأريخ الطبرى، مما يدل أنه توسع فى الاخذ من كتاب سير الملوك أكثر مما فعل الطبرى ، أو أنه أخذ من كتب أخرى لم يأخذ منها الطبرى . وقد طبع هذا الكتاب بالأصل العربى مع ترجمته الفرنسية المستشرق « هـ زوتنبرك H. Zotenberg بباريس (١) » .

وقد استعان الثعالبي - بالإضافة الى ما أخذه من تأريخ الطبرى - بموارد أخرى أشار إليها أو الى أسماء أصحابها فى ثانيا كتابه ، مثل كتاب التاريخ لابن خردادبه أبى القاسم عبيد الله بن عبدالله المتوفى فى أواخر القرن الثالث للهجرة (٢) ، وقد ضمن الدهر علينا بهذا الكتاب مثل سائر الكتب الأخرى التى ألفها ابن خردادبه عدا كتاب المسالك والممالك المطبوع الذى يعد من الكتب العربية المهمة فى « الطبغرافية » ، التاريخية ، ولما كان مؤلفه « صاحب البريد والخبر » على « النجل » ، جاء بمعارف قيمة استقاها من الوثائق الرسمية ومن تجاربه التى حصل عليها بحكم وظيفته هذه التى تمكن صاحبها من معرفة المسافات والطرق معرفة جيدة (٣) . وقد نادى المعتمد وخص به . وذكر له ابن النديم من الكتب كتاب أدب السماع ، وكتاب جمهرة أنساب الفرس ، والتوافل ، وكتاب الطيخ ، وكتاب اللهو والملاهى ، وكتاب الشراب . وكتاب الأنواء ، وكتاب الندماء والخلساء (٤) . ونسب له أبو الفرج أحمد بن الطيب السرخسى ، وهو متأدب ببلغ كثير الرواية (٥) ، كتابا فى

(١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .

Histoire des Rois des Perses par Abou Mansour Abd Al-Malik ibn Mohammad ibn Isma'il Al-Tha'alibi Texte Arabe public et Traduit Par H. Zotenberg. Paris MDCCC

(٢) وذكر حاج خليفة أنه توفى عام « ٣٠ » للهجرة راجع

Ency., II , P. 398, Brockelmann , I , S. 225 , Suppl. , I , S. 401

Ency., vol, II , P. 398, De Goeje Bibl. geogr. Arab. , VI, (٣)

(٤) الفهرست (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

(٥) الفهرست (ص ٢١٣) ذكر له ابن النديم من الكتب : كتاب السياسة ، وكتاب المسالك والممالك ، وكتاب أدب الملوك ، وكتاب الدلالة على أسرار الغناء . توفى سنة ٢٨٣ للهجرة . وكان صاحب يعقوب بن اسحاق الكندى ، ولى حسبة بغداد وكان موضعه فى الفلسفة لا يجهل . وله مؤلفات حسان فى أنواع من الفلسفة والأخبار . المروج (٤/١٩٢) . نشوار المحاضرة (٦٥) الأغاني (١/١٩١) Ency., II, P 398 , Suppl. IS. 404

تاريخ الأئمة قبل الاسلام . وقد أشار اليه التوخى^(١) . فلعله الكتاب الذى أخذ منه الثعالبي وسماه كتاب التاريخ^(٢) . وذكر له أبو العلاء المعرى كتابا فى المغنين دعاه طبقات المغنين^(٣) ، أما أبو الفرج الأصبهاني ، فقد انتقصه ، وقال عنه : « وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كبه »^(٤) . وقد مدحه السمعودي ، وأتى عليه فى موضع^(٥) ، غير أنه انتقصه فى موضع آخر^(٦) . وقد روى له أجوبة فى الموسيقى والطرب لأئلة سألها منه الخليفة المعتضد^(٧) ، ويجوز أن يكون الطبرى قد نقل من تاريخ ابن خرداذبه ومن كته الأخرى .

وقد أشار الثعالبي الى روايات ابن خرداذبه فى أثناء حديثه عن طهماسب^(٨) وزردشت^(٩) وبهم بن اسفنديار^(١٠) وعن الاسكندر^(١١) . ويظهر من مقابلة ما دونه الثعالبي عن ابن خرداذبه بما دونه الطبرى فى تاريخه أن ابن خرداذبه قد انفرد بأشياء لم يذكرها الطبرى ، مما يدل على أنه قد نقل من مورد آخر لم يعرف منه ابن جرير . ونقل الثعالبي من كتاب تاريخ سنن ملوك الأرض والانباء^(١٢) لحمزة الأصبهاني ، ولحمزة الأصبهاني جملة مؤلفات فى اللغة والأدب ، ومؤلف فى تاريخ اصبهان وقف عليه

(١) Brockelmann Suppl. I S 404 . نشوار المحاضرة (٦٥) .

(٢) « وذكر ابن خرداذبه فى كتابه كتاب التاريخ ، غرر أخبار الفرس (ص ١٣٠) »

(٣) Brockelmann Suppl I. S 404 رسالة الغفران (٧٩/٢) .

(٤) الأغاني (١٥٦/٥) (طبعة دار الكتب المصرية) . (٣/٥) طبعة مطبعة التقدم

نسخة الشنقيطى .

(٥) « وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فى كتابه المعروف بالمسالك

والممالك . وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا . »

التبصير والإشراف ص ٧٥ (طبعة ليدن) . الأغاني (١٥٧/٥) حاشية (طبعة دار الكتب

المصرية) .

(٦) Brockelmann Suppl . I , S 404

(٧) المروج (١٥٧/٤)

(٨) الغرر (ص ١٣٠) .

(٩) الغرر (ص ٢٥٧)

(١٠) المصدر نفسه (ص ٣٧٨) .

(١١) كذلك (ص ٤١٥ ، ٤٤٤ ، ٤٥٨)

(١٢) « وزعم حمزة الأصبهاني أن البريد معرب عن ذنب بريد » الغرر (ص ٣٩٨) .

ياقوت الحموى وأخذ منه^(١) . وقد عرف بتاريخه تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، واشتهر بأوربة به . والظاهر أنه اشتهر به لأنه أول مؤلف نشر له فى أوربة . وقد بقيت بعض مؤلفاته فى خزائن الكتب ، وبقيت قطع واختصارات من كتبه الأخرى التى لم يعرف من أمرها حتى الآن غير العناوين^(٢) . وللمستشرق ميتوخ بحث عن آثار حمزة فى اللغة والأدب^(٣) .

واستعان الثعالبي بكتاب آخر فى التأريخ اسمه كتاب البدء والتأريخ للمقدسى ، وذلك فى أثناء كلامه على مانى^(٤) . والمقدسى هو المطهر بن طاهر ، المعروف بالمقدسى . وقد ألف فى سنة ٣٥٥ للهجرة كتابا لأحد وزراء الدولة السامانية سماء كتاب بدء الخلق والتأريخ ، فملئه الكتاب الذى نقل منه الثعالبي قصة مانى . . يقول عنه بروكلمن انه كتاب غير منسق، فيه فوائد تاريخية وتاريخية دينية ، وتوجد منه نقول فى كتب أخرى^(٥) . ومزدوجة المسعودى المروزى المنظومة بالفارسية ، هى من الموارد التى أخذ منها الثعالبي^(٦) . وكذلك الشاهنامه ، وقد أشار إليها فى موضعين حيث قال : « وقال صاحب كتاب شاهنامه^(٧) . غير أنه لم يذكر اسم صاحب الكتاب ، فأية شاهنامه قصد ؟ أشاء نامة الفردوسى ، أم شاهنامه الشاعر أبى على محمد بن أحمد البلخى^(٨) ؟ أم شاه نامة أخرى ؟ وقد ذكر البيرونى أن أبا على محمد بن أحمد البلخى الشاعر ذكر فى الشاهنامه أنه صحح أخباره من كتاب سير الملوك الذى لعبدالله بن المقفع والذى لمحمد بن الجهم البرمكى والذى لهشام بن القاسم والذى لبهرام بن مردانشاه موبد مدينة سَابُور والذى

(١) الارشاد (٨٢/٢) .

(٢) Brockelmann, Suppl., I, S. 221. وقد عرفت أسماء اثنى عشر مصنفًا من مصنفات حمزة . منها : ديوان أبى نواس ، وكتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية . ورسالة فى الأشعار السائرة فى النيروز والمهرجان ، « ووصفه حمزة بن الحسن الأصبهاني فى رسالته فى الأشعار السائرة فى النيروز والمهرجان » البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣١

E. Mittwoch, in Mitteil. d. Sem. f. orient. Sprachen. 1909, (٣)

Abt. II. 109. (xll, 1-6o) Sæ Litter. tati. Hamza. Ency., Vol , II P. 256

(٤) الغرر (ص ٥٠١) .

Brockelmann. Suppl., tI. S. 222. (٥)

(٦) الغرر (ص ١٠ ، ٣٨٨) .

(٧) الغرر (ص ٢٦٣ ، ٤٥٧)

Browne., A Litt. Hist. of Persia , II, 129 Noldeke, Iranni. (٨)

Natio., II , S. 150

ل بهرام بن مهران الأصبهاني ، ثم قابل ذلك بما أورده بهرام النهروى المجوسى (١) .
 فيظهر من هذا أن جملة أشخاص نقلوا كتاب سير الملوك الى العربية ، وأن هذه النقول
 كانت متباينة مختلفة . وقد أيد حمزة الأصبهاني هذا الرأى أيضاً فقال : نقلنا عن موسى
 ابن عيسى الكسروى : « انى نظرت فى الكتاب المسمى خدای نامہ ، وهو الكتاب الذى لما
 نقل من الفارسية الى العربية سعى كتاب تأريخ ملوك الفرس ، فكررت النظر فى نسخ
 هذا الكتاب ، وبحثتها بحث استقصاء ، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر بنسختين متفتحين ،
 وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان .. » (٢) .

ثم قال : « فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا الى جمع النسخ المختلفة
 النقل ، فاتفق لى ثمانى نسخ ، وهى : كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ، وكتاب
 سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى ، وكتاب تأريخ ملوك الفرس
 المستخرج من خزانة المأمون ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه
 الأصبهاني ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مضياف
 الأصبهاني ، وكتاب تأريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الأصبهاني ،
 وكتاب تأريخ ملوك بنى ساسان من اصلاح بهرام بن مردانشاه موبدكورة شاپور من بلاد
 فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا
 الباب » (٣) .

وذكر حمزة أن بهرام بن مردانشاه موبدكورة شاپور من بلد فارس قال : « انى
 جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خدای نامہ حتى أصلحت منها نواريح الفرس
 من لدن كيومرث والد البشر الى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم الى العرب » (٤) . ويتبين
 من هذه الأقوال وأمثالها المدونة فى الكتب الأخرى أنها تشير بصراحة تامة الى اختلاف
 نسخ كتاب خدای نامہ « خدای نامک » وتعددها فى العربية ، فكيف حدث ذلك ؟
 أحدث ذلك لاختلاف النسخ الأصلية لكتاب خدای نامک وتعدد رواياته ، وتلاعب
 النساخ به ، واختصار بعضهم اياه ، وتشذيبهم لبعض عباراته وجمله حتى وصل على

(١) الآثار الباقية ص ٩٩ (طبعة سغو) .

Eduard Sachau (Leipzig 1878)

(٢) .

(٢) حمزة (ص ١٥) .

(٣) حمزة (ص ٩ - ١٠) .

(٤) حمزة (ص ١٩) .

الحالة التي وصل إليها حين باشر النقلة تعريبه ؟ أم حدث ذلك بسبب قصر فهم النقلة بالفهلوية ، وتباين معارفهم بها ، وعلى وفق هذا التباين حدث هذا الاختلاف ؟ أما حمزة ، فقد علل ذلك باشتباه الأمر على الناقلين حيث يقول : « انى نظرت فى الكتاب المسمى خدائى تامة ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمي كتاب تأريخ ملوك الفرس ، فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب ، وبخشتها بحث استقصاء ، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين ، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان » .^(١) غير أنى أستبعد أن يكون ذلك الاشتباه قد حدث بسبب نقل الكتاب من لسان الى لسان ، اذ لو كان الأمر كما يقول حمزة لوجب حدوث هذا الاختلاف فى كل كتاب ينقل من لسان الى لسان ، وانما أرى احتمال كون النسخ الأصلية المدونة بالفهلوية ، كانت مختلفة فى الأصل ، فمنها المطبولة ومنها المختصرة ومنها ما أضيف إليها أو نقص منها ، أو تلاعب فيها النساخون ، ثم ان من الجائز أيضا أن يكون ما دعى فى العربية سير الملوك ، لم يكن كله نقلا أصيلا لكتاب خدائنامة ، بل كان نقلا لكتب أخرى فى سير الملوك ، وترجمات من كتب متنوعة جمعها العربون وأطلقوا عليها سير الملوك أو سير ملوك المعجم . والخلاصة ان كل ما يقال الآر عن هذا الموضوع هو حدس وتخمين ، بعد أن ضاعت الأصول ، وفقدت الترجمات . فلا يمكن اصدار أحكام علمية فى هذا الشأن ما لم تتوافر لدينا تلك الأصول والمربرات .

ويظهر أن الفردوسى والتعالبى قد استعانا بنصوص مكتوبة كانت مدونة بالفارسية الحديثة ، وهما - مع ذلك - يختلفان فى أخبارهما فى عدد من المواضع ، ويختلفان مع الطبرى كذلك . ويرى نولدكه أن ابن قتيبة قد نقل من الترجمة الأصلية لكتاب خدائنامة ، وهى ترجمة ابن المقفع ، وأن سائر المؤرخين استعملوا نسخا جديدة لترجمة ابن المقفع ، ولذلك وقع هذا الاختلاف^(٢) .

لم ينص أحد من المؤرخين على ذكر السنة التى ترجم فيها ابن المقفع كتاب خدائنامة ، لذلك لا ندرى أترجم فى العهد الأموى أم العباسى ، وكان الخلفاء الأمويون مبالين الى الوقوف على كتب التأريخ . وقد قلت سابقا ان معاوية بن أبى سفيان كان كلفا بسماع أخبار الماضين وقصصهم ، وأنه استدعى عبيد بن شربة ليحدثه فى الليالى عن

(١) حمزة (ص ١٥) .

Ency., vol, 1V P 180, Noldeke Geschi. der Perer und (٢) Araber, S.xxl.

أخبار الأوائل وقصصهم^(١) . وذكر المسعودى أنه رأى بمدينة اصطخر سنة ٣٠٣ للهجرة كتابا عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنتهم وسياساتهم ، لم يجدها فى شىء من كتب الفرس كخداى ناما وآئين ناما وكهناماه وغيرها ، « مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان، سبعة وعشرون ملكا ، منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان ، قد صور الواحد منهم يوم مات شيخا كان أو شابا وحليته وتاجه ومخط لحية وصورة وجهه ، وانهم ملوكوا الأرض أربع مئة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام ، وأنهم كانوا اذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيأته ورفعوه الى الخزائن كى لا يخفى على الحى منهم صفة الميت ، وصورة كل ملك كان فى حرب قائما ، وكل من كان فى أمر جالسا ، وسيرة كل واحد فى خواصه وعوامه ، وما حدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والاحداث الجليلة ، وكان تأريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣ ، ونقل لهشام بن عبدالمك بن مروان من الفارسية الى العربية . »^(٢) . ولم يذكر « المسعودى » اسم الناقل لهذا الكتاب .

وعرب ابن المقفع كتابا آخر فى تأريخ الفرس هو كتاب آئين نامه^(٣) ، المكتوب فى الفهلوية باسم آئين نامك^(٤) . وهو كتاب فقد أصله ، وضاعت ترجمته العربية ، وبقيت منه تف فى بعض الكتب ومنها كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧٦ للهجرة^(٥) ، اذ أشار اليه فى ثايات الكتاب^(٦) . وعرفه المسعودى ودعا آئين نامه^(٧) كما نقل منه الثعالبي^(٨) . ويظهر أنه فى الرسوم أى فى عادات الساسانيين

(١) أخبار عبيد بن شرية الجرمي فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، طبع حيدر آباد دكن بالهند .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٩٣ (طبعة الصاوى) .

(٣) « كتاب آئين نامه » الفهرست ص ١٧٢ « الآئين » عيون الأخبار ٢٨/١ .

(٤) Brockelmann, Suppl. I. S. 235

(٥) الفهرست ص ٧٧ (طبعة أوربة) . السمعاني الأنساب ورقة 443 a

ياقوت الارشاد (١٦٠/١ وما بعدها) . تاريخ بغداد (١٧٠/١٠) Brockelmann, Suppl. I. S. 184-185

(٦) عيون الأخبار (٢٨/١ ، ٦٢ ، ٢٢١/٣ ، ٢٧٨ ، ٥٩٠/٤) .

(٧) التنبيه (ص ٩٢ ، ١٤٩) (طبعة Carra de Vaux) .

(٨) الغرر (ص ١٤) .

وتقاليدهم ومراتبهم ومجالسهم ومجتمعهم^(١) ، وسماه ابن النديم كتاب آيين نامه نى الاصر^(٢) ، ولا ندرى بالطبع متى فقدت نسخ هذا الكتاب . وقد ذكر المسعودى أن للفارس كتابا يقال له كهناماه فيه مراتب مملكة فارس ، وأنها ست مئة مرتبة على حسب ترتيبهم لها . وهذا الكتاب من جملة آيين ناما ، وتفسير آيين ناماه كتاب الرسوم ، وهو عظيم فى الألوف من الأوراق ، لا يكاد يوجد كاملا الا عند الموازنة وغيره من ذوى الرئاسات . . .^(٣) . فيظهر اذن من قول المسعودى أن كتاب كهناماه أو كاهنامك (gahnamagh)^(٤) هو جزء من الآيين .

وكتاب التاج من الكتب التى نقلها ابن المقفع من الفهلوية الى العربية كذلك ، وقد دعاه ابن النديم كتاب التاج فى سيرة أنوشروان^(٥) ، ويظن أنه قد توهم فى ذلك فلم يكن الكتاب فى سيرة أنوشروان حسب . بل فى سيرة غيره من الملوك أيضا . وقد نقل منه ابن قتيبة^(٦) . ويظهر أن الطبرى قد نقل منه أشياء تخص سابور الثالث Shahpuhr III وبهرام الرابع valiram II وكسرى الأول Khusro I^(٧) وكسرى الثانى وهو كسرى ابرويز Khusro Parwez^(٨) ووصيته لابنه شرويه Shiroe^(٩) . وقد أثر هذا الكتاب فى جماعة من مشاهير الأدباء مثل الجاحظ فى كتابه التاج^(١٠) . وقد طبع بمصر بتحقيق أحمد زكى باشا^(١١) ، ويظن بعض المحققين أنه من الكتب المنسوبة اليه^(١٢) . وكتاب مزدك الذى ترجمه ابن المقفع أيضا ، من الكتب التى يغلب عليها الطابع

Brockelmann, Suppl. I, S. 235. Richter, Studien, S. 50-51, (١)
ZDMG 64, S. 126-128.

(٢) الفهرست (ص ١٧٢)

(٣) التنبية (ص ٩١) .

Arthur Christensen L'Iran sous les sassanides P 75 (٤)

(٥) الفهرست (ص ١٧٢)

Brockelmann, Suppl. I, S. 235. Noldeke, Geschi. d. Araber (٦)
und Perser, 361-382.

(٧) ذكر فى اثنى عشر موضعا من كتاب عيون الاخبار .

Arthur Christensen, P. 58 (٨)

(٩) الطبرى (٢/١٣٧)

(١٠) الطبرى (٢/١٥٩)

Brockelmann, Suppl. I, S. 235 Inostranmyev, Iranian influ- (١١)
ence, P. 72. F. Gabrieli, Riv. degli. Studi. orientali, xl, P. 292. ff.

(١٢) الحيوان (١/٧) .

القصصى ، فأغلبه أساطير وضعت عن مزدك . وقد نقل الطبرى منه حديثه عن مزدك والمزدكية^(١) . وهو حديث نجده بصورة مفصلة فى كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . وذكر له محاوراته مع قباد^(٢) ، الى غير ذلك مما يدل على أن الثعالبى قد نقل ما ذكره من كتاب واسع مفصل فى أخبار مزدك هو هذا الكتاب . ويعرف هذا الكتاب بمزدك نامه « مزدك نامك » ، ونقل منه آخرون^(٣) .

وقد اشتغل عدد آخر من الفرس بنقل تأريخهم الى العربية ، منهم : محمد بن الجهم البرمكى ، وزادويه بن شاهويه الأصبهاني ، ومحمد بن بهرام بن مهربار الأصبهاني ، وهشام بن القاسم الأصبهاني ، وبهرام بن مردانشاه ، وموسى بن عيسى الكسروى^(٤) . وقد قلت سابقا ان بعضهم ترجموا أيضا كتاب خديانامه ، وان ترجماتهم كانت معروفة نقل منها بعض المؤرخين ، وكانت هذه الترجمات تختلف فيما بينها كما تختلف عن ترجمة ابن المقفع ، وقد استعان موسى بن عيسى الكسروى بنسخ متعددة من خدای نامه ، كما استعان ببعض من عرف بدراسته لتأريخ الفرس ، مثل الحسن بن على الهمداني ، والعلاني أحمد ، فألف فى ذلك كتابا فى تأريخ ملوك الفرس^(٥) . وقد ذكر ابن النديم لموسى بن عيسى الكسروى كتابين : كتاب سماه كتاب حب الأوطان ، وكتاب آخر دعاه : كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغي أن يقتدى القضاة فى مطاعهم بالائمة والخلفاء^(٦) . ويرى بروكلمن احتمال كون قصة السندباد المترجمة الى الاغريقية من الآثار التى تعود اليه^(٧) . وعندى أن أكثر هذه الكتب المسماة كتب سير الملوك أو كتب سير ملوك العجم والتى زعم أنها ترجمات لكتاب خدای نامه هى فى الواقع جمع وتصنيف واختصار واضافات واصلاحات عملها أصحابها ، وعرفت على أنها ترجمة لذلك الكتاب ، بينما هى من عمل أولئك الأشخاص .

وقد ذكر ابن النديم أسماء جملة كتب فى التأريخ والأدب نقلت من الفارسية الى

(١) الطبرى (٩١/٢) وما بعدها ، فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه)
٨٩٧ ، ٨٩٤ ، ٨٩٣ ، ٨٨٦ ، ٨٨٥/١٠ .

(٢) ص ٥٩٦ وما بعدها

(٣) Brockelmann, Suppl., I, S. 235 ,

Brockelmann, Suppl. I, S. 237. (٤)

(٥) حمزة (ص ١٥) .

(٦) الفهرست (ص ١٨٥) .

(٧) Ency., Vol, Iv , P 435, Brockelmann, Suppl., I. S. 237. (٧)

العربية ، نقلها من ذكرنا أسماءهم وآخرون ، منها كتاب رستم واسفنديار وكتاب شهريزاد مع أبرويز ، وكتاب الكارنامج فى سيرة أنوشروان ، وكتاب بهرام ونرسى ، وكتاب بوداساف بوتاسف وبلوهر ، وكتب أخرى^(١) يظهر أن قسماً منها مفتعل صنع فى الاسلام .

وقد نظم الشاعر أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشى بعض هذه الكتب ، فنقلها الى الشعر المزدوج ، نقل منها مثلاً كتاب كليله ودمنة ، وكتاب سيرة أردشير ، وكتاب سيرة أنوشروان ، وكتاب بلوهر وبردآية^(٢) ، وكتاب مزدك ، وكتاب سندباد . سندباد^(٣) ، وقد فقدت أصول هذه المنظومات ويا للأسف . ونجد نماذج من نظمه فى كتاب الأوراق للصولى المتوفى سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦^(٤) . وقد حاكاه فى ذلك عدد من الشعراء ، وبطريقته تأثر على ما أرى بعض شعراء الفرس حيث نظموا بالشعر المزدوج قصص الفرس وتاريخهم ، ومنهم المسعودى المروزى فى مزدوجته بالفارسية ، وهو الذى أشار اليه الثعالبى فى كتابه عن أخبار ملوك الفرس وغيرهم^(٥) على نحو ما ذكرت .

وكتاب الكارنامج الذى أشرت اليه ، هو فى تاريخ أردشير ، وهو المسمى كارنامك أردخشتر بابكان ، ويظن نولدكه أنه كتب فى حوالى سنة ٦٠٠ بعد الميلاد^(٦) ، وهو من الكتب التاريخية الثانوية بالنسبة لكتاب خدائنامه . وقد بقى أصله ، وترجم ، وطبع بضع مرات^(٧) .

وفى أثناء الكلام على ملوك فارس ، ذكر المسعودى اسم كتاب السكيكين ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى الى العربية ، وقال عنه : « وهذا الكتاب تعظمه الفرس ،

(١) الفهرست (ص ٤٢٤) وما بعدها

(٢) الفهرست (ص ١٧٢) « كتاب بلوهر وبرداساف »

Brockelmann, Suppl., I . S. 239. Goldziher, Verh. des VII. intr Congr. Wien 1888

Suppl., I. S. 239. (٣)

J. H. Dunne, 1-51, Encyc., I . S. 541 . Kriynski, Aban lah- (٤)
ikij, manicheist. Poet Moscow 1913, P 9-11 , 47-49.

(٥) الفرر (ص ١٠ ، ٣٨٨)

(٦) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية (ص ١٣٤)

Karnamak i Artachshatr i Papakan Ency., vol, II , P 180, (٧)
Bombay 1896, 1899, 1900.

ترجمه وطبعه نولدكه Noldeke بمدينة كوتنكن Göttingen ١٨٨٨ للميلاد

لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم»^(١) . وقد نقل منه خبرا عن كيخسرو ولهراسب^(٢) . وقد أشار المسعودى الى كتب فى تاريخ الفرس رآها واستفاد منها ، و زاد بعض بيوت عباداتهم ، وجاء بأشياء طريفة لم ترد فى كتب غير . من المؤرخين .

وقد استمد المؤرخون من موارد عربية ، فأضافوا الى تاريخ الفرس ، فالكلام النسوب مثلا الى هرمز الرابع ، لابد أن يكون من مورد عربى^(٣) . وكذلك الاشعار وبعض الرسائل المدونة بالعربية وبالنسق الاسلامى ، والمذكورة فى ثنايا تاريخ الفرس .

وتعد روايات وكتب أبى عبيدة معمر بن المثنى السوفى بين ٢٠٨ و ٢١٣ للهجرة^(٤) من الموارد المهمة التى استقى منها المؤرخون أخبارهم عن الساسانيين قبيل الاسلام ، وعن صلات الفرس بالعرب . وقد أخذ الطبرى منها أخبارا عن مقتل عدى بن زيد العبادى ومركة ذى قار ، وأخبارا أخرى تخص الاسلام ، فورد اسمه فى أكثر من ٥٧ موضعا من تاريخ الطبرى^(٥) . وروى له المسعودى روايات عن ملوك الطوائف^(٦) وأخبار ملوك ساسان^(٧) . وله كثير من المؤلفات ذكر أسماءها ابن النديم ، وهى تزيد على مئة مؤلف فى الأخبار والانساب واللغة^(٨) . وقد وصل الينا عدد من تلك المؤلفات^(٩) . وذكر ابن خلكان أن تصانيفه تقارب مئتي مصنف^(١٠) .

(١) المروج (١/١٩١ ، ١٩٢)

(٢) المروج (١/١٩٢)

(٣) الدينورى : الاخبار الطوال (ص ٧٧) .

Ency. , vol, IV P. 181 , Noldeke . Geschichte der Perser und Araber , S 326.

(٤) ولد أبو عبيدة سنة أربع عشرة ومئة ، وتوفى سنة عشر ومئتين ، وقيل : إحدى عشرة وقال أبو سعيد : سنة ثمان ، وقيل : سنة تسع الفهرست (ص ٧٩) وما بعدها ، تاريخ بغداد (١٣/٢٥٣ وما بعدها) الارشاد (٧/١٦٤) ، الذهبى : طبقات الحفاظ (١/٢٣٨) ، الياقنى : مرآة (٢/٤٤ وما بعدها) . السيوطى : البقية (٣٩٥) ابن العماد : شذرات الذهب (٢/٢٤)

Brockelmann , I , S 103 , Suppl. , I , S 162.

(٥) فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٣٧١

(٦) المروج (١/١٤٦)

(٧) المروج (١/١٥٧ ، ١٧٦) .

(٨) الفهرست (ص ٨٠)

Brockelmann, Suppl , I , S 162 . Ency. I P. 112 Gold-

ziher . Muhamun, Studi , I , S 194

(١٠) الوفيات (٢/١٤)

لم يشر الطبرى الى من حدثه على لسان أبى عبيدة بخبر مقتل عدى بن زيد ومركة ذى قار ، وانما استعمل : « فحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى » . قال : حدثنى أبو المختار فراس بن خندق وعدة من علماء العرب قد سماهم^(١) ، . وقد ذكر مع روايته رواية أخرى عن هشام ابن الكلبي عن اسحاق الجصاص ، وقد أخذه من كتاب حماد^(٢) . وقد كان لابن الكلبي مؤلف فى أخبار عدى اسمه كتاب عدى بن زيد العبادى^(٣) ، لعله كان من الموارد التى نقل منها الطبرى خبر عدى وما تبع ذلك من أمور وقعت بين العرب والفرس .

وفيدنا الفصل الذى دونه أبو الفرج الأصبهاني عن معركة ذى قار فى تشخيص المورد الذى أخذ منه الطبرى خبره عن هذه المعركة . وقد أخذ الأصبهاني أخباره عن على بن سليمان الأخفش عن السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن خراش ابن اسماعيل ، ومن رواية الأثرم عن أبى عبيدة^(٤) . وعن كتب ابن الأعرابي عن على ابن سليمان الأخفش عن السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن أبيه وعن اسحاق بن الجصاص وعن حماد الراوية^(٥) .

أما على بن سليمان المعروف بالأخفش الأصغر ، تميزا له عن الأخفش الأكبر ، وهو عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هجر ، النحوى اللغوى ، من شيوخ سيويه وأبى عبيدة ، وعن الأخفش الأوسط وهو أبو الحسن سعيد بن صعدة ؛ فهو أبو الحسن المتوفى سنة خمس عشرة أو ست عشرة وثلاث مئة ببغداد . وقد دخل مصر سنة سبع وثمانين ومئتين^(٦) . ويظهر أن أبا الفرج الأصبهاني قد درس عليه ، وأخذ خبره عن عدى بن زيد من كتاب الأخفش المسمى كتاب المقاتلين ، وقد قرأه عليه^(٧) .

وأما السكرى ، فهو الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن أبو سعيد

(١) الطبرى (١٤٦/٢ ، ١٥٢)

(٢) الطبرى (١٤٦/٢) .

(٣) الفهرست (ص ١٤١)

(٤) الأغاني (١٣٢/٢٠) « طبعة بولاق »

(٥) الأغاني (٩٧/٢ ، ١٠٥) « مطبعة دار الكتب المصرية »

(٦) ابن خلكان : الوفيات (١/٤١٨ وما بعدها) ذكر له ابن النديم أسماء

ثلاثة كتب فى الفهرست (ص ١٢٣) يوهان فك : العربية (ص ١٤١)

Brockelmann , I S 125 , Suppl. , I , S. 189

(٧) الأغاني (١٤ / ٢) « طبعة دار الكتب المصرية »

النحوى اللغوى المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة ، وله مؤلفات عديدة^(١) . وقد أخذ عن جماعة من العلماء ، منهم محمد بن حبيب^(٢) العالم اللغوى الاخبارى النسابة المتوفى سنة ٢٤٥ للهجرة^(٣) . وهو صاحب مؤلفات كثيرة كذلك . وقد روى عن جماعة من كبار العلماء المتخصصين بهذه الامور ، كابن الاعرابى وقطرب وأبى عبيدة وأبى اليقظان^(٤) وابن الكلبي^(٥) .

وابن الاعرابى هو أبو عبدالله محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٣١ للهجرة ، وقد كان له مجلس يحضره أصحاب الأدب واللغة والأشعار ، فكان يملى عليهم بغير كتب ، وكان ممن سمع المنفصل بن محمد الفضلى وأخذ منه^(٦) .

ولم يذكر الطبرى اسم من حدثه عن أبى عبيدة أو عن ابن الكلبي بأخبار معركة ذى قار ، غير أننا نستطيع التوصل الى معرفة المورد الذى أخذ منه الطبرى بمقارنته ما ذكره عن هذه المعركة وعن أخبار عدى بن زيد بما دونه صاحب الاغانى ، حيث نجد انضباط ناد فى العبارات ، مما يدل على أنهما نقلًا من مور واحد ، ولولم ينسأ أبو الفرج الى اسم المورد الذى نقل منه لجاز لنا القول بأنه نقل من تأريخ الطبرى ، غير أنه ذكر اسم المورد كما رأيت ، وهو كتاب المغتالين للاخفش ، كما أنه تفرد بذكر أشياء لم يتطرق الى ذكرها الطبرى ، لذلك لا يمكن أن يكون هذا النقل من تأريخ الطبرى ، بل لابد أن يكون من كتاب مشترك آخر هو كتاب الاخفش المعاصر للطبرى ، وهو كتاب المغتالين ، أو من مؤلف من مؤلفات السكرى شيخ الاخفش . أخذ منه الطبرى ، وأخذ منه صاحب الاغانى برواية شيخه الاخفش تلميذ السكرى .

يقول الطبرى : « ذكر لى عن هشام بن محمد ، قال : سمعت اسحاق بن الجصاص ،

(١) الفهرست ص ١١٧ ، ياقوت : ارشاد (٦٢/٣)

(٢) تاريخ بغداد (٢٩٦/٧) ، السيوطى : البغية (٢٠٨) الامدى : المؤلف (١٤٨) ،

Brockelmann , I , S 108 , Suppl , I , S.168.

(٣) Brockelmann , I , S 105 , Suppl , I , S 165.

(٤) الفهرست (ص ١٥٥) .

(٥) الاغانى (١٣٢/٢٠) تاريخ بغداد (٢٧٧/٢) ، ياقوت : الارشاد (٤٧٣/٦) ،

السيوطى : البغية (٢٩) ، وقد بقيت بعض مؤلفاته :

Brockelmann , I , S 105 , Suppl , I , S 165

(٦) الفهرست (ص ١٠٢ - ١٠٣) ، تاريخ بغداد (٢٨٢/٥) ، ياقوت : ارشاد

(٥/٧) ، اليافعى مرآة (١٠٦/٢) البغية (٤٢) .

Brockelmann , I , S 116 , Suppl , I , S. 179.

وأخذته من كتاب حماد وقد ذكر أبى بعضه^(١) . وقد قلت : ان الطبرى نقل هذه القصة أو سمعها من الأخصس الأصغر الذى ذكر هذه الرواية أيضا الى أبى الفرج الأصبهاني . أما حماد المذكور هنا وصاحب الكتاب ، فهو حماد الراوية كما جاء فى كتاب الأغاني ، وهو : حماد بن أبى لى سابور ، وقيل : مسرة بن ابارك بن عبيد الدلى ، من مشاهير رواة الشعر والعرفين بأيام العرب . وله قصة مع الخليفة هشام ابن عبد الملك حيث طلبه ليسأله عن شعر عدى بن زيد العبادى^(٢) . وكان خيرا بهذه الأمور . وقد ذكر ابن النديم أنه لم يرد لحماد كتاب ، وانما روى عنه الناس . وصفت الكتب بعده^(٣) .

وإذا صح أن هذا القول هو قول ابن الكلبي ، يكون لحماد كتاب فى أخبار عدى ابن زيد ، أو سواء ، وقد أخذ هشام منه . ولا يتخذ قول ابن النديم فى أن الكتب انما صفت بعد حماد حجة ؛ إذ ثبت أن التدوين بدأ قبل أيام حماد . وقد رأيت أن الأخبار تفيد أن معاوية بن أبى سفيان أمر بتدوين أقوال عبيد بن شربة فى كتاب .

وروى عن أبى جعفر أحمد بن محمد النخس « أن حمادا هو الذى جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة »^(٤) . والواقع أن علماء الشعر واللغة كانوا يتخوفون منه ، فقد كان عانا بكلام العرب ، فكان يحسن الوضع والتقليد . قال الأصمعى : كان حماد أعلم الناس اذا نصح . يعنى اذا لم يزد وينقص فى الأشعار والأخبار ، فانه كان متهما بأنه يقول الشعر . وينحله شعراء العرب . وقال الفضل الضبى : قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أقسده فلا يصلح أبدا ، وقيل له : وكيف ذلك أخطىء فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليه كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعرهم ، ومذاهب الشعراء ، ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر ينسب به مذهب رجل . ويدخله فى شعره ، ويحمل ذلك عنه فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز التصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟^(٥) . فهذا هو حماد ، أحد رواة الشعر . وهنالك نفر آخر فعلوا فعل حماد .

(١) الطبرى (٢/١٤٦) . (٢) ابن خلكان : الوفيات (١/٢٠٥ وما بعدها)

(٣) الفهرست (ص ١٣٤) وما بعدها

(٤) ياقوت : الارشاد (٤/١٤٠) ، ابن خلكان : الوفيات (١/٢٠٥ وما بعدها) .

(٥) الارشاد (٤/١٤٠) .

وقد نقل المسعودى أخبار ملوك الطوائف من كتاب لأبى عبيدة ألفه فى أخبار
الفرس ، وذكر أنه أخذ روايته عن عمر كسرى ^(١) . ويظهر أنه قصد بهذا الكتاب ،
الكتاب الذى سماه ابن النديم كتاب فضائل الفرس ^(٢) ؛ ويظهر أن أبا عبيدة قد اعتمد فى
كتابه فى أخبار الفرس على بحوث عمر كسرى . إذ أشار المسعودى أنه رواه عنه ^(٣) ،
وذكر المسعودى أسماء كتب أخرى لأبى عبيدة نقل منها ، منها كتاب مقاتل فرسان العرب ،
وقد عارضه المسعودى بكتاب دعاه مقاتل فرسان العجم ^(٤) . وكتاب مناقب قريش ، وقد
نقل منه المسعودى أخبار حلف المطيين ^(٥) . وكتاب الديباج ، وقد أشار إليه فى أثناء
كلامه عن أوفياء العرب ^(٦) . وكان عمر كسرى ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها
حتى لقب بعمر كسرى . . ^(٧) .

والهشيم بن عدى أبو عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ للهجرة ^(٨) ، من
الأخباريين وأصحاب الأنساب العارفين بالشعر . وله كتب كثيرة فى هذا الباب ، منها
كتاب أخبار الفرس ، وكتاب تاريخ العجم وبنى أمية ، وكتب عديدة فى التاريخ ، منها
كتاب التأريخ على السنين ^(٩) ، وهو من أقدم الكتب العربية التى دونت فيها الحوادث
والتواريخ على أساس السنين (Chronicles) ، وقد طمس أثره ، ولما تصل إلينا نسخته .
وقد تردد اسم الهشيم بن عدى فى ٣٩ موضعاً فى تاريخ الطبرى ^(١٠) ، وذلك فى
مواضع سوف أتحدث عنها .

وذكر المسعودى اسم الهشيم بن عدى فى أثناء حديثه عن طى ^(١١) ، والظاهر أنه

(١) المروج (١/١٩٩)

(٢) الفهرست (ص ٨٠) ، الوفيات (٢/١٤٠)

(٣) المروج (١/٢٤١) .

(٤) التنبيه (ص ٩٠) . Brockelmann , Suppl. , I S , 162

(٥) التنبيه (ص ١٨٠)

(٦) التنبيه (ص ٢٠٩)

(٧) المروج (١/١٨٩)

(٨) الفهرست (ص ١٤٥) ، ابن خلكان : الوفيات (٢/٢٦٩ وما بعدها) ، ياقوت :

الارشاد (٧/٢٦٠) ، الياقنى : المرأة (٢/٣٢) ، الخطيب : تاريخ بغداد (١٤/٥٠) ،

الصفدى : الوافى (١/٥١) .

(٩) الفهرست (ص ١٤٥) ، ابن خلكان : الوفيات (٢/٢٦٩)

(١٠) فهرست تاريخ الطبرى (عمل دى غويه) ص ٦١٩ .

(١١) التنبيه (ص ١٧٧) .

أخذه من كتاب لهذا العالم في طي . دعاه ابن النديم كتاب أخبار طي ، ونزولها الجليل (١) ، كما ذكره مرة أخرى في كتابه التبيين والإشراف في أثناء كلامه على تمصير البصرة (٢) . وقد كان للهميم كتاب اسمه كتاب قضاة الكوفة والبصرة ، وكتاب آخر اسمه كتاب فخر أهل الكوفة على البصرة . وهو من قداماء من ألف في الخطط ، فله كتاب اسمه خطط الكوفة (٣) ، وله كتب أخرى لما تصل إلينا .

واعتمد الطبري في الفصول التي دونها عن فتح العراق وإيران ، أي عن نهاية الساسانيين ، على روايات سيف ، وسيف هو سيف بن عمر التميمي أو الضبي الأسدي المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة (٤) . وقد عرف باطلاعه الواسع على تاريخ الإسلام ، ولا سيما الردة والفتوح . وأخذ من مشاهير الأخباريين والنسابين ، مثل هشام بن عروة ، ومحمد ابن إسحاق صاحب السيرة ، ومحمد بن النساب الكلبى ، وطلحة بن الأعلم ، وأمثالهم . وروى له ابن النديم من الكتب كتاب الفتوح الكبيرة والردة وكتاب الجمل ومسيرة عائشة وعلى (٥) . وقد رماه المحدثون بالضعف وبوضع الحديث وبالزندقة أيضا . وقال أبو حاتم عنه : « متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدي » (٦) .

وقد ذكر اسم سيف في أكثر من ٣٠٠ موضع من تاريخ الطبري ، ورد لأول مرة في حوادث سنة ١٠ للهجرة ، وهى السنة التى ادعى مسيلمة فيها النبوة فى حياة الرسول . وورد اسمه لآخر مرة فى حوادث سنة ٣٦ للهجرة ، وفى ابتداء على بن أبى طالب بالخروج الى صفين ، ولم يذكر الطبري رواية له بعد ذلك (٧) .

ومن جملة المشايخ الذين أخذ منهم سيف ، هشام بن عروة المتوفى سنة ١٤٦ ، أو ١٤٧ ، للهجرة (٨) . وهو من محدثي المدينة ومن النسابين والأخباريين . وقد حدث عن أبيه عروة بن الزبير وعمه عبدالله بن الزبير . ورحل الى العراق وزار الكوفة ، ورأى الخليفة المنصور . ومنه أخذ أهل الكوفة حديث عروة ، ولا سيما حديث عروة

(١) الفهرست (ص ١٤٥)

(٢) (ص ٣٠٧) .

(٣) الفهرست (ص ١٤٦)

(٤) تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥)

(٥) الفهرست (ص ١٣٧)

(٦) تهذيب التهذيب (٤/٢٩٥)

(٧) فهرست تاريخ الطبري (ص ٢٦٢) وما بعدها

(٨) تهذيب التهذيب (١١/٥١)

عن عائشة . وقد أخذ عليه أهل بلده تبسطه فى الحديث لأهل العراق ، وكانوا بحديث أهل المدينة ضنينين . والظاهر أن عروة تحدث الى أهل الكوفة والعراق بحديث أهل العراق ، ولم يكن أهل المدينة يفضلون حديثا على حديثهم ، وهم أدري بالحديث وبخبر الرسول ؟ لأنهم أهل الدار .

لا شك فى أن كتاب سيف الذى استعان به الطبرى فى أخبار الردة هو كتابه كتاب الفتوح الكبير والردة^(١) ، وهو كتاب اشتهر أمره حتى عرف سيف به^(٢) . وذكر ابن النديم له مؤلفا آخر سماه كتاب الجمل ومسير عائشة وعلى^(٣) ، ولا شك أيضا فى أنه هو الكتاب الذى نقل منه الطبرى روايات سيف عن معركة الجمل . وقد أخذ سيف هذه المعركة من شهود عين ذكرت أسماءهم فى سند الطبرى ، فحفظ لنا بذلك صورة أصلية لأنباء تلك المعركة المؤسفة والأسباب السياسية التى كانت لها نتائج جد وخيمة فى شبه جزيرة العرب وفى العالم الاسلامى . وتحتاج هذه الروايات الى تمحيص ودراسة . ويعتقد بروكلمن أن سيفا لم يكن يبحث الأخبار التى كانت تقال له ، وأنه كان يبالغ فيها فى تمجيد تميم^(٤) متأثرا بعاطفته القبلية ، وهو رأى يحتاج الى دراسة وبحث . أما ما ادعاه من أن الطبرى قد لاحظ ذلك عليه ، فكان يحاذر منه ، واضطر الى ترك قسم من رواياته ، فهو قول لا يؤيده كتاب الطبرى نفسه . ففى أخبار الردة ، جعله الطبرى المرجع الأول المفضل على المراجع الأخرى ؟ وفى أخبار معركة الجمل ، ترى لرواياته مكانة بارزة بين الروايات ، ثم ان النسخة الأصلية لا تزال فى ضمير القيب ، فكيف عرف أن الطبرى نبذ روايات سيف فى تمجيد تميم ؟

وقد تردد اسم السرى فى أكثر من ٢٤١ موضعا من تأريخ الطبرى ، ورد لأول مرة فى أخبار الردة ، وورد آخر مرة فى حوادث سنة ١٤٥ هـ فى أيام المنصور ، وذلك فى معرض الكلام على تأسيس مدينة بغداد ، وقد استعمل صيغة غير مألوفة بالنسبة للسرى حيث قال : « وذكر عن السرى »^(٥) . أما فى المواضع الأخرى فقد قال : « وحدثنى السرى عن شعيب » ، أو « كتب الى السرى عن شعيب » ، أو « مما

(١) الفهرست ص ١٣٧ (طبعة مصر) . ذكره الطبرى الا أنه لم يسمه راجع (١٥٣/٤) فتح حمص Suppl. 1 P, 213 214.

(٢) تهذيب التهذيب (٢٩٥/٤)

(٣) الفهرست (ص ١٣٧)

(٤) Suppl. 1 P, 214

(٥) الطبرى : الدورة الثالثة (ص ٢٧٦) « طبعة ليدن ، حوادث سنة ١٤٥ هـ »

كتب به الى السرى عن شعيب ، ، وهذا مما يدل بالطبع على أن الطبرى كان يراسل مع السرى فيسأله ، وأن هذا كان يستنسخ من مؤلفات سيف بن عمر التى كانت لديه ويرسلها اليه .

والسرى هو السرى بن يحيى ^(١) من رواة شعيب بن ابراهيم الكوفى راوية كتب سيف بن عمر ، قال فيه ابن حجر العسقلانى : ان فيه جهالة ، وانه لبس بالمعروف ، وله أحاديث وأخبار ، وفيه بعض التكررة ^(٢) . ولا نعرف من أمرهما - يا للأسف - شيئاً مع كثرة ورود أسائيهما فى تاريخ الطبرى . وقد أخطأ ابن النديم حين قال : « وروى سيف عن شعيب بن ابراهيم » ^(٣) ؛ لأن شعيباً هو الذى روى كتب سيف . والظاهر من سكوت ابن النديم وأصحاب التراجم عن ذكر شعيب بن ابراهيم والسرى ، أنهما لم يكونا من أصحاب التأليف ، وانما كانا من رواة كتب سيف . والظاهر أيضاً من تاريخ الطبرى أن كتب سيف كانت عند السرى بن يحيى ، وأن الطبرى قرأ أجزاء منها على السرى ، وأخذ قسماً منها كتابة منه .

وهناك طريق آخر سلكه الطبرى للاخذ من كتب سيف بن عمر ، هو طريق عبيد الله بن سعد الزهرى ^(٤) بن ابراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف أبى الفضل البغدادى نزيل سامراء المتوفى سنة ٢٦٠ هـ ^(٥) وقد روى عن أبيه وعمه يعقوب . وأخيه ابراهيم بن سعد ويونس بن محمد . وروى عنه طبقة من الثقات من مشاهير أهل الحديث ، أمثال البخارى وأبى داود والترمذى والنسائى وابن أبى عاصم والبغوى وابن أبى الدنيا وآخرون . وقد ورد اسمه فى أكثر من ٤٠ موضعاً من تاريخ الطبرى ^(٦) تحدث فيها اليه . وأخذ عبيد الله أقوال سيف عن عمه يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٨ هـ ^(٧) من رواة سيف بن عمر وآخرين . وكانت عنده كتب دون فيها أحاديث ، وكتب الزهرى أخذها عن أبيه ابراهيم بن سعد عن الزهرى ، وكتب

(١) الطبرى (١٢٤/٤) « طبعة مصر » طبعة ليدن . الدورة الأولى (ص ١١٩٧ ، ١٨٤٥)

(٢) لسان الميزان (١٤٤/٣) ، ميزان الاعتدال (٤٤٧/١)

(٣) الفهرست (ص ١٣٧)

(٤) فى طبعة ليدن : « عبيد الله بن سعيد الزهرى » وهذا خطأ ، والصواب

سعد .

(٥) تهذيب التهذيب (١٥/٧)

(٦) فهرست الطبرى (ص ٣٦٧)

(٧) تهذيب التهذيب (٣٨٠/١١)

عنه الناس ؛ ويظهر من قائمة أسماء مشايخه أن يعقوبا هذا لم يكن محدثا حسب ، بل كان من أصحاب التواريخ والأدب ، ومن رواية الشعر . وقد ورد اسمه فى ٣٩ موضعا من تاريخ الطبرى ، ورد أول مرة فى حوادث سنة ١٠ للهجرة فى خبر حجة الوداع ومرض الرسول^(١) . وقد نقل حديثه عن سيف ، وذكر له حديثا آخر عن الأحداث التى كانت فى سنة احدى عشرة للهجرة ، أخذ عن سيف كذلك^(٢) . ويظهر من هاتين الروايتين ومن الروايات الأخرى التى أخذها عن سيف^(٣) ، واختصت بالرسول ووفاته وبيعة أبى بكر والسقيفة^(٤) وغير ذلك أنه كان لسيف كتب أخرى فى الهجرة وفى الأحداث الإسلامية ، إلا أنها لم تشتهر اشتهاى الكتب التى ذكرناها له قبل هذا ، وربما كان قد أتى عليها الدهر قبل أيام ابن النديم .

وأكثر هذه الأخبار التى دونها الطبرى عن يعقوب بن ابراهيم هى من أخبار سيف ، أخذها من كته ، وذلك لاتفاق عبارة المتن المذكور فى تاريخ الطبرى والمروى عن يعقوب الزهرى وشعيب بن ابراهيم .

اعتمد الطبرى على كتاب سيف فى الفتوح ، وقد أخذ متن هذا الكتاب من رواية السرى بن يحيى فى الغالب ، واعتمد عليه فى أخبار الفتن التى قامت على عثمان ، مثل فتنة عبدالله بن سبأ التى أظهرها فى البصرة فى سنة ٣٣ هـ ، وقد أخذها سيف عن عطية ابن الحارث أبى روق الهمداني من كبار راوى الكوفة ومن المفسرين المعروفين ، وقد مر ذكره ، وهو من رواية عكرمة والتبعي والضحاك بن مزاحم^(٥) . وقد ذكر الطبرى اسمه فى ٤٦ موضعا^(٦) ، وقد نقل عنه جملا فى أخبار ما قبل الاسلام أخذها من تفسير . أجاز الطبرى بها شيخه محمد بن أبى منصور الآملى عن على بن الهيثم^(٧) عن المسيب بن شريك أبى سعيد التميمى الكوفى^(٨) ، وقد قيل عنه : أنه من الضعفاء ، أو أنه

(١) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٧٤٩)

(٢) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٧٩٤)

(٣) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٨٢٤ ، ١٨٢٥)

(٤) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٩)

(٥) تهذيب التهذيب (٢٢٤/٧)

(٦) فهرست الطبرى (ص ١٩٨)

(٧) على بن الهيثم البغدادي ، روى عنه البخارى ومحمد بن على الطبرى والحسين

ابن اسماعيل الحاملى . تهذيب التهذيب (٣٩٤/٧) .

(٨) لسان الميزان (٣٨/٦) .

من المتروكين • روى عن أبي روق ، وروى أبو روق عن الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير •

وروى تفسير أبي روق عن الضحاك شيخ آخر من شيوخ الطبرى هو المتى بن ابراهيم الآملى عن على بن الهيثم عن المسيب بن شريك عن أبي روق • وقد ورد اسم المتى ابن ابراهيم فى ٢٨^(١) موضعا من تاريخ الطبرى كلها فى تاريخ ما قبل الاسلام وفى الاسرائيليات ، عدا موضع واحد هو فى القبلة ، غير أن له علاقة كذلك باليهوديات^(٢) . والظاهر أنه كان من أصحاب التفاسير ، أو من رواة التفاسير • وهو يكثر الرواية عن اسحاق بن الحجاج^(٣) •

وروى عطية بن الحارث أبو روق عن يزيد الفقعسى ، وعن أبي العريف ، وقد ورد اسم يزيد الفقعسى فى خمسة مواضع من تاريخ الطبرى هى فى حوادث عثمان وعلى^(٤) ، وعنه وردت قصة عبدالله بن سبا^(٥) ، وقصة أبي ذر الغفارى ، ورأيه فى مال المسلمين ، وقصة مجيء عبدالله بن سبا الى البصرة ونزوله على حكيم بن جبلة زعيم فتنه البصرة^(٦) ، وأخيرا حركة عبدالله بن سبا ونسبه ومراسلاته مع الاقطار^(٧) • ترى من ذلك أن ما أخذہ سيف عن يزيد الفقعسى ، قد انحصر فى ناحية خاصة من ناحية الفتنة التى قامت على الخليفة عثمان بن عفان ، وهى الرواية الوحيدة التى وردت عن هذه الفتنة • وأما الروايات الأخرى المدونة فى الكتب ، فهى صدى لرواية سيف ، وترجع لها ، سأحدث عنها فى موضعها المناسب حيث الكلام على موارد الطبرى فى الأحداث المؤسفة التى وقعت فى أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفان •

وقد اقتصد الطبرى فى تاريخ الروم بالقياس الى ما كتبه فى تاريخ الفرس ، ودون أكثر ما سطره عنهم فى فصوله عن تأريخ الفرس • أما الفصل الذى عنوانه « ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه السلام الى عهد النبى صلى الله عليه

(١) فهرست الطبرى (ص ٤٩٧) •

(٢) الطبرى : الدورة الأولى (ص ١٢٨٠)

(٣) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٧٨٥) •

(٤) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٨٤٩ ، ٢٨٥٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٤٢) •

(٥) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٨٥٨) •

(٦) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٩٢٢)

(٧) الطبرى : الدورة الأولى (ص ٢٩٤٢) •

وسلم فى قول النصارى ،^(١) ، فهو جريدة بأسماء الملوك ، ومدة حكم كل ملك ، الا أن الطبرى لم يذكر فيها سنة حكم الملك بالنسبة لتأريخ مولد المسيح ، وهو التأريخ المعمول به عند النصارى ، ولا بالنسبة الى ملك الاسكندر ، كما كان يؤرخ به بعضهم ، أو بالنسبة الى « تقويم بصرى » الذى يبدأ بدخولها فى حوزة الروم ، وذلك فى سنة ١٠٥ بعد الميلاد^(٢) . والاقتصاد فى تأريخ الروم بالقياس الى تأريخ الفرس ، ليس بدعة ابتدئها الطبرى من بين سائر المؤرخين الاسلاميين ، بل هى جادة عامة سلكها كل من كتب فى التأريخ العام وفى تأريخ العجم من فرس وروم وغيرهم . ولعل لانصهار الفرس وذوبانهم فى الاسلام ، ولتعصب قسم منهم لقوميتهم وتأريخهم السابق ، واحتفاظهم ببعض تراثهم العتيق من خزن كتب التأريخ ونقلها الى العربية ، وللتصادم الذى كان بين الروم والمسلمين ، وللأختلاف الذى كان بين الديانتين ، دخلا فى هذا الموضوع .

• وملوك الروم هم ملوك اليونان وملوك رومية^(٣) . « رومة » عند الطبرى^(٤) . وكذلك عند سائر المؤرخين ، وقد يراذ بهم قباصرة الرومان . وقد جعل النسابون يونان رجلا له نسب ، وجعل بعضهم من ذريته « بزطلى » ، ونسبوا اليهما الروم ، فقالوا : انهم بنو « دومي بن بزطلى بن يونان بن يافث بن نوح »^(٥) ، وجعلهم جماعة من النسابين من نسل عيصو بن اسحاق النبى^(٦) . وقد عرّفوا عيصو بن اسحاق من قراءتهم للتوراة ، أو من نفر من أهل الكتاب ، غير أنهم أخطأوا ولا شك فى نسبة اليونان والرومان ، أى الروم ، اليه . فليست هنالك علاقة منا بين عيصو أو عيسو « Esau » وبين الروم فى التوراة . وعيسو^(٧) هو أدوم^(٨) ، وقد سكن نسله وهم الأدوميون فى جبل سحر شرقى العرب ، وعرفت المنازل التى استوطنوا فيها باسم أدوم ، وهى تشمل كل تخوم كنعان الجنوبية ، وامتدت فاصلت بطورسيناء وبالغربية الصحرية ، وهى المنطقة التى أراحهم

(١) الطبرى (٢٥/٢) وما بعدها . « طبعة المطبعة الحسينية المصرية » .

(٢) زيدان : العرب قبل الاسلام (ص ٢٠٣)

(٣) البلدان ٣٣١/٤ .

(٤) راجع فهرست تاريخ الطبرى « عمل دى غويه » (ص ٧١٩) ، تأريخ سنى ملوك الأرض والانبيااء لحزمة بن الحسن الاصفهاني (ص ٤٦)

(٥) البلدان (٣٢٧/٤) .

(٦) البلدان (٢٣٧/٤) ، اللسان (١٥٠/١٥) .

(٧) ومعنى الكلمة « مشعر » أو « خشن » قاموس الكتاب المقدس (١٢٨/٢)

Hastings , P 235

(٨) « أدوم » بمعنى أحمر ، لقب عيسى بن اسحاق . قاموس الكتاب المقدس (٥٣/١) .

عنها النبط فاستقروا بها وعرفت باسمهم أيضا^(١) . وليست هنالك صلة ما من نسب أو قرابة بين الروم وأدوم . وقد رويت رواية نسبت الى ابن الكلبي خلاصتها : أن الروم هم من نسل العيص ، وهو عيصو ، وهو ابن اسحاق ، وقد ولد له روم القسطنطينية وملوك الروم^(٢) . ونحن لا نعلم كيف توصل ابن الكلبي ومن قال بقوله الى هذا النسب ، فلملهم أخذوه من أدعياء العلم من أهل الكتاب ، صنعوه لهم جهلا ، أو تفلود لهم كما كان شائعا بينهم في ذلك الوقت . وقد يكون لا من هذا ولا ذاك ، وانما من وضع ابن الكلبي وأضراب ابن الكلبي الذين كانوا يضعون الروايات ويصنعونها في معاملهم ، ليقال انهم كانوا أصحاب علم ، وانهم أحاطوا بكل خبر من أخبار القدماء .

وأرى أن هذه التسمية انما جاءت الى العرب من أيام عظمة رومية ، حيث بسط الأباطرة نفوذهم على أرجاء واسعة شملت ما كان لليونان من ممتلكات ، ولذلك قيل لا تباعهم انهم من أتباع رومية ورومانيون . وقد نبه على ذلك ياقوت الحموي فقال : « وذكر بعضهم انما سمي الروم روما لضافتهم الى مدينة رومية ، واسمها رومانس بلرومية ، فرب هذا الاسم فسمي من كان بها رومي »^(٣) .

وسبقه المسعودي الى هذا الرأي ، فإشار الى غلبة الروم على اليونان ودخولهم في جملتهم « حتى زال اسمهم ، وانقطع ذكرهم ، ونسب الجميع الى الروم »^(٤) . وفرقوا بين لغة اليونان ولغة الروم . قال ابن صاعد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ للهجرة : « وأما الأئمة الخامسة ، وهى الروم ، فأمّة ضخمة المملكة ، فخمة الملوك ، وكانت بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ، ولغتهم مخالفة للغتهم : فلهذا اليونانيون الاغريقية ، ولغة الروم اللاتينية »^(٥) .

وقد ورد فى التوراة اسم ياولان ، وهو ابن يافت الرابع ، وهو أبو اليونانيين^(٦) .

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/٥٣) Hastings , P. 203

(٢) البلدان (٤/٣٢٧) وهنالك روايات أخرى مصنوعة لا قيمة علمية لها رويت

فى تفسير تسمية الروم التنبيه والاشراف (ص ١)

(٣) البلدان (٤/٣٣١) « ورومية أيضا بالروم يعرف برومية الكبرى ، له ذكر

فى كتب الجغرافيا ، بناء روميس ملك الروم ، تاج العروس (٨/٣٢١)

(٤) التنبيه والاشراف (ص ١٠٠)

(٥) كتاب طبقات الأئمة (ص ٢٣) « بيروت ١٩١٢ ،

(٦) التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢ . وأخبار الأيام الأول : الاصحاح

الخامس ، الآية السابعة قاموس الكتاب المقدس (٢/٥٥٧) وما بعدها

ويقصد به بصورة عامة الايونيون Iacon Ionian ، أى الـ Greek ^(١) . ومن كلمة ياون Javan أو Jaon أخذ العرب - فى رأى - كلمة يونان ، وأطلقوها على جميع القبائل التى سكنت هيلاس وغيرها ، وعلى الانباطورية التى كانت عاصمتها القسطنطينية . ولذلك دعوا ملوكها أيضا بملوك اليونانيين ، تميزا لهم عن ملوك رومية ^(٢) الذين هم أباطرة الرومان .

وذكر الطبرى اليونانية وأرض اليونانية واليونانيين فى مقبل الروم ^(٣) ، ويقصد بهم من نقول لهم اليوم الرومان ، وأشار الى أن أول من حكم الشام بعد قلوبطرى هو جايوس يوليوس ، وهو ملك الروم . ثم أغوستوس الذى حكم ستا وخمسين سنة ، فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الاسكندر ثلاث مئة سنة وثلاث سنين ^(٤) . ويقصد الطبرى بهؤلاء الملوك الذين حكموا الشام بعد قلوبطرى ملوك رومية ، أى أباطرة الرومان .

ويستتج من حشر الطبرى أكثر ما تحدث به عن الروم فى الفصول التى دونها عن تأريخ الفرس ، ومن ادماجه تلك الاخبار فى رواية واحدة وفى حديث متصل مرتبط الاجزاء ، أن الطبرى اعتمد على الموارد المؤلفة فى تأريخ الفرس ، أو المترجمة عن الفارسية ، أكثر مما اعتمد على الموارد التاريخية المؤلفة فى تأريخ الروم أو المترجمة عن الرومية . وفى ذلك خطر ولا شك ، فقد كان الفرس خصوم الروم ، ولذلك لا تخلو كتبهم أو الكتب المترجمة عن الفارسية من أثر العصية . ثم ان أكثر من عنى بتأريخ الفرس أو من ترجم عن الفارسية كان من أصل فارسى ، أو من طبقة عرفت بميلها الى الفرس ، ولهذا يجب الانتباه الى هذه الناحية فى اعتمادنا على ما ذكره الطبرى عن الروم والفرس ، وأن نأخذ حذرنا فى تدوين تلك الاخبار .

ويظهر من بعض العبارات والاستدراكات التى دونها الطبرى تعقيا على بعض الروايات مثل قوله : « وأما الروم وكثير من أهل الانساب » ^(٥) ، وقوله « » فيما ذكر

(١) Hastings , P 427 Ency. Bibl. , P. 2338

(٢) حمزة الاصفهاني « تأريخ سنن ملوك الأرض والانبياء » (ص ٥) ، و(٤٥)

وما بعدها .

(٣) الطبرى (٩/٢) وما بعدها .

(٤) الطبرى (١٠/٢) .

(٥) الطبرى (٩/٢) .

الروم،^(١) أو د... في قول النصارى وأهل الكتب...^(٢)، وأمثال ذلك، أن الطبرى، قد نقل ما ذكره من الكتب. فمن عادته سابقا اغفال أسماء الموارد المدونة التي ينقل منها اكتفاء بذكر هذه الجمل وأمثالها. وقد فعل ذلك في تأريخ الفرس أيضا وفي مواضع أخرى كان سنده فيها الكتب والوثائق المدونة، فلم يعتمد فيها على الرجال، لذلك أهمل السند.

ولمعرفة هذه الموارد التي نقل منها الطبرى تأريخ الروم، لابد اذن من مراجعة ما كتب في العربية عن الروم، وما نقل من اليونانية واللاتينية الى العربية من كتب التأريخ والأخبار. وهو في الواقع بحث مستقل في حد ذاته، مراجعته العربية قليلة حتى الآن. وقد فقد أكثر ما ألف أو ترجم في هذا الباب، كما أن الكتب أغفلت ذكرها، فجعلنا أمرها.

وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب ألفها الروم في الأسماء والتواريخ^(٣)، نقلت الى العربية يظهر من عناوينها أنها في القصص والحكايات، ولعلها من وضع بعض القصص والأخباريين والقلّة. وقد ذكر أن منها كتاب سمسه ودمن على مثال كليله ودمنة، قال عنه: «وهو كتاب بارد التأليف، بفيض التصنيف، وقد قيل: ان بعض المحدثين عمله»، وكتاب تأريخ الروم، ولم يذكر ابن النديم اسم مؤلفه أو مترجمه، وذكر حمزة الأصفهاني كتابا في أخبار اليونانيين صنفه أو نقله عن اليونانية حبيب بن بهريز مطران الموصل. نقل منه تواريخ سني ملوك اليونانيين^(٤). وكان حبيب هذا ممن فسر للمأمون عدة كتب^(٥).

وقد ألف نفر من المطارنة في كتب التأريخ، اعتمدوا فيها على المؤلفات اليونانية واللاتينية، ونقل من مؤلفاتهم بعض المؤرخين.

وذكر المسعودي التوفى سنة ٣٤٥ أو ٣٤٦ للهجرة^(٦) أسماء طائفة من رجال

(١) الطبرى (٢/ ١)

(٢) الطبرى (٢/ ٢٥، ٥٦).

(٣) الفهرست لابن النديم (ص ٤٢٥).

(٤) حمزة (ص ٥٥، ٥٦).

(٥) الفهرست (ص ٣٤١).

(٦) Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, I, S.

الكنيسة وضعوا مؤلفات فى التاريخ تعرضوا فيها لتأريخ الروم واليونانيين^(١) ، اجتمع بعضهم وشاهدهم فى أسفار ، مثل سعيد بن البطريق المعروف بأبن الفراه ، بطريرك كرسى مارقس بالاسكندرية ، وقد شاهد بفسطاط مصر ، وله كتاب فى التاريخ العام تنتهى حوادثه فى أيام خلافة الراضى . ومحبوب بن قسطنطين المنبجى ، وأنايوس الراهب المصرى ، وهو صاحب كتاب فى التاريخ ، رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم الى قسطنطين بن هيلانى ويعقوب بن زكرياء الكسكرى الكاتب وأبى زكرياء دنخا النصرانى ، وغيرهم ، وأشار الى كتاب حسن فى التاريخ وضعه قيس المارونى فى ابتداء الخليقة والأنبياء والكسب والمدن والأمم وملوك الروم وأخبارهم ، وانتهى بتصنيفه الى خلافة المنكفى . وقد مدحه المسعودى وأثنى عليه^(٢) .

وذكر المسعودى أن نسخ كتب التواريخ التى بحثت عن ملوك الروم وأخبارهم ، مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ، ومدة ملكهم ، وأكثرها بالرومية ، وهى موجودة فى كتب النصارى الملكية^(٣) . وقد أشار حمزة الى هذا الاختلاف كذلك ، وقد استعان حمزة بأربعة موارد ساعدته على تدوين ما كتبه فى تأريخ اليونان والروم : كتاب مصنف فى أخبار اليونانيين نسب تصنيفه أو نقله الى حبيب بن بهريز ، وكتاب فى التاريخ صنفه وكيع قاضى بغداد ، ذكر وكيع أنه نقل تواريخ الروم من كتاب منك من ملوك الروم ، تولى نقله من الرومية الى العربية بعض الترجمة . وقد ساق التواريخ من ابتداء ملك قسطنطين الى سنة احدى وثلاث مئة من الهجرة^(٤) املاء ، أملاء عليه رجل رومى كان يقرأ ويكتب بالرومية ، ولا ينبعث فى النطق بالعربية إلا بجهد . وكان فراشا لأحمد ابن عبدالعزيز بن دلف ، وتولى الترجمة بينهما ابن هذا الفراه ، واسمه يمن ، ترجم له عن لسان أبيه املاء من كتاب له رومى الخط^(٥) . ومؤلف لأبى معشر هو كتاب الألو^(٦) .

(١) التنبيه والاشراف (ص ١٣٢)

(٢) التنبيه (ص ١٣٢) .

(٣) المروج (١/ ٢٦٩) .

(٤) حمزة (ص ٤٨)

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه (ص ٤٧)

وأبو معشر هو جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ للهجرة ، الذي اشتهر بتوغله في علم الفلك والنجوم ^(١) . وقد عرف عند الأوربيين بـ « Abumasar » ^(٢) . وقد ذكر ابن النديم كتاب الألفوف ، وقال عنه : انه يقع في ثمانى مقالات ^(٣) . وأشار اليه ابن صاعد الأندلسي ، وقال عن صاحبه : . وكان مع ذلك أعلم الناس بسير الفرس وأخبار سائر العجم ^(٤) . وذكر « بروكلمن » أن في خزانة الكتب الأهلية بباريس نسخة خطية من كتاب الأدوار والألفوف ^(٥) . وأشار سوتر Suter الى كتاب الألفوف في بيوت العبادات الذي ذكره البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة ^(٦) . ولا يبي معشر مؤلفات أخرى مهمة ترجم بعضها الى اللاتينية ، منها كتاب المدخل الكبير الى علم أحكام النجوم ، منه نسخ خطية في خزانات كتب العالم الشهيرة ^(٧) . وقد ترجمه

Joh. Hispalensis ، كما ترجمه Hermanus Secundus أو Dalmata وقد طبعت ترجمته في مدينة أوكزبرك Augsburg عام ١٤٨٩ للميلاد ^(٨) . وكتاب القرائن ، وقد طبع في Augsburg كذلك عام ١٤٨٩ للميلاد ^(٩) . وطبع مرة أخرى

(١) ابن القفطي (١٥٢) ، ابن صاعد (ص ٥٦ - ٥٧) ، ابن خلكان : الوفيات ، طبعة القاهرة ١٣١ (١١٢/١) .

Brockelmann , I , S 221 Ency. I , P 99 , Suter in Abhandlung Zur Geschichte der Mathem. Wissenschaft. VI , 31 , x 28

Ency I S. 99 (٢)

(٣) الفهرست (ص ٣٨٦ - ٣٨٧)

Lippert. Abu Ma'shars kitab al-uluf. (wiener Zeitschr. für die kunde des Morgenlandes . lx , 351

(٤) طبقات الأئمة (ص ٥٦)

Brockelmann , Suppl . I , S 395 , (٥)

Ency . I , P 100 . (٦)

Paris 5902 Garullah 1508 , Berl. Cod. Orient. Seminar. (٧)

46 , Halid Ef. 541 , veni 1193 , Mesh. XV11 50 , 155. Brockelmann Suppl. , I , S 395

(٨) طبعت بعنوان :

Introductorium in astronomiam Alburnasaris Abalachu Octo Continens libros partiales , Ency , I , P 100.

Abumasar de Magnis Conjunctionibus et annorum revolutionibus ac Corum profectionibus octo Continens Tractatus, Ency. , I , P. 100 (٩)

عام ١٥١٥م بمدينة البندقية Venice^(١) . ولم يشر الطبرى الى اسم أبى معشر ، ويظهر أنه لم ينقل من كتابه هذا ؛ لأن ما ذكره حمزة ، يختلف عما دونه الطبرى ، وهذا يدل على أن الطبرى قد استعان بموارد لم يستعن بها حمزة ، والا لم يحدث هذا الاختلاف .

يظهر من أقوال هذين المؤرخين ومن أقوال آخرين أن المؤرخين المسلمين لم يعنوا عناية خاصة بتاريخ اليونان والروم ، وأن الذين اضطروا الى تدوين تواريخ ملوكهم ، باعتبار أن ذلك جزء من التاريخ العام ، أخذوا ما دونوه من موارد ثانوية ، أي أنهم لم يراجعوا الموارد الأصلية والوثائق والمستندات . وهى مكتوبة كما نعلم بالانغريقية أو اللاتينية أو السريانية ، ولم يكن من اليسور لهم مراجعتها لاختلاف اللسان . ولهذا عمدوا الى الترجمة والمترجمات ، أو الى المؤلفات المدونة فى العربية لجماعة من النصارى أو المسلمين ، فأخذوا منها ، ولم يتوسعوا فى الغالب فى النقل والاقتباس والتدوين ، فجاء أكثر ما أخذوه قوائم بأسماء الملوك . أما ما يتعلق بحروبهم وسياساتهم وآرائهم وأمثال ذلك ، فما كان له صلة بالفرس أو بالعرب ذكر ، وما لم يكن له صلة ببشرة أهمل . ولهذا لا نجد فيما دون عن الروم غير الاختصار ، والمطول منه على ما يظهر من فحصه وتحليله ، منقول عن الموارد الفارسية أو من الروايات العربية التى وعنها ذاكرة الأخباريين .

وقد أخذ المسعودى أكثر ما دونه عن تاريخ الروم من النصارى ، الذين اتصل بهم فى أسفاره . ولذلك كان لما دونه أهمية كبيرة جدا ؛ لأنه يمثل روايات متنوعة عراقية وشامية ومصرية . ونجد فى كتبه أشياء لا نجدها فى تاريخ الطبرى . وقد عرف المسعودى تاريخ الطبرى وأشار اليه ، وأثنى عليه^(٢) ، ونقل منه ، ونقل من موارد نقل منها الطبرى كذلك . ولهذا فإن للمقارنة بين ما كتبه الطبرى عن الروم وبين ما كتبه المسعودى عنهم أو حمزة أو المؤرخون الآخرون ، فائدة كبيرة فى تشخيص الموارد التى نقل منها الطبرى تاريخ اليونان والروم .

ذكر الطبرى الروم فى جملة أولاد سام بن نوح ، وأبناء سام ، فى رأيه ، هم العرب وفارس والروم . وقد أخذ الطبرى روايته هذه عن محمد بن سهل بن عسكر ،

حدثه بها عن اسماعيل بن عبدانكريم ، عن عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه^(١) ، فهي رواية من الروايات المنسوبة الى وهب بن منبه . وأما صاحبها وراويها الى الطبري ، وهو محمد بن سهل بن عسكر ، فهو من حملة الاسرائيليات ، وأكثر ما رواه الطبري عنه هو من هذا القليل . وهو مولى بني تيم ، ومن أهل بخارى . وقد تنقل في ارض الخلافة كأمثاله من طلاب العلم والعلماء ، واستقر أخيراً ببغداد ، وبمات في شعبان من سنة ٢٥١ للهجرة^(٢) . وقد مكثه أسفار . من أخذ العلم من عدد من العلماء ، أكثرهم من أصحاب الحديث ، كما جعلته مورداً لعدد من طلاب العلم ، فصار شيخاً لجماعة فيهم النقات المشاهير ، أكثرهم من المحدثين .

ولم يشر الطبري الى المكان الذي التقى به بمحمد بن سهل بن عسكر فأخذ منه تلك الروايات ، ولا الى الزمان . ولعله أخذ عنه ببغداد أيام إمامة الطبري بها . وقد ورد اسمه في سبعة عشر موضعاً من تاريخ الطبري^(٣) .

ونقل الطبري رواية أخرى عن شيخه الحارث بن محمد ، عن محمد بن سعد ، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، جاء فيها أن الروم هم بنو نطلي بن يونان بن يافت ابن نوح^(٤) . وحدثه بمثل هذه الرواية شيخه أبو كريب^(٥) . أما عمران بن بكار الكلاعي ، وهو من مشايخ الطبري كذلك ، فقد حدثه أن سعيد بن المسيب قال : « ولد نوح ثلاثة ، وولد كل واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافت . فولد سام العرب ، وفارس ، والروم ؛ وفي كل هؤلاء خير . وولد يافت الترك ، والصقالية ، وبأجوج ومأجوج ، وليس في واحد من هؤلاء خير . وولد حام القبط ، والسودان ، والبربر »^(٦) .

وشيخ الطبري « عمران بن بكار بن راشد الكلاعي هو أبو موسى البراد الحمصي المؤذن المتوفى بحمص سنة إحدى وسبعين ومئتين ، وقد روى عنه جماعة من المحدثين^(٧) ، ولعل الطبري أخذ منه في سفره الى الشام . وقد ذكره الطبري في موضعين من

(١) الطبري (١/٢٠٢)

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/٣١٣) ، تهذيب التهذيب (٩/٢٠٧) .

(٣) فهرست تاريخ الطبري « عمل دي غويه » (ص ٥١٥)

(٤) الطبري (١/١٠٥) .

(٥) الطبري (١/١٠٦)

(٦) الطبري (١/١٠٦) .

(٧) تهذيب التهذيب (٨/١٢٤) .

تاريخه^(١) .

وقد تعرض المسعودى المتوفى فى عام ٣٤٦ للهجرة ، أى بعد وفاة الطبرى ، لذكر ملوك اليونانيين وما قاله الناس فى بدئ أسابهم ، فأجمل الآراء التى قيلت فى نسب اليونانيين . ولما كان المسعودى لم يتبع فى عرضه التأريخى طريقة السند ، ولم يتقيد بذكر المورد الذى أخذ منه ، صعب علينا التوصل ، بالمقابلة بين تاريخ الطبرى ومؤلفات المسعودى ، الى معرفة الموارد التى أخذ منها الطبرى أو كلاهما معا . ويظهر على كل حال من تمحيص ما دونه المسعودى عن أنساب اليونان ، أنه قد عرف من معين لم يعرف منه الطبرى ، وأنه لم ينقل شيئاً فى هذا الفصل من تاريخ الطبرى ؛ اذ جاء بأشياء لم يذكرها أبو جعفر فى تاريخه^(٢) ، أشياء تدل على الفرق بين الشخصيتين وبين نفسيتى الرجلين . فالطبرى من العلماء الرواة الحفاظ ، أما المسعودى فباحث قريب من مؤرخ الحديث ، ميال الى البحث والاستقصاء ووصف الغريب ، وإن كان لا يخلو من تأثير زمانه عليه فى رواية الأعاجيب والأساطير دون فحص أو نقد . وصف الأهرام ومقاييس النيل وعادات المصريين فى ذلك الوقت ، وتحدث عن تقاليد الاقباط وعادات انصارى وعن الأساطير المصرية القديمة وقصة كليوباترة وغير ذلك مما يلذ للانسان سماعه . وفعل مثل ذلك عن الاقطار الأخرى التى رآها وزارها . أما الطبرى ، فقد زار بلاداً ومدناً كثيرة ، ولاسيما البلاد العريقة بالحضارة كالعراق وديار الشام ومصر ، ولكنه لم يتحدث بشيء ما عن آثارها وعجائبها وقصص أهلها وأساطيرهم وتقاليدهم وعاداتهم ، لم يحفل بكل ذلك ، ولم يعأ به ، كأن ذلك لا يتصل بالتأريخ ، فجاء ما كتبه عن أزمن ما قبل الاسلام جافاً ليس فيه غير هذا الذى رواه عن مشايخه من أخبار الرسل والأنبياء والملوك ، وأكثره قصص اسرائيل وأساطير .

وفى أثناء الكلام على دارا ، وهو المعروف بـ Darius^(٣) ، تكلم الطبرى عن

(١) راجع فهرست "تاريخ الطبرى" عمل دى غويه ، (ص ٤١١)

(٢) المروج (١/١٤٢ - ١٤٣)

(٣) صاحب الكتابة الشهيرة ، راجع :

الاسكندر بن فيلفوس^(١) ، وفيلفوس أبود فيلبش أو فيلفوس في كتب أخرى^(٢) .
ويؤمن بذلك Philip كما يقال في بعض اللغات الأوروبية الحديثة ، و Philippos في اليونانية^(٣) . وقد حصل الاسكندر على شهرة كبيرة في القصص العربي الاسلامي ، وألفت كتب في حكمه وآرائه وسياسته ، وصار موضوعا خصباً لأصحاب القرائح في العربية والفارسية والتركية وفي غيرها من اللغات . وقد تركت فتوحات الاسكندر أثراً كبيراً في العقيدة اليهودية وفي النصرانية^(٤) ، وصارت موضوعاً من موضوعات الأدب ، وتغلب بمرور الزمن العنصر الأدبي على العنصر التاريخي ، فأصبحت سيرته نوعاً من أنواع الميثولوجيا Mythology في الأدب العاني ، وارتفع عن مرتبة الرجال العظام إلى مرتبة الأبطال المجاهدين لتحقيق المثل الإنسانية العليا والنبأى ، الدينية وشريعة التوحيد ، ورويت عنه قصص فلسفية حكمية مع أرسطوطاليس « أرسطو تاليس » . وقد صنعت معظم هذه القصص في مدينة الاسكندرية التي تحمل اسم هذا الملك والتي التقت فيها عقلية الغرب بالشرق ، فاكسبت الفلسفة اليونانية نوباً شرقياً رينياً صوفياً ، وفي هذه المدينة فصلت أكثر هذه الثياب التي صنعها خياطون من مختلف العصور والثقافات للاسكندر ، ولا شك .

ولم يرد اسم الاسكندر في العهد القديم ، وإنما أشير إلى ملكته في سفر دانيال^(٥) . وقد ذكر اسمه في المكابيين^(٦) . وصيغت في الأدب العبراني له قصص وحكايات ، منها ما هو يهودي بحت ، ومنها ما ورد إلى اليهود عن سواهم^(٧) . ومن هذه القصص قصة الأسئلة العشرة التي عرضها الاسكندر على حكماء الجنوب^(٨) ، ولها شبه بالقصص المروية

(١) الطبرى ٦/٢ وما بعدها

(٢) المروج ٢٤٤/١ وما بعدها

(٣) Harvey The Oxford Companion to Classical Literature, Oxford 1940, P. 321

(٤) Ency. Bibl., P. 112

(٥) الاصحاح الثامن : رؤيا دانيال والاصحاح الحادى عشر : الآية الثالثة

(٦) Imacc., 1, 1-8.

(٧) Tamid 31 b 32a

(٨) The Universal Jewish Encyclopedia, New york 1948, vol. I, P. 172.

عن بلوتارخ Plutarch^(١) ، وقصة سفرة الاسكندر الى المناطق المظلمة من افريقية^(٢) ، وقصة سفرة أخرى قاء بها الاسكندر الى شعب الأمزون Amazons حيث قدم له خبز مصنوع من الذهب ليأكله^(٣) . وتلك أسطورة أخذت من أسطورة يونانية عتيقة عن شعب زعم أنه عاش في أيام الانبصال^(٤) . وسفيرة أخرى قام بها الى أبواب الجنة ، حيث منع من الدخول إليها ، غير أنه أعطى عظمة كان أئمن من كل ما لديه من ذهب وفضة ، وموعظة الخبر له^(٥) . ثم قصة الملك Kasia مع الاسكندر والكنز المدفون^(٦) . وقصة حمل السرير له الى النساء ، الى مرتفع عال حيث تجلت له كرة الأرض ، ثم نزوله الى البحر^(٧) . ثم القصة التي ترينا الاسكندر وقد طمع أن يعبد الناس كما يعبد المعبود^(٨) . وعد الاسكندر في جملة الملوك الذين حكموا الأرض^(٩) . وقد عملت أكثر هذه القصص فى الاسكندرية ، وهى قصص يهودية متأثرة بقصص يوناني قديم . وقد جعل الاسكندر بطلا لقصص أخرى عديدة ، بعضها يعود فى الأصل الى اسكندر آخر^(١٠) .

هنالك قصص أخرى يظهر أنها اسرائيلية المولد والمنشأ ، ترينا فى الغالب ميول الاسكندر نحو اليهود ، وعطفه عليهم . منها قصة ذلك الرجل المسمى Gebiha ben Pesisa أو بن كوسيم ben Kosem ، ودفاعه عن حقوق اليهود^(١١) ، وقصة محاولته وضع تمثال له فى الهيكل وعدم موافقة الخبر الأعظم على ذلك . ثم قصة أخذه

(١) Jew. Ency , Vol. , T P 172

(٢) Tamid 32a , Hniv. Jew. Ency , I , P 172

(٣) Univ. , jew. Ency. , I , P 172

(٤) The Oxford Companion to Classical Literature , P 23.

(٥) Tamid 32 b

(٦) Yer B. M. , ii 8c

(٧) Yer A Z iii , 42c , Eisenstein , J D , Otzar , Midrashim , 1915 , P 463 , Gaster , M. , Exempla , No. 5 , P 53

(٨) Jew. Ency. , Vol. , I , P. 172

(٩) Gaster , M , Maaseh Book , 1934 , I , P 262.

(١٠) The Univ. Jew. Ency , I , P 172.

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) Sanh. 91a , Budge , E. A W , Life and Exploits of

Alexander the Great , 1896 , PP. 403 428 ,

عظام النبي أرميا الى الاسكندرية^(١) . وقصة الخضر مع الاسكندر^(٢) . ومقصص أخرى ظهرت بين العبرانيين في القرون الوسطى^(٣) ، مثل قصة السلة التي تتخفى عد وضعها في نقطة التقاء السماء بالأرض^(٤) ، وأمثال ذلك مما وجد له سبيلا الى آداب الأسم الأخرى عن طريق احتكاكها بالعبرانيين أو عن طريق اليهود الذين اختلطوا بمختلف الأقسام .

وترجع جذور قصص الاسكندر الى أيام فتوحات هذا الملك العظيم . ففي أيام هذا الملك ، أخذت تظهر هذه الأساطير التي وجدت لها تربة صالحة في الشرق . ومن التواريخ الخرافية التي دونت عنه ، التاريخ الذي وضعه Cleitarchus الذي عاش في حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد . وقد نمت هذه الأساطير وتركزت خاصة في القرن الثالث بعد الميلاد . وجعلت الروايات السريانية الاسكندر رجلا نصرانيا مؤمنا . ووجدت هذه الروايات لها سبيلا الى العربية والحشية والهندية وغيرها من اللغات الشرقية ، كما وجدت لها سبيلا الى الانكليزية والفرنسية واللاتينية في القرون الوسطى حيث أصبحت من الموضوعات المطروقة في الترت والشعر ، وخاصة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد^(٥) .

وفي الفرنسية قصيدة سببت باسم الاسكندر ، نظمت في القرن الحادي عشر للميلاد ؛ وعرف في انكلترا أتران يظهر أنهما بنا على قصة وضعت باللاتينية ، هنا : « رسالة من الاسكندر الى ارسطوطاليس » ، و « عجائب الشرق » . ومن القصص الفرنسى الموضوع شعرا أو نثرا عن الاسكندر ، أخذت أصول قصص الاسكندر في الانكليزية ، وذلك بين ١٢٠٠ - ١٥٠٠ للميلاد ، ولا سيما المنظومة المسماة King Alisaunder . وقد جعل شكسبير أحد الضباط الويلش Welsh الذين وضعهم في

(١) Midrash Agada to Mum, 30 : 15 , the Univ Jew. Ency., I , P 172.

(٢) Friedlander, Die Chadirlegende und Alexanderroman, 1913

(٣) Gaster , M , Hebrew Romance of Alexander the Great, in Journal of the Royal Asiatic Society (1897)

(٤) The Univ Jew. Ency. , I , P 172.

(٥) Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature, P. 21

روايته « هنرى الخامس Henry V » ، من المطلعين العارفين بقصص الاسكندر (١) .
وألف باللاتينية كتاب مهم عن حياة الاسكندر يقع فى عشرة كتب ، ضاع منها
الكتابان الاولان . ألفه كورتيوس روفوس Curcius Rufus quintus فى أيام
قلوديوس Claudius (٢) أو فسبسيان Vespasian (٣) . ويغلب على الكتاب
طابع الرواية ، وقد كتب بأسلوب قصصى ممتاز ، غير أنه ضعيف من ناحية النقد التاريخى ،
ولذلك كانت للكتاب مكانة بين الكتب المؤلفة فى قصص الاسكندر (٤) . وفى السفر الاول
من أسفار المكابيين شئ عن الاسكندر يعبر عن وجهة نظر العبرانيين (٥) . .

أخذ الطبرى أخباره عن الاسكندر من موارد مختلفة لم يصرح باسمها ، فأضاع
بذلك أمورا تفيد المؤرخ جدا . نعم ، أشار الى الروايات التى ترجع الى ابن الكلبى ،
غير أنه لم يذكر اسم الراوى الذى روى له الخبر ، أو اسم الكتاب الذى نقل منه ،
مخالفا بذلك طريقته المألوفة التى اتبعها فى الاسرائيليات وفى قصص الملوك والانبيا ،
حيث كان يروى أسماء من حدثه بالخبر فيوصل السند الى « هشام بن محمد بن السائب ،
الكلبى ، ومنه الى صاحب الخبر . فليس من السهل التوصل من عبارة مبنية على الجهول
مثل قول الطبرى : « وحدثت عن هشام بن محمد قال ، ، أو « قال وذكر غير هشام
أن ... » (٦) ، أو « فاما هشام بن محمد فانه قال فيما حدثت عنه . . » (٧) ، أو « فذكر

Harvey , the oxford Companion to classical Litterature, P.21 (١)

(٢) « قلدوبيس ، تاريخ اليعقوبى (١٦٤/١) » طبعة هوتسما ، « قلدوبوس ،

الطبرى (٢٥/٢) . « قلدوبوس » ابن العبرى (١١٥/١) .

24 -41) Claudius (Tiberius Claudius Drusus Nero Germanicus)

A D). Harvey, P 107.

(٣) « اسفسيانوس ، ابن العبرى ١١٧/١ ، « اسفسيانوس أبو طيطوس الذى

وجهه الى بيت المقدس ، الطبرى ٢٥/٢ ، « ثم ملك اسفسيانوس عشر سنين وكان أهل
مملكته يسمونه الإله ووجه ابنا له يقال له ططوس الى بيت المقدس فحاصرها أربعة
أشهر » اليعقوبى ١٦٤/١ .

Vespasian , (Titus Flavius Sabinus Fespasianus) (70-79.A.D)

Harvey , P. 445

Harvey , P. 127 (٤)

First Book of the Maccabus (٥)

(٦) الطبرى (٦/٢)

(٧) الطبرى (١/٢) .

هشام ما ذكرت عنه ولم يبين مدة ملك القوم^(١) ، أو « وكان فيما ذكر هشام بن محمد .. »^(٢) ، أو « فحدثت عن هشام بن محمد قال .. »^(٣) ، أو غير ذلك من أمثال هذه العبارات - الى اسم الراوى ، أو الاثر الذى نقل منه الطبرى قوله . وقد يمكن التوصل الى ذلك بمقارنة عبارات الطبرى بما دون فى كتب التأريخ التى ألفها مؤرخون عاشوا قبله أو فى زمانه أو بعده ، عندئذ تمكن معرفة المورد الذى نقل منه الطبرى وبقية المؤرخين . غير أن أكثر الذين كتبوا فى التأريخ العام ، ولاسيما فى تأريخ الفرس والروم ، لم يشيروا الى أسماء الموارد التى نقلوا منها ، ولذلك يصعب علينا التوصل حتى بهذه الطريقة الى معرفة الموارد الأصلية التى نقل منها الطبرى وبقية المؤرخين الذين كتبوا فى ذلك الموضوع .

ذكر ابن النديم اسم كتاب فى جملة الكتب التى ألفها ابن الكلبي ، دعاه « كتاب ملوك الطوائف » ؛ وكتبا آخر سماه « كتاب الأوائل » ، و « كتاب خبر الضحاك » ، وكتبا أخرى فى أخبار الأوائل^(٤) . فمن أى كتاب من هذه الكتب أخذ الطبرى وغيره تلك الأخبار ؟ واذا أن ابن النديم ومن ترجموا لابن الكلبي لم يشيروا الى محتويات هذه الكتب ، واذا كانت هذه الكتب فى حكم الكتب الضائعة ، فأتانا لا نستطيع رجوع هذه التنف المدونة فى تأريخ الطبرى وفى كتب التأريخ الأخرى الى أصولها التى وجدت فيها فى صحف ابن الكلبي . غير أن أغلب ظنى أن الطبرى نقل أخباره التى نسبها الى ابن الكلبي عن « ملوك الطوائف » ، وهم الأشعانيون^(٥) ، من كتاب ملوك الطوائف الذى أشار اليه ابن النديم . واذا صح هذا الظن فنحن أمام مقتبسات وتنف من هذا الكتاب الذى لم يشر الى وجوده فى الوقت الحاضر بروكلمن^(٦) ولا غيره من الباحثين عن الكتب المطبوعة أو المخطوطات^(٧) .

(١) الطبرى (١١/٢)

(٢) الطبرى (٢٦/٢) .

(٣) الطبرى (٢٧/٢) .

(٤) الفهرست (ص ١٤١) ، كتاب الاصنام ، « ثبت مصنفات ابن الكلبي » (ص ٧١ ، ٧٣ ، وما بعدها)

(٥) الطبرى (١٠/٢ - ١١) .

Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, I, (٦)

S 139 , Supplement , I S 211 - 212.

(٧) الاصنام

ولم يقتصر الطبرى فى أخباره عن الاسكندر وعن الذين خلفوه على ما ذكره هشام وحده ، بل نقل أخبارا أخرى رواها غيره من الرواء ، عقب بها على أخبار ابن المكلى أحيانا ، وقدمها على أخبار أحيانا أخرى . وقد نبه على ذلك بمنى قوله « قال : وذكر غير هشام أن .. » (١) ، أو « وقال غيره من أهل العلم ... » (٢) ، وهى جميل تشير الى أن الطبرى قد نقل من موارد أخرى لا صلة لها بمؤلفات هشام .

ويظهر أن الطبرى قد أخذ من موارد استمدت أخبارها من الروم ، أو من مؤلفات نقلت عن اليونانية أو اللاتينية ، كما يفهم ذلك من قوله : « وأما الروم وكه من أهل الانساب » (٣) . وقوله « ... فيما ذكر الروم ... » (٤) . ومن الجائز أيضا أن الطبرى قد دون هذه العبارات كما وجدها فى الكتب التى نقل منها ، أو كما سمع ذلك من محدثيه ، فقلها فى كتابه معبرا بذلك عن أقوال غيره ممن يقص أقوالهم علينا . وقد قلت فيما سلف ان ابن النديم والمسعودى وغيرهما أشاروا الى كتب نقلت الى العربية فى تاريخ الروم واليونان ، فلعلها وصلت الى أيدي الطبرى فنقل منها ، فلم يشأ لذلك أن يفصح عن أسماء نقلتها وهم من أهل الكتاب .

وللفرس فى الاسكندر رأى ، فقد جعلوه من آب فارسى هو دارا بن بهمن ، ومن أم يونانية سماها اليعقوبى الفيدا ، ويرى هوتسما ناشر تاريخ اليعقوبى أن الفيدا تصحيف أوليا Olympia (٥) . وعلى ذلك فالاسكندر هو من الفرس - ولا ندرى بالطبع متى سير الفرس الاسكندر منهم : أفى أيام الجاهلية ، أى قبل الاسلام ؟ أم فى الاسلام ، أى بعد انقراض ملكهم وزوال دولتهم ؟ ومن عادة الشعوب المغلوبة التفيتش عن الماضى ، وازافة الأعمال المجيدة اليها ، ليكون ذلك سلوى لها ، وحافزا لاثارة الهمم ، وتفتية لما حل بها من نكبات .

وانا ليصعب علينا تحديد الوقت الذى ظهرت فيه هذه القصة ، وقصة اغتيال دارا ورجائه من الاسكندر الانتقام من قتله ، والتزوج من ابنته روشناك Roxana (٦)

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(١) الطبرى (٦/٢)

(٢) الطبرى (١١/٢)

(٣) الطبرى (٩/٢)

(٤). الطبرى (١٠/٢)

(٥) تاريخ اليعقوبى (١٦١/١)

(٦) Ency. of Islam, vol , II , P .534

وذلك لعدم وصول نسخ كاملة من الترجمات العربية لكتب « سير ملوك المعجم » إلينا حتى الآن ، ولأن هذه المقتبسات والتف المدة في تاريخ الطبرى وفي كتب التاريخ الأخرى لا تعطينا فكرة صحيحة عن تلك الأصول .

وقد دون الطبرى مقتل دارا وأسباب الخلاف الذى حدث بينه وبين الاسكندر وزواج الاسكندر ابنة دارا باختصار ، أخذه على ما يظهر من رواية مطولة لهشام بن الكلبي^(١) . ثم أعاد القصة بشيء من التفصيل ، وقد نقلها من مورد آخر كما أشار الى ذلك بقوله : « قال : وذكر غير هشام »^(٢) . ويظهر من قول الطبرى « قال » وبعدها جملة « وذكر غير هشام » أن الطبرى قد نقل ما دونه من كتاب آخر ، أو من قول رجل كان يتحدث اليه أو يملئ عليه ، فبعد انتهائه من تلخيص خبر ابن الكلبي تحدث الراوى الى الطبرى برواية أخرى ترجع لرجال آخرين ، أو أن الطبرى نقل ما كتبه من كتاب آخر فدونه على نحو ما وجدته فى ذلك الكتاب .

وذكر الطبرى رواية أخرى عن الاسكندر استلها بقوله : « وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين » ، ثم سرد بعدها أسطورة زواج دارا الأكبر بأمر الاسكندر المسماة هلاى ، واختلاف دارا الأصغر وهو ابن دارا الأكبر مع شقيقه الاسكندر بسبب مطالبة الفرس للروم بدفع الجزية التى كان يدفعها ملوك الروم الى الفرس فى كل عام ، وامتناع الاسكندر عن دفعها قائلاً لملك الفرس : « انى قد ذبحت الدجاجة وأكلت لحمها ، ولم يبق لها بقية ، وقد بقيت الاطراف ، فان أحيت وادعناك ، وان أحيت ناجزناك » . ثم ما كان من اغتيال دارا وسقوطه على الأرض ومجىء الاسكندر اليه وهو بأخر رمق ومسحه التراب عن وجهه ووضعه رأسه فى حجره الى آخر القصة^(٣) .

وقد قص علينا هذه القصة عالم آخر هو أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة^(٤) . وهى تتفق مع القصة التى سردها الطبرى فى المعنى ، وان

(١) الطبرى (٦/٢) .

(٢) الطبرى (٧/٢) .

(٣) الطبرى (٧/٢) وما بعدها .

(٤) الآراء مختلفة فى سنة وفاته ، راجع الارشاد « طبعة مارغليوث » (١/١٢٣

وما بعدها) ، بغية الوعاة (ص ١٣٢) .

Wustefeld, Die Geschichtschreiber, No. 79, Brockelmann, I, S. 123

ضحى الاسلام (١/٤٠٦) وما بعدها) . راجع أيضا ملحق بروكلمن :

Suppl. , I , S 187.

كانت تختلف عنها فى بعض الجمل والتفصيلات التى لا تؤثر على العرض العام .
ويظهر من مقارنة القصتين بعضهما بعض أن الرجلين قد غرّفا من منبع واحد ،
وأخذا من مؤلف يرجع الى الفرس كالأذى يفهم من عبارة الدينورى : « وقد اختلف
العلماء فى نسبه ، فأما أهل فارس فيزعمون أنه .. »^(١) ، وهى عبارة افتتح بها هذه
القصة . وقد عرف عن الدينورى أنه نقل من الكتب التى ترجمها ابن المقفع ، فعمله نقل
قصص الاسكندر من تلك الكتب .

ولامات الاسكندر ، عرض الأمر - على حد قول الطبرى - على ابنه الاسكندروس ،
قأبى ، واختار النسك والعبادة ، فملكّت اليونانية عليهم بطلميوس بن لوغوس ، ثم
بطلميوس فيلا فطرا ، ثم بطلميوس افيانوس ، ثم بطلميوس أورغاطوس ، ثم بطلميوس
ساطر ، ثم بطلميوس الأحنسندر ، ثم « بطلميوس » الذى اختفى عن ملكه ثمانى
سنين ، ثم بطلميوس دونسيوس ، ثم بطلميوس قلوبطرى . « فكل هؤلاء كانوا يونانيين ،
فكل ملك منهم بعد الاسكندر كان يدعى بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون
أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم المفقانيون . ثم ملك الشام بعد قلوبطرى - فيما ذكر
الروم - أغوستوس ستا وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ، ولد
عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الاسكندر ثلاث مئة سنة وثلاث سنين .. »^(٢) .
وقد ذكر الطبرى مع كل ملك سنى حكمه ؛ لذلك نستحسن مقارنة هذه القائمة بالقوائم
المماثلة التى دونها بعض المؤرخين المعاصرين للطبرى ، أو الذين عاشوا بعده بزمن غير
طويل .

وقد دون أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى
المتوفى سنة ٢٨٤ للهجرة^(٣) قائمة بأسماء خلفاء الاسكندر تختلف عن قائمة الطبرى ،
فى الأسماء وفى السنين . وهى تدل على عدم وقوف اليعقوبى على قائمة الطبرى ،
المعاصر له ، أو على المورد الذى استقى الطبرى منه ، والا لما حدث بينهما هذا الاختلاف .
فزعم اليعقوبى أن الذى حكم بعد الاسكندر هو ذو القرنين بطلميوس ، والمتعارف عند
الأخباريين والمؤرخين أن ذا القرنين هو الاسكندر نفسه ، وحكم بعده فيلفوس ، ثم
هو رحيطوب الأول ، ثم فيلوبطور ، ثم فيفانس ، ثم فيلو بطور الثانى ، ثم هور حيطوب

(١) الأخبار الطوال . طبعة ليدن « (ص ٣١) .

(٢) الطبرى (١٠/٢) .

(٣) الارشاد (١٥٦/٢) « طبعة مارغليوث » . Ency. , IV , P 1153

الزاني^(١) . فانت ترى نفسك أمام قائمة تختلف عن قائمة الطبرى اختلافاً يثير الى أنهما قد نقلتا من موردين مختلفين .

أما الدينورى الذى أطنب فى قصة الاسكندر اطناباً لا نجده فى تاريخ الطبرى^(٢) ، فانه لم يتعرض لخلفاء الاسكندر ، ولم يشر الى أسماء الذين حكموا بعده . ونلاحظ بصورة عامة أنه زاهد فى أخبار اليونان والروم ، مقتصد فى ذكر أخبارهم ، ميل الى التبسط فى الحديث عن أخبار الفرس^(٣) . والظاهر أنه انما تبسط فى الحديث عن الاسكندر ، لما رأينا من دعوى أصحاب الأخبار من الفرس من أن والد الاسكندر هو دارا الأكبر ، ولما روه من قصص له علاقة بمقتل دارا الأصغر ، وبتولى الاسكندر عرش الفرس .

وحكم بعد الاسكندر على رأى المسعودى بظلميوس ، ثم هيفلوس ، ثم بظلميوس الصانع ، ثم بظلميوس المعروف بمحب الألب ، وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب أنطاكية الاسكندروس ، ثم ملك بعده بظلميوس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى ، ثم بظلميوس محب الألب ، ثم بظلميوس الصانع ، ثم بظلميوس المخلص ، ثم بظلميوس الاسكندراني ، ثم بظلميوس الحديدى ، ثم بظلميوس الجوال ، ثم بظلميوس الحديد ، ثم ابنته قبطرة ، وهى آخر الملوك الذين حكموا بعد الاسكندر ، وعددهم أربعة عشر ملكاً ، وعدد سنى ملكهم ثلاث مئة سنة وسنة واحدة^(٤) .

وتختلف هذه القائمة عن القائمة التى دونها المسعودى لملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين فى كتابه الآخر ، وهو كتاب التنبيه والاشراف^(٥) ، بعض الاختلاف فى عدد الملوك وفى مدة حكم كل ملك . ذكر المسعودى أن عدة ملوك اليونانيين من فيلبس الى قلوبطرة سنة عشر ملكاً ، وجملة ما ملكوا من السنين مئتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوماً ، وذلك موجود فى قانون ثاون الاسكندراني^(٦) وغيره . ولكنه ذكر أيضاً أن من غنى بأخبار سير الملوك وتواريخ الأئمة مختلفون فى عدة ملوك اليونان وفى

(١) تاريخ اليعقوبى « طبعة هوتسما » (١/١٦٣ وما بعدها)

(٢) الأخبار الطوال (ص ٣١ وما بعدها)

(٣) Ency , vol , I , P 977

(٤) المروج (١/٢٥٨ وما بعدها)

(٥) التنبيه والاشراف - طبعة مصر (ص ٩٧)

(٦) التنبيه (ص ٩٧)

مدة سنهم^(١) ، وذكر أن أبطلميوس أورنداس هو أول من حكم بعد الاسكندر ، ثم حكم بعده أبطلميوس الكسندرس ، ثم أبطلميوس الأديب ، ثم أبطلميوس محب أخيه ، ف «أبطلميوس الصانع» ، ثم أبطلميوس محب أبيه ، ثم أبطلميوس الظاهر ، ثم أبطلميوس محب أمه ، ثم أبطلميوس الجوال ، ثم أبطلميوس المخلص ، ثم أبطلميوس الكسندرس ، ثم أبطلميوس قساس ، ثم أبطلميوس ديونسيوس ، ثم قلوبطرة ابنة أبطلميوس ، وكانت حكيمة ولها كتب فى الرقية وغيرها^(٢) ، وقد قتلها أوغسطس الذى استولى على ملك اليونانيين ومصر والشام ، وكون - على رأيه - ملك الروم^(٣) .

وذكر ابن النديم أن لثاون الاسكندراني جملة كتب ، منها كتاب جداول زيج بطلميوس المعروف بالقانون المسير^(٤) ، وعرف عند المسلمين بعلمه فى الكواكب ، وبآرائه فى الزيج^(٥) . وقد ذكر ابن القفطى أسماء مؤلفات « ثاؤن »^(٦) وقد نقلها على ما يظهر من فهرست ابن النديم . وقد عاش « ثاؤن Theon » فى القرن الخامس بعد الميلاد ، وكان فيلسوفا رياضيا^(٧) . والظاهر أن المسعودى قصد بقانون ثاون ، الكتاب الذى أشرت إليه .

ولحزمة الأصفهاني قائمة كذلك بأسماء الملوك الذين حكموا بعد الاسكندر وبسنى حكمهم ، وقد دعاهم « ملوك مقدونية » . وهم : بطلميوس بن الأرنب ، وبطلميوس بن لعوس محب الأ'ب ، وبطلميوس الصانع ، وبطلميوس محب الأ'ب ، وبطلميوس صاحب علم النجوم ، وبطلميوس محب الأم ، وبطلميوس الصانع الثانى ، وبطلميوس المخلص ، وبطلميوس الاسكندرى ، وبطلميوس الحديدى ، وبطلميوس انخيث ، وفلوقطرا بنت مخنة^(٨) .

وبمقارنة هذه القائمة بقوائم الملوك السابقة ، يتبين أنها قريبة بعض الشيء من قائمتى

(١) التنبيه (ص ٩٧) .

(٢) التنبيه (ص ٩٨ وما بعدها) .

(٣) التنبيه (ص ١٠٧) .

(٤) الفهرست (ص ٣٧٥ - ٣٧٦) .

(٥) كتاب طبقات الأ'م لابن صاعد الأندلسى (ص ٥٤)

(٦) اخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٧٦)

(٧) Harvey , The oxford Companion to classical Literature ,

P 426

(٨) حمزة (ص ٤٥ - ٤٦)

المسعودى ، ولا سيما القائمة المنشورة فى كتاب التنبية والاشراف ، غير أن هذا لا يعنى أن حمزة نقل من القائمتين ؛ اذ نرى هنالك اختلافا فى الأسماء وفى السنين لا يشير الى أخذ حمزة من مؤلفات المسعودى ، الا أننا نستطيع أن نقول بكل تأكيد انهما نقلًا من مورد واحد . وقد يكون هذا المورد هو أبو معشر جعفر بن محمد البلخى المتوفى سنة اثنتين وسبعين ومئتين للهجرة^(١) ، وقد ذكر حمزة أنه أخذ أخبار الروم من مؤلف له سماه كتاب الألوف^(٢) . وقد ذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب بين أسماء كتب أبي معشر ، وقال : انه يقع فى ثمانى مقالات^(٣) . ومن الممكن أن يكون المسعودى قد نقل احدى القائمتين من كتاب الألوف ، للتقارب الذى بين قائمة حمزة المنقولة من كتاب أبي معشر وبين قائمة المسعودى .

اذا دققنا قائمة الطبرى للبطالة « البطالسة » ، نرى أنه قد ذكر الأسماء مع النعوت التى عرف بها كل بطلميوس ، وقد حافظ على النعوت كما هى ، فلم يترجمها الى العربية كما صنع من ذكرناهم ، الا أنه كتبها على نحو يلائم النطق بالعربية ، فأبعدها بذلك عن الاصل ، وقدم أيضا وآخر قليلا بين الأسماء . وبطلميوس بن لوغوس الذى ذكره الطبرى ، هو بطلميوس الاول المعروف بـ Soter^(٤) أى المخلص « المنقذ » ، وهو ابن لاغوس Lagus . وقد تملك مصر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، أى سنة وفاة الاسكندر الأكبر ، ودام حكمه حتى وفاته سنة ٢٨٣ قبل الميلاد^(٥) . وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة على ما جاء فى تاريخ الطبرى^(٥) . وحكم بعده بطلميوس الثانى

(١) الفهرست (ص ٣٨٦) ، ابن القفطى (ص ١٠٦) ، ابن صاعد (ص ٨٩) ، ابن خلكان (١١٢/١) ، راجع ما كتبه « لبرت » عن كتاب الألوف .

Lippert, Abu Ma'shars Kitab al-uluf, wiener Zeitschr. fur die kunde des Morgenlandes, ix, 351, Ency. , vol, I , P 100, Brockelmann, G A . I, S . 221 , Suppl. , I , S . 304 305 ,

« كتاب الادوار والألوف »

Brockelmann , Suppl. , I , P 395 , Paris , Bibliotheque nationale , Catalogue des mss. Arabes Par le Baron de Slane , Paris 1883-95. (2581)

(٢) حمزة (ص ٥٤)

(٣) الفهرست (ص ٣٨٧)

(٤) Ency. Britani. , vol, 18, P. 731-732, Harvey P. 352,

٣٢٣ - ٢٨٥ قبل الميلاد . قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣)

(٥) الطبرى (٢/١)

المعروف بفيلادلفوس Philadelphus ، وهو ابنه ، وقد حكم من سنة ٢٨٥ أو ٢٨٣ قبل الميلاد حتى سنة ٢٤٧ أو ٢٤٦ قبل الميلاد^(١) . وهو مؤسس مكتبة الاسكندرية ، وكان مجاباً للأدباء والعلماء ، فجلب اليه الشعراء مثل ثيوفريطس Theocritus ، والرياضيين مثل أقليدس Eukleides Euclid الرياضى الشهير ، والفلكى أراتس Aratus ، Aratos وأمثالهم^(٢) . ولم يشر الطبرى اليه .

وقد وضع الطبرى بعد بطلميوس بن لوغوس اسم بطلميوس دينانوس ، وقال عنه انه حكم أربعين سنة^(٣) ، وضعه فى مكان بطلميوس فيلادلفوس ، وهو خطأ ، ثم ذكر بعده اسم بطلميوس أورغاطس الذى قال عنه انه حكم أربعاً وعشرين سنة^(٤) ، وهو فى الواقع بطلميوس الثالث المعروف بـ Euergetes أى « الخير » ٢٤٦ - ٢٢١ ، قبل الميلاد^(٥) . ولم يشرح الطبرى معنى هذا التمت . وحكم بعد بطلميوس الثالث بطلميوس الرابع المعروف بـ Philopator ، أى المحب لآبيه ، وقد حكم من سنة ٢٢١ حتى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد^(٦) ، وجعل الطبرى مدة حكمه احدى وعشرين سنة ، ودعاه بطلميوس فيلاطر^(٧) ، وهو تحريف Philopator ولا شك . وحكم بعد بطلميوس الرابع بطلميوس المعروف بـ Epiphanes ، أى الظاهر^(٨) ، وهو بطلميوس الخامس ، وقد حكم من سنة ٢٠٤ حتى سنة ١٨١ قبل الميلاد^(٩) ، ودعاه الطبرى بطلميوس ايفانوس ، وحكم - على روايته - اثنتين وعشرين سنة^(١٠) . ثم حكم بعده بطلميوس أورغاطس^(١١) ، ويقصده الطبرى بطلميوس المعروف بـ Euergetes الثانى ، وهو بطلميوس السابع فى الواقع ،

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .

(٣) الطبرى (١٠/٢) .

(٤) كذلك .

(٥) Ency. Brita., vol, 18, P. 732

(٦) Ency. Brita., vol , 8, P. 732 قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٣) .

(٧) الطبرى (١٠/٢) .

(٨) Ency. Brita., vol , 18 , P. 733, Bouche Leclereq, Histoire des Lagides , I PP 333

(٩) Ency. Brita , vol , 8, PP. 733 ,

قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٤) .

(١٠) الطبرى (١٠/٢) .

(١١) الطبرى (١٠/٢) .

وقد نسي الطبرى ذكر بطلميوس السادس وهو المعروف بـ Philometor أى المحب
 لأمه الذى حكم من سنة ١٨١ حتى سنة ١٤٥ قبل الميلاد^(١) . وأما بطلميوس الثامن
 فهو المعروف بـ Soter الثانى^(٢) ، وقد دعاه الطبرى بـ « ساطر »^(٣) ، ويعت
 أيضا بـ Lathyros . وحكم بعده بطلميوس التاسع المعروف باسكندر الاول
 Alexander I^(٤) ، وهو المعروف فى تاريخ الطبرى بطلميوس الا'حسندر^(٥) ،
 وهو تحريف الاسكندر ولا شك . وحكم بعد بطلميوس الا'حسندر على قول
 الطبرى « بطلميوس الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين » ، ثم بطلميوس
 دونسيوس^(٦) ، ويقصد به بطلميوس المعروف بـ Philopator Philadelphus Neos
 Dionysus الذى حكم من سنة ٨٠ حتى سنة ٥١ قبل الميلاد ، وعرف أيضا بـ
 Auletes^(٧) . وآخر من حكم من البطالسة على رأى الطبرى بطلميوس قلوبطرى^(٨) .
 وبطلميوس قلوبطرى هى قبطرة عند المسعودى^(٩) ، وهى كليوباترة Cleopatra .
 ولم يذكر الطبرى شيئا عن قصة « قلوبطرى » . أما المسعودى ، فقد جعلها حكمة
 متفلسفة ، مقربة للعلماء ، معظمة للحكماء ، مؤلفة لها كتب ومؤلفات فى الطب وانزينة
 والحكمة ، وتعرض لقصة أنطونيوس معها ، ثم مجيء أغسطس قيصر الى مصر وقصة
 طلبها الحية من الحجاز^(١٠) ، وذكر أشياء أخرى مهمة لها علاقة بالتاريخ الثقافى
 والدينى والاجتماعى لليونان والروم ، وهى أمور لا تطرب مؤرخنا الطبرى ولا تحرك أوتاره .
 وقد روى الطبرى أخبارا تشير الى غزو الفرس لليمن فى الايام الخالية والى وجود
 صلات قديمة بين أقدم ملوك الفرس الذين عاشوا قبل الميلاد وبين تبابعة اليمن ، ويظهر

(١) Ency. Brita, Vol 18, P. 733. قاموس الكتاب المقدس (١/٢٣٤) ،

تاريخ مصر فى عهد البطالسة للدكتور ابراهيم نصحي (١/٩٤) .

(٢) Ency Brita , Vol ,18 , P. 733

(٣) الطبرى (١٠/٢) .

(٤) Ency Brita , Vol , 18 , P. 733

(٥) الطبرى (١٠/٢) .

(٦) الطبرى (١٠/٢) .

(٧) Ency. Brita. , Vol, 18 , P 733.

(٨) الطبرى (١٠/٢) .

(٩) المروج (١/٢٥٩) .

(١٠) المروج (١/٢٦٠ - ٢٦١) .

من فحصها وغربلتها أنها ترجع الى ابن الكلبي فى الغالب • فروى الطبرى خبرا نسبه الى ابن الكلبي زعم فيه أن الرائس بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك اليمن ، كان فى أيام منوشهر ، وهو الذى غزا الهند وأذربيجان^(١) ، وروى أيضا أن كيقاوس غزا اليمن والملك يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائس ، وكان مصابا بالفالج • فلما أظله كيقاوس وودئى بلادده فى جموعه ، خرج بنفسه فى جموع حمير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأسره ، واستباح عسكره ، وجسه فى بئر وأطبق عليه طبقا • فلما سمع بذلك رستم ، خرج بجموعه الى اليمن فاهتخلصه من اليمانيين^(٢) ، وانصرف به الى بابل • وعلق الطبرى على هذه القصة بقوله : « وقد حقق ما ذكر ابن الكلبي من أسر صاحب اليمن قابوس^(٣) ، الحسن بن هانىء فى شعر له ، فقال :

وقاظ قابوس فى سلاسلنا سنين سبعا وفت لحاسبها^(٤)

ونجد قصة غزو كيقاوس لليمن فى كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، غير أنها تختلف بعض الاختلاف عن القصة التى رواها الطبرى • ففيه مثلا أن ملك اليمن هو شمر بن فريقس ، وفيه قصة بنت لشمر اسمها سعدى عشقت كيقاوس فكانت تحسن اليه فى خفية من أبيها والى من معه من أصحابه مدة حبسها ، وقدرها أربع سنين ، وفيه أشياء أخرى لم يذكرها الطبرى^(٥) ، مما يدل على أن المسعودى قد نقل قصته هذه من مورد آخر • ولم يشر أبو حنيفة الدينورى الى هذه القصة ، وانما أشار الى غزو آخر لليمن قام به الفرس ، وذلك فى أيام كيخسرو بن كيقاوس^(٦) •

مواد على

-
- (١) الطبرى (١٩٧/١) •
 - (٢) الطبرى (٢٦٤/١ - ٢٦٥) •
 - (٣) ويعنى به كيقاوس •
 - (٤) الطبرى (٢٦٥/١) •
 - (٥) المروج (١٩١/١ - ١٩٢) •
 - (٦) الأخبار الطوال (ص ١٥ وما بعدها)

الرياضيات قبل عهد اليونان (*)

معرفة العد والشكل ، ضرورة تقتضيها الحياة الإنسانية • وبدء استعمال الأعداد وتميز الأشكال ، مجهول لدينا • ومهما كانت المنابع الأصلية للرياضيات ، فانها انتهت إلينا بتأريخ عظيمين : الأول يمثل العدد ، وقد انبثق عنه علما الحساب والجبر وما يتفرع منهما وينبئ عليهما • والثاني يمثل الهيئة والشكل • ثم امتزج هذان العلمان بصورة منطقية منظمة على يد الفيلسوف الفرنسي المشهور (ريني ديكارت) - عام ألف وست مئة وسبعة وثلاثين - في ملحق كتابه المسمى (الطريقة في العلم) ، وأصبحت الرياضيات علما واحدا متماسكا أخذ ينمو بسرعة حتى أصبح الآن أوسع من أن يحيط به عقل إنسان واحد ، ولا نعرف في هذا العصر أحدا ادعى أنه محيط به •

وفيما بين وضع أسماء للأعداد وتوسع هذا العلم إلى الحد الذي ذكرناه ، سرت الرياضيات بأدوار كثيرة • ومن الصعب جدا وضع حدود فاصلة بين نتاج دور ونتاج دور آخر • ذلك أن الآراء الرياضية المميزة لهذه الأدوار تتداخل بعضها في بعض فما تم الكشف عنه في أحدها ، ترجع أصوله ومقدماته والتمهيد إليه إلى أدوار ماضية ، كما أن فروعه وتكامله تتخطى الحدود إلى دور مقبل •

وهذا هو شأن العلم في كل زمان ومكان • فهو سلسلة من الأفكار متصلة الحلقات أخذ بعضها برقاب بعض •

وقد يقول إنسان ما : « إن علما من العلوم كمل ولم يبق فيه مجال لإبداع جديد » • والحقيقة أن هذا القول يخالف الواقع ، فما من علم يمكن الادعاء بأنه كامل ، ولا مجال فيه لكشف جديد ، لا بل إن بعض القضايا التي كانت تعد حقائق علمية لا جدال فيها سارت فيما بعد موضع نقاش وشك ، وثبت بطلانها • وقد يبقى علم من العلوم جامدا عصورا طويلة ، مما يوحي بأنه بلغ حد الكمال ، ولكن لا يلبث أن ينبري له عقل جبار ينتشله من جموده ، فترى الآراء الجديدة فيه تدفق كالنوع ، وتصبح موضعه للدرس والنقاش ، وإذا بعلم جديد أو نظرية أساسية عن جريان الطبيعة ظهرت إلى الوجود •

ولهذه العقول النفاذة وما أودعه الله فيها من قابليات فذة ، فضل كبير على العلم والإنسانية • ولكنها في بعض الأحوال تطبع البشرية من بعدها بطابع الجمود والتحجر •

ذلك أنها تذهل الناس بعظمتها ، وتبهزم بنورها ، فلا يجروون على نقدها ، أو تفنيد ما فيها من خطأ . مثال ذلك أن عظمة (أرسطو) الفكرية حكمت (أوربة) زهاء ألف عام ، ولما كشف (غاليلو) عن فساد بعض آرائه لاقى فى سبيل ذلك اضطهادا عظيما كاد يودى بحياته . والآراء الجديدة التى قوبلت بالترحيب والقبول حتى فى نواحي العلم البحت ، نادرة . ولكن الأهم الحديثة ، أدركت قيمة البحث العلمى ، فخصصت المبالغ الطائلة لهيئة وسائله وتنظيمه ، ولم تتركه للجهود الفردية المنبصرة .

إن الكشف فى علم الرياضيات - كما هى فى معظم العلوم الطبيعية - نشأت وتقدمت فى الأعم الأغلب بتأثير عاملين أساسيين : أما العامل الأول فهو الحاجة الشديدة إليها ، فهى ضرورة لا بد منها فى المعاملات اليومية الاعتيادية فضلا عن أنها علم أساسى تحتاج إليه العلوم الأخرى . فهو الدعامة التى يقوم عليها فن البناء وهندسة « المكائن » والكهرباء والصناعات الكيماوية والعلوم الطبيعية كافة نظريا وعمليا . والرياضيات فى التجارة محور الحركة التجارية ، فدفاتر التجار وسجلات البنوك وسندات الديون والرهون ، تقوم على معرفة الأعداد والتعامل بها . وقل مثل ذلك عن زراعة الأرض وربها وغلتها وغير ذلك من الأمور التى لا تقع تحت حصر ، والحقيقة أن الحضارة الانسانية كانت ولا تزال تتوخى الارتكاز على قواعد رياضية . وهى لم تكن لتبلغ هذا الأوج من العظمة والقوة لولا هذا العلم المجرد .

وأما العامل الثانى فهو حب الاستطلاع ، حيث اشتغل بعض ذوى المواهب الرياضية العالية بهذا العلم ، وكشف أسرار . ، لما فى ذلك من متعة فكرية ، بصرف النظر عما ينجم عن بحثهم من فوائد مادية لهم أو لغيرهم . مثال ذلك أن (علم المخروطيات) ، أى (علم القطوع المخروطية) الذى اخترعه (مناكموس) تلميذ (أفلاطون) فى القرن الرابع قبل الميلاد ، لم تكن له فائدة ما عملية عند اختراعه . ولكن هذه الفائدة ظهرت بعد مدة تزيد على الألف عام ، حين بحث (كبلر) فى مدار الكواكب السيارة ، واكتشف قوانين سيرها فى أفلاكها . وأمثال ذلك كثير فى تأريخ العلم . وهذا مما يجعلنا نعتقد أن البحث العلمى ليس من الضروري أن يقتصر على ما له فائدة محسوسة آنية ، أو على ما له صلة ببقية العلوم . ذلك أن الحقائق العلمية المكتشفة التى لا تبين لها قيمة عملية عند اكتشافها ، قد تظهر لها فائدة عظيمة فى المستقبل . والزمن كفيل بطمس معالمها اذا انتفت فائدتها .

هذان العاملان الرئيسان ، هما اللذان خدما الرياضيات ، كما خدما العلوم الأخرى . وليس فى الوسع الدخول فى تفاصيل الأدوار التى مرت بها الرياضيات . ولكننا نستطيع

القول بصورة عامة ان الأدوار العظمى فى تاريخها أربعة •

الدور القديم - وأوله مجهول ، وينتهى حوالى القرن السادس قبل الميلاد • وهو تاريخ ظهور (فيثاغورس اليونانى) ، وبدء شيوع استعمال المنطق الرياضى والاستعانة بالبراهين العلمية فى اثبات القضايا الرياضية ، وخاصة الهندسية منها •

الدور اليونانى - ويبدأ حوالى القرن السادس ق • م ، أى بظهور فيثاغورس كما أسلفنا بيانه ، ويختم بوفاة (بابس الاسكندرى) حوالى القرن الثالث أو الرابع الميلادى ، وهو آخر رياضى يونانى عظيم •

الدور العربى الاسلامى - ويبدأ بترجمة (كتاب السند هند) ، وربما كان اسمه الحقيقى (براهما سداننا) لمؤلفه (براهما كوتا) فى زمن الخليفة (المنصور) عام سبع مئة وست وستين ، وينتهى بسقوط (بغداد) على يد المغول عام ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م •

الدور الأوروبى - ويبدأ عام ١٢٠٢ م بالكتاب المسمى Liber Abaci ، أى الحساب الحر ، وهو من وضع (ليوناردو فيبوناكسى) من أهالى مدينة (بيزا) الإيطالية • وكان هذا الرجل قد درس على أستاذ مراکشى فى مدينة (بوجيه) فى شمال افريقية ، حيث كان والده يشتغل بالتجارة (مشرفا على مستودعات البضائع لتجار مدينة بيزا) ، كما قام بسفرات الى مصر وسورية • وهو فى كتابه هذا يشرح نظام العدية العربية الذى لم يكن معروفا لدى الأوربيين ، ويفضله على جميع نظم العدية الأخرى •

وسنقصر بحثنا اليوم على الدور القديم وحده ، ذلك الدور الذى طوى الزمن أسماء أبطاله وعفى عليها النسيان •

لا يعلم أحد متى بدأت فكرة التمييز بين الأكثر والأقل والأقرب والأبعد وبين شكل وآخر • يحتمل أن هذا التمييز يرجع بأصوله الى الأدوار الحيوانية ، فقد وجد مثلا أن الشمبانزى يدرك أن الحمسة أكثر من الأربعة ، وقسم من الحشرات يميز بين حجم وحجم أصغر منه ، والعناكب تنسج بيوتها على شكل مضلعات منتظمة ومتشابهة ، وبعض الطيور تبنى أعشاشها على أشكال متماثلة متناسقة • أما النحل ذلك الحيوان العجيب فإنه يتبع فى بناء خليته قاعدة النهايتين العظمى والصغرى ، والكثير من الحيوانات تدرك أن الخط المستقيم هو أقرب بعد بين نقطتين كما تفعل الطيور حين تقصد محلا معينا •

أما تصور الهيئة والعدد لدى الانسان القديم ، فيعود الى الدور الحجري القديم • فقد وجدت فى بعض الكهوف فى أسبانية وفرنسة رسوم يعود تاريخها الى ما قبل خمسة عشر ألف عام ، وهى تدل على فهم عجيب للأشكال والهيآت • ولما تطورت حياة الانسان

من مجرد البحث عن القوت الى العمل على انتاجه ، تبدل طراز معيشته من البداوة المتنقلة الى الفلاحة المستقرة ، فأنشأ المساكن والقرى لتحمية من عناصر الطبيعة ومن الحيوانات المفترسة ، وظهرت صناعات بدائية كعمل الحزف وأوليات التجارة والنسيج ، كما قامت بين القرى تجارة امتدت أحيانا الى مئات الأميال . وفى أغلب الظن أن اختراع العجلة واستعمالها فى صنع الحزف وفى التنقل تم فى هذا الدور ، كما صهر فيه النحاس أو البرنز وصنعت منه بعض الأدوات البدائية . وكانت اللغة فى ذلك الوقت تعبر عن الأشياء المحسوسة وعن قليل جدا من الأمور النظرية المجردة . وتوجد الآن قبائل تعيش فى حالة تضارع حالة أولئك الناس الأقدمين ، ويتجلى من دراسة عاداتهم ولفظاتهم ما يلقى ضوءا على طراز الحياة التى كان يحياها البشر قبل آلاف السنين .

والاصطلاحات العددية - وهى من الناحية الفكرية المجردة أرقى ما يسكن أن يصل اليه العقل الإنسانى - لم تظهر فجأة ، ولكنها استغرقت عصورا عديدة .

ويرجح أنها بدأت بشكل وصفى ، لا بشكل كمى ، فقول « رجل » ، والمقصود رجل واحد ، وقول « رجلان » ، والمقصود رجلان اثنان ، وقول « رجل » ، لما زاد على ذلك . وبعض القبائل المتأخرة لا تعرف من الأعداد الا واحدا واثنين ، وما زاد على ذلك قيل عنه « كثير » . وبالتدريج استعملوا طريقة الجمع للتوصل الى أعداد أكبر . وهاكم نموذجين من ذلك : ان احدى القبائل الأسترالية عند نهر مورى فى الجنوب الغربى من استرالية ، تعد هكذا : واحد ، اثنان ، اثنان وواحد ، اثنان واثنان ، وهكذا . أما القبيلة الثانية فتقول ما معناه : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اثنان واثنان ، اثنان وثلاثة ، ثلاثة وثلاثة . . الخ . والطفل حين يتعلم العد لأول مرة يتدرج بمثل هذه الخطوات . ثم تطور العد فوصل الى الأساس خمسة . فبعض القبائل تعد هكذا : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة . أما الخمسة فتطلق عليها اسم (يد) ، ثم تعود فتقول : يد وواحد ، يد واثنان . . الخ . وفى الفارسية يقال للخمسة بنج ، ولليد أو الكف بنجه . وفى الانكليزية يقال للرقم ديجيت ، ومعناه اصبع . ويرجح أنه بسبب وجود عشر أصابع فى اليدين أصبح الأساس العشرى فيما بعد شائعا أكثر من غيره . وقد وجدت الى جانبه أسس أخرى لا تزال آثارها باقية الى يومنا هذا ، كالأساس الخماسى الذى أشرنا اليه والأساس العشرينى والأساس الستينى . ولما تركز أساس العد أصبح من السهل التعبير عن أعداد كبيرة بضم العشرات بضم بعضها الى بعض . أما الضرب فقد انبثق عن الجمع ، فبدلا من أن يقال عشرة وعشرة قيل عشرتان ، أى اثنان فى عشرة . أما الكسور فكان

استعمالها نادرا جدا ، ولا شك في أن النصف أقدمها جميعا • ويلاحظ في اللغة العربية وفي الكثير من اللغات الأخرى أيضا ، أن كلمة النصف كلمة مستقلة وليست مشتقة من الاثنين اشتقاق كلمة الثلث فإن هذه مشتقة من الثلاثة كما أن الربع مشتقة من الأربعة • الخ ، مما يستدل منه على أن الكسور الأخيرة هذه تم اختراعها بعد اختراع الأعداد بخلاف كلمة « نصف » التي ربما اخترعت قبل ذلك •

أما القياسات فلم تكن في بادئ الأمر دقيقة أو مضبوطة ، وكانت تتخذ من أعضاء الجسم ، ولا تزال تسمياتها تدل على ذلك كالشبر والفرس والذراع والخطوة . وفي الانكليزية كلمة Foot أى القدم ، لا تزال مستعملة ، وقد دخلت في صميم الأبحاث العلمية الحديثة .

ولما بدأ الانسان فى أوائل العهد الزراعى ببناء الدور ، كان ينشئ الجدران على خطوط مستقيمة ومتعامدة . كما أن صوغ الخزف على هيئة أوان ونقشه بمختلف الصور والأصباغ ونسج السلال والمنسوجات الأخرى ، قوى فى الانسان ملكة تصور العلاقات المستوية والفراغية بين الأشياء . أما العلاقات العددية ، فقد ظهرت على بعض الأدوات الأثرية كالأعداد المثلثية (*) . فقد كان الانسان فى الدور الحجرى الحديث مولعا بالأشكال والنقوش الهندسية . وكان لقسم من النقوش والأعداد قيمة دينية مقدسة كالأعداد ٣ و ٧ ومن الأشكال النجم ذو الرؤوس الخمسة والصليب المعقوف أى « السواستيكا » ، وهو الذى اتخذه النازيون شعارا لهم فى عهد (هتلر) . وما عدا ذلك فإن بعض تلك النقوش وورثتها الأجيال التاريخية ، وشاع استعمالها فظهرت على المزهريات فى الأدوار اليونانية القديمة ، كما ظهرت فى نقوش الفسيفساء عند البزنطيين والعرب ، وفى الأقمشة المزركشة عند الفرس والصينيين .

أما في الفلك ، فلا شك في أن الشمس والنجوم وتغلب الأيام والفصول ،
لفت نظر الانسان القديم ومراقبته منذ أزمان بعيدة ، كما يستدل على ذلك من بعض آثار
العصر الحجري الأوسط ، وتوسع الزراعة والتجارة تطورت هذه المعلومات حتى
أصبحت أقرب الى العلم منها الى ملاحظات عابرة .

بدأت الحضارة تتقدم بمقياس أوسع ، والهيئات البشرية تتطور لتتخذ شكل حكومات



فيها شيء من التنظيم على ضفاف الأنهر الكبرى في آسية وافريقية حوالى الألف السادس قبل الميلاد . ويرجح أن هذا التطور الحضارى بدأ أولا على شواطئ دجلة والفرات ، ثم ظهر فى جوار نهر النيل ونهر الأندلس ، ثم على ضفاف نهر الكنج ، وأخيرا فى الصين .

وظهرت الرياضيات فى الشرق علما عمليا لحساب التقاويم وإدارة المحاصيل وتنظيم الأعمال العامة وجباية الضرائب ، وكان التأكيد فى أول الأمر موجها بانقطع الى الحساب والقياسات للحاجة العملية اليها . على أن الأمر لم يقتصر على الكشف عن المعلومات الرياضية واختراع الأساليب الجديدة فيها واستخدامها عمليا حيث تمس الحاجة اليها ، بل تعدى ذلك الى ضرورة تعليم أسرارها ، لضمان نقلها من جيل الى جيل ، والعمل على رفع مستواها لتوفى بحاجات التقدم الحضارى . وقد أدى ذلك بالتدريج الى دراسة العلم للعلم نفسه ، واجراء الكشف فيه لمجرد اللذة الفكرية ، فتطور الحساب الى الجبر ، وتطورت القياسات الى مبادئ الهندسة النظرية .

ومن الصعب تعيين تواريخ الاكتشافات العلمية فى مثل تلك العصور البعيدة ، خاصة وأن عوامل عديدة عملت على ازالة الكثير من معالم التراث العلمى والحضارى ، منها الغزو والاحتلال والتطاحن على تولى الحكم والسلاطان بين الأسر القوية فى الداخل والفيضانات الكبيرة التى تصل أحيانا الى حد الطوفان . ولكن البابليين كانوا أكثر توفيقا من غيرهم ، ذلك أنهم كانوا يدونون الحوادث على ألواح من الطين يفخرونها فلا تعطب سريعا ، بخلاف الصينيين والهنود الذين استعملوا مواد سريعة التلف كقشور الأشجار والخيزران . أما المصريون فقد استعملوا أوراق البردى التىبقى قسم لا يستهان به منها بسبب جفاف المناخ ، ولذلك فإن معلوماتنا عن الرياضيات القديمة تكاد تكون محصورة بالبابليين والمصريين .

وكان المظنون الى زمن قريب أن أهم الكنوز فى الرياضيات القديمة تقع فى مصر . ولكن الاكتشافات فى العشرين سنة الأخيرة التى قام بها العلامة (نيكبار) والعلامة (ثورو دانجين) بحلها ألفاظ عدد كبير من الكتابة على ألواح الفخار ، بينت أن العلم الرياضى فى بابل كان أرقى منه فى سواها .

ان أساس الحضارتين القديمتين فى مصر والعراق ، أساس زراعى كما أسلفنا ذلك ، والاقتصاد الزراعى يعتمد بالضرورة على معرفة دورة الفصول السنوية ومواعيد الحرث والزرع والحصاد ، كما يتطلب حفر الترع وانشاء السداد وتوزيع المياه وإقامة

مخازن للفلال وانشاء المباني لمختلف الأغراض الأخرى • وكل ذلك له علاقة وثيقة بالحساب والقياسات •

على أن الوضع فيما بين النهرين ، كان يمتاز عن الوضع في مصر من ناحيتين : الأولى أن الحالة الاقتصادية فيها كانت أكثر تقدماً ، لأن بابل كانت سوقاً تجارية عظيمة تلتقي فيها القوافل التجارية الكبيرة من مختلف جهات العالم ، بخلاف مصر التي كانت في شبه عزلة • والثانية هي أن ضبط فيضانات دجلة والنرات الفجائية ، التي تبلغ أحياناً حد الجنون ، كانت تتطلب مهارة فنية وإدارية أكثر مما يستدعيه نهر النيل الوديع الهادئ • وقد يكون لذين العاملين أثر في تنشيط الفكر الرياضي في العراق أكثر مما في مصر في ذلك التاريخ •

ان حساب طول السنة وتاريخ تقديره بصورة فريدة جداً من الحقيقة ، أمر مختلف فيه • وبعض المؤرخين يضع عام ٤٢٤١ قبل الميلاد بأنه العام الذي اعتبرت فيه مصر السنة اثني عشر شهراً ، واستمر ثلاثين يوماً ، وأضافت فوق ذلك خمسة أيام عدنها أعياداً ، وبذلك بلغ طول السنة ٣٦٥ يوماً ، وهو أقل من السنة الحقيقية بخمسة ساعات وثمان وأربعين دقيقة وست وأربعين ثانية تقريباً •

أما في العراق ، فيقول المؤرخون : ان السومريين كانوا يضعون بدء السنة في يوم الاعتدال الربيعي (٢٢ آذار) ، وذلك منذ عام ٥٧٠٠ قبل الميلاد • وبعد ألف سنة من ذلك ، أي حوالي عام ٤٧٠٠ قبل الميلاد ، سمو الشهر الأول من السنة باسم الثور : لأن الشمس كانت في برج الثور عند الاعتدال الربيعي في ذلك التاريخ • ولا شك في أن مثل هذا التقدير الدقيق يتطلب مهارة حسابية ، مما يستدل منه على أن القوم كانوا قد برعوا في الحساب قبل ذلك التاريخ بزمن طويل •

ان معظم معلوماتنا عن الرياضيات في مصر مستمدة من مصدرين : الأول ورقة بردى تسمى (ورقة رايند) باسم العالم الألماني الانكليزي (هنري رايند) ، وقد اكتشفت في أواسط القرن التاسع عشر ، ويقال انها كتبت عام ١٦٥٠ ق.م ، وتتضمن خمسا وثمانين مسألة • والمصدر الثاني ورقة بردى أخرى ، وتسمى (ورقة موسكو) ، وهي أقدم من الأولى بزهاء ثلثي عام ، وتتضمن خمسا وعشرين مسألة • ويقال ان محتويات الورقتين كانت معروفة و متداولة قبل تدوينها بزمن طويل •

ويظهر من هاتين الورقتين أن العد كان على أساس عشري • أما في كتابة العدد ، فكان يستعمل رمز خاص لكل مرتبة عشرية جديدة •

وقد أسس الرومانيون نظامهم العددي وبنوه على الفكرة نفسها • فالرقم ١٦٧٨

يكتبه الرومان هكذا : MDCL × × III

وعلى مثل هذا النظام أقام المصريون نوعا من الحساب تغلب عليه صفة الجمع ، ونعني بذلك أن عملية الضرب كانوا يجرونها بتكرار الجمع •

أما المسائل الواردة في المصدرين المذكورين ، فلا يتعدى معظمها المعادلات السهلة ذات المجهول الواحد ، مثل : ما الكمية التي إذا أضفت إليها ثلثها ونصفها وثلاثة أسباعها كان الناتج ثلاثة وثلثين ؟

أما الأثر البارز في حساب الكسور عند المصريين القدماء ، فهو أنهم كانوا يحولون الكسور من نوع $\frac{2}{3}$ إلى مجموعة من وحدات الكسور ، أي التي يكون بسط كل منها واحدا • مثال ذلك : $\frac{2}{3} = \frac{1}{3} + \frac{1}{3}$ و $\frac{2}{7} = \frac{1}{7} + \frac{1}{7}$

وتتضمن (ورقة رايند) جدولا بالكسور التي مقاماتها أعداد فردية ابتداء من الخمسة إلى الثلاث مئة والواحد والثلثين مع تحويلها إلى وحدات كسرية كما بنا • وهذا الاتجاه مع أنه يتطلب شيئا من المهارة في الحساب ، أدى إلى إيقاف نمو العلم في حدود ضيقة • ولا تعرف بالضبط الطريقة التي اتبعها الحساب المصري في تحويلاته هذه •

وتطرق المصريون في بعض المسائل إلى المتواليات العددية والهندسية • مثال ذلك : كيف توزع مئة رغيف من الخبز بين خمسة رجال ، بحيث تكون الحصص على شكل متوالية عددية ، وبحيث يكون سبع مجموع الحصص الكبرى الثلاث مساويا لمجموع الحصص الصغرى ؟ أو سبعة بيوت ، في كل بيت سبع قطاط ، ولكل قطعة سبع فئران ، ولكل فأرة سبع سنابل ؟ وغير ذلك مما يدل على معرفتهم دستور مجموع المتواليات الهندسية والعددية •

أما المسائل ذات الصبغة الهندسية ، فيفهم منها أنهم كانوا يعرفون أن مساحة المثلث تساوي نصف حاصل ضرب القاعدة في الارتفاع ، وأن مساحة الدائرة تساوي $(\frac{1}{2} - \frac{1}{6})$ ، وهي تساوي $(\frac{1}{3})^2$ ، ومنها يظهر أن النسبة الثابتة هي $\frac{2}{3}$ •

أي ٣١٦٠٥

كذلك كانوا يعرفون كيفية إيجاد حجم المكعب والمتوازي السطوح والأسطوانة الدائرية ، وحالة واحدة من النظرية التي سميت فيما بعد (نظرية فيثاغورس) ، وهي أن المثلث الذي أضلاعه ٣ ، ٤ ، ٥ هو مثلث قائم الزاوية •

على أن أعجب ما اكتشفه انصريون هو دستور حجم الهرم الرباعي الناقص ، وهذا الدستور هو (٢١ + ١٦ + ٢) ، على اعتبار أن ع هي الارتفاع بين القاعدتين ، وأن أ هي ضلع احدى القاعدتين المرتبتين ، وأن ب ضلع القاعدة المربعة الأخرى . ولا تزال كيفية توصلهم الى هذا الدستور الصحيح مجهولة . وقد ثبت نهائيا أنهم لم يبرهنوا على صحة هذا الدستور .

أما في بابل ، فقد وصلت الرياضيات الى درجة لم تبلغها جميع الاقوام المعاصرة لها . فالنصوص الرياضية السومرية التي تعود الى عهد الأسرة الثالثة في (أور) ، التي كتبت قبل أربعة آلاف عام ، تدل على قابلية حسابية ثاقبة . وتحوى هذه النصوص جداول للضرب على وفق نظام ستنى محكم ومبنى فوق أساس عشرينى ، وتتضمن رموزا للواحد وللستين ول٢٦٠ وأيضاً ل١٠٦٠ و ل٦٠٠ ٢ أى ٦٠٠ ٢ ٦٠٠ ٢ ٦٠٠ ٢ .

ولكن أبرز خاصية في حسابهم ، استعمالهم النظام الموقعي للأرقام . ففي الوقت الذى كان فيه المصريون يستعملون رمزا جديدا لكل مرتبة عشرية ، كان البابليون يستعملون الرمز نفسه . ولكن قيمة الرمز ، أى الرقم ، تتعين بموجب موقعه من العدد . وعلى ذلك فان واحدا اذا أتبع بواحد ، أى ١١ ، كان المقصود بذلك (٦١ واحدا وستين) . وإذا كتبوا (٢ ، ٣ ، ٤) مثلا فان ذلك يعنى $2 \times 60 + 3 \times 10 + 4 = 14082$. وتعين قيمة العدد بموجب مواقع أرقامه هو النظام الذى تتبعه فى الوقت الحاضر ، حيث نقول ان للرقم قيمتين : احدهما قيمته المطلقة ، والأخرى قيمته النسبية ، أى بالنسبة الى موقعه بين مراتب العدد . فالعدد (٤٣٢) يعنى $2 \times 10 + 3 \times 100 + 4 \times 1000$. والقيمة الموقعية للرقم ٤ هي (٤٠٠) ، ولكن قيمته المطلقة أربعة فقط .

ولهذا النظام الفاخر الذى ابتكره البابليون مزايا عظيمة فى تسهيل الحساب ، وهي التى فتحت أبواب التقدم فى هذا العلم . وما عليك الا أن تجرى عملية ضرب بالأرقام الرومانية وتقارنها بالعملية نفسها على الطريقة المتبعة فى الوقت الحاضر ، لتجد البون التاسع بين الطريقتين . ثم ان هذا النظام أزال الكثير من الصعوبات فى حساب الكسور ، كما أغنتنا الكسور العشرية فى الوقت الحاضر عن استعمال الكسور الاعتيادية فى الكثير من الأحوال .

على أنه كان فى هذا النظام الذى سر ذكره ناحيتان غامضتان ، احدهما أن مواقع المراتب لم تكن واضحة ، بل يقتضى استنتاجها من سياق المسألة . مثال ذلك : أن العدد ٤٣٢ الذى مر ذكره ، يجوز أن يكون معناه : $2 \times 60 + 1 + 3 \times 60 + 4 \times 100 =$

٢٤٣ ، لا ١٤٥٨٢ كما بنا •

أما الأخرى التى يكتنفها الغموض ، فهى وجود فراغ فى مكان الصفر ، فعدد مثل ١٢ر٣ يجوز أن يعنى $3 + 12 \times 10^2 = 43203$ ، ولكنهم فطنوا الى ذلك فيما بعد ، ووضعوا رمزا خاصا للصفر ، وذلك فى العهد الفارسى لبابل •

والنظام الستينى لا تزال آثاره باقية الى يومنا هذا • فالساعة مقسمة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ٦٠ ثانية • أما الدائرة فمقسمة الى ٣٦٠ درجة ، والدرجة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ستين ثانية •

أما النظام الموقعى فى كتابة الأعداد ، فهو النظام الذى استقرت عليه البشرية ، وسيبقى خالدا • وهو اختراع لا يقل قيمة عن اختراع حروف الهجاء • فكل من هذين الاختراعين أزال طريقة رمزية معقدة ، وأحل مكانها طريقة رمزية سهلة يمكن أن يمارسها حتى الطفل الصغير •

ومن المناسب أن نقول هنا : ان الهنود واليونان تعرفوا الرياضيات البابلية بالاتصال التجارى • ومن المحتمل جدا أن الهنود اقتبسوا عن البابليين النظام الموقعى فى كتابة الأعداد فغيروه الى نظام موقعى عشرينى بدلا من ستينى • ويلوح لى أن النظام الستينى بقى معروفا فى العراق حتى الفتح الاسلامى ، ولم ينتبه اليه العرب لانشغالهم بالفنوحات والسياسة • لذلك لما ترجم (كتاب سيداتنا) فى زمن (أبى جعفر المنصور) الى اللغة العربية ، لم يكن ما ورد فيه مستغربا ، ولم يلاق مقاومة ؛ لانه يتفق مع ما كان معروفا فى العراق سابقا من حيث الأساس ، بخلاف الحالة فى أوربة حيث استغرق الأمر مدة تزيد على ٢٠٠ سنة بين دخول الأرقام العربية وبين قبول استعمالها وانتشارها ، وسبب ذلك وجود نظام العد الرومانى الذى يختلف أشد الاختلاف عن النظام الموقعى •

وقد أخبرنى أحد الأصدقاء أن الصابئة حتى اليوم يميلون الى العد بالستينات بدلا من العشرات • فإذا صحت هذه الرواية يكون ذلك على الأرجح من بقايا النظام الستينى القديم •

وتوجد مجموعة ثانية من النصوص الرياضية البابلية تعود الى أيام حمورابى عام ١٩٥٠ ق م ، وفيها نجد الحساب قد تطور الى جبر ، مما يدل على أن الدافع العلمى والمتعة الفكرية أخذتا يستحثان مفكرى ذلك العصر على الإبداع العلمى ، إضافة الى الحوافز المادية التى تقتضيها حضارة ذلك العصر • ويظهر من هذه النصوص أنهم لم يقفوا عند حل المعادلات الخطية (أى المعادلات من الدرجة الأولى) كما وقف المصريون ،

بل هاجموا المعادلة ذات الدرجة الثانية وحلوا ببراعة ممتازة ، كما حلوا المعادلات ذوات المجهولين من الدرجتين الأولى والثانية . وقد وجدت بين المسائل مسألة يؤدي حلها الى معادلات ذوات عشرة مجاهيل . ومع أنهم اقتصروا على حل المعادلات التي تكون معاملاتها أعدادا معينة ، فانهم - كما يظهر من عشرات المسائل العويصة التي حلوها - كانوا على علم تام بالقواعد العامة للحل .

ولابد لنا من الإشارة الى أنهم لم يدونوا معادلاتهم على الشكل المعروف الآن ولم يستعملوا رموزا للمجاهيل أو رموزا تقضى باجراء عمليات حسابية معينة كإشارة الجمع أو الطرح أو غيرها ، ولكن الحل كان يجري على شكل تعليمات . مثل : أضف العدد الفلاني يكن الناتج كذا ، وا طرح العدد الفلاني وربع الناتج . . الخ تكن النتيجة كذا ، وهي الجواب .

وينضح من ذلك أية عقول جبارة كانت تلك التي استطاعت أن تدبغ هذه الطرق العلمية بمثل تلك الوسائل الساذجة ، وهاكم نموذجا من مسائلهم : جمعت مساحة مربع مع طول ضلعه وثلث طول ضلعه ، فكان الناتج $\frac{1}{4}$ ، فما طول الضلع ؟ الحل : أضف الواحد الى الثلث يكن الحاصل $\frac{1}{4}$. خذ نصف الحاصل وهو $\frac{1}{8}$ وربعه يكن $\frac{1}{32}$ ، أضفها الى $\frac{1}{4}$ تحصل على $\frac{9}{32}$. خذ جذرها واضرح منه $\frac{1}{8}$ تحصل على $\frac{1}{4}$ ، وهو طول ضلع المربع . وهذه هي طريقة اكمال المربع الحاضرة نفسها .

مثال آخر : مساحة قدرها ١٠٠٠ وحدة تتألف من مربعين ، ضلع أحدهما ثلثا ضلع الآخر ناقصا ١٠ ، فما ضلع كل من المربعين ؟ وهذه بالطبع تؤدي اذا استعملنا رموزنا الحاضرة الى : $س^2 + ص^2 = ١٠٠٠$ و $ص = \frac{2}{3} س$ — ١٠

ومنها تنتج المعادلة من الدرجة الثانية :

$$\frac{13}{9} س^2 - \frac{2}{3} س - ٩٠٠ = ٠$$

والجواب يكون ٣٠ ، وقد وجدوا هذا الجواب الصحيح . أما الطرق التي استعملوها ، فهي عند التحليل النهائي الطرق التي نستعملها الآن بعينها ، وهي طريقة اكمال المربع أو طريقة الدستور . والحقيقة أن طريقة الدستور مستنبطة من طريقة اكمال المربع ومبنية عليها . ويسكتنا عد الطريقتين طريقة واحدة . ولكن الأسلوب الذي ساروا عليه في حل بعض معادلات الدرجة الثانية حين يكون معامل $س^2$ عددا غير الواحد هو العمل على جعل المعامل مربعا كاملا بضرب طرفي المعادلة بالمعامل نفسه . مثال ذلك :

$$\begin{aligned} ٥س^٢ - ١٢س = ٩ \quad \text{تصبح بعد ضرب الطرفين بـ} \\ (٥س)^٢ - ١٢(٥س) = ٤٥ \end{aligned}$$

ويعد ٥س هو المجهول ، وبذلك تصبح المعادلة من النوع ص^٢ - ١٢ص = ٤٥
وقد وضع البابليون جداول للكسور ، وذلك لأن القسمة عملية أصعب من الضرب .
وكانت الجداول تتضمن الـ $\frac{1}{٢}$ والـ $\frac{1}{٣}$ والـ $\frac{1}{٤}$ والـ $\frac{1}{٥}$... الخ ،
أى من التى تكون مقاماتها من عوامل أو مضاعفات الـ ٦٠ ، وتجنبوا بمهارة الكسور من
نوع $\frac{١}{٦}$ $\frac{١}{١٢}$ $\frac{١}{٢٤}$ الخ ، ووضعوا جداول للضرب بأعداد مثل ٧ و ١٠ و ١٢ و ٢٤
— الخ ، وجداول المربعات الأعداد ومكعباتها . وهى مما يستفاد منها أيضا فى
ايجاد الجذور التربيعية والتكعيية . ووضعوا جدولا آخر يتضمن مجموع مكعب عدد ما
ومربعه ، أى $٣س + ٢س$ من الواحد الى الثلاثين ٣٠ . وقد استعانوا بهذه الجداول على
حل المعادلات ففى حل المعادلة التكعيية من النوع س^٣ + بس^٢ + = ٠ . لو عوضنا
عن س ب (ب ص) ، أصبحت المعادلة :

$$\begin{aligned} ب^٣ ص^٣ + ب^٣ ص^٢ + = ٠ \text{ ومنها} \\ ص^٣ + ص^٢ = -\frac{ب}{٣} \end{aligned}$$

وبالاستعانة بالجدول الذى أشرنا اليه ، وهو الذى يتضمن مجموع مكعب عدد
ومربعه ، تستخرج قيمة ص ومنها قيمة س .

ثم ان المعروف أن البابليين كانوا قد اصططحوا على مقاييس للأطوال والأوزان ،
واستعملوا حساب الفائض البسيط والمركب منذ ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد . ويظهر أنهم
كانوا قوما حريصين على المال ، مقدرين ماله من أثر فى القوة والسلطان . وبسبب تعاظمهم
للربح المركب تعرضوا للمعادلات الأسيية ، وهى الأساس الذى قامت عليه اللوغاريتمات .
وحاولوا استخراج الجذر التربيعى لأعداد لم يرد لها ذكر فى الجداول بموجب قواعد
تقريبية ، حتى انهم استطاعوا أن يجدوا الجذر التربيعى لأقرب رقمين عشرين ،
فاستخرجوا أن $\sqrt{٢٧} = ٥\frac{١}{٢} = ٥.٥$. أما الجذر الحقيقى ، فهو ١٤٤٢.١٤١٤٢ .
أما $\frac{١}{\sqrt{٢٧}}$ فوجدوا قيمته $\frac{١}{٢٧}$ وهى ٧٠.٨٣ وهى القيمة الحقيقية هى ٧٠.٧١ .
ولكن العجيب أن قيمة ط أو باى π وهى النسبة الثابتة بين محيط الدائرة وقطرها ،
فقد كانت ٣ ولم يستطيعوا تقريبها أكثر من ذلك . على أن الأستاذ طه باقر أعلمنى أن
آخر ما اكتشف هو أن ط = $\frac{٢٥}{٨} = ٣.١٢٥$ على حين أن القيمة الحقيقية له هى
٣.١٤١٦ وبذلك كانوا أقرب من المصريين الى القيمة الحقيقية . وفى حلهم لأحدى المسائل

الفلكية بلغوا بحساباتهم الى ١٧ سبع عشرة مرتبة سنّية .
والحقيقة أنهم كانوا أول فلكيين مضبوطين . وأسباب غايتهم بالفلك هى أهميته فى
حساب السنين والنواسم من جهة ، ولاعتقادهم بأثر الكواكب فى مصائر الناس وسير
الحوادث من جهة أخرى .

أما فى القضايا الهندسية ، فقد عرف البابليون القواعد الصحيحة لمساحات الأشكال
المستوية البسيطة كالمستطيل والمثلث وشبه المنحرف والدائرة ، كما كانوا يعرفون كيفية
ايجاد حجم متوازى المستطيلات والمشور القائم والاسطوانة الدائرية القائمة ، ويعلمون
أيضا أن الزاوية المحيطية المرسومة فى نصف دائرة تكون زاوية قائمة ، كما كانوا
يعرفون نظرية (فيثاغورس) قبل فيثاغورس . وهى أن المربع المبنى على وتر الزاوية
القائمة يساوى مجسوع المربعين المشأين على الضلعين الآخرين . ويعرفون أيضا أن
الأضلاع المتأطرة المحيطة بزوايتين متساويتين من مثلثين متشابهين تكون متناسبة .

والحقيقة أن البابليين فأقوا اليونانيين فى اخضاع العدد ووزوهم بدقة الحساب ،
ولم يلحق بهم اليونانيون حتى فى أرقى عصورهم . ولكن اليونانيين على ما يقول المؤرخون
الغريبون تفوقوا عليهم بالمعالجة المنطقية للقضايا الرياضية ، وخاصة الهندسية منها .
ويقول معظم مؤرخى الرياضيات من الغربيين ان العقلية الشرقية جامدة ساكنة ، وهى
ان استطاعت أن تحل بعض القضايا المنفردة هنا وهناك فهى ليست بقادرة على استنتاج
الكليات من الجزئيات بالبرهان المنطقى المعقول المقبول . وهذا مما يأخذونه على البابليين ،
اذ يقولون ان هؤلاء حلوا الكثير من المسائل ، وعرفوا الكثير من القضايا ، ولكنهم لم
يضعوها بدستور عام ، ولم يبرهنوا على صحتها عامة ببرهان منطقى ، بخلاف انعكاسة
الغربية التى تجلت عند اليونان الذين استعانوا بالبراهين المنطقية فى وضع قواعد عامة
تشمل جميع الحالات المماثلة . وأود أن أبين بعض الملاحظات حول ذلك . لا من باب
الدفاع عن العقلية الشرقية ، ولا بقصد ادحاض هذه الأقوال ، انما هى اجتهاد أعرضه
للأنظار وقد آكون مصيبا فيه كما يمكن أن أكون مخطئا .

أولا - ان العلم اليونانى قام على أساس ما تعلمه اليونانيون واقتبسوه من بابل
ومن مصر فى أثناء زيارتهم لهذه البلدان للتجارة أو للاستطلاع والاستفادة العلمية .
وما يدرينا أنهم لم يأخذوا البرهان المنطقى عنهم ؟

ثانيا - ان الكتابة ، على الحجارة ليست بالأمر السهل ، والرجل العملى لا تهمة
البراهين المنطقية ، انه يريد طريقة عامة تعطيه نتائج صحيحة . ولذلك لا تبقى حاجة

الى الدخول فى براهين منطقية مطولة يصعب تسجيلها بمثل تلك الوسائل ويصعب على الرجل العمل فهمها .

ثالثا - ان الرياضيات فى الشرق قامت على أكتاف الموظفين والكهائن ، ومثل هؤلاء ليس من مصلحتهم أن يزاحمهم أحد بالوقوف على أسرار العلم الذى هو مصدر قوتهم وسلطانهم ، ولعلمهم كانوا يعلمونها لأبنائهم أو لأقربائهم أو للغرباء الذين لا يخشون مزاحمتهم كاليونانيين مثلا أو الكهائن ، بخلاف اليونان اذ قام العلم عندهم على أكتاف أناس ليسوا من الموظفين ، بل كانوا طبقة من المفكرين الذين يهمهم أن يكون لعلمهم قيمة لدى الناس فيستفيدون من ذلك . وقوة الدعاية للنفس فى الغرب كانت دائما أقوى مما هى فى الشرق .

رابعا - ان بابل تعرضت للغزو وللغزو أكثر مما تعرضت له مدن اليونان ، فأدى ذلك الى تلف الكثير من النصوص أو تدميرها اما من قبل العدو واما من قبلهم أنفسهم لكيلا تقع بيد العدو .

خامسا - ان المرحلة العلمية التى وصل اليها البابليون فى الرياضيات لا يصح أن تكون وليد المصادفة والالهام ، ولا يمكن أن تقوم على التخمين والحزر وحدهما حتى ولا على القياس بالاتالات المعروفة فى ذلك الوقت ، بل انها بلا شك كانت مبنية على تفكير صحيح ومنطق سليم وقواعد عامة استنبطوها وحلوا بموجها عشرات القضايا . ولو كانوا حقا من ذوى العقول الجامدة أو المحافظة لما تقدم العلم عندهم ولما أبدعوا شيئا جديدا .

نجيب الله بن يوسف

المراجع

- (١) Development of Mathematics By E. T. Bell
- (٢) An Introduction to Mathematics By A. N. White head
- (٣) History of Mathematics By D. E. Smith.
- (٤) A concise History of Mathematics By D. J. Struik
- (٥) A Histor of Mathematics By F. Cajori
- (٦) قضايا رياضية أخرى من تل حرمل وتعليقات على الرياضيات البابلية للأستاذ طه باقر ، مجلة سومر م ٧ ج ٢ س ١٩٥١ م .

بحث في سلامة اللغة العربية

- ٢ -

المصطلحات العلمية والفنية الحديثة

في سنة ١٨٩٠م استطاع كليمنت أدر أحد المهندسين الفرنسيين أن يحقق أول طيران بآلة من الآلات ، سماها « آفيون » avion مشتقا لها من « آفيس » avis اللطينية ، أى الطائر ، وهى الطائرة المعلومه . ثم وافق المجمع العلى الترسي على استعمال هذا الاسم لتلك الآلة ، واشتق منه مصدر أفياسيون aviation أى الطيران .

من المعلوم أن « الطائر » ذو وجود فى العالم اشهود ، وكان يسم أن لا يؤخذ اسمه لتسمى به الآلة الطائرة الجديدة ، الا أن الذى سوغ الأخذ ، هو كون الاسم الجديد مشتقا من القديم ، وكون النعب الذى يستعمل الجديد لا يستعمل القديم فهو عند بسزلة الأسماء الميتة ، بله أن ذوى الأكرية منه يجهلونه ؛ لأنه بلغة خاصة الخاصة وان كانت هى اللغة الأم .

ذكرنا ذلك للاستدلال على جواز الرجوع الى الكلمات القديمة المهمة فى المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية الحديثة ، مع بعض التصرف أو الاشتقاق ان دعت الحاجة الى أحدهما . ومن البين الراهن أن المجمع اللغوية فى العالمين أسست لهذا وأمثاله ، ولولا ذلك لضلّت فاندتها حتى التفاهة ، ولأخذت المصطلحات بأعبائها وأغابها ، فلبس بالناس حاجة الى جماعة مختارة يقولون لهم « ان الأكسبرس هو الأكسبرس » .

ذكرنا فى القسم الأول من البحث أن اللغة نظام التومة للأمة وقوامها ، وأرشد السبل فى الحفاظ على سلامة اللغة وصحتها الاقتصاد والاستقامة . فلا يجوز التفريط فيها ولا الاستئناس لها ولا الانتهاء بها ، بدعوى أن هذه المصطلحات جديدة وأن اللغة قديمة ، ولاسيما أن اللغة العربية هى أوسع اللغات الحية اشتقاقا ، وأرخاضا نطاقا .

أسس قطار السكة الحديد بالعراق فى أيام حكم العثمانيين ، وكانت اللغة الرئيسية أشيع اللغات الغربية فيه ، فسموه « شس دفر » بالاسم الفرنسى ، وبعد الاحتلال الإنكليزى للعراق ترك الناس الاسم الفرنسى وسموه « ريل واى » ، ثم استأنوه فقالوا « ريل »

حتى وضع له بعض الأدباء اسم « القطار » ، أخذوا له من الجمال المقطورة وهى التلمعة من الابل يلى بعضها بعضا فى السير على نسق . وقد شاع اسم القطار فى مصر قبل العراق ، إلا أن المصريين كانوا يسمونه بالجمع « القطر » ، وهو جائز ؛ لأن كل قسم من العربات يؤلف قطارا ، وكان يضاف فيقال « قطار السكة الحديد » . ثم اكتفى بالقطار وحده ، وصار الناس لا يفهمون من لفظ « القطار » إلا هذه العربات المتصل بعضها ببعض التى تجرى على السكة الحديد ، وسميت العربية الآلية التى تسحبها « القاطرة » ، وإياها عنى بعض الشعراء المصريين بقوله :

وقاطرة ترمى الفضأ بدخانها وتملأ وجه الأرض فى سيرها رعبا

وكان شيوع استعمال « القطار » لقافلة الحديد المتحركة مستغربا مع وجود القطار فى الصحارى والمسالك ، إلا أن الذى منع الالتباس وأقع الناس هو أن « القطار » القديم قد بطل استعماله أو كاد ، فلا ينصرف الذهن عند سماعه لفظ « القطار » الى الجمال المقطورة ، وإذا زال الالتباس أصبح استعمال اللفظ سائغا حسنا ، هذا الى أن ذوى العدد من العرب والمتكلمين بالعربية المصرية لا يعرفون معنى « القطار » القديم .

ولما أدخلت « السيارة » العراق كانت تسمى « أونوموبيل » وكان ذلك فى أثناء حكم العثمانيين أيضا ، وكان أهل السواد يستقلون هذا الاسم فجعلوه « اطراميل » ، وغيره البدو الى « اطرميل » . وبعد دخول الإنكليز العراق مال فريق كبير الى الاسم الإنكليزى « موتوركار » ، واستمر التنازع بين اطراميل وموتوركار حتى ظهرت لفظة « السيارة » وأظنها من وضع العالم المرجوة له الرحمة « أحمد زكى باشا » ، قتلت الاسمين الغربيين ، وأصبح العالمى فضلا عن الخاصى يأنف من استعمال الكلمة الغربية فلا يعرف السيارة إلا باسم « السيارة » . والسيارة هى القافلة وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، إلا أنها لا تستعمل فى اللغة المصرية ، فلذلك لم يخش التباس السيارة الحديد بسيارة القافلة ، وإن كانتا تلتقيان أحيانا فى الصحراء ، وما أدرى كيف وضع السيارة واضعها ؟ أنظر الى من فيها من الركاب فاعتدهم سيارة أم أراد الدلالة على سرعة سيرها ؟ وأيا كان الأمر ، فقد غلب الاستعمال كل جدال ؛ لأن للسيارة صلة بالسير الذى هو المراد بهذه الآلات .

وكذلك القول فى « الكهرباء » و « السلك » و « الأسلاك » و « السماعة » و « الناقلة » و « الإذاعة » و « المصفى » و « السكة » و « الدراجة » و « البندقية » و « الباخرة » و « البارجة » و « الطابعة » و « الجريدة » و « المجلة » و « اللاقطة » و « الكلية » و « الجامعة »

و « الخزيرة » لآلة من الحديد ، و « المفل » و « المحرك » و « البرقية » وعشرات غيرها ما تحضرني الآن ، بله المصطلحات العسكرية على اختلاف فنونها مما يجده الطالب له في « المعجم العسكري » الذي أثبت أصوله جماعة من المترجمين البارعين .

لاشك في أن المصطلحات هي من أعمال الخاصة لا العامة ، فليس لنا أن نلوم العامل ولا الصانع على استعمانهما الأسماء الغربية بأعيانها ، فذلك لانهما لم يجدا من يسمى لهما المسميات الغربية بأسماء عربية ، يضاف الى ذلك أن كثيرا من المترجمين للغات الغربية لم يكونوا ممن يعول عليهم في العربية فقلوا مصطلحات العلوم والفنون بحروفها ولم يستطيعوا وجدان ما يقابلها في اللغة العربية .

ولم يكن السبب في شيوع كثير من الألفاظ الغربية خفتها على اللسان ، كما يظن جماعة من الباحثين ، فالسينما خفيفة بكونها مختصرة ، ولكن الفوطغراف والزنكغراف والآرئيست والديزيتو ثقيلة ، وانما السبب في ذلك ما ذكرنا من استعمال العامة للألفاظ الغربية وجهل المترجمين باللغة العربية ، على أن العامة يميلون بطبعهم الى الاقتداء بالخاصة ، فلذلك سرعان ما يتركون الاسم الغربي ويستعملون الاسم العربي اذا رأوه مستعملا عند الخاصة ، فجانب العامة مأمون من حيث المصطلحات ، وانما يجب أن يزودوا أسماءها لكي يستعملوها ولا يهملوها .

ومما قدما يعلم أن شيوع الأسماء الغربية في المصطلحات لا يعجز اللغة العربية ، بل يعنى تهاون أبنائها ، وتقصير علمائها ، وضعف المترجمين في نقلهم ، واستهانة الدخلاء عليها بوجودها وافتخارهم بمعرفة اللغات الغربية حين يلوون أشداقهم ويطنلون أنفاسهم ويركزون احساسهم في التلفظ بها ، فهو لا يلتفت الى غمزمهم للغة العربية ولا يؤخذ بأقوالهم في أمر مصطلحاتها .

وعاش بين العرب في أوطانهم أقوام لا يتصلون بهم في خلق ولا دين ولا شعور ، وكانوا يعتمدون استعمال الاصطلاحات الغربية ، ويتفرون على اذاعتها بين الناس ليوهنوا هذه اللغة الأصيلة ، ويسيئوا الى أهلها بسبيل غير منظور ، وبذلك أصبحت اللغة تحت وطأة جمهرة من الكلمات الثقيلة البغيضة غير العربية ، كالكميالة والديزيتو والسيكورتاه والجيرو والجيكينك والفاسو والطابو والتيازرو والكورنيس والبروتوكول والأتيتيك والأوتوماتيك والميكانيك والفونيتيك والدبلوم والدبلوماسية والكلاسيك والكلاسيكي والليسانس والماكياج والدوبلاج والبلاج والكراج ، وعشرات أخرى من الكلمات شذت عني الآن ولا أرى فائدة في البحث عنها ؛ لأن غايتي التسهيل والتعليل لا الخنج والتطويل .

والذين يحرصون على استعمال المصطلحات العربية ، لا يجدون للاحتجاج لفعلم حجة أقوى من أن اللغة العربية لم تعرف تلك المسميات ، وأن ما اختير منها من الكلمات لا يطابق تلك المصطلحات كل المطابقة . ويرد عليهم بما تفعله المجامع اللغوية الغربية من استعمال الكلم القديم للمعاني الحديثة ، وبأن « المصطلح » مأخوذ من « اصطلاح القوم على كذا » ، فكانهم تنازعوا فى تسميته ، هذا يسميه اسما وهذا يسميه اسما ، ثم تخلوا عن التنازع وارتضوا اسما من تلك الأسماء فسمى « مصطلحا » أى مصطلحا عليه . ولو كان الاسم بمعناه الوضعى يدل على مسماه ، ويحيط بأوصافه ، ما اختلفت فيه الإراء ، وما سمي مصطلحا .

فالمصطلح لا يعنى تسمية جامعة مانعة للمسمى ، كما يظن الذين لم يدرسوا علوم اللغات ، بل يرمز به الى مسماه رمزا لصلة بين الرمز والرموز اليه ، وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا على حسب الأحرف المؤدية للمعنى ، فالذى نعلمه من اسم الآلة مثلا أنه يعالج به الفعل الأصلى كالمفتاح فانه يعالج به الفتح ، ولكننا اذا أدققتا النظر فى « المطر » وهو ما يلبس فى المطر يتوقى به منه ، و « المنفض » وهو كساء يسقط على الأرض ليقع عليه من الثمر والورق أدركنا الخطأ فى نسبة العلاج الى أسماء الآلة ، ألا ترى أنه لو كان الأمر كذلك ، لكان « المطر » آلة يستنزل بها المطر ، وكان « المنفض » آلة تحرك بها الأغصان وتهصر ليسقط الثمر أو الورق ؟ ومن المعلوم أن « المطر » و « المنفض » من الأسماء الموضوعة لمعانيهما ، وليسا من الاصطلاح فى شئ ، فان جاز مثل هذا فى الوضع فما أحرأ أن يجوز فى الاصطلاح .

فالاصطلاح مقصر دائما عن الاحاطة بمعنى المسمى اصطلاحيا ، ومن أجل ذلك يقال فى كثير من العلوم المستحدثة والفنون المستجدة « هذا الاسم لفة معناه كذا واصطلاحا معناه كذا » .

ومع ما قدمنا من القول ، لا نرى بدا من اباحة التعريب أى نقل الأسماء الأعجمية الى العربية بحروفها ، بسبب أن العربى يصعب عليه التلفظ بالكلمة الأعجمية على صورتها الأصلية ، ولكن التعريب يجب أن يكون واضح المعالم محدودا مشروطا بالاضطرار ، فأسماء الأعلام واللباس والشراب والطعام والاثاث واجب تعريبها ، ويلحق باب الأعلام أسماء العقاقير غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات التى لا يعرفها العرب ، وكذلك أسماء الأمراض الوافدة من البلاد الغربية ؛ لأن أسمائها معلومة بسبب تقدم علم الطب تقدما كبيرا ، ونود أن نذكر فى هذا الموضع أن « السفسلس » لما نقل من

الغرب الى الشرق لم يكن معروف الاسم في الشرق ، فذلك سمي باسم عربي ، قال ابن أبياس في حوادث سنة (٨٩٩هـ = ١٤٩٣م) : « في أواخر هذا القرن ظهر بالنديار المصرية داء فشا في الناس يقال له الحب الافرنجى ، وهو عزيز الدواء بطلى العلاج ، أعيا الحكماء أمره ، ولم يظهر هذا في الناس الا في أواخر هذا القرن » .

فلو كان المؤرخ أو غير- على علم باسم « السفلس » لسماه اياه ، ولترك اسم « الحب الافرنجى » . والحب هنا سراد به صفار الدم ، ولا يزال مستعملا عند كثير من العامة بالعراق ، فهم يقولون « طلعت في جسمه حباية » على صيغة التصغير العائى أى دملة أو برة صغيرة . ويقولون « طلع حب في بدن فلان » أى دمل أو بثر .

ولفائل أن يقول : كيف أوجبت أن يكون التعريب واضح العالم محدودا مشروطا بالاضطرار ، وهذا كتاب « المغرب » لابن الجوالقى فيه زهاء تسع مئة كلمة من المعربات ومنها أعلام بلاد وأعلام رجال ؟ والجواب : أن أعلام البلاد وأعلام الرجال ليس في تعريبها جدال ، فاما المعربات الأخرى فهي مما عرب منذ أزمان الجاهلية الى القرن السادس للهجرة ، فان حسبنا قرون التعريب ستة وقسمنا المعربات فيها ، أصابت كل ستين ثلاثة معربات ، وهذا مقدار نزر جدا . ونضيف الى ذلك أن المترجمين الأولين أى القدماء لم يكونوا على حظ وافر من العربية فلذلك استسهلوا نقل مصطلحات العلوم والفنون والصناعات بأعيانها في الغالب ، ولو كانوا من الفوق في اللغة العربية لعصوها من كثير من هذه الألفاظ الأعجمية البغيضة كما فعل المترجمون الذين جاؤوا بعدهم فأصلحوا نقلهم وترجمتهم ، ولم يغيروا من مصطلحاتهم الا القليل ؛ لأن الاستعمال كان قد ذهب بها كل مذهب ، وشرق بها وغرب ، فلم يروا فائدة في الاستدراك بعد فوات ابانه وانصرام زمانه . واذ كان لكل عمل علة وباعث ، يحق لنا أن نسائل عن حكمة الإباحة العامة للتعريب تلك التى يدعو اليها فريق ممن وصفنا آتفا ؛ أليكون ذلك العمل لكى يستفيد العالم باللغة الأجنبية أم الجاهل لها أم الأجنبية نفسه ؟ ان العالم باللغة الأجنبية لا يحتاج الى تعريب الاسم لأنه يقرؤه بلفظه في مضافه ، والأجنى ليست به حاجة الى التعريب الا اذا كان لغويا مختصا بفقهاء اللغة وهذا أندر النادرين ، والجاهل للغة الأجنبية لا تغنيه التسمية دون موضوع العلم أو الفن ، فاذا تعلم مواضعها ففي أثناء التعلم يقال أو يكتب له على سبيل نافلة المعرفة ان هذا العلم ، وهذا الشيء من هذا الفن يسمى باللغة الفلانة « كذا » ، وهذه الإشارة تغنيه طوال عمره ان كان من المعسرين .

وينبغى لنا أن نشير هنا الى أن ترجمة المصطلح الغربى تفسد غير العالم باللغة

الغربية فائدة حسنة لما بين الاسم العربى وما اصطلاح له من تجاوب فى المعنى واللفظ ، على الضد من بقاء المصطلح بلفظه الاعجمى المستعجم ، فالذى يقوم مقام البنج مثلا سُمى فى كثير من الاُزمان « المرقد » ، والمرقد يوحي معناه الى قارئه أو سامعه قبل أن يطلع على تعريفه ووصفه ؛ لانه مأخوذ من الرقود وهو النوم . قال الصفدى فى ترجمة بعض الخلفاء (فى نكت الهميان ص ٩٦) : « وبه - هذا ما مات حتى سقى المرء ثلاث سرات » .

والاحتجاج بأن باب التعريب اذا فتح فتحا كاملا كان ذلك أجدى وأعم فائدة « نكى يكون كثير من الكلمات خصوصا العلمية ، أممية أو شبه أممية ، مما يخفف على طالب العلم شيئا كثيرا عند مراجعته الكتب العلمية » قد قدمنا الجواب عنه بأن العالم باللغات الغربية لا يحتاج الى تعريب المصطلح لانه يقرؤه بلفظه فى مظهره ، فان كان اندارس مبتدئا فى تعلم اللغات متقدما فى العلوم ، وهذا نادر جدا ، فقد قلنا ان الكتب التى يدرسها هذا وأمثاله ، توضع لهم فيها أسماء العلوم والفنون باللغة الغربية الى جانب أسماؤها بالعربية ، وقراءة واحدة للاسم الغربى تجعله عالما به ، فمسألة التعريب تختص فى الغالب الأعم بالذين لا يحسنون اللغات الأجنبية . وقد قلنا ان معرفتهم للاسم الأجنبى بصورته اللفظية لا تقدم ولا تؤخر فى دراسة العلم ، الا أنها حرب للغة العربية ما دام الاسم الأجنبى هو المستعمل فى كتب العلم المترجمة والكلام . فالاحتجاج قائم خيالاً أكثر منه واقعياً . وقد تطور الفهم العربى تطوراً عجيباً فى الأئمة المتأخرة فسهل عليه النطق بأحرف أعجمية كان النطق بها عسيراً على العرب ، ثم ان ابن سينا أثبت فى رسالته « فى أسباب حدوث الحروف » أن أحرفاً خمسة من الحروف الأعجمية كانت معروفة فى قبائل من قبائل العرب وليست هى من الحروف العربية :

فالحرف الأول « الباء المشوبة بالفاء » ، قال : « ومن ذلك الباء المشددة الواقعة فى لغة الفرس عند قولهم (بيروزي) وتحدث بشد قوى للشفقين عند الحبس وقمع بعنف وضغط للهواء بعنف » . وقد^(١) ذكرها سيويه فى باب الادغام بقوله : « والباء التى كالفاء » .

والحرف الثانى « الجيم المشوبة بالشين » ، قال : ومنها الحرف الذى ينطق به فى أول البئر الفارسية وهو - جاء - وهذه الجيم يفعلها اطلاق من طرف اللسان أكثر وأشد وضغط للهواء عند القلع أقوى ، ونسبة الجيم العربية الى هذه الجيم نسبة الكاف

(١) خاتمة « التصريف الملوكى » لابن جنى (ص ٧٢) من طبعة شركة التمدن .

غير العربية الى الكاف العربية . • وقد ذكرها^(١) أيضا سيويه فى باب الادغام بقوله :
« والجيم التى كالشين » .

والحرف الثالث « الزاى المشوبة بالشين » ، قال : « ومن ذلك زاى شينة تقع فى لغة الفرس عند قولهم (زرف) » ، وهى شين لا تقوى ولكنها تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان والاستعانة بخلل الأسنان ، وقد ظن بعضهم أن هذه هى الزاى المشوبة بالصاد وليس الأمر كذلك .

والحرف الرابع « الفاء المشوبة بالباء » ، قال : « وههنا فاء تكاد تشبه الباء » ، وتقع فى لغة الفرس عند قولهم « فرونى » تفارق الباء لانه ليس فيها حبس تام ، وتنفارق الفاء بأن تضيق مخرج الصوت فيها أكثر وضغط الهواء فيها أشد حتى يكاد أن يحدث بسببه فى التسطيح الذى فى باض الشفة اهتزاز . والباء المشوبة بالفاء والفاء المشوبة بالباء موجودتان فى لغة بعض العرب ، قال السيرافى عند قول سيويه « والباء التى كلفاء » : « هى كثيرة فى لغة العجم وهى على ضربين : أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من لفظ الفاء ، والآخر لفظ الفاء أغلب عليه من الباء . وقد جعلنا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء المخلصين ، قال : وأظن أن العرب انما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم اياهم » .
والحرف الخامس « الكاف المشوبة بالجيم » ، وقد ذكرها سيويه بقوله : « والكاف التى بين الكاف والجيم » .

فكل هذه الحروف أصبحت يسيرة النطق على فم العربى بسبب التطور الذى أشرنا إليه ، وقوامه الاختلاط بالأصوات الأعجمية على اختلاف أجيالها . وكما شاعت بين العرب هذه الأحرف ، كذلك ألفت ألسنتهم الحركات المشوبة . قال أبو الفتح بن جنى : « ان ما فى أيدى الناس فى ظاهر الأسماء ثلاث ، وهى الضمة والكسرة والفتحة ، ومحصولاتها فى الحقيقة ست وذلك أن بين كل حركتين حركة » .
فهذه الحركات المولدة تؤدى ما يكون فى اللغات الغربية واللغة العجمية من حركات مشوبة ناشئة من المحضة حين يمال بها عن محوضتها ، كالأشياء وهو أن تنحو الكسرة نحو الضمة فتميل الياء الساكنة بعدها نحو الواو قليلا لأنها تابعة لحركة ما قبلها فى نحو قيل وبيع . ويلحق بذلك الروم وهو عبارة عن النطق ببعض الحركة أى انحلال الحركة ونقصها حتى يذهب معظمها ويختص بالضمة والكسرة دون الفتحة لأنها خفيفة اذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبعيض ، فهذا جد مفيد فى التلفظ . بالأسماء المعربة .

وأما نقل الأسماء المعربة الى الأوزان العربية فهو أحد رأيين عند القدماء ، وهذا العصر يقتضي الحفاظ على صور المعربات اللفظية ما دخل في الامكان ، قال أبو منصور بن الجواليقي في المعرب (ص ٦) : « وربما غيروا البناء من الكلام الذرسي الى أبنية العرب » ، ثم قال : « وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيرود » . ثم قال في وزن اسم من الأسماء (ص ١٥) : « وان لم يعلم في الأمثلة هذا ، لأنه لا ينكر أن يجيء العجمي على مثال لا يكون في العربي » .

ويؤيد هذا الرأي الزنيق جملة أسماء وردت في الكتاب المذكور ، منها « آسمانجون » و « آوأنداز » و « أندراورد » و « رساطون » و « نشتاج » . ومن الغريب أن أبا بكر بن السراج منع من الاشتقاق في استعمال المعربات ، قال (كما في المعرب ص ٣) نقلا من رسالته في الاشتقاق : « باب ما يجب على الناطق في الاشتقاق أن يتوقاه ويحترس منه : مما ينبغي أن يحذر منه كل الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » .

ونرى هذا من باب المبالغة ، فقد نقلنا في مقالتنا الأولى قول الامام على بن أبي طالب « نيرزونا » باشتقاق فعل أمر من « النيروز » . فاذا كان في الاشتقاق من الاسم الأعجمي فائدة فلا بأس باتيانها ، وهذا شيء قليل لا يخشى منه على اللغة ضرر ، ولا يسوقها الى الفرر . على أن الذين عربوا الفسيولوجي والسيكولوجي « بالفسلجة والسكلجة » لم يجروا على اشتقاق « فسلج يفسلج وسكلج يسكلج » لاستبانتهم تفاهة الاشتقاق . وخلاصة القول أن المصطلحات يجب فيها أن تكون باللغة العربية ، وأن التعريب يجب فيه أن يقتصر على الأمور التي ذكرناها آنفا أي على ما تتحقق فيه فائدته ، وأن التقصير في اعداد المصطلحات راجع الى المجامع العلمية والعلماء والمفويين ، لا الى العربية نفسها ؛ لأن باب اشتقاقها جعلها أوسع اللغات وأكثرها استعدادا للتسمية وأفعالها .

رد اعتراضات ممكنة الوقوع

لقائل أن يقول : « ان اللغة العربية لا تصلح أن تكون آلة للتجاري ^(١) في ميدان التخصص العلمي والتخصص الفني » . والجواب أن المصطلحات الخاصة بذلك لم يكن

(١) التجارى أن يجارى الواحد الآخر أى يجرى معه فى أمر من الأمور ، قال محمد بن راشد الخناق معاصر ابراهيم بن المهدي العباسي : « وجلست عنده مليا وتجارينا الحديث الى أن خرجنا الى ذكر الغناء » (الأغاني ج ٥ ص ٢٨٩) ، وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلى : « وكان ما تجارينا ونحن نتسايير خارجين الى الصحراء » (ص ١٩٩) ، وقال على بن محمد : « سألت خالى أبا عبدالله بن حمدون وقد تجارينا هذا الخبر » (ص ٢٠٩) ، وقال عبيدالله بن عبدالله بن طاهر : « اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الاعرابي =

لها وجود في العربية حتى ينسب إليها عدم كونها وسيلة للتفاهم ، فمتى يزود الصناع والعمال ورؤساؤهم بتلك المصطلحات العربية يستطع الفاحص أن يعرف استبعاد اللفظة أو عجزها ، أما مع افتقار اللغة إلى المصطلحات ، فلا يجوز أن يقال ذلك القول . ثم إن التجارى إذا كان بين العمال والصناع ، فعاتتهم عرب ومعتربون ، وهم لا يحبون التراطن باللفات الأعجبية إلا أن يكونوا من المصنف الذين أشرنا إليهم قبل هذا ، فشر أئبات بالمصطلحات بينهم ومشافهتهم بها يغنيهم كل الغناء عن الالتجاء إلى مصطلحات بلغات قومهم من يعرفها ، إن الذى يجب العزب والعربية لا يستغنى اليوم أن يقول فى محادثته العملية « ايلكترىسىلى وبورىفىف ونيكايف » بدلا من « الكهربا وانبت والمضى » . وقد قلنا انهم يميلون بطبيعتهم الى تقليد الخاصة ، فإذا رأوا تعظيم الخاصة للغة العربية واستعمالهم اياها اتبعوهم راغبين ، فاللوم على الذين درسوا العلوم والفنون فى البلاد الغربية ، وبقوا على تراطنهم فى أثناء عملهم ببلادهم العربية .

وقد يعترض معترض أيضا بأن النشوء والزمان لهما أثر كبير فى المصطلحات . فيجاب بأن مراد المعترض ان كان « تطور المصطلح » وتغير ألفاظه ، فذلك لا يعنى اللغة العربية ؛ لأنها تصطلح على تسمية العلم والفن وأجزائهما بالصورة التى وصلت إليها عند الدراسة والترجمة ، فلا يهمها أن يكون الشيء قد سمي قبل خمسين سنة باسم كذا ، فهذا عمل دارسى التطور العلمى والتطور الصناعى ، وإن كان مراد المعترض أن المصطلح يتقوى استعماله ويتم انتشاره مع الزمان فليس ذلك بلازم ، فهذا « الواير » مثلا بقى سنين مستعملا فى العراق ، وكذلك « الوايرلس » ، فلما وضع لهما « السلك » و « اللاسلكى » مانا موتا فجائيا وحيا حتى ليصعب على الباحث أن يجد متلفظا بهما إلا أن يكون من الذين يكرهون العربية أصلا . فلو كانت مصاحبة الزمان للمصطلح واجبة ، لبطل عمل المجامع العلمية والمجامع اللغوية من حيث الاصطلاح ، ولقلل ان الزمان قد فات . ولنحسب أن اللغة العربية فى هذا الأمر كانسار ديبى فى الصحراء ، ثم أدخل المدينة وأسكن دارا على أحدث أصول الهندسة العمارية ، وشرع فى تعليمه أسماء أجزاء الدار واحدا واحدا ، فإنه يحفظها بحسب قوة الحافظة التى له ، لا بحسب الأزمان التى تطورت فيها تلك

== فتجاري الحديث « (خزانة الأدب ١/١٩٥٠) ، وقال نفطويه : « ان أبا بكر بن داود قال لى يوما وقد تجارينا حفظ عهد الاصدقاء » ، وقال ابن الجوزى : « وأطال مقامه عنده وخلوا فى مهمات تجاريها » (المنتظم ٩/٢٢٦) . ويتصفح « التجارى » بالتجاذب ، ولكل وجوده ومعناه .

الأجزاء العمارية • فالمصطلح يعتمد استعماله وانتشاره قبل كل شيء على الرغبة والغيرة والدعوة ، والزمان يساعد على ترسيخه وتثبيتته كالأُمور الأخرى ، فإن لم يثبت هو نفسه بالأسباب التي ذكرنا فإن الزمان يساعد على زواله ونسيانه ، فالزمان يديم المصطلح القوي ويفنى المصطلح الضعيف •

ولقائل آخر أن يقول : ان كتب اللغة خصوصاً المقصورة على ما يشبه المصطلحات لا تقرر في الغالب معنى واحداً للفظ الواحد ، فكيف يمكننا أخذ اللفظ لتسمية شيء من الأشياء المعينة ؟ والجواب أننا ذكرنا في مقالنا الأول أن للفظ قيمتين : قيمة معجمية وهي التي تذكرها المعجمات ، واستعمالية وهي التي تضمنها كلام العرب وكتبهم ، فتساوى القيمتان ، وربما تختلفان ، وعند الاختلاف يجب الرجوع الى الاستعمال لأنه مظنة القيمة الحقيقية • فينبغي الرجوع الى علماء اللغة ذوى الدراسة الحقة عند التميل فى أخذ المصطلح لاختلاف معناه المعجمي ، وترك الاعتداد بالنفس ؛ لأن لكل تخصصه وفنه •

إقرار المجمع اللغوي بمصر كلمات محدثة

جاء فى مجلة الرسالة المصرية (ع ٩٣٢ ص ٥٦٠) أن الأستاذ العالم الفاضل أحمد حسن الزيات عرض على مجلس المجمع اللغوي ، فى جلسة اليوم الثامن من مايس سنة ١٩٥١م طائفة من الألفاظ المسموعة عن المحدثين على خلاف ما سمع عن العرب الأولين فى الصيغة أو فى الدلالة ، وعدتها واحد وخمسون لفظاً ، أقر المجمع سها تسعة وثلاثين ورفض أربعة وأحال ثمانية^(١) الى لجنة الأصول لبحثها • قال الأستاذ عباس خضر كاتب المقالة فى الرسالة : « ولهذا الموضوع أهمية كبيرة ليست مقصورة على اضافة هذه المجموعة من الألفاظ بمعانيها الجديدة الى اللغة ، وانما هى الى ذلك المهمة فى اقرار قبول السماع من المحدثين ، فلم تعد اللغة وفقاً على ما سمع من العرب الأولين ، بل صار للأحباء الذين يستعملونها حق التصرف فيها على حسب حاجاتهم على أن يشرف المجمع على استعمال هذا الحق باعتباره (كذا) المختص باللغة ، القيم عليها • »

قلنا : ار الأُمر الذى أشار اليه الكاتب الفاضل من أن اللغة لم تبقى وفقاً على ما سمع من العرب الأولين ، ولا مقصورة عليه ، هو من الحقائق الراهنة ، إلا أن القدماء لم

(١) المشهور « أحاله عليه » و « أحال به عليه » لا « أحاله اليه » ؛ لأن فى معنى الإحالة هنا « التسليط » •

يسدوا باب المجاز ما توشح بالجواز ، فهو مفتوح على ما جاء فى أول (شروح التلخيص)
 المجموعة • فاهل هذا العصر يحق لهم استعمال كلم من الكلم على سبيل المجاز ، ويحق
 لهم الاتساع فى التعبير على شرط أن لا يؤدى الى المسخ والتغير ، والذى يخشى منه
 الاضرار باللغة هو ما يستعمله ضعاف التراجمة والنقلة من كلمات فى غير مواضعها
 ومعانيها مثل « الجرد » الذى سماه القدماء « الاعتبار »^(١) ، ومثل « المتوسط » الذى سماه
 القدماء « العبارة » • وكذلك يفعلون فى التعبير عن المعانى المؤلفة ، اذن لا تقبل كلمة
 مجازية ولا عبارة متسع فيها الا اذا استعملها من يوثق بعربيته كاتباً منشئاً كان أو مترجماً
 ناقلاً • والظاهر أن « انعدل » اصطلاح مصرى « السلوك ج ٢ ص ٢٩٦ » •

وهذه هى الكلمات التى عرضت على المجمع اللغوى بمصر :

١ - « ساهم » • قال : « يستعمل المحدثون ساهم بمعنى شارك وقاسم ، والعرب
 لم يستعملوه الا فى المقارنة وهى الغلبة فى القرعة ، ولاستعمال المحدثين أصل ، فقد قال
 العرب « تساهموا الشيء » : تقاسموه ، واستعملوا السهم بمعنى المقاسم لغيره بالسهم » •
 قلنا : لا شك فى أن « ساهم » مشتق من السهم ، فالمساهمة ضرب من المقاسمة ،
 والمقارنة ضرب من المقاسمة أيضاً ، الا أنها مقاسمة بطريقة خاصة وهى طريقة القسمة
 بالقداح أى الاكزالام وهى سهام مخصوصة ، قال فضالة بن شريك :

وساهمت البعوث وساهمونى ففاز بضجة فى الحى سهمى

والظاهر من قوله « المحدثين » أنه أراد أهل العصر ، مع أن « ساهم » بمعنى شارك
 مستعمل بالمعنى الثانى منذ عصور طويلة ، قال أبو حيان التوحيدى : « فأرعتك بصرى
 وأعرتك سمى وساهمتك فى جميع ما وفرته فى أذنى »^(٢) أى شاركتك ، واستعمله
 بهذا المعنى ابن منير الطرابلسى الشاعر المتوفى سنة « ٥٤٨ » : بقوله :

ساهمت عيسك مر عيشك قاعدا أفلا فليت بهن ناصية الفلا؟^(٣)

وقال أبو الفرج العلاء بن السوادى من أهل القرن السادس أيضاً :

(١) جاء فى الكتاب الذى سميناه (الحوادث الجامعة) ما هذا نصه : « (وذهب)
 أحد خدم الخليفة (المستنصر بالله) الى المارستان العضىدى ٠٠٠ (واعتبرت) الحوائج
 التى فى المخزن ، فسأل صاحب المخزن - خازن المارستان والطبيب : كم تكفى هذه
 الحوائج مرضى المارستان ؟ فاتفقوا على أن تكفيهم سنة » •

(٢) الامتناع والمؤانسة (٤/١) •

(٣) الوفيات (٥٢/١) من طبعة العجم •

ساهمت أيامى فابت من النوى عمن أحب بأوفر الأقسام^(١)
وقال قبلهما بقرون أبو اسحاق ابراهيم الصولى المتوفى سنة ٢٤٣ هـ :
رأى خلة منهم تسد بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال^(٢)
وقال مجد الدين بن الاثير : « والمواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش
والرزق »^(٣) . وقال عز الدين ابن أبى الحديد : « لما ملك أمير المؤمنين - ع - الماء
بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا اليه^(٤)
ثم قال فى ذكر أسباب الغيبة : « ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام وقد
يفضب رفقاؤه من أمر فيحتاج الى أن يفضب لغضبهم اظهارا للمساهمة فى السراء
والضراء »^(٥) . وقال ابن خلدون : « فربما ارتاب المساهمون له فى ذلك بأنفسهم ونزعوا
الى القاصية اليهم »^(٦) .

فالشواهد منذ أوائل القرن الثالث للهجرة الى أوائل القرن التاسع ناطقة بصحة
استعمال « ساهم » بمعنى شارك وقاسم ، وليس هو من لغة المحدثين ان أريد بالمحدثين
كتاب العصر .

٢ - « هدف واستهدف » . قال : « صاغ المحدثون من الهدف بمعنى القرض
« هدف الى الشيء » قصد اليه ، و « استهدف الشيء » جعله هدفا ، والعرب لا يستعملون
« هدف اليه » الا بمعنى دخل وقارب ، ولا « استهدف الشيء » الا لازما بمعنى انتصب
وارتفع ودنا منك » .

قلنا : كنا أشرنا الى جواز الاتساع فى استعمال اللفظ على سبيل المجاز ، ولكن اذا
حدث تدافع بين المعنيين لم يجوز الاتساع لأنه يكون ابتداء ، فالفعل « هدف » فى عامة
معانيه يفيد « الوصول والدخول » ، وقول الناس « هدف اليه » بمعنى قصد اليه يدافع
ذلك المعنى ، فالمعنى الأول انتهاء ، والمعنى الثانى شروع ، فاستعماله بالمعنى الجديد غلط

(١) خريدة القصر للعماد الأصبهاني « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس
٣٣٢٦ ور ١٤٩ » .

(٢) معجم الأدباء (١/٢٦١) طبعة هندية بمصر . والطرف « طبعة الراجكوتى
ص ١٣٧ » .

(٣) النهاية فى « أسنا » (٣٢/١) .

(٤) شرح نهج البلاغة (٣٤١/١) .

(٥) المرجع المذكور (٤١٦/٢) .

(٦) المقدمة (ص ١٥٩) من طبعة المطبعة الخيرية بمصر . وكل هذه الشواهد
وما بعدها نقلناها من معجمنا الخطى .

لأنه كاستعمال « وصل » بمعنى ذهب ، وكاستعمال « بلغ » بمعنى « قصد » ، وعلى هذا يكون استعمال « هدف العمل الى الغاية أى رمى اليها » مكان بلغ العمل الغاية وانتهى اليها ، وهو من ضرب التغير فى التعبير الذى أشرنا اليه آنفا .

فأما « استهدفه » بالتعدى فقد سمع فى كلام العرب الفصحاء وجاز فى القياس ، ففى نهج البلاغة فى وصف الدنيا : « وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها وتنهيم بحمامها » . قال عز الدين ابن أبى الحديد : « ومستهدفة بكسر الدال ، متصبة مهية للرعى » . وروى « مستهدفة » بفتح الدال على المفعولية كأنها قد استهدفها غيرها أى جعلها أهدافا^(١) . وقال فخر الدين الطريحي : « فيه أغراض مستهدفة ، هى بكسر الدال : المتصبة » واستهدفت : طلبت اتخاذ هدف وهو كل شئ مرتفع من تراب أو رمل ، ومنه مستهدفة بفتح الدال وأهدف لك الشئ ، واستهدف أى انتصب^(٢) .

فقد ظهر أن « استهدفه » هو بمعنى جعله هدفا أو طلب أن يكون هدفا ، وأنه قديم الاستعمال ، ومنه قول صردر الشاعر المتوفى سنة ٤٦٥ هـ :

واستهدفته رواشق الـ لمحضات مئى أو أحاد
واستعطفته روادف كتبها نعم المهاد^(٣)

٣ - « المظاهرة » . قال : « يستعمل المحدثون المظاهرة بمعنى اعلان رأى أو اظهار عاطفة فى صورة جماعية^(٤) » وهى تقابل فى هذه الدلالة لفظ Manifestation فى الفرنسية والانجليزية ، والعرب يستعملونها بمعنى العون والظهر كالمساعدة من الساعد والمعاودة من المضد والمكافئة^(٥) من الكنف ، والاقرب الى المعنى الحديث « تظاهروا تظاهرا » فقد قالوا « تظاهر فلان بالشئ » : أظهره . ولكن المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها .

(١) شرح نهج البلاغة (٨٤/٣) .

(٢) مجمع البحرين ومطلع النيرين فى « هدف »

(٣) الديوان (١٦٠/١) .

(٤) يعنى : بفتح الجيم . (٥) الصواب (المكافئة) بالنون ، من الكنف بالنون أيضا ، أما « كاتفه » فمعناه « صدم كتفه بكتفه » على ما أتذكر من وروده فى الاغانى لأبى الفرج دون كتب اللغة ، فانها لم تذكره ؛ لأن الكنف لا تستعمل للمعاونة كالساعد والعضد ، أفلا ترى أنهم لم يقولوا « راجله » أى ساعده برجله ، ولا « رأسه » أى ساعده برأسه ، ولا « راقبه » بمعنى ساعده برقبته ، ولا « عاتقه » أى ساعده بعنقه بل بمعنى جعل يديه على عنقه وضمه الى صدره .

قلنا : خطأ بعض اللغويين من قال « المظاهرة » ، ورأى أن الصواب « المالعنة » من عالنه الأمر وبالأمر أى أظهره له ، وليس فى المالعنة قوة Manifestation ، ومن هذا الضرب « المباداة والمجاهرة والمكاشفة » ، ولسنا نرى « التظاهر » أقرب الى المعنى الحديث ، لا مرين : أحدهما أنه من المعانى المولدة فلا يرقى عمره فى اللغة الى ما فوق القرن الرابع للهجرة ، والآخر أنه استعمل للمראה والظهور بغير الحقيقة ، وهذا لا يوائم المراد بالمظاهرة الحديثة ، والقول الراجح قول العارض « ان المظاهرة شاعت حتى ليصعب على الناس العدول عنها » . فعلى هذا تكون مشتقة من «ظهر» ، لا من «الظهر» ، فتكون كالمالعنة من العلن والمنجهرة من الجهر والمباداة من البدو والمكاشفة من الكشف ، وباب الاشتقاق مفتوح والقرينة مانعة من الالتباس .

٤ - « تجمهر » . قال : يقول المحدثون « تجمهر الناس : اجتمعوا ، والعرب يقولون « تجمر علينا : تناول ، ولاستعمال المحدثين أصل من قولهم « جمهر التراب : جمع بعضه فوق بعض » .

قلنا : يوجب علم اللغة الحديث أن تكون الجمهرة من التجمير ، كالدهوة من التدوير و «البهذلة» من التبذيل ، فالأصل «الجم» ثم «الجر» ثم «التجمير» ثم «الجمهرة» ، استثقل الضعيف فى « جم » بتشديد الميم فأبدل من أحد الضعفين هاء ؛ لأنها من الحروف المهموسة ويجمعها قولك « ستشحك خصفه » ومن أحرف الحلق وهى من أخف الحروف بعد أحرف العلة والنون . قال ابن فارس فى المقاييس : « الجيم والميم والراء أصل واحد يدل على التجمع » ، ولكنه لم يفتن الى أن « الجمهور » من الجمر ، قال فى الكلام على النحت فى آخر باب الجيم : « من ذلك (قولهم) للرمل المشرقة على ما حولها جمهور . وهذا من كلمتين من « جم » وقد قلنا ان ذلك يدل على الاجتماع ، ووصفنا الجمرات من العرب بما مضى ذكره ، والكلمة الأخرى « جهر » وقد قلنا ان ذلك من العلو ، فالجمهور شئ متجمع عال » . والصحيح أن الجمهور أصله جمور ، وأصل الجمهور «الجم» ، قال هو فى المقاييس أيضا : « الجيم والميم فى المضاعف له أصلان : الأول كثرة الشئ واجتماعه ، والثانى عدم السلاح (كذا) » . ويؤيد ما ذهبنا اليه أن مادة « جم » محتوية على مادة « جمهر » وزيادة ، ففى القاموس « وجمره تجميرا : جمعه ، والقوم على الأمر : تجمعوا وانضموا كجمروا^(١) وأجمروا واستجمروا والمرأة :

(١) كذا جاء فى طبعة المطبعة الحسينية . يعنى أنه لازم .

جمعت شعرها في قفاها كأنجمرت ... والجيس : جسهم في أرض العدو ولم يقفلهم وقد تجمروا واستجمروا ... والخيل : أضمرها وجمعها « فوجود » تجمر « يحيز وجود » تجمر « ، ويؤكد قولهم « تجمر علينا : تظاول » والتظاول مستفاد من استعمال « عليه » لا من مطلق التجمهر ، فهو مثل « تكاثروا » ، فإذا قلت « تكاثروا عليه » أفاد الأذى . فالتجمهر على ما ذهب إليه الأستاذ أحمد حس الزيات مقبول سائغ .

٥ - « الكتلة والتكل » . قال : « يقول المحدثون » تكل الناس : صاروا كتلة ، أى جماعة متفقة على رأى واحد . والعرب لا يعرفون « تكل » الا بمعنى تجمع الشيء وتدور ، ولا من الكتلة الا بمعنى ما جمع من التمر والطين ونحوهما . والكتلة فى لغة العلوم والحضارة تقابل Masse فى الفرنسية والانجليزية .

قلنا : كنا نسمع من النعمة قولهم « تراكموا على فلان » بمعنى تألبوا عليه وآذوه ، والركمة فى اللغة : الطين المتجمع بكثرة ، وهذا أحد معانى الكتلة ، ولا أظن اللغة تضيق ذرعا بهذه الاستعارة أى « التكل » ، فكما أن التجمع للانسان وغيره كذلك يجب أن يكون « التكل » . فلما « الكتلة » فستعار للجماعة المتفقة على رأى واحد كالجمرة فانها استعيرت لكل قوم انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم ، ومنها جمرات العرب ، والجمرة أيضا تعنى معنى آخر هو قطعة النار المنفصلة المتقدة .

وفى مقاييس ابن فارس ما يؤيد صحة هذا الاستعمال ، قال : « الكاف والتاء واللام أصيل يدل على تجمع ، يقال : هذه كتلة من شئ » ، أى قطعة مجتمعة ، قال ابن دريد (فى الجمهرة) : « يقال ألقى فلان على كتاله أى ثقله ، وذكر فى شعر ابن الطرية ... »

٦ - « الجلطة وتجلط الدم » . قال : « الجلطة بالضم هى الجزعة الخائرة من اللبن الرائب ، وقد توسع فيها المحدثون فأطلقوها من باب التشبيه على الجزعة من الدم اذا تخثر ، وقد اشتقوا منها تجلط الدم اذا تخثر » .

قلنا : « هذا مما قدمنا القول فيه من استعمال الكلم فى غير مواضعها ومعانيها ، ولا يصح التساهل فيه ولا التجوز ، فأين اللبن الخائر من الدم الجسد ؟ فالصواب الرجوع الى ما فى العربية مما يختص بهذا المعنى والعدول عن مزج اللبن بالدم ، فالجلطة الدموية المزعومة هى « الدم الجاسد » ومن امارات التخثر اللصوق ، قال الجوهري فى الصحاح : « والجسد أيضا مصدر قولك جسد به الدم يجسد اذا لصق به (فهو) جاسد وجسد ، قال الطرماح : « منها جاسد ونجيع » ، وقال آخر :

يساعديه جسد موركس من الدماء مائع ويبس

... فعلى هذا يقال « جسد الدم كفرح يجسد جسدا » ، وقوله في البيت « مائع » يثبت تخثره . وقد يفترض معترض بأن اليوسة من إشارات الدم الجاسد مع أن المراد الخثور ، فيجب التفتيش في المخصص وفقه اللغة ؛ لأن اللغة العربية كثيرة ذكر الدم ، فمن ذلك مثلا « قرت الدم يقرت قرونا وقرت يقرت قرتا : يسس بعضه على بعض أو مات في الجرح أو ازرق تحت الجلد من الضرب » وقرت الظفر : مات فيه الدم . ودم قارت : قديس بين الجلد واللحم » .

٧- « الدخان يدخن » . قال : « يطلق المحدثون الدخان على السخ . ويدخن بالتبديد على احراقه وهو من قبيل المجاز المرسل » (١) . قلنا : هذا كلام واضح حين ، إلا أن الفعل « دخن يدخن تدخينا » هو ترجمة Fumer الفرنسى و Smoking الانكليزى ، وهو فى العربية لا يؤدى المعنى المراد ، قال خمخام السدوسى :

وانا بالصليب بطن فح
ندخن بالنهار ليصرونا
وجمعا واضعين به لظانا
ولا نخفى على أحد أئانا (٢)

وقال آخر :

آليت لا أدفن موتاكم فدخلوا المرء وسرباله
قال المبرد : « وقوله : (فدخلوا المرء وسرباله) يروى أنه طعن فارسا منهم فأحدث فقال : نظفوه ، فأنى لا أدفن القليل منكم الا طاهرا » (٣) . وقال ابراهيم الموصلى المعنى : « فقلت لجشمة : أطلبى لى آجرة عليها فحم وكندر يذهب عنى هذا البق . فأتتنى بذلك ، فلما دخنت أظلم القبر على وكادت نفسى تخرج من الغم ، فاسترحت من أذاه الى النز فأنصقت به أنفى حتى خف الدخان » (٤) . وقال الزمخشري فى استشهاده بقول الشاعر :

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب
« جمل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر » (٥) .

(١) سعى مرسل لا رساله أى اطلاقه من قيد المشابهة ، فالعلاقة المصححة للتجاوز هى غير المشابهة كأن تكون سببية أو مسببية ، وذلك بأن يكون معنى اللفظ الاصلى أى التبغ سببا لشيء كالدخان أو مسببا عنه ، فينقل اسمه لذلك الشيء .
(٢) البيان والتبيين (١٢/٣) من طبعة السندوبى الاولى و (ص ١٦) من الطبعة الثانية .

(٣) كامل المبرد (١/٢٥٩ - ٢٦٠) من طبعة المجموعى .

(٤) الاغانى (٥/١٦١) طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) الكشف (٢/٥٦٦) طبعة المطبعة البهية سنة ١٩٢٥م .

فجميع تدخين العرب لا يوافق واحد منها التدخين العصري ، وكان تدخين ابراهيم الموصلي ، كما رأيت ، من المصائب والدواهي عليه ، فالصواب أن يشتق فعل جديد لهذا الضرب من استعمال الدخان ، وهو « افعل افعلالا » أي « ادخن ادخانا » كادخر ادخارا ، وهذا هو وزن فعل الانخاذ والاستعمال الذاتي ، فقد قالت العرب « ايتدم ايتدما » من الادم ، و « اصطبج اصطباجا » من الصبوح ، و « اغتبق اغتباقا » من الغبوق ، و « اشتوى اشتوا » من الشواء ، و « أقدر اقتدارا » من القدر ، و « استعط استعاطا » من السعوط ، و « التد التاددا » من اللدود ، و « اطيخ اطباخا » من الطبيخ . وما لا يحصى كثرة ؛ لأنه فعل طبيعي ، فيكون « ادخن^(١) » ادخانا بمعنى اتخذ دخانا لنفسه . وكان الناس بغداد وما حولها يقولون « فلان يشرب التبن أي التبغ » ؛ لأن ابتلاع الدخان يشبه الشرب ، ولم يسبقه ابتلاع دخان اختياري قبله ، ولأن شارب التبغ كان كشارب الخمر .

٨ - « الحشيش والحشاش » . قال : يريد العرب بالحشيش ما يس من الكلال ، وبالحشاش من يقطع الحشيش على المبالغة . والمحدثون يريدون بهما فوق ذلك المادة المخدرة المعروفة ومن يتعاطاها .

قلنا : عرفت المادة المخدرة بالحشيشة قديما ، وعرف متعاطيها بالحشيشي لا الحشاش ، وقد ألف عماد الدين أبو الفضل الحسن بن محمد بن عبد الرحمن ابن الامام أبي البقاء العكبري مؤلف اعراب القرآن كتابا في أكل الحشيشة سماه (كتاب السوانح الأدبية في المذائح القبية) . قال ابن الفوطي : « نزيل مصر يعرف بالطيهوج ، سافر عن بغداد واستوطن مصر ، وله بها زاوية على شاطئ النيل ، وهو من أولاد العلماء والنضلاء . ورأيت له كتابا قد صنفه في أكل الحشيشة سماه كتاب السوانح الأدبية في المذائح القبية »^(٢) . وألف بدر الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الزركتي كتاب (زهر العريس في أحكام الحشيش) ، أوله « الحمد لله على نعمائه » . ثم ألف ابراهيم بن بخشي المعروف بدده خليفة ، اتوفى سنة ٩٧٣ هـ ، رسالة في الحشيش ، فشرحها أو شرح

(١) وعلى هذا يجب أن يقال « اشتاء اشتياءا اذا شرب الشاي ، واقتهى اقتهاا اذا شرب القهوة ، وابتار ابتيارا اذا شرب البيرة »

(٢) تلخيص معجم الاقبا (٩٩/٤) من نسختنا الخطية وهي النسخة الصحيحة ، لأن الأصل المحفوظ في المكتبة الظاهرية (والنسخ التي صورت عليه مثله) كان عقد تجليدها قد انفرط واختلت أوراق الكتاب اختلالا فظيما ، ونقل منه من وقف على عيبه ولم يستطيع اصلاحه ، فوقع في أوهام ، ونحن قد قضينا سنين عدة في اعادته الى حالته الأولى ، وقرر المجمع العلمي العراقي طبع نسختنا سنة ١٩٤٨ م .

منتخبها رضى الدين محمد بن ابراهيم الحلبي المعروف بابن الحنبلي المتوفى بعد سنة ٩٧١ ، وسمى الشرح (ظل العريش فى منع حل البنج والحشيش) ، فصار كتابا لطيفا أوله : « الحمد لله الذى حرم الخبائث ... ذكر فيه أن القوم صنفوا فيه (زهر العريش فى تحريم^(١) الحشيش) و (زواج الرحمن فى تحريم حشيش الشيطان) ، وأول المتن : « الحمد لله السريع العقاب ، ورتب على فصلين : الأول فى حكم الحشيش ، والثانى فى حكم البنج^(٢) . »

وقال البهاء العالمى نقلا من « فتاوى النسفى فى الخطر والاباحة » : « سئل عن حرمة الحشيش وحله من شمس الاثمة الكردرى^(٣) رحمه الله ، فقال : ما نقل عن أبى خيفة وأصحابه رحمهم الله فى حله وحرمة شئ ؛ لأن أكله ما ظهر فى زمانهم ، بل كان مستورا ، فيبقى على اباحته الأصلية ، كما فى سائر النباتات ، ولم يرد عن أحد بعدهم من السلف شئ أيضا فى حله وحرمة الى زمان الامام المزننى تلميذ الشافعى^(٤) وفى ذى القعدة من سنة ٦٦٤ أبطل السلطان بيرس البندقدار ضمان الحشيشة الخيشة ، وأمر بتأديب من أكلها . وقال ناصر الدين ابن المنير قاضى الاسكندرية :

ليس لابلis عندنا أرب غير بلاد الأمير مأواه
حرمة الخمر والحشيش معا حرمة ماء ومرعاه

وفى ذى الحجة من السنة ضرب جندار الأمير عز الدين بسكين ، وكان الجندار به شعبة من الجنون ، وتعاطى أكل الحشيشة فزاد جنونه^(٥) .

وقال علم الدين أحمد ابن الصاحب الأديب الماحن المتوفى سنة ٦٨٨ هـ فى مدح الحشيش :

يا نفس ميلى الى التصابى فاللهو منه الفتى يعيش
ولا تملئ من سكر يوم ان أعوز الخمر فالحشيش

وله فى المعنى :

فى خمار الحشيش معنى مرامى يا أهيل العقول والأفهام
حرموها من غير عقل ونقل وحرام تحريم غير الحرام

(١) قدمنا أنه « فى أحكام الحشيش » .

(٢) كشف الظنون (١ / ٩٦٠ ، ١١٢٠) من طبعة نظارة المعارف التركية .

(٣) هو أبو الوجد محمد بن عبدالستار بن محمد البرانىقى الفقيه الحنفى الكبير (٥٥٩ - ٦٤٣ هـ) « الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٨٢ / ٢ »

(٤) المخلاة (ص ١٤٣) من طبعة الميمنية .

(٥) لسلوك للمقرىزى (قسم ١ ص ٥٥٠ - ١ ، ٥٥٤)

قال ابن تغرى بردى : وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قول القائل ولم أدر لمن هو :
 وخضراء ما الحمرء نفل فعلها لها وثبات فى الحشى وثبات
 توجع نارا فى الحشى وهى جنة وتردى مرير الطعم وهى نبات
 وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى المتوفى سنة ٦٨٨هـ فى ذم الحشيش :
 ما للحشيشة فضل عند آكلها لكنه غير مصروف الى رشد
 سفراء فى وجهه خضراء فى فمه حمراء فى عينه سوداء فى كبده (١)
 وقيل : ان ابن خلكان سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه ، فاستغفاه ،
 فألح عليه ، فقال : يقولون : انك تكذب فى نسبك (٢) ، وتأكل الحشيشة ، وتحب
 الصبيان (٣) .

فالحشيشة مستعملة بهذا المعنى قبل أن يؤلف كتاب الصحاح والمجمل والمقاييس
 من كتب اللغة ؛ لأن قضية تحريمها ظهرت فى أوائل القرن الثالث للهجرة ، ولم تسجل
 فى تلك الكتب ، وسماها صفى الدين الحلى (المفرح الحيدرى) ، ومدح بأبيات تاوية
 يقول فيها :

عاطيها ممزوجة بالنبات من فم الكيس لا من الكاسات
 خندريسا دنائها حقق العا ج وراحا كؤوسها راحاتى
 ما عليها فى الشرع حد ولا جا * بتحريمها حديث الثقات
 عرفتها النساك فاتخذوها فى المعاجين والجوارشات (٤)

أما متاعى الحشيش فكان يسمى « الحشيشى » ، وبه سمي الباطنية الاسماعيلية .
 وفى تاريخ السلاجقة لعبد الدين الأصبهاني : « فانى قد نذبت جماعة من الحشيشية
 لقتل أعدائك » ، وفيه أيضا : « وقيل : ان الأمير زنكى بن آق سنقر وضع عليه من حشيشية
 الشام من فمك به » (٥) .

وفى القرن التاسع أو قبله ظهر اسم « الحشاش » مكان الحشيشى ، قال الشيخ
 عبد الوهاب الشعراني فى ذكر الصوفية والزهاد : « ومنهم سيدى عمر الكردى ٠٠٠ وكان
 الأمراء والخوندات والأكابر يأتون له بالأطعمة الفاخرة والحلاوات ، فيقطعونها

(١) يراجع فى هذا كله النجوم الزاهرة (٧/ ٣٨٠-١)

(٢) يعنى انتسابه الى البرامكة .

(٣) فوات الوفيات (١/ ٥٦) .

(٤) ديوان الصفى الحلى (ص ٤٢٥) .

(٥) مختصر نصره الفترة وعصرة الفطرة (ص ١٥٥ ، ١٧٧) من طبعة مصر سنة ١٩٠٠ .

للحشاشين الذين يتفرجون ، ويقول لهم : يا اخوانى ، مالى ارى أعينكم حمرا ؟ لا يزيدهم على ذلك « (١) » .

والصحيح « الحشيشى » ؛ لأن « فعالا » كالحشاش موضوع للنسبة المعنوية اذا كان الشئ ماديا كالعطار والبنزاز والنحاس والبقال والدقاق والزجاج ، فهو اما يباع الشئ كالعطار واما صانعه أو بائعه كالزجاج . أما التعاطى والتخذ والمستعمل ، فلهم النسبة اللفظية فيقال : « فلان عطرى » أى كثير الاستعمال للعطر ، وحشيشى « (٢) » اذا كان يكثر استعمال الحشيشة ، وهلم جرا . وهذه القاعدة الصرفية تفصل فى أمور لغوية كثيرة فيها التباس ، وبها يحسم الجدل من أجل صحة الاستعمال .

٩ - « القبلة » . قال : « القبلة فى اللغة : الطائفة من الناس أو من الخيل ، ومصيدة يصاد بها أبو براقش . وفى استعمال المحدثين : القذيفة المتفجرة ، يقذف بها مدفع أو طائرة أو يد (وافق المجمع - يعنى المجمع اللغوى بمصر - على هذه الكلمة على أن ينص على أن أصلها الفتح ثم ضمت وعلى أنها أقرت لأنها تعورفت وشاعت) » .

قلنا : لا يهور الخطب فى استعمال القبلة هذا الاستعمال العصرى البغض الا كونها « مصيدة يصاد بها أبو براقش » ، وفى عدم استعمال القبلة اليوم للطائفة من الناس أو من الخيل سلوى للغة مضر فى بدو هذا الخطر ، والمعروف فى تسمية هذه المتفجرة أنها « القنبرة » لا « القبلة » ، وهى اما من الطائر الصغير المعروف لجنومها كهيتها ، واما من توافق بين لغة أجنبية واللغة العربية ، حتى ظهرت الكلمة كأنها عربية ، باسم الطائر المذكور . و « القنبرة » للحرب جمعها قنابر « (٣) » وقنبر ، قال ياسين بن خيرة العمرى فى حوادث سنة ١١٥٦ هـ : « ونزل طهماز على كركوك وأزعج أهلها بضرب المدافع والقنبر ثلاثة أيام » . ثم قال فى حصار طهماز للموصل : « وفى اليوم الخامس من شعبان فرغ اللعين من بروجه ، وبالسادس باشر بضرب المدافع وامتد الضرب ثمانية أيام بلباليها ، وجملة ما ضرب من القنبر خمسون ألف قنبرة ، فكانت المدافع والقنبر تتأثر على الموحدين ... حتى قيل ان فارسا من العرب جعل يركض فرسه ويصيح « الدبشى » « (٤) »

(١) الطبقات الكبرى (٧٤/٢) طبعة المطبعة الشرفية .

(٢) ولا يستعمل أحد الوزنين مكان الآخر ، الا أن ذا النسبة اللفظية حل محل

ذى النسبة المعنوية بكونه مجموعا كالساعاتى والامشاطى والابرادى .

(٣) راجع فهرست مكتبة البلدية بالاسكندرية (٨٣/٥) .

(٤) الدبشى فى لغة السواديين بالعراق « البطيخ الأحمر أى الحبب والرقى »

- وهو الشمزي - خالص - يعنى به القبر - ، والعجور أتم - يعنى به كالة اندفع - ولكن بالكم من الطويل - يريد به اللغم - لأنهم حفروا ثلاثة ألغام وقال فى موضع آخر : « وتصادم الشجعان وضربت القناير والمدافع » (١) .

فأرى أن تستعمل « القناير والقبر » ، فالجمع الأول عرف بمصر ، والجمع الجنسى عرف بالعراق ، ولعله مستعمل فى تواريخ مصر المتأخرة ، بالإضافة (٢) الى المصدر المصرى الذى أشرنا اليه . أما النطق بالقبلة غلطا واستعمالها فى غير معناها ، فمن الأمور التى لا تطاق فى باب التسامح المعنوى على سعة .

١٠ - « الفشل » . قال : « فشل الرجل : كسل وضعف وتراخى وجب عند حرب أو شدة » . والمحدثون يستعملون فشل بمعنى خاب كأنهم يفلقون السبب ويريدون المسبب ، فهو من قبيل المجاز المرسل .

قلنا : ان باب المجاز مفتوح ، كما ذكرنا من قبل ، بشرط أن لا يتدافع المعنيان الحقيقى والمجازى ، والأمر فى هذا الفعل كالذى فى « هدف » ، وقد شرحناه فيما أسلفنا من التعليق ، وذلك أن « فشل » لا يقوم مقام « خاب وأخفق » ولو مجازا ؛ لأنه يدل على عدم مباشرة العمل أو عدم الاستمرار عليه ، ان صح التعبير ، مع أن الخيبة والاختفاق مباشرة للعمل بامت بالخسران ، وتكون الخيبة أحيانا بعد تمام العمل ، والفرق بينهما كالفرق بين « كسل » و « سار فضل الطريق » فليس فى الفعلين اذن « سبب ومسبب » . ويؤكد ذلك اختلاف أوزانهما ، فالفعل « فشل » من باب فرح للأحوال النفسانية الطارئة تارة والعيوب الجسمانية الظاهرة تارة أخرى (٣) ، والفعل « خاب » ليس كذلك لأنه ليس بحركة نفسانية ، قال الامام على بن أبى طالب : « يا عجب كل العجب . . . من تضافر هؤلاء على باطلهم وفشلكم عن حقكم » . قال المبرد : « وقوله : فشلكم عن حقكم » . يقال : فشل فلان عن كذا اذا هابه فنكل عنه وامتنع من المضى فيه ، (٤) . وقال أبو الوداك : « لما تداعى الناس الى المصاحف ، وكتبت صحيفة الصلح والتحكيم ، قال على - ع - : انما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم من الخور والفشل عن

(١) الدر المكنون فى المآثر الماضية من القرون « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٩٤٩ و٢٩٦٦ - ٧ » ، وشذت عنى صفحة الشاهد الأخير من الكتاب المذكور (٢) أعنى « بالنسبة » .

قولهم « المحامى الفاشل » والصواب « المحامى الفشل » .

(٣) والصفة منه « فشل » كفرح وفشل كفشل وفشيل كجميل . ومن الخطأ

(٤) كامل المبرد (١/ ١٦ ، ١٩) من طبعة الدلجمونى .

الحرب» (١) . ومن كلام منسوب الى على أيضا : « فقامت بالأمر حين فشلوا ، وتطلعت حين تقبعوا ، ونظقت حين تمعوا ، ومضيت بنور الله حين وقفوا » قال عز الدين ابن أبى الحديد : قوله « فقامت بالأمر حين فشلوا » أى قامت بانكار المنكر حين فشل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، والفشل : الخور والنجس» (٢) . وقيل مسكويه فى حوادث سنة ٣٤٥ هـ : « وعبى معز الدولة غلمانه كراديس تتأوب فى الحملات الى وقت الغروب ، فهناك فشل الأتراك ، وانقطعت حيلهم ، وفنى نشاطهم» (٣) .

وخلاصة القول أن « الفشل » لا يجوز أن يستعمل بمعنى « الخيبة والاختفاق » ؛ لأن الخيبة نتيجة خداج للعمل ، و « الفشل » حركة نفسانية هى انكسل عن العمل والتراجع عنه ، والعربية اليوم لا تستغنى عن « الفشل » بمعنى الضعف ، كما أن استعماله بمعنى « الاختفاق » يورث الالتباس فى قراءة الكتب العربية ، ويقلب المعانى فى أذهان الدارسين .

١١ - « الجيل » . قال : « الجيل : الصنف من الناس ، وقد توسع فيه المولدون فاستعملوه على أهل الزمان الواحد ، ويظهر أن هذا الاستعمال قديم ، فقد قال المتنبى :

وانما نحن فى جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن

قلت : ورد « الجيل » بمعنى الجماعة فى كتب اللغة المختصة ، قال النعالى : « جيل من الناس ، كوكب من الفرسان ، حزقة من الفلمان» (٤) . واستعمله الفيومى فى المصباح تفسيرا للقرن ، قال : « والقرن أيضا : الجيل من الناس » . واستعمله كذلك جماعة من العلماء منهم أبو البركات هبة الله ابن ملكا الفيلسوف ، قال : « وكان العلماء والمتعلمون فى ذلك الوقت كثيرى العدد طويل الأعمار ، ينقلون العلوم من جيل الى جيل بأسرها وعلى أتم تمامها فلا يضع منها شئ ولا ينسى ولا يقع الى غير أهله » (٥) . والجيل يراد به الصنف من الناس ، فلذلك اتسعوا فى استعماله ، فمن كتاب للإمام على الى معاوية - كما فى نهج البلاغة - « وأرديت جيلا من الناس كثيرا ... » .

وكل هذا يؤيد ما عرضه الأستاذ الزيات ويثبت وجهة ما احتج به لاستعمال هذه

(١) شرح نهج البلاغة (١/١٩٣) .

(٢) المرجع المذكور (ص ٢٠٨) .

(٣) تجارب الأمم (٦/١٦٤) .

(٤) فقه اللغة (ص ٢١٩) من طبعة اليسوعيين .

(٥) المعتبر فى الحكمة (٢/١) .

الكلمة ، وقد وهم مؤلف تذكرة الكاتب في منعه استعمال هذا الجيل بهذا المعنى ، قال :
 • يستعملون الجيل بمعنى القرن فيقولون : كان ذلك في أوائل الجيل الماضي « وفي
 كتب اللغة : الجيل صنف من الناس »^(١) . ومن المعلوم أن « الجيل » سمي به الناس
 وزمانهم كما سمي بالقرن الناس وزمانهم •

١٢ - « القاع » • قال : « القاع : أرض سهنة مطمئة قد انفرجت عنها الجبال
 والآكام ، والمحدثون يستعملونه في أقصى الشئ ، وعمقه ونهاية أسفله فيقولون « قاع
 البئر » و « قاع النهر » تفاديا من ذكر القعر » •

قلنا : ان المحدثين المذكورين استفادوا استعمالهم المذكور من كتاب « كليله ودمنة » ،
 ففيه ما هذا نصه : « كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ، ساقهما الأجل
 الى حفرة فوقها فيها كنانا اذا صارا في قاعها بمنزلة واحدة »^(٢) • أراد بالقاع القعر
 والقرارة ، وفيه تساهل ظاهر بالاضافة الى مفهوم القاع ، قال الفضل بن الربيع في كلام
 يذكر فيه الآمين : « والهلاك أسرع اليه من السيل الى قيعان الرمل »^(٣) • وقال حسان
 ابن ثابت :

لقد عدوت أمام القوم منتظا بصارم مثل لون الملح قطاع
 يحفز عني نجاد السيف سابغة فضفاضة مثل لون النهى^(٤) بالقاع^(٥)
 وقال كامل المتفقى :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا : ليلاي منكن أم ليلي من البشر^(٦) ؟
 والاضافة في « القاع » قرينة مانعة من الالتباس في المعنى الثاني •

١٣ - « القهوة » • قال : « القهوة : يستعمل المحدثون القهوة في المكان الذي
 تشرب فيه ، وهو مجاز مرسل علاقته الحالية^(٧) ، كقولهم : نزلنا على ماء بني فلان ، أى
 على بشرهم ، والمؤمنون في رحمة الله أى في جنه • وهذا الاستعمال صحيح يغنينا عن

(١) تذكرة الكاتب (ص ٦٢) •

(٢) كليله ودمنة (ص ١٣٢) طبعة السلفى •

(٣) شرح نهج البلاغة (٤٧/٤) •

(٤) النهى كالحمل بلغة نجد : الغدير • وغيرهم يفتح •

(٥) الأغاني (١٦٦/٤) •

(٦) دمية القصر (ص ٢٩) والبيت متنازع كما في خزنة الادب (٦٧/١) من

طبعة دار العصور غير الكاملة ، وقد تصحف فيها « كامل المتفقى » الى « كاهل الثقفى » •

(٧) بتشديد اللام ، وهو مصدر صناعي ، وعندى اسم صناعي لأنه لو كان مصدرا

لعمل عمل الفعل بالشروط المعروفة •

كلمة المقهى الثقيلة .

قلنا : القهوة بمعنى مشرب البس شاعت فى زمان حكم الترك ، والظاهر أن الاثر اك سماوا المشرب المذكور « قهوه خانه » ، وهى شائعة فى العراق ، وان كتب لفظ « المقهى » على الألواح المعلقة على وجوه المشارب ، ورأيت فى بعض الكتب المتأخرة هذه الجملة : « وقد شاهدتهم عند أهل المقاهى » بجمع المقهى على المقاهى ، وظاهر المقهى أنه مضموم الميم ، من « أقهى : دام على شرب القهوة » كما فى القاموس ، ولا يجوز الفتح لأنه يكون اسم مكان من « قهى من الطعام : اجتواه كآقهى » . ويجب حينئذ أن يقال « مقهاة » للموضع الذى تكثر فيه القهوة ، على حسب القياس اللاجب ، وقد ذكرنا فى حاشية سابقة أنه يجب أن يقال « أقهى فلان اقتهاء واشتاء اشتياء » اذا اتخذ القهوة والشاى لنفسه .

واللغة العربية لا تأبى استعمال « القهوة » بمعنى « المقهى » بضم الميم و « المقهاة » بفتحها ، ولا يحدث التباس فى قول القائل « قعدنا فى القهوة فشربنا قهوة لذة » لأنها مختصر « قعدنا فى القهوه خانه . . . » . فقدم الاستعمال يدفع القيل والقال .

١٤ - « غير » . قال : « يدخل المحدثون على (غير) أداة التعريف ، ويجمعونه على أغيار ، ولم يسمع ذلك عن الأولين ، والجمع والتعريف أمران تقتضيهما الحال وعلى الاختص^(١) فى لغة القانون » .

قلنا : عولجت هذه المسألة اللغوية قديما ، ومن قداما معالجتها أبو محمد الحريرى ، قال فى ذكر أوهام الخواص : « ويدخلون آل على غير (فيقولون فعل الغير ذلك مثلا) والمحققون يمنعون منه ، اذ لا تعرف بها كما لا تعرف بالاضافة ، فلا فائدة فى ادخالها » قال السيد شهاب الدين أبو التناء محمود الألوسى^(٢) : « هذا كلام الحريرى ، وفيه ما فيه ، وان أردت كشف الابهام عن حقيقة الحال فاستمع ما تلوه عليك من كلام من تعقد عند ذكره الخناصر^(٣) وتحل بيانه عقدة الاشكال ، فنقول : ما ادعاه فى ادخال « آل » على غير وان اشتهر فلا مانع منه قياسا ، وانما المهم اثبات سماعه . وفى تهذيب الاثرهري : قال ابن أبى الحسن فى شامله : منع قوم دخول « آل » على غير وكل وبعض ؛ لأنها لا تعرف بالاضافة ، فلا تعرف بها . وعندى أنه لا مانع من ذلك ؛ لأن « آل » فيها

(١) الفصيح « فى الاختص » .

(٢) توفى ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ عن نحو من ثلاث وخمسين سنة ودفن بالقرب

من مدفن الشيخ معروف الكرخى .

(٣) ويقال أيضا « ثنى الخناصر دونه » يراد الاكترات به والاهتمام له والعناية به .

ليست للتعريف ، ولكنها العاقبة للإضافة كما في قوله تعالى : (فإن الجنة هي المأوى) أى مأواه ، على أن غيرا قد تتعرف بالإضافة فى بعض المواضع ، وقد يحمل الغير على الضد والكل على الجملة ، والبعض على الجزء ، فيصح دخول « آل » بهذا المعنى . اهـ وقال صاحب الهادى : ان (غيرا) لا تجوز تشيته ولا جمعه كما ذكره سيويه ، ولا يجوز ادخال اللام عليه ؛ لأنه لا بد له من الإضافة ، والمضاف اليه اما مذكور أو منوى . وفى بعض الحواشى : « صرحوا بأن غيرا ان تعرفت وان لم تتعرف لا يجوز ادخال اللام عليه^(١) ، لرعاية صورة الإضافة المعنوية ، الا أن المصنفين كثيرا ما يدخلونها عليه ، فكانهم جعلوه بمعنى المغاير ، لكنه لم يوجد فى كلام العرب ، وفى ضرام السقط : أن لغير ثلاثة مواضع^(٢) : أحدها أن تقع موقعا لا تكون فيه الانكرة ، وذلك اذا أريد بها النفى الساذج كما فى نحو « مررت برجل غير زيد » ، الثانى أن تقع موقعا لا تكون فيه الا معرفة وذلك اذا أريد بها شىء قد عرف بمضادة المضاف اليه فى معنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت « مررت بغيرك » أى المعروف بمضادته ، الا أنها فى هذه لا تجرى صفة فتذكر غير جارية على الموصوف . الثالث أن تقع موقعا تكون فيه نكرة تارة ومعرفة أخرى ، كما اذا قلت : مررت برجل كريم غير لثيم » . اهـ ولم يوجد كما قال ابن هشام تشيته ولاجمعه الا فى كلام المولدين ، فتراهم يقولون « غيران وأغيار » . وقد سمعت عدم الجواز عن سيويه آنفا ، ولعل الأمر فى ذلك سهل أيضا^(٣) . وقال الفيومى : « غير : يكون وصفا للنكرة تقول : جاءنى رجل غيرك . وقوله تعالى : (غير المنضوب عليهم) انما وصف بها المعرفة لأنها أشبهت المعرفة باضافتها الى المعرفة ، فعوملت معاملتها ، ووصف بها المعرفة ومن هنا اجترأ بعضهم فأدخل عليها الألف واللام لأنها لما شابهت المعرفة باضافتها الى المعرفة جاز أن يدخلها ما يعاقب الإضافة^(٤) . قال الفيومى : ولك أن تمنع الاستدلال ، وتقول : الإضافة هنا ليست للتعريف بل للتخصيص ، والألف واللام لا تفيد التخصيص ، فلا تعاقب اضافة التخصيص ، مثل « سوى وحسب » ، فانه يضاف للتخصيص ، ولا تدخله الألف واللام^(٥) . وقال ابن الجوزى : « فينقل من فعله ما يقتدى الغير به »^(٥) .

(١) أى على اللفظ فلذلك ذكر

(٢) الصواب « أولها » لياتى الثانى فالثالث .

(٣) كشف الطرة (ص ٨٤ - ٥) .

(٤) المصباح المنير فى « غير »

(٥) صيد الخاطر لأبى الفرج (ص ٦٠)

وقال قطب الدين الراوندى : « لأن ما يوصف به الغير انما هو الفعل أو معنى الفعل » (١) .
وقال القزوينى : « وهو اما أن يكون قائما بالذات أو قائما بالغير » (٢) ، وقد جمع على « أغيار » (٣) .

واستعمل « الغير » الجاحظ ، وهو هو فى قدمه وتقدمه على الكتاب ، قال : « وخبرنى بعضهم أنه رأى من يبكى باحدى عينيه وبالتى يقترحها عليه الغير » (٤) ، وأدخل المسعودى عليها « أل » مع الاضافة : « قصير جملتها مع الخمسة أيام الغير معدودة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما » (٥) . وقال الجوهري : « الوسيلة ما يتقرب به الى الغير » (٦) . وقال الفخر الرازى فى أصول الدين : « المسألة الثالثة والعشرون فى أنه سبحانه عالم بعلم واحد بجملته المعلومات الغير المتناهية » (٧) . وأشد موفق الدين أبو محمد طلحة بن يحيى بن هبة الله الموصلى المحدث :

يا غافلا عن حركات الفلك نهك الدهر فما أغفلك !
مالك للغير اذا صنته وكل ما أنفقت منه فلك (٨)

فالغير منذ زمن الجاحظ معروفة مستعملة ، ولا نرى مانعا من الاستمرار على استعمالها أبدا ، خصوصا فى لغة القضاء حيث لا تقوم مقامها كلمة أخرى ، قال عز الدين ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة : « وقد استعملت فى كثير من فصوله ، فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ، ألفاظ القوم مع علمى بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم « المحسوسات » وقولهم « الكل والبعض » وقولهم « الصفات الذاتية » وقولهم « الجسمانيات » وقولهم « أما أولا فالحال كذا » ونحو ذلك مما لا يخفى عن له أدنى أنس بالأدب ، ولكننا استهجننا تبديل ألفاظهم وتفسير عباراتهم ، فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم و « من دخل ظفار حمر » (٩) .

(١) شرح نهج البلاغة المذكور (٢٥/١) .

(٢) العجائب (ص ٩) .

(٣) ما طبع من تذكرة ابن حمدون بمصر (ص ١) .

(٤) الحيوان (٤٦٦/٦) طبعة عبدالسلام .

(٥) التنبيه والاشراف (ص ١٨٤) من الطبعة المصرية .

(٦) الصحاح فى « وسل » .

(٧) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (١٢٥٣ و٣٠) ، والكتاب مطبوع ، ومثله

فى شرح نهج البلاغة (٩٣/١) « الغير المتناهية » .

(٨) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى ج ٥ ترجمة ١٩٥٨ من الميم .

(٩) شرح نهج البلاغة (٥٧٤/٤) . ومعنى حمر تحميرا : تكلم بالجميرية

١٥ - « الغيرية » . قال : « عرف المتقدمون الغيرية مقابلا للغمينة ، وهي أن يكون كل من الشيئين خلاف الآخر ، ويستعملها المحدثون اليوم مقابلا للانانية ، فكأن معنى من معاني الايتار » .

قلنا : قال نصر الله بن الاثير في الحكم على المعاني : « وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره هنا يرجع أكثره الى التأويل ؛ لأنه أدق ، ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام : اما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره ، واما أن يفهم منه الشيء وغيره ، وتلك « الغيرية » اما أن تكون ضدا أو لا تكون ضدا ، (١) .

فالغيرية مستعملة في كتب الادب بمعناها الأصلية ، وفي المنطق بمعناها أيضا ، أجل « الانانية » منسوبة الى « أنا » كما في رسالة ابن كمال باشا اللغوية وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، ولكنها لم تكتسب المعنى الذي استعملت له الا متعارف حب الانسان لنفسه حين يقول « أنا » . فاما « الغيرية » فليس فيها الا المغايرة ؛ لأنها حالة « الغير » لا غير ، فالإيتار خير منها ، ولذلك استعملوه ، ولم يعرفوا « الغيرية » بمعناه ، ولا « الهوية » التي تقابل الانانية على سبيل المناقضة . والغيرية لفظ عام ، لأنك تقول « أنا والغير وأنت والغير » . و هو والغير ، وليس فيها علامة لتختص بمغايرة « أنا » ، فلم يترك « الايتار » وتختار هذه اللفظة ؟ أمن أجل يائها المشددة ؟ لا أظنها بها تغلب الايتار .

١٦ - « الشقى » . قال : « ضد السعيد ، والمحدثون يطلقونه أيضا على اللص وقاطع الطريق (وافق المجمع على هذه الكلمة على أن يزداد في شرحها أن تدل على الأطفال الغفارت) » .

قلنا : ان « الشقى » باللغة العامية العراقية هو العيار والشاطر ، وتأتي السرقة في آخر أوصافه ، ويسمون به بالجمع لا بالمفرد فيقولون « فلان أشقياء » كما يقولون « أرباب وأبناء الأربعة » أي رب ظرف وابن الأربعة . والظاهر أن هذه التسمية حدثت في أثناء حكم العثمانيين للعراق ، ويجد الانسان سلوى في قول الفيروزآبادي « وشافاه : عالجه في الحرب ونحوه » . والمراقبون يستعملون « شافاه مشافاة » بمعنى « عابته معاينة وعبانا » .

١٧ - « التأميم » . قال : « أمم الرجل المكان : قصده . والمسموع اليوم من المحدثين أنهم يقولون : أمم الشيء جعله ملكا للأمة » .

قلنا : يجب أن يسار في اصطلاح كهذا على القياس اللاحق ، فما المثال الذي قيس عليه التأميم ؟ وهل قالت العرب « تقويم الشيء » : جعله للقوم ، وتشييره : جعله للشيعة ، وتشعيه : جعله للشعب ، وتعميره : جعله للعمارة ، وتحكيمة : جعله للحكومة ، وتقييله : جعله للقبيلة ؟ لم تقل ذلك ، فان نفتح مجال البحث بالقياس ، فكأننا دعونا الى العبث باللغة نفسها ، و « فعل الشيء » تفعيلا : جعله كأصل الفعل مثل « أهله تأهيلا : جعله أهلا » و « رأسه ترئيسا : جعله رأسا أي رئيسا » و « قوده تقويدا : جعله قائدا » و « أمره تأميرا : جعله أميرا » و « ملكه تسليكا : جعله ملكا » وعلى هذا يقال « أمم أخلاط الزمر : جعلهم أمة » ، قال ابن الحاجب في الشافية : « فعل (تفعيلا) للتكثير ^(١) غالبا ، نحو : غلقت وقطعت وجولت وطوفت وموت المال ، وللتعدية نحو فرحته ومنه فسقته ، وللسلب نحو : جلدته وقردته » .

وعقب الشارح الاستراباذي على « فرحه تفريحا » بأن فعل هنا بمعنى « جعل الشيء ذا أصله » مثل فحى القدر تفحية أي جعلها ذات فحا أي بزر ، وشسع النعل تشسيعا أي جعلها ذات شسع ، فالجزئية مفهومة من قوله « ذات » . فليس في معاني « التفعيل » ما يجيز « التأميم » بالمعنى الذي يريدونه اليوم ، وقد يقال انه أصبح مفهوما بذلك ، فيجانب بأن من أعمال المجامع اللغوية الحيلولة بين الغلط الشائع واللغة ، لئلا يتسرب الفساد في قواعد اللغة العامة ، وأحق الأوزان بهذا المعنى « التأميم » أي تسليط الأئمة على الشيء واصابته بها ، مثل « تعينه تعينا : أصابه بالعين ، وتحيفه : أصابه بالحيف ، وتوعده : سلط عليه الوعيد » ، وما يضيق المكان بذكره . وعلى هذا يقال « تأمم الشيء - تأمما : جعله للأئمة » . وقد ورد « التأمم » متعديا أيضا لغير هذا المعنى ، وهو القصد .

مصطفى جواد

(١) قال الشارح « الأستراباذي » أقول : الأغلب في فعل أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل « ثم ذكر أن « ذبحت الشاة تذبيحا » و « غلقت الباب تغليقا » لا يجوز ؛ لأنه لا يحتمل التكثير » شرح الشافية (١/٩٢) « من طبعة المكتبة التجارية .

اللقمة العريضة

بين بون (ألمانيا) ودمشق

حضرة الأستاذ الفاضل الدكتور « هونر باخ » المحترم .

وصلتني بطاقة بتوقيع صديقي الأب جورجى الخورى ومعها ورقتان أظنهما بخطكم :
تسألون عن بعض الألفاظ التى غاب عنكم معناها ، أو ضبط حركاتها ، وهى فى شعر
الصفى الحلى الذى تهوونه للطبع . فانا أشكر للأب جورج اذ كان واسطة التعارف بيننا .
وكنت أكون مسرورا بزيادة لو أمكننى أن أقوم بخدمتكم بأكثر نجاح ، ذلك أنكم لما
كتبتم الألفاظ المسؤول عنها ، الواردة فى الديوان ، لم تشيروا أمام كل لفظ الى رقم
الصفحة المذكور فيها ذلك اللفظ . والديوان الذى عندنا طبع فى دمشق سنة ١٩٢٧ م
ولا نسخة سواها ، وعدد صفحاتها ٥٧٢ صفحة ، فاللفظ المطلوب تصحيحه لا تسكن
معرفته الا بتقليب صفحات الديوان كله . فلو كتبتم ذكرتم أمام كل لفظة رقم صفحاتها
لسهلت مراجعتها ، والنظر فى ما قبلها وبعدها ، فيعرف السياق والمناسبة ، فيفهم المعنى
غالبا . وزد على ذلك أن معظم الألفاظ المسؤول عنها يظهر أنها لهجة عامية عراقية ،
لما أن الصفى الحلى عراقى الدار ، ولهجتنا العامية السورية تغاير أختها العراقية ، وبين
اللهجات فى الشرق العربى بون شاسع : فابن العراق ربما سهل عليه معرفة تلك الألفاظ
المسؤول عنها أكثر مما سهل على أنا ولاسيما أن نسخ ديوان الحلى متوفرة بين أيدي
العراقيين . على أن الشاعر الحلى عاش منذ أكثر من (٥٥٠) سنة ، فهل بقيت اللفاظ
العامية فى العراق على حالها يا ترى ؟

ومع هذه الصعوبات التى اعترضت أمامى ، وأهمها عدم معرفتى لمكان الألفاظ
من الديوان - مع هذه الصعوبات نظرت فى تلك الألفاظ ، فهديت الى تفسير بعضها .

•••

قوله : (الا وأنا أنمئذ وأسمع الجيران) فتح الجيم !!)

أقول :

فتح الجيم من (جيران) غلط ، وصوابه كسرهما ؛ لأنها جمع جار . وكنيت ، وأنا

صغير ، أسمع فى بلدى ضرابلس الشام (لبنان) بعض الناس ينشد هذا البيت هكذا :

(أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم)

ويفتح جيم (جيران) ، فحفظته منه هكذا ، وبقيت على ذلك مدة ، حتى كبرت وتعلمت . والذي مهد الطريق أمام الظن بأن (جيران) فى البيت المذكور يفتح الجيم هو أن معناه (أى معنى جيران) باللغة التركية الغزال ، وكنا تعلمها يومذاك ، والمعنى عليها حسن فى الذوق الشعرى العربى .

•••

قوله : (ولا على فلان فلان - ؟؟)

(فلان) لم تذكرها المعاجم العربية ، واستدركها دوزى فى معجمه ، وقال : انها مغولية الاصل ، أى تركية ، وفسرها بالفراغة ، الخراج ، الضريبة ، (Tribut) وقالت المعاجم التركية : ان أصل (فلان) فلان بالالف ، فتكون اسم فاعل من فعل (قالمق) بمعنى بقاء الشيء ومكته وتعوقه وتأخره . والضرائب وأموال الخراج (التى اشتهرت تسميتها بالويركو فى بلادنا) تراكم عادة فى ذمم المكلفين ، ويتأخر دفعها ، فتعود صعبة التحصيل ، ويستقل من أجلها النجابتى المسمى (تحصدار) بالتركية ، وكان يسمى فى العهد العباسى (المستخرج) قال أبو المطهر الأزدى فى كتابه (حكاية أبو القاسم البغدادى) واصفا بعض الثقلاء : (يا وجه المستخرج فى يوم السبت ، يا افطار الصائم على الخبز البحت) ، فيكون قائل عبارة الصفى الحلى ، وهى (ولا على فلان) ، انما يحمد الله على أن لم يكن عليه ضريبة أو خراج أو ذمة لبيت المال فلا يرى وجه المستخرج .

•••

قوله : (وأنا طنج فرحان طنج ؟)

؟ ؟ ؟

قوله : (قباحا نوع من ثياب النساء ؟)

؟ ؟ ؟

.

قوله :

(فخطرو من دلى والكف من قلهات)

؟ ؟ ؟

(هوبدى « نوع من الطيور » ؟؟)

لا أعلم ما كلمة « هويدى » هذه ؟ لكننى أذكر أن (ابن سيده) ذكر فى معجمه المخصص (جز ٨ / ص ١٥٣) أن الخليل صاحب كتاب العين قال : « وطير الماء أكثر من مئى لون ، والعرب لا تعرف أكثرها ، وأسماؤها عندنا (العراق) بالنبطية ، لأنها فى البطائح فى بلاد النبط » • ويعنى الخليل ببلاد النبط سواد العراق • فما يدرينا أن يكون (هويدى) لفظا نبطيا من بقايا أسماء الطيور التى تعلمها العراقيون من لغة أنباط السواد ؟

قوله : (وان سألتوا عنى يقول بيمستا وحش) •

« بيمستا » أظنها فارسية الأصل ، لأن معنى بيم بالفارسية الخوف والفرع ، كما فى معاجمها • أما (وحش) بكسر الحاء ، فلفظ عربى صحيح معناه جائع • ولا يخفى وجود التناسب بين وصف الانسان بالخوف ووصفه بالجوع •

قوله : (فى العام أبصرك مرة كَأَنَّاكَ براة التصارى ، أو حجة الاسلام ؟)

؟ ؟ ؟

قوله : (أنا عليك أود فرع)

لا أعلم ما معنى « أود فرع ؟ » كلمة واحدة • أما اذا كانت كلمتين ، فيمكن أن يقال : ان (أود) بالزاي لا بالذال الطائر المعروف ، و (فرع) من الفرع بمعنى الرعب والهلع ، ويكون المعنى أن حالتى من الخوف عليك كحالة الأود اذا كان فرعا •

قوله : (ما غارت المفل فىنا ولا وقع يفما)

(المفل) ومثله (المنفل) : اسم لجبل كبير من أمم الترك الضاربة فى جزء الشمال

الغربى من آسية ، والافرنج يسمونهم (منفل) بزيادة نون بعد الميم •

و (يفما) من دون تاء فى آخرها لفظ تركى معناه الغزو والسلب والنهب • وكأن

(يفما) بالتاء فى آخرها عربيا العراقيون من (يفما) التركية •

قوله : (يلعب بشرنرج ويقول : كنتو أحطك حطيطة قبلت منى الحطيطة ارجع

نمى قاطعتنى وما يجوز التقاطع الا مع الطبقات •)

نمى ؟ لا أعلمها ، أو يقال : اذا كان اللعب بالشطرنج على مال يمكن أن يكون

(نمى) بضم النون وتشديد الميم والياء ، قال فى الصحاح : (قال أبو عبيد : « النسى »

الدرهم الذى فيه رصاص أو نحاس ، قال النابغة يصف فرسا :

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمى سفسير

أما (الحطيطة) فمى فعل حط • ولفظ (الحطيطة) أتخيل أنه فعل مستعمل بين اللاعبين بالورق أو غيره ، وربما أرادوا به التنازل عن شىء من حق اللاعب فى أرباح اللعب • ولفظ « الحطيطة » عربى فى أصل مادته ، اذ يقال : حط الدائن من مبلغ الدين مقدارا لكى يسهل على مديونه المعسر أداء ما عليه •

•••

قوله : (يتان يحل بهما مهما أضمر الضامر من حروف المعجم ، وصورة العمل بها أن تقرأ على صاحب الضمير قفلا قفلا) الى آخر ما قال ووصف من حل الالفاز بالبيتين • ؟ •

أقول :

الظاهر أن المراد بالقفل الشطر من بيت الشعر والاقفال جمعه ، لأن سياق الكلام يقتضى أن يكون معنى القفل والاقفال هكذا • أما حل هذا اللغز ، وتبسيط المعنى المراد منه ، فقد أصبح ذهنى قليلا لا يقوى على فهم أمثال هذه الالفاز ، ولا طريقة حلها •

•••

قوله : (فى محاورات وقعت له مع غلام أمسالى فى القاهرة)

؟ ؟ ؟

قوله : (وأصلى كبير • وسنسب وطى أخوالى • وأبى فى العراق كان والى •)
« سنسب » و « طى » قبيلتان من قبائل العرب ، وفى القاموس : سنسب بن معاوية ابن جرول أبو حى من طى • ومن سنسب « جابر بن رآلان » السنسبى الشاعر •

•••

قوله : (يا سعادة من بات فى عبو نبو ويقول ياكُن كنوا)

(ياكُن كنوا) ؟ ؟ ؟ ...

(العب) فى اللغة الردن ، والردن الكم ، وكانت العرب تضع الدراهم فى أصول أكمامها •

وفى لهجتنا الشامية أصبح يراد بالعب الجيب ، حيث تخبأ الدراهم • أما (نبو) ، فلا نعهدا فى لهجتنا الشامية ، ولعلها بمعنى الدراهم فى لهجة العراق ، أو بمعنى آخر كالمحبوب مثلا •

قوله :

(أصدقائي خانوني ، ان ذا عجيب لاح لي من أعينهم لحظة المريب)
 (« والمطعم » الأسفل لا عنى يقيب والذي هم أعدائي قربوا البعيد)
 « المطعم » اسم مفعول من الطعطة ، وهى فى اللغة التمطق باللسان والشفتين عند تذوق الطعام اللذيذ بحيث يسمع صوت للهم ، وقد حكى هذا التفسير للطعطة الخليل ابن أحمد ، ورده ابن فارس •
 وهل المراد من « المطعم » هنا هذا المعنى يا ترى ؟ الله أعلم •

•

قوله :

(جزنا ليتنا محض وما عليه اشراف • بحصر بردى • وبصرى • ونطع كيشى •
 « ومسورة » •)

(حصر) جمع حصير مصنوعة من بردى ، (وبردى) ضرب من النبات تصنع منه الحصر ، و (النطع) ما يفرش من أديم الجلد ، و (كيشى) نسبة الى كيش ، ولا أعلم ما هو كيش ؟ ولعل صوابه كيشى بالياء بعد الشين ، نسبة الى (كيشب) وهى قرية قريبة من الرى ، أو أن صوابه (كيشى) بياء موحدة بعد الكاف نسبة الى كبش النمر بدليل قوله (نطع) الذى معناه الجلد • و (المسورة) فى اللغة العربية الوسادة ، أو مسند من جلد يكون مرتفعا ، للتأنيق فى تضخيم حشوته • وأبو المطهر الأزدى فى (حكاية أبو القاسم البغدادى) شبه المنية القصيرة الضخمة بالمسورة فقال : « انما أرى (أى فى مفنيات أصبهان) قردة كأنها مسورة عرضية ، أو غول طلع من بركة » •

••

قوله :

(نهبت والقالى • لا يقيم أعذارى • شغفى قد زاده وهى لا ترعالى •)
 الظاهر أن المراد (بالقالى) الحبيب القالى أى المفضل أو الهاجر • ومعنى (لا يقيم أعذارى) لا يعتد بها ولا يقيم لها وزنا • و (شغفى) أى حبى زاد • وهى أى المحبوبة لا ترعالى حقا ، ولا تحفظ ودا ، فمفعول فعل ترعا محذوف ، وصوابه (ترعى) بالياء •

••

قوله :

(مرُ بشئ يرضالى لا ترس مو طارى)

(التونسي عاده بالسويه وأبالي)
؟ ؟ ؟

قوله :

(جى وزور كنا نجارى نو العذار)

؟ ؟ ؟

قوله :

(بالله نقسم لو خذوا السبت والحد ما كنا نقطع ذا التيز جرم للحد)
(السبت) يوم السبت • و (الحد) يوم الأحد ، وحذف الهمزة من الأحد
لهجة شامية شائعة حتى على ألسنة الخاصة •
•••

قوله :

(على النسيم حين تجينا بالراحتين نلتقوك)
(على داريس عبرت أو منها جيت)
(ان قط لس بهذا الذكا ندروك)
(تجينا) أى تجينًا • (بالراحتين) الراحة باطن الكف ، والمراد بها الكف نفسه ،
و (نلتقوك) كأنها لهجة عراقية ، والمراد نلتقيك : أى انا نلتقيك ونجتمع بك معانقين
لك بالكفين أو اليدين كما هي العادة • و (دارين) بلدة بالبحرين يجلب اليها المسك من
الهند ، ومن دارين يباع المسك الى سكان جزيرة العرب • قال شاعرهم :
يمرون بالدهنا خفافا عياهمس ويرجعن من دارين بجر الحقايب
كأن معنى عبارة الصفى الحلى أنه لما عانقه براحتيه شم منهما رائحة المسك ، فهو
يقول متمجبا من أين أتت هذه الرائحة ؟ فاما أن تكون جئت من قرية « دارين » حيث
رائحة المسك تملأ أرجاءها ، أو انك عبرت فيها عبورا •
•••

هذا - أيها الدكتور الفاضل - ما أمكننى الاهتداء اليه من تفسير الالفاظ التى
سألتهم عنها • وبقيت كلمات أخرى لم أهد اليها ، وأتمنى لو تعرض على أحد من اخواننا
المراقين ، فلعل لديهم بها علما ، وفوق كل ذى علم عليم •

تعليق على « اللغة العربية بين بون ودمشق »

١ - « وأنا طنج فرحان » . أظن الجيم فى « طنج » ببدلة من الزاى فى « طنز » ، وظاهرها أنها صفة من « طنزبه » ، أى سخر ، وأكثر السخرية يكون مع الضحك والسرور .

٢ - « فخطرو من دلى » . يظهر لى أن دلى هى اللفظ العامى لـ « دلهى » أو أن الشائع من لفظها « دله » قال ابن رافع فيما نقل من كتابه تقى الدين الفارسى : « سعيد بن عبدالله الدهلى (بكسر الدال المهملة وسكون الهاء) نسبة الى دله مدينة بالهند ، ولد بها هذا ، ^(١) وعلى هذا يكون قوله :

فخطرو من دلى والكف من قلهاات

مرادا به ما اشتهرت به دله يومئذ وما اشتهرت به « قلهاات » مدينة بعمان على ساحل البحر أهلها كلهم خوارج اباضية ويتظاهرون بذلك ، كما فى سراصد الاطلاع ، فهو قد جمع بين شيئين مختلفين فى كل الامور .

٣ - هويدى : أجل هو نوع من الطيور تصغير « الهادى » ، ويجمع المكبر على « الهوادى » وهو معروف فى أكثر البلاد الاسلامية بذلك ؛ لانه من نوع الحمام المهتدى فى طيرانه ، ويعرف بحمام البطاقة وحمام الزاجل والمنسوب أيضا ، جاء فى خبر حديقة الطيور التى أنشأها الوزير أبو على بن مقلة أنه « جعل فى صحن .. كالبرج أقفاصا فيها فاخر الطيور للفراج وبرجا فى السطح » للهوادى « والقلابات والمراعىش » ^(٢) .

وقال ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٦٧ : « وفى شعبان تقدم فخر الدولة (محمد ابن جهير) الى المحتسب فى الحريم بنفى المفسدات وبيع دورهن .. ومنع الناس من دخول الحمامات بغير ميازى وقلع الهوادى ^(٣) والابراج ، ومنع اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على سطوح الناس » .

وقال فيها سبط ابن الجوزى : « وفى شعبان أمر الوزير فخر الدولة المحتسب بنفى المفسدات من حريم دار الخلافة ، وبيع دورهن ، ومنع الناس أن يدخلوا الحمام بغير

(١) منتخب المختار (ص ٥٧) .

(٢) مختصر تاريخ ابن السمعانى « نسخة المجمع المصورة ، ورقة ١٧٣ » .

(٣) كذا جاء فى المطبوع من المنتظم (٢٩٤/٨) ولعل الاصل « وقلع أبراج

الهوادى » كما سيأتى .

ميازر ، وأخرب أبراج « الهوادی » ، ومنع من اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على الناس ، (١) .

وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٧ هـ : « في هذه السنة اتخذ نورالدين بالشام « الحمام الهوادی » ، وهي التي يقال لها المناسيب ، وهي تطير من البلاد البعيدة الى أوكارها ، وجعلها في جميع بلاده . » (٢) .

٤ - « يقول بيمستا وحش » : بيمستا مركبة من كلمتين فارسيتين ، هما : « بي » أداة النفي والسلب والفقدان ، و « ستا » أصلها « ست » وهي بمعنى ثمل ومنتش من الشراب (٣) . فهو غير ثمل ولا شعبان .

٥ - « في العالم أبصر ك مرة » كأنك براة النصارى أو حجة الاسلام . يشير الى أن رؤيته له كبراة النصارى ، وهي بعض طقوسهم الدينية لا تكون الا مرة في السنة (٤) ، ومثل حجة الاسلام لا يمكن أن تكون الا مرة في السنة في شهر ذي الحجة منها .

٦ - « والمطعمع الأسفل لا غنى يغيب » . قال ابن فارس في المقاييس : « الطاء والعين ليس بشيء . فأما ما حكاه الخليل من أن الطمعة حكاية صوت اللاطع ، فليس بشيء . » أما « الطمعة في العامية العراقية ، فهي التمتع » يقال « تمتع الشيء » : حرره بعنف وقتلته ، « والمطعمع فيها المضضع لكثرة التمتع التي أصابته .

٧ - « بحصر بردى وبصرى ونطع كيشى ومسورة » : النطع الكيشى منسوب الى جزيرة كيش ، وفي مراصد الاطلاع : « كيش : تعجيب » قيس ، جزيرة في وسط البحر تعد من أعمال فارس وتعد من أعمال عمان ، وفيه أيضا : « وقيس جزيرة في بحر عمان وتسمى كيس ، دورها أربعة فراسخ ، مدينة مليحة المنظر ذات بساتين وعمارات جيدة وهي مرقاً مراكب الهند وبر فارس وبها مفاص اللؤلؤ » .

مصطفى مراد

(١) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد ، (١٥٠٦ و١٥٠٧) » .

(٢) الكامل في حوادث سنة ٥٦٧ هـ . ونقل الخبر منه أبو الفداء في تاريخه .

(٣) A Vocabulary, Persian, Arabic & English David Hopkins, London 1810

(٤) لعله أراد الاعتراف وتناول القربان المقدس السنويين .

دستور العمل لناحية الخالص

موجب « فرمان »^(١) الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٠٨٦ هـ (١٦٧٥ م)

كانت ادارة الممالك العثمانية على طريقة غير طريقة الاصلاحات التي بدى - بتفيذها على وفق التنظيمات الخيرية التي وضعها السلطان محمود المتوفى في سنة ١٠٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ، ثم خلفه السلطان عبد الحميد الذي أصدر « فرمانا » تمة لما شرع فيه أبوه قريء في استانبول في موضع اسمه كلكخانه « بكاف فارسية » . وقد عرف هذا « فرمان » بخطط كلكخانه (راجع مادة « تنظيمات » في معلمة الاسلام بالفرنجية) .

ولتر الآن مثالا لتصرف وال قديم لبغداد في ولايته^(٢) ، بعد أن فتحتها السلطان مراد الرابع في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) بنحو أربعين سنة ، وأعلاء تصدير أمر الوالي كما وجدته في نسخة كتبت يوم صدور ما سمي بالفرمان . وهذا نقله من التركية بالحرف الواحد الى لغتنا :

(١) حينما يطلب تعيين « الجبلى »^(٣) في ناحية الخالص يعطى « حفار »^(٤) عن

(١) قوله « فرمان » تسمية لهذا الأمر - وكان يقال لمثله « بيورلدى » - هو لتعظيم الوالى . و لفظة « فرمان » هنا في غير محلها ؛ لأنها اذا أطلقت على أمر مكتوب فلا بد أن يكون للسلطان ، وهو موشح بالطغراء في أعلاه (راجع قاموس شمس الدين سامى)

(٢) مدح هذا الوالى - (كلشن خلفا) لتنظمى زاده المطبوع في استانبول في سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ م) ، وأثنى عليه ، وبعد المدح أشار أسفا الى أنه كان يشرب الخمر (ص ١١٤) .

(٣) صحيح تصوير كلمة « جبلى » كما يقال أيضا « جبىلو » (فتح الجيم والباء من دون تشديد) . ومعنى « جبى » هو الدرع (قاموس شمس الدين سامى) . فهذا الـ « جبىلى » هو الجندى المتدرع المكلف ايفاده الى الحرب كل من أصحاب التيمار والزعامة ، فانه مكلف أن يوفد عددا من هؤلاء الجنود نسبة دبرلكه (الـ « دبرلك » هو ايراد الاقطاع) من تيمار وزعامة (راجع التأريخ العثماني بالتركية لأحمد راسم : فائدة ٦٠ ص ١٦٩ ح و فائدة ١١٦ ص ٣٩٥ ح ، ومادة تيمار وزعامة في معلمة الاسلام) ويجوز - على ما أظن - أنه يراد بالجبلى الجندى من دون أن يكون متدرعا . وجاء في أحمد راسم أن الـ « جبىلى » هو الفارس الكامل العدة القادر على المحاربة .

(٤) يظهر لى أنه يقصد بالحفار هنا الفلاح ، وأن جاء في وثيقة مؤرخة في سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩١/٩٢ م) في كلام على نهر الخالص تعيين حفارين له .

كل فدان (١) .

(٢) على الضابط ألا يأخذ شيئا من النقود عن الحفار غير الموجود المين « جبليا » ، بل عليه أن يعرض الأمر على الوالى .

(٣) على الذين يزرعون فى هذه الناحية ان كانوا من « أغوات » أو « قول » أو « رعايا » أن يعطوا الجبلى على وجه المساواة .

(٤) يؤخذ بفدادى (٢) من كل رجل باسم مآكل الضابط وخدمة السوريجى (هل يريد الذى يسوق دواب الحمل كما هو معناها فى قاموس شمس الدين سامى ؟) (٣) ، ذلك حين تعين الحفار « جبليا » ، ولا يؤخذ أزيد من هذا ، وليس للضباط أن يطلبوا تعيين جبليين لطمع أنفسهم . ويعين الجبليون بمعرفة نائب الناحية والوجهاء والكتخدوات (يراد بالكتخدا هنا ما سمي بعدئذ واليوم بالمختار) .

(٥) يعطى ناحية الخالص خمسين حارسا لخيلى سعادة الوالى لحراستها ليلا ونهارا فى المرعى حتى تعود الى بفداد ، ولا يطلب أكثر من هذا العدد ، على أن يكون خمسة من هؤلاء الحراس فى خدمة الضابط ، والباقيون وهم خمسة وأربعون يسلمون أمير الآخور (أمير الاصطبل) .

(١) من المعلوم أن فداننا الحالى هو عشرون « دونما » جديدا ، ومساحة الدونم الفان وخمس مئة متر مربع كما هو معلوم أيضا . وكان تفويض الأرضين بالطابو فى عهد مدحت باشا الذى ولى العراق فى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) بالدونم (وهو الذى سمي بعدئذ بالدونم العتيق ، ومساحته ألف وست مئة ذراع مربع ، وهى تساوى ٩١٨ مترا مربعا كما فى نظام الطابو) أو بالفدان ، وفدان ذلك العهد مئتا دونم من الدونمات العتيقة (راجع بشأن هذا الفدان العدد ١٢٣ من (جريدة الزوراء) للحكومة المؤرخ فى ٨ ذى الحجة ١٢٨٧ هـ ، و ١٦ شباط ١٢٨٦ رومية) (٢٨ شباط ١٨٧٠ م) ، هذا مع الاعتراف بأنى أجهل مساحة ذلك الفدان الذى ذكره أمر الوالى والذى أظن أن مساحته هى ما يمكن للفلاح أن يزرعه من الأرض كما هو جار على السنة الزراع فى بعض المناطق .

(٢) نقد من فضة كان ضربه فى بفداد ، ولى كلام عليه فى مجلة غرفة تجارة بفداد (٤ « ١٩٤١ » ، ٢٩٥) نقلا عن رحلة تيفنو Thevenot الذى كان فى بفداد سنة ١٦٦٤م (١٠٧٥ هـ) ، وقد قال : ان ثقله Dragme (درهم) . وكان يقال لهذا النقد « شامى » كما فى تيفنو (وراجع مقالى فى هذه المجلة (١٩٥٠) « ٢٧٧ ») .

(٣) وفى زماننا العثمانى كانت تطلق كلمة سوريجى على ساعى البريد الذى كان ينقل على الخيل والبغال ، وهكذا نجد معنى الكلمة هذا فى معجم شمس الدين سامى المار ذكره نفسه فى معجمه الثانى التركى الفرنسى بعد أن حرره مهران وطبعه .

- (٦) يؤخذ لتموين المرعى ستون بطلان (منا) من السمن للآغا أمير الآخور ،
وثلاثون بطلانا للضايط • يؤخذ السمن عينا ولا تؤخذ نقود عوضا عنه •
- (٧) يؤخذ لتموين المرعى عشرون خروفا للآغا أمير الآخور ، ومثلها عشرون خروفا
للضايط ، على أن يكون ثمن الخروف أربعة بغداديات لا أكثر من هذا •
- (٨) يؤخذ لتموين المرعى خمس عشرة وزنة من الثمن لأمير الآخور ، وللضايط
مثلها خمس عشرة وزنة لا أكثر من هذا حبة ، ولا تؤخذ نقود عوضا عن ذلك •
- (٩) يؤخذ لتموين المرعى ثلاثون وزنة دقيقا لأمير الآخور ، وللضايط كذلك ثلاثون
وزنة ، وذلك عينا ، ولا يؤخذ بدل عن ذلك ولو درهما واحدا •
- (١٠) يؤخذ لمطابخ الوزراء العظام (يريد الولاة) فى كل شهر مئة دجاجة^(١)
(ما أغرب هذه الضريبة !) لا دجاجة أكثر (أجل ، لا دجاجة أكثر !) ، ولا تؤخذ
نقود باسم خدمة^(٢) ، ولا يؤخذ دجاج من قرى الأوقاف •
- (١١) يؤخذ لخليل والى الولاية مئة ألف برمة (ربطة ؟ من أى شئ ؟) لا واحدة
أكثر ، ولا يؤخذ عن ذلك عوض •
- (١٢) يؤخذ للضايط من كتحدا القرية الصغيرة خمسة غروش^(٣) ، ومن كتحدا
القرية الكبيرة عشرة غروش ، ذلك قيمة « خلعة » أى (هدية) ولا يؤخذ أكثر من
هذا •
- (١٣) يؤخذ من هذه الناحية لخليل والى فى كل سنة تبين حمل خمسين سفينة
لا أكثر ، وتؤخذ خدمة على كل سفينة ستة بغداديات ، ولا يؤخذ دقيق ولا تبين من قرى
الأوقاف (قال سابقا : « يؤخذ دقيق » ، والآن يقول : « لا يؤخذ » ، فيبين لى أن المنع
عن أخذ الدقيق الوارد هنا هو المنع عن أخذه من قرى الأوقاف) •

(١) فى نسخة كتاب للوالى تاريخه فى ١٨ جمادى الأولى ١١٠٤ هـ (كانون الثانى
١٦٩٣م) : يأمر مستندا الى خط للسلطان بالفاء طائفة من الرسوم ، من ذلك تكليف الفصيل
والتبين والدجاج •

(٢) كلمة عاشت زمنا طويلا بمعناها المصطلح عليه أو بما يقرب منه ، ذلك أبى واقف
على أن مأمور المال وأمثاله فى لواء المنتفق فى عهدنا العثمانى اذا أوفدوا ضبطية (كالشرطى
اليوم) أو كاتباً لتحصيل مال من مكلف من العشائر ، كان هذا الجابى يفرض لنفسه
ربية باسم خدمة تكون له على كل ليرة (عثمانية ذهباً) ، فيخضع المكلف للأمر مضطراً •

(٣) كان ذلك الفرش كبير الحجم والقيمة وهو غير الفرش الذى هو جزء من مئة
جزء من الليرة العثمانية التى بدأ بضرها السلطان عبدالمجيد •

- (١٤) يؤخذ عينا لمطبخ سمادة الوالى من قرية « يكيجه » (تلفظ ينيجه) سبع وزنات من الحصرم ، ومن قرية « دوخلة » ثلاث وزنات ونصف وزنة ، ومثلها ثلاث وزنات ونصف من قرية « قزانية » ، ولا يؤخذ شيء من النقد على ذلك باسم خدمة .
- (١٥) اذا كان ساكنا فى قرى الناحية المذكورة من هو من رعايا « احشامات »^(١) وقره أول^(٢) ، « قره أولوس »^(٣) ، وكان هؤلاء الرعايا « رنجبر » (الرنجبر هو الذى يشتغل بأجرة يومية وأعماله شاقة . قاموس شمس الدين سامى . أما المتعارف عندنا فهو من كان فقير الحال معاشه ضيق) يؤخذ فضلا عما هو مكلف به الزراع ما يقع من التكاليف العرفية^(٤) على كل رجل ، ويعطى عشر ذلك لرعايا القرية امدادا لهم .
- (١٦) اذا سكن رعايا القرى المار ذكرها غيرها من القرى بصورة متفرقة ، فحسنا يفعل الضابط فى اعادتهم الى أماكنهم ، وان طمع الضابط وأخذ منهم نقودا فله نصفها ،

(١) جاء فى كلشن خلفا (ص ١٠٤) فى أخبار سنة ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨م) قتل بنى لام لاغا الاحشامات ، فأرسلت قوة للانتقام منهم .

(٢) ذكر تاريخ الغيائى « قراول » (كذا وليس قره قول ولا قره غول) وهم فرسان كما يفهم مما هناك ، كما أنه ذكر قراول الجفتاي وذكر « قراولية » السلطان ، ذلك كله فى أخبار سنة ٨٣٦ هـ (١٤٣٢/٣٣م) ، وذكر قراول فى أخبار سنة ٨٧٠ . ويظهر من كلام الكتاب أنهم كانوا صنفا من الجنود . وهذا التاريخ المسمى بالغيائى هو تأليف عبدالله بن فتح الله الملقب بالغيث البغدادي ، وكان مؤلفه لا يزال حيا فى العقد الأول من القرن العاشر للهجرة . ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة قديمة أهداها الآباء الكرمليون الى خزانة كتب دار الآثار القديمة .

(٣) وجدت فى جريدة الزوراء للحكومة العثمانية فى عددها ١٠٠٨ المؤرخ فى ٢٣ ربيع الآخر ١٢٩٩ الموافق ٢ مارت ١٢٩٨ (١٤ آذار ١٢٨٢) تبرع فرقة « قره أولوس » بتسعة عشر مجيديا اعانة لشراء بقال للحكومة ، وقد بان لى مما هناك أن قره أولوس عشيرة تسكن قضاء مندلى ، فسألت رجلا أعده ثقة من أهل هذه الحاضرة ، فقال : « قره أولوس » عشيرة تسكن الآن اراضى واقعة فى هذا القضاء على طريق من يريد خانقين ، وهى تتكلم التركية ، ونفوسها تقدر بنحو ألفى نسمة . ومعنى أولوس الكلمة التركية القوم أو الأمة أو كبير العشيرة كما فى قاموس شمس الدين سامى التركى أما معناها فى معجمه التركى الفرنسى فانه العشيرة الكبيرة ، ومعنى « قره » هنا هو الأسود والظلام . وفى كلشن خلفا (ظهر ص ٥١ فى أخبار النصف الأول من القرن التاسع للهجرة) أن قره يوسف الشهير بـ « قره قيونلى » كان من « أولوس » . ومن الصحف التركية فى زماننا هذا صحيفة اسمها « أولوس » أى الأمة ، الشعب .

(٤) ذكرها اتنااريخ العثمانى لأحمد راسم (المجلد ٣ المطبوع فى استانبول ١٣٢٩ هـ ١٣٢٧ مالية = ١٩١١م ص ١١٥٤ فائدة ٢٣٠) وقد أبان اسماء هذه التكاليف البالغة ٩٧ . وراجع « جريده عدلية » (٧ ١٣٣٣ مالية ١٩١٧م ٦٧٦) تجد فيها أسماء تكاليف لم تذكر فى أحمد راسم ، منها « رسم عروسانه » . ويظهر من هذه الاسماء أن بعضها كان يطرح دائما ، وبعضها عند الحاجة .

والنصف الآخر يعطى امدادا لرعايا القرية .

(١٧) يبقى ضابط الناحية عنده عشرة رجال ، فضلا عن الشحاني (يراد بالشحاني هنا حراس الحاصلات الزراعية كما هو مصطلح عليه اليوم عندنا ، وهذا المعنى هو غير معناها المعروف فى العصر العباسى) الذين يعينهم للقرى ، وحينما يتجول الضابط فى القرى يكون معه عشرة رجال ، وعليه ألا يبقى فى القرية (الكبيرة) أكثر من خمسة أيام . أما فى القرى الصغيرة فيبقى يوما واحدا ، وعليه ألا يضايق الرعايا بنزوله فى قريتهم ومعه أكثر من عشرة رجال ، ولا يكلفهم غير المأكل والعليق .

(١٨) على ضابط الناحية أن ينه الكتخداوات أن يزرعوا أرضهم كالسنين السابقة ، فإن زرعوها كان حسنا ، وإن زرع الملاك (أرضه) فليس لأحد من الرعايا وغيرهم أن يمنعه ، وتحسب أفدنته ، ويؤخذ منه فضلا عن الجبلى ما يقع على كل فدان (من المال) ، وتمد الرعايا بعشر ذلك ، وإن أعطى الملاك البذر يكون (الحاصل) مناصفة وليس على الملاك أن يعطى شيئا ، وإن زرع الضابط رجلا « برانيا » (يريد به غير الرعايا وغير الملاك) تحسب التكاليف ، وعليه أن يعطى فضلا عن الجبلى الخمس امدادا للرعايا .

(١٩) ليس لأحد أن يمنع الضابط من تضمين ورق الكرم ، إلا أن القطف اذا كان يضر بالغيب فى القرى التى ثمره فيؤخذ منها مقطوعا مئة غرش ، ونيس للضابط بعد هذا أن يرغم الفقراء على دفع شئ باسم هذه « المكلفة » .

يعقوب سر كيس

بلاد العرب

من جغرافية سترابون

(حوالى ٦٦ ق. م - حوالى ٢٤ ب. م)

١ - بتدى - بلاد العرب من ناحية بلاد « بابل » بمدينة « مايسينى » (Maecene)^(١).
وفى مقدمة هذه الكورة ، تقع صحراء العرب من ناحية ، ومن الناحية الأخرى البطائح
المقابلة لأرض الكلدانيين^(٢) ، وهى التى يحدثها فيضان الفرات ، وفى الجهة الأخرى
بحر فارس . وجو هذا الاقليم كثير الغيوم ، وويل : فأمطاره أحيانا غزيرة ، وحرارته
صاهرة . الا أن محصولاته جيدة ، والكرمة فيه تنمى فى البطائح ، فانهم يضعون تربة
بقدر ما تحتاج اليه الكرمة فى اطار من القصب ، وتجرفه المياه أحيانا ، فيرجعونها الى مكانه
بعيدان طويلة .

٢ - وأعود الى ما يقوله (اراتستيس) فى « بلاد العرب » . فهو يتحدث عن
الجزء الصحراوى فى الشمال ، الواقع بين « بلاد العرب السعيدة » (Arabia Felix)
و « سورية الخالية » (Coele Syria) واليهودية ، حتى تجويف « خليج العرب » .
فمن « هروبوليس » (Heroopolis) الواقعة فى تجويف خليج العرب هذا ، وهو
من ناحية نهر النيل ، الى « بابل » ، فى نحو بطراء النبط ، ٥٦٠٠ ستاديونات . والكورة
بأجمعها تقع فى جهة الانقلاب الصيفى (أى شرقا وغربا) ، وتمتد خلال أرض القبائل
العربية المجاورة لها ، وهى قبائل النبط ، والخالولطين والاعغريين . وفوق هؤلاء
الاقوام تقع بلاد العرب السعيدة ، وهى تمتد ١٢ر٠٠٠ ستاديون نحو البحر الاطلى
جنوبا^(٣) .

ويرى - بعد السوريين واليهود - أن أول الاقوام التى تسكن هذه البلاد قوم
زراع . ويلي أرضهم صقع صحراوى قاحل ، وفيه قليل من النخيل والعوسج^(٤)

(١) لعلها « المسيب » الواقعة على مسافة قليلة شمال « بابل » . (غوسيلين Gosselin).

(٢) كان هؤلاء يسكنون على صف الفرات من هناك حتى ساحل « خليج العجم » .

(٣) لترون يقترح أن تستبدل بالبحر الاريتري أى الحبشى

Mimosa Nilotica (٤)

والطراف • ويحصل الناس فيها على الماء بحفر الآبار كما فى « غدروسيا » ، ويدعون (السكونيين العرب) (Arabian Scenitae)، وهم يربون الجمال • والأجزاء التى فى أقصى الجنوب ، ازاء بلاد الحبشة ، تسقيها أمطار الصيف ، وتزرع مرتين فى السنة كما فى أرض الهند • ويستهلك مياه أنهارها سقيها السهول وانصبابها فى البحيرات • وخصب البلاد عامة حسن جدا ، ومن محصولاتها المتعددة العسل ، وهو كثير فيها جدا • وفيها أسراب كثيرة من الحيوانات : البغال (والحميز ؟) والخنازير ، ولكن ليس فيها خيل^(١) ، وتوجد فيها الطيور من كل نوع سوى الاوز والفصيلة الدجاجية •

والطرف الاقصى من الاقليم المذكور تقطنه أربع أمم من أكثف الأمم عددا ، وهم : (المينيون) (Minaei) فى الجزء المقابل للبحر الأحمر ، وأكبر مدنها « قرنه » (Carna) أو « قرنانه »^(٢) (Carnana) • ويليهم (السبثيون) ، وأكبر مدنها « مارب »^(٣) (Mariaba) • والأمة الثالثة (القنبايون) (Cattabancis)^(٤) ، ويمتدون فى سكانهم حتى المضيق والمر الذى هو عبر الخليج العربى ، وعاصمتهم الملكية تدعى « تمه » (Tamna) • و(الحضارمة) (Chatramotites) أقصى هذه الأمم شرقا ، ومدنتهم « سبته » (Sabata)^(٥) •

٣ - كل هذه المدن يحكم فيها ملك واحد • وهى مدن زاهرة ، تزيناها القصور والهيكل الجميلة • ويوتهم تشبه البيوت المصرية من حيث خشبها التى يشد بعضها ببعض • والبلدان الأربعة معا تكون مساحة من الأرض أكبر من دلتا مصر^(٦) •

وعندهم لا يخلف الابن أباء على العرش ، وانما يخلف الملك أول ابن يولد للنبلاء بعد أن يرقى الملك العرش • وحين يتسلم أحدهم مقاليد الحكم ، تسجل أسماء الحوامل من زوجات النبلاء ، ويعين رقباء مهمتهم هى أن يعرفوا أيتهن ولدت ابنا قبل غيرها • والعادة هى أن يتبنى الملك ذلك الوليد ويربيه تربية الأمراء ليكون وارث العرش فى المستقبل •

(١) هذا يدعو الى الدهش !

(٢) « قرن المنازل » •

(٣) كانت العاصمة على التحقيق تدعى سبأ ، والمنطقة التى تقع فيها الآن تدعى

سبابة •

(٤) اليمانون •

(٥) « شبوة » (Sabotha) •

(٦) كانت سبعة أضعاف مساحة الدلتا •

٤ - وتنتج بلاد « قبانة » اللبان ، وحضرموت المر . وهذه المواد العطرية من أسباب التبادل التجارى . ويصل التجار من « أيلة »^(١) (Aelana) الى معين « ميناء » فى سبعين يوما . و « أيلة » « عيلانا » مدينة تقع على التجويف الآخر من الخليج العربى المسمى بأرض الايلانيين « العيلانيين » ، ازاء « غزة » ، كما ذكرنا آنفا . و (الجرحانيون) (Gerrhaei) يصلون الى « حضرموت » فى أربعين يوما .

والخليج العربى الممتد على طول بلاد العرب ، اذا قسناه من تجويف « الخليج العيلانى » ، فهو بحسب ما يقول (الاسكندر) و (أناكسيكراتس) ٥٠٠٠ رملًا ستاديون طولًا . ولكن هذا الحساب أكثر مما ينبغى . فالصقع الموازى لـ « طرغلوديتيكا » (Troglodytica) - وهى على يمين الذين يبحرون من « هروبوليس »^(٢) الى « بطليماس » (Ptolemais) - حتى البلاد التى تؤخذ اليها الفيلة ، يمتد تسعة آلاف ستاديون نحو الجنوب ، ويميل قليلا نحو الشرق . ومن هناك حتى المضيق نحو من ٤٥٠٠ ستاديون ، فى وجهة الى الشرق فى الأكثر . والمضيق قرب الحبشة ناشئ عن رأس من الأرض نائى يدعى « ديريه » (Deire)^(٣) ، وفيه بلدة صغيرة بهذا الاسم . وسكان هذا البلد هم « أكلة السمك » (اكيوفاغى Ichthyophagi) . ويقال : ان هناك عمودا اقامه سيوسطريس المصرى ، نقشت عليه بالأحرف الهروغليفية قصة عبور خليج العرب . فيظهر أنه فتح « الحبشة » و « طرغلوديتيكا »^(٤) أولا ، ثم عبر البحر الى « بلاد العرب » . وبعد ذلك اجتاح « آسية » جمعا . ولذلك نجد سدودا كثيرة تسمى بسدود سيوسطريس ، وهياكل مبنية لتعظيم آلهة مصرية .

ومضيق « ديريه » يقل عرضه حتى يبلغ ستين ستاديون - وهو لا يدعى مضيقا ؛ لأن السفن توغل قليلا فتجد ممرا عرضه نحو من مئتين ستاديون بين القارتين^(٥) . غير

(١) أيلة (Ailah)، أو العقبة .

(٢) السويس . ما تزال الخرائب ظاهرة فى أبو كيشيد .

(٣) أو « الرقبة » ، سميت كذلك لموقعها على رأس برى بهذا الاسم ، وهى بلدة على

الساحل الافريقى لمضيق باب المندب .

(٤) وتمتد على الساحل الغربى من خليج العرب .

(٥) تساوى مسافة الستين ستاديونا المسافة التى بين الرأس الشرقى لباب المندب وجزيرة محون ، ومسافة المئتين ستاديون تساوى المسافة بين هذه الجزيرة والساحل الافريقى . وفى ضمن المسافة الثانية تقع الجزائر الست التى تكلم عليها سترابو .

أن فيه ست جزائر متجاورة ليس بينها إلا ممرات للسفن ضيقة جدا ؛ لأنها تملأ الشقة بين القارتين • ومن خلال هذه الممرات يمر بالسلع من القارة الى الأخرى على المعابر • وهذه الممرات هي التي تدعى « المضائق » • وإذا تجاوزنا هذه الجزائر نجد أن الملاحة تكون في الخليجان الصغيرة على طول بلاد المر ، في نحو جنوبي وشرقي حتى تبلغ بلاد القرقة (أى الدارصيني) ، وطول هذه المسافة خمسة آلاف ستاديون^(١) • ويقال : لم يتخط انسان حدود هذا الاقليم حتى اليوم • وليست مدن الساحل كثيرة ، غير أنها على كثرة في الداخل ومأهولة كذلك • هذا ما يقوله (اراتستيس) في « بلاد العرب » • وعلينا الآن أن نضيف ما يقوله الكتاب الآخرون •

٥ - يقول (آرتيميدورس)^(٢) • ان الرأس الثاني من « بلاد العرب » ازا ، ديرة ، تدعى « عقيل » (Acila)^(٣) ، وان الناس الذين يسكنون قرب « ديرة » يختنون أنفسهم •

وإذا أبحر المرء من « هروبوليس » وساحل « طرغلوديتيكا » ، يلتقى مدينة تدعى « فيلوطيرا »^(٤) (Phelotera) ، وقد سميت كذلك باسم أخت « بطليموس الثاني » • وقد أسسها (ساتيروس) (Satyrus) الذي كان قد أرسل لارتياذ أماكن يصاد فيها الفيل ، والاستكشاف عن « طرغلوديتيكا » نفسها • وتلى هذه مدينة أخرى تدعى « أرسينووى » (Arsinoé) ؟ وتليها ينابيع حارة مياهها ملحة مرة ، تسدفق من فوق صخرة منيفة وتصب في البحر • وفي سهل قريب من هذه الينابيع جبل أحمر اللون كالزنجفر^(٥) • ويلى ذلك « ميناء الفار » ، ويدعى أيضا « ميناء افروديتى » (Aphrodites) (Hormus) ، وهو ميناء واسع ، المدخل اليه منحرف ، وأمامه ثلاث جزائر ، اثنتان

(١) لا يعنى المؤلف ببلاد المر والقرقة ساحل جزيرة العرب الجنوبي • بل الساحل الافريقى الممتد من باب المندب الى غواردافوى (غوسلين) •

(٢) العبارة الطويلة المتعة من الفقرة الـ ٥ حتى نهاية الفقرة الـ ٢٠ ، مأخوذة عن آرتيميدورس ، ما عدا بضع حقائق استقاها المؤلف من مراجع أخرى وألحق بها ملاحظاته • وأما آرتيميدورس فقد نقل ما قاله عن أغاثرخيدس والارجح أن هذا عاش نى أثناء القرن الثانى ق • م • ، وكتب فى موضوع أسية كتابا فى عشرة أجزاء وآخر فى أوربة فى ٤٩ جزءا ، وكتبأ أخرى •

(٣) غيله •

(٤) قصير •

(٥) أكسيد الرصاص (المترحم)

منهما مكسوتان بشجر الزيتون ، فاما الثالثة فأقل شجرا ، ويكثر فيها الدجاج الحبشى ^(١) . وبعد ذلك نجىء الى « اكثارتس » (Acathartus) أو (الخليج الردى -) ، وهى ، كـ « ميناء الفار » ، على خط العرض الذى تقع عليه « طيبايس » نفسه . وهذا الخليج ردى- حقا ، وخطر جدا ؛ لكثرة ما فيه من صخور (بعضها يغطيها البحر ، وبعضها ظاهر) ، ولشدة رياحه العنيفة التى لا تكاد تنقطع . وفى آخر الخليج تقع مدينة « برينيكى » ^(٢) (Berenice)

٦ - ووراء هذا الخليج تقوم جزيرة « أوفوديس » ^(٣) (Ophiodes) ، المفعاة ، وقد سميت كذلك لأنها كانت فى زمن ما تعيث فيها الأفاعى . وقد أباد الملك ^(٤) تلك الأفاعى بسبب ما كانت تلحقه من أذى بالناس الذين يختلفون الى الجزيرة ، وبسبب ما فيها من الياقوت الأصفر (الطوباز) . وهو حجر شفاف ، يتألق تألقا ذهبيا ، غير أنه من العسير أن يميز فى وضوح النهار لشدة الضوء المحيط به ، ولكن الذين يجمعونه يروونه بالليل فيضمون اناء حيثما يرونه علامة عليه ، وفى النهار يستخرجونه من الأرض . وقد كان ملوك مصر يعينون جماعات من الرجال يصرفون لهم الرواتب ، ليحرسوا الأماكن التى يوجد فيها هذا الياقوت ، ويشرفوا على جمعه .

٧ - ووراء هذه الجزيرة أقوام كثيرة من أكلة السمك والبدو الرحل ، ويلى أرضهم « ميناء الالهة سوطيرة » (Soteira) (الحافظة) الذى سمي بهذا الاسم حينما لجأ ليه جماعة من ربابة السفن وتخلصوا من أهوال البحر ، فنجوا من الموت . وفيما يلى ذلك يتغير الخليج والساحل تغيرا كبيرا ، لأن الابحار بسحاذاة الساحل لا يكون حينئذ من بين الصخور ، كما أنه يقترب كثيرا من بلاد العرب . والبحر هناك ضحل جدا لا يكاد يزيد عمقه على اثنتى عشرة قدما ، ويبدو كأنه مرج أخضر لكثرة ما فى سبله من عشب البحر الذى تشف عنه المياه ، حتى ان الأشجار تنمو هنا فى الماء ، وتكثر فى البحر كلاب البحر .

ويلى ذلك جبلان ^(٥) هما : « جبل ثورى » (Tauri) (الثور) ^(٦) ، وهو اذا

Meleagrides (١)

(٢) بندر الكبير . (٣) زمرغات .

(٤) بطليموس فيلادلفس .

(٥) كل هذا الوصف شديد الإبهام ، ومن الصعب تبين الأماكن التى يذكرها (سترابون) دون مراجعة كتب أخرى (غوسلين) .

(٦) يذكر (سترابون) الاسم بالجمع : « طورى » أى الثيران . (المترجم) .

رثى عن بعد يشبه الثيران ، ووراء جبل عليه هيكل لـ « ايزيس » بناء (سيوسطريس) .
وهناك جزيرة مفروس فيها الزيتون ، وتغمرها المياه الفائضة أحيانا . وهذه تليها « مدينة
بطليماس » ، قرب الأماكن التي تصاد فيها الفيلة ، وقد أسسها (أويميديس) الذي أرسله
(فيلادلفس) الى أماكن الصيد هناك . وقد جعل (أويميديس) من المكان شبه جزيرة
وذلك من دون أن يعلم أهله بأن حفر حولها خندقا ، وبني سورا ، ثم اكتسب بلطفه
ودمائه خطابه ود الذين أرادوا أن يمنوه عن عمله ، وبذلك جعل منهم أصدقاء له ، بدلا
من أن يكونوا أعداءه .

٨ - وفي السهل الذي يلي ذلك يصب أحد روافد «نهر أستابوراس» (Astaboras) (١)
وهو ينبع من بحيرة ، ويفرغ بعض مياهه في الخليج ، غير أن القسم الأكبر منها ينصب في
« النيل » . وتلي ذلك ست جزائر تدعى « اللاتوميات » (Latomiae) وبعدها المصب
السبئي (٢) ، كما يسمونه ، وفي الأرض الداخلية قلعة بناها (سوخس) . ثم بحيرة
تدعى « العياء » (Elaea) ، و « جزيرة ستراتو » (٣) (Strato) . ثم « ميناء سبأ » (٤) .
وأماكن لصيد الفيلة يطلق عليها الاسم نفسه . وفي أقصى الأضلاع الداخلية تسمى
البلاد تنيسس (Tenessis)، ويقطنها المصريون الذين فروا خوفا من (حكومة
ساميتيكس) (٥) . وقد لقبوا بكلمة (سمبريتاي) (٦) (Sembritae) لكونهم غرباء .
وتحكم فيهم ملكة تخضع لها أيضا « جزيرة ميروى » المجاورة وهى فى النيل . وعلى
مسافة قليلة جزيرة أخرى فى النهر ، أهلة بهؤلاء اللاجئين . والمسافة بين « ميروى »
والبحر مسيرة خمسة عشر يوما لرجل نشيط . وعلى مقربة من « ميروى » تجتمع
مصبات « استرابوراس » و « استابس » (٧) ، « وأستاسباس » فى « نهر النيل » .
٩ - وعلى ضفاف هذه الأنهر يعيش « أكلة الجذور » (ريزوفاغى) ، و « أهل

(١) طقز Tacazze ، ولكن هذا النهر ليس له فرع كهذا .

(٢) خليج متزوعه

(٣) من الصعب التوثق من معرفة مكان هذه الجزيرة .

(٤) يقول (غوسيلن) : « لا أعرف هذا المكان . فالقدماء يذكرون مدينة واحدة
فقط باسم « سبأ » . فهل كانت هناك سبأ أخرى دعى باسمها الخليج السبئي ؟ غير
أن « سبأ » المذكورة ، على ما يظهر لى ، لم يكن موقعها هناك » .

(٥) ٦٥٨ ق م .

(٦) يصح هذا الوصف على البلد المدعو اليوم « سنعار » .

(٧) النيل الأزرق .

البطائح » . وقد سموا كذلك لانهم يجثثون الجذور من البطائح المجاورة لهم ، ويدقونها بالحجارة فيجعلونها أقراصا ، ويجففونها في الشمس فتكون لهم طعاما . وهذه الاقاليم مآسد ، ولكن حين تطلع الشعري يهاجم البرغش هذه الوحوش فتهرب من ذلك المكان . وقرب هؤلاء القوم يعيش « أكلة البذور » (سبرموفاغى) ، فاذا لم يجدوا بذور النباتات ، اقتاتوا بذور الشجر^(١) ، وهم يهثونها طعاما كما يفعل أكلة الجذور .

وبعد (Elaea) (العياء) نجد « مراصد ديمتريوس » ، و « هياكل كونون » (Conon) . وفي الداخل ، حيث تسمى البلاد « كوراسيوس »^(٢) (Coracius) ينمو القصب الهندى بكثرة .

واذا توغلنا في الداخل وجدنا مكانا يدعى « أندرا » (Endera) ، يسكنه قوم عراة ، يستعملون القسي والسهام القصب ، وهم يصلبون أطرافها بالنار . وهم في العادة يرمون الحيوانات بالسهم ، وهم على الشجر ، وأحيانا في الأرض . ولديهم قطعان كثيرة من المواشى البرية يقتاتون لحما ولحم حيوانات برية أخرى . وحين يعودون من الصيد خائبين يشوون جلودا مجففة على الجمر ، ويكتفون بمثل ذلك الطعام . ومن عاداتهم أن يتجاوز الفتي في الرماية قبل أن يبلغوا سن الرجولة .

ويلى « هياكل كونون » « مرفا ملينوس » (Melinus) ، وفوقه قلعة تدعى « قلعة كوراس » (Coraus) وأراضى صيده ، وهناك قلعة أخرى وأماكن أخرى للصيد . وفيما يلى ذلك نجد « ميناء أنتيفيلوس » (Antiphilus) ، وفوقه قبيلة أكلة اللحم (كريوفاغى) ، وهم يختنون ، ويخفضون نساءهم جريا على العادة اليهودية .

١٠ - وفيما وراء ذلك جنوبا يعيش « حلبة الكلاب » (كينا مولفى) ، ويدعوهم السكان المحليون بـ « أغريي »^(٣) (Agrii) ، لهم شعر مرسل ولحي طويلة ، ويربون ضربا من الكلاب الضخمة لصيد المواشى الهندية التى تأنى الى بلادهم اما هربا من الحيوانات المفترسة ، واما لقلعة المرعى . ويكون أول مجيئها من الانقلاب الصيفى حتى منتصف الشتاء .

ونجد بعد « ميناء انتيفيلوس » مرفا يدعى « أجمة المشوهين » ، و « مدينة

(١) والأصح « الفواكه الساقطة عن الشجر » .

(٢) أى أرض الغراب (المترجم) .

(٣) الحقلين ؟ (المترجم)

برينكى،^(١) (Berenice) السبوية ، و « سبى »^(٢) (Sabae) وهى مدينة كبيرة .
وتليها « أجمة يومينيس » (Eumenes)، ووراءها « مدينة درده » (Darda) ، ومكان
لصيد الفيلة يدعى « قرب البر » . ويسكن هذا الاقليم « آكلة الفيلة » ، ويقضون جل
وقتهم فى مطاردتها . فاذا وقعت أعينهم ، وهم على الشجر ، على سرب من الفيلة سائر نحو
الغابة ، فانهم لا يهاجمونها بل يقتربون منها خلسة ، ويقرون منها ما تباطأ فى مؤخرة
السرب . ولكن جماعة منهم يقتلون بها بالسهم بعد أن يغمسوها فى مرارة الافاعى .
أما رميها عن القوس فيقوم به ثلاثة رجال ، يتقدم اثنان منهم فيمسكان بالقوس ويشد
الثالث وترها . ومنهم من يلاحظون الأشجار التى يتكى عليها الفيل فى العادة ليستريح ،
فيأتون من خلفه ، وينشرون جذع الشجرة من أسفل . وحين يتكى الفيل عليها ، يقع
هو والشجرة معا ، ولا يستطيع الفيل النهوض ؛ لأن كلا من قوائمه قوامها عظم واحد
لا ينثنى ، وحينئذ يقفز الصيادون من الشجر وينحرونه ويقطعونه . والبدو يدعور
الصيادين نجسين (أكاثارتى) (Acatharti)

١١ - وفيما وراء هذه الامة تقيم جماعة صغيرة تدعى « آكلة الطيور »^(٣)
(ستروتوفاغى) ، وفى بلادهم طيور بحجم الغزلان لا تستطيع الطيران ، ولكنها سريعة
الركض كالنعام . ومنهم من يقتنصها بالسهم ، ومنهم من يتكرونها فى جلود الطيور :
يخفى الواحد منهم يمينه فى رقة الجلد ، ويحركها كما يحرك الطير عنقه . وبالسرى
يرش جوبا من كيس معلق على جانبه . وهكذا يغرون الطيور بالاقتراب ، فيقتادونها
الى حفر تسقط فيها ، وبعد ذلك يأتون عليها بالعصى . وتستعمل الجلود ملابس وغطاء
للفراش . والاحباش المدعوون (سىمى) (Simi) فى حرب مع هؤلاء الناس ،
ويستعملون قرون الوعل سلاحا .

١٢ - ويجاور هؤلاء قوم أشد من غيرهم سوادا ، وأقصر قامة ، ولا يعيشون الا
قليل . فهم لا يتخطون سن الأربعين الا فى الدور ؛ لأن الديدان تأكل لحم أجسادهم .
وطعامهم هو من الجراد الذى تحمله الى البلاد بكثرة الرياح الغربية والجنوبية الغربية
حين تشتد فى الهبوب فى الربيع . ويصطاد السكان الجراد بأن يرموا فى الأخاديد مواد
تبعث دخانا كثيفا ، ويشعلونها على مهل ، فحينما يطير الجراد مخترقا الدخان يعمى

(١) لعلها بلدة « بيلول » ، وهى على بعد ١٢ فرسخا شمال غربى « الصعب » .

(٢) الصعب .

(٣) يقول (أغا نارخيدس) : « ان هذه الطيور هى النعام » .

ويتساقط ، ثم يسحقونه مع الملح ويجعلون منه أقراصا يقاتونها .
 وبلى هؤلاء القوم أرض صحراوية فيها مراعى فسيحة . وقد هجرها أهلها لما فيها
 من آلاف العقارب والعناكب السامة المدعوة ذات أربعة الفكوك . وقد امتلأ المكان منها
 فيما مضى امتلاءً فظيماً اضطر الأهلىن بأجمعهم الى الهجرة عنه .
 ١٣ - وبعد « مرفأ يومينيس » (Eumenes)، حتى « دير » (Deire) والمضيق
 المواجه للجزائر الست^(١) ، يعيش أكلة السمك ، وأكلة اللحوم ، والمشوهون ، ويتشرون
 نحو الداخل .

وأمام الساحل كثير من أماكن صيد الفيلة والمدن والجزائر التى لا نعرفها معرفة
 حسنة .

وذوو الأغلبية الساحقة بدو ، والزراعى أقلاء . وفى بعض أقاليم هؤلاء الناس
 ينسب الاصطرك^(٢) (Styra) بكميات وافرة . ويجمع أكلة السمك ، حين ينحسر
 الموج فى الجزر ، السمك ، ويضعونه على الصخور ليحفظ فى الشمس . فإذا ما اشتوى
 السمك جيداً يكومون العظام جانباً ، ويطؤون اللحم بأقدامهم ، ويجعلون منه أقراصا
 توضع فى الشمس ثانية ، فتغدو طعاماً لهم . وفى الأيام الوحيدة ، حين يتعذر الحصول
 على السمك ، يسحقون العظام التى كانوا قد كوموها جانباً ، فيجعلون منها أقراصا يأكلونها ؛
 الا أنهم يمتصون العظام الطازجة . وفريق منهم يقاتون أيضاً المحار بعد أن يسمونه ، وذلك
 بوضعه فى الأحواض والبرك الراكدة على انشاطىء ، ويطعمونه سمكاً صفاراً ، ثم
 يستعملونه غذاء حين تندر أنواع السمك الأخرى . ولهم ضروب مختلفة من الأمكنة
 المخصصة بحفظ السمك واطعامه ليكون لهم زاداً عند الحاجة .

وفى تلك الأرضين جزء من الساحل لا ماء فيه ، فيتوغل جماعة من سكانه الى
 الداخل كل خمسة أيام ، ترافقهم أسرهم ، وهم يفتنون ويمرحون ، الى أن يبلغوا أماكن
 السقاية ، وهناك يرتمون على وجوههم ويشربون كالحوانات حتى تنتفخ معدتهم كالطبول .
 وبعد ذلك يعودون الى الساحل . وهم يقطنون فى الكهوف أو فى حفر يتألف السقف
 فيها من روافد تصنع من عظام الحوت وعموده الفقرى ، وتكسى بأغصان شجرة الزيتون .
 ١٤ - ويسكن « أكلة السلاحف » (كيلونوفاغى) تحت سقوف تصنع من أصداف

(١) راجع فقرة ٤ آنفا .

(٢) ضرب من الشجيرات تفرز صمغاً ثميناً . (المترجم) .

السلاحف ، وهى كبيرة جدا بحيث تستعمل كالقوارب • ويصنع ناس من حشائش البحر التى تقذفها الأمواج بكميات كبيرة أكواما كالللال ، ثم يجوفونها ويسكنون فيها • ويلقون بالموتى فى البحر ، فيحملهم الموج ليكونوا غذاءا للسماك •

وهناك ثلاث جزائر تلى الواحدة الأخرى ، وهى : « جزيرة السلاحف » ، و « جزيرة الفقمات » ، و « جزيرة الصقور » • وعلى طول الساحل بأجمعه أعداد كبيرة من أشجار النخيل والزيتون والغار ، وهى لا تكثر فى المضائق حسب ، بل خارجها أيضا • وهناك جزيرة تسمى بـ « جزيرة فيلب » ، يواجهها فى الداخل أماكن لصيد الفيلة تدعى « مقانص بيتانغيلوس » • وتلى ذلك « ارسينوى » (Arsinoe) ، وهى مدينة لها مرفأ • وبعد ذلك نجد « ديرة » ، وفيما وراء هذه المدن مكان لصيد الفيلة •

وأول الأقاليم بعد « ديرة » إقليم تكثر فيه الأشجار العطرية ، وفى الأخص شجرة المر ، وسكانها آكلة السمك وأكلة اللحوم • ويكون فيها أيضا اللوز المصرى والتين المصرى^(١) • ووراءها « ليحا » (Licha) ، وفيها تصاد الفيلة • وفى أمكنة عدة نجد بركا آسنة لمياه المطر • وحين تجف هذه تحفر فيها الفيلة بخراطينها وأنيابها حفرا وتستخرج منها الماء •

وعلى هذا الساحل بحيرتان كبيرتان تمتدان حتى مرتفع « بينولوس »^(٢) (Pytholaus) ، وماء أحدهما ملح ، وتدعى بحرا ، ومياه الأخرى عذبة ترتفع فيها أفراس البحر (الهيبوتام) والتماسيح • ويسمى البردى على شطآنها • وفى الأمكنة المجاورة تشاهد طيور « أبى قردان » (Ibis) • والأقوام التى تسكن قرب مرتفع « بينولوس » (وبأبداء من هذا المكان) لا يشوه جزءا من أجسامها • وبعد ذلك نجد البلد الذى ينتج اللبان ، وفيه هضبة وهيكلا تحيط به غابة من شجر الحور • وفى الأقسام الداخلية أرض تمتد مع طف النهر تدعى « ايسيس » ، وأخرى تدعى « نيلوس » ، وكلاهما تنتج المر واللبان • وهناك أيضا بركة كبيرة تملؤها المياه المنحدرة من الجبال ؛ ولبها « مخفر الأسد » ، و « ميناء بيتانغيلوس » • والأرض التى تليها تنتج القاسيا الزائفة^(٣) • وعلى ضفاف الأنهار أرضون كثيرة متوالية يزرع فيها اللبان ، وأنهار تمتد الى بلاد القرنة • والنهر المحيط بهذه الأرض ينتج الحلفاء بكثرة عظيمة • وبلى ذلك نهر آخر ، و « ميناء

(١) المجمع : لعله ثمر الجميز ، ومن أنواع التين من حيث شجرته « الحماط » •

(٢) لعله زيلا • هنا يصف (سترابون) ساحل « مملكة عادل »

False Cassia (٣)

دافنوس ، وواد يحمل اسم « أبولو » ينتج مع النبلان المر والقرقة . وهذه الأخيرة توجد بكميات أكبر في الأصقاع انوغلة في الداخل .

وبلى ذلك جبل « اليقاس »^(١) ، وهو جبل طاعن في البحر وحوله حواجز من الصخر . وبليه « ميناء سيفموس » ، وهو مورد للسقاية ، يحمل اسم « ذوى رؤوس الكلاب » (Cynocephali)^(٢) ، ثم آخر رأس على هذا الساحل وهو « القرن الجنوبي » . وبعد الالتفاف حول هذا الرأس جنوبا ، يقول : انه لا تفاصيل أخرى لدينا عن الموانئ والمدن ؛ لا نتالا نعرف شيئا عن ساحل البحر بعد هذه النقطة^(٣) .

١٥ - وعلى الأرض المحاذية للساحل أعمدة وهياكل « ليشولوس » ، و « ليخاس » ، و « بيثانيلوس » ، و « ليون » ، و « كاريمورتس » ، وتقع على الساحل المعروف من « ديرة » حتى « القرن الجنوبي » ، غير أن المسافة لم تقدر بالضبط . وهذا الاقليم ملائ من الفيلة ومن ضرب من الأسود يسمى بالنمل^(٤) ، ولهذه الأسود أعضاء تناسلية معكوسة ، وجلدها ذهبى اللون ، غير أنها أقل شعرا من أسود بلاد العرب .

وفي هذا الاقليم أيضا فهود عظيمة الضراوة والفرس ، وحيوانات الكركدن والكركدن أصغر حجما من الفيل بقليل ؛ لا طولا من الرأس حتى الذنب ، بحسبما يقول (آرتميدورس) — غير أنه يقول : انه رأى كركدنا في الاسكندرية ، (أقل) ارتفاعا بنحو^(٥) على الأقل قياسا على الذى رأيته . وليس لونه بالأصفر الفاقع كلون خشب البقس ، بل هو كلون الفيل . وحجمه كحجم الثور ، وهو قريب جدا في شكله من الخنزير البرى ، ولاسيما جبينه — باستثناء أعلى الرأس ، فان له قرنا واحدا منعقفا أصلب من العظم . ويستعمله سلاحا كما يستعمل الخنزير البرى أنيابه . وله أيضا ثنيان صلبان ، كتلافيف الافاعي ، يحيطان بجسمه من سلسلة الظهر الى البطن ، أحدهما على كاهله ، والآخر على حقويه . وقد استقيت هذا الوصف بالمشاهدة . الا أن (آرتميدورس) يضيف الى ذلك أن في هذا الحيوان ميلا ظاهرا الى مزاحمة

(١) يسمى الآن بـ « جبل الفيل » .

(٢) نوع من القرقة (المترجم) .

(٣) النص هنا مشوه ، ويعتقد أن فيه نقصا يسبب تشويشا في التفاصيل التي

يذكرها (سترابون) عن « جبل اليقاس » و « القرن الجنوبي » .

(٤) لا يعرف بالضبط أى حيوان هذا الذى يصفه المؤلف .

(٥) النص ناقص ، والمعنى فى الجملة السابقة غير مؤكد . وقد اقترح أحدهم تميم

الناقص : « بنحو شبر » .

الفيل فى أماكن الرعى ، فيضرب بجبينه بطن الفيل ويقره ، الا اذا منع خصمه نفسه منه بخرطوميه ونابيه .

١٦ - وفى هذه الاصقاع تعيش فهود الجمال^(١) ، غير أنها ليست كالفهود فى شئ ؛ لأن جلدها الملون أشبه بجلد الأيل (Fallon deer) المخطط والمرقط . ومؤخرة هذا الحيوان أشد انخفاضاً من مقدمته بكثير ، حتى يبدو كأنه مقع على قفاته ، وهى فى علو الجاموس . والقائمان الأماميان طويلتان بقدر ساقى الجمل ، وترتفع العنق الى أعلى ارتفاعاً عمودياً ، غير أن رأسه أعلى بكثير من رأس الجمل . وبسبب عدم التناسب فى تكوين هذا الحيوان لم تكن سرعته عظيمة ، على ما أظن ، بحسبما يصفه (آرثيدورس) . بيد أنه ليس حيواناً برياً ، بل انه أقرب الى الحيوان الأليف ؛ لأنه لا يظهر علائمه ميل وحشى .

ويستمر (آرثيدورس) فيقول : ان هذا البلد ينتج أيضاً أبا الهول^(٢) (Sphinx) وذا رأس الكلب^(٣) ، والكيوس (Cebus)^(٤) ، وهذا الأخير له وجه كوجه الأسد ، وبقيّة جسمه كالشهد ، وهو فى حجم الغزال . وهناك أيضاً ثيران برية تأكل اللحوم ، تفوق كثيراً ثيراننا فى الحجم والسرعة ، ولونها أحمر . والضعب الرقطاء على حسب قول هذا المؤلف ، هى بنت الذئب والكلب . أما يرويه (مترودورس السبكسى) فى كتابه (فى العادات) فمن قبيل الخرافات ، ويجب أن نهمله .

ويذكر (آرثيدورس) أيضاً أفاعى ، طول الواحدة منها ثلاثون ذراعاً ، وبوسمها أن تغلب على الأفيال والثيران ، ولم يكن مغالياً فى ذلك . غير أن الأفاعى الهندية والأفريقية أشد هولاً من حيث حجمها ، ويقال : ان الحشيش ينمى على ظهورها .
١٧ - وسكان « طرغلوديتكا » بدو فى نمط معيشتهم . وكل قبيلة يحكمها طغاة منها . ونساؤهم وأولادهم مشاعة بينهم باستثناء نساء الطغاة وأولادهم . ويعاقب كل من يفسد زوجة طاغ من الطغاة بغرامة خروف .

وتتكحل النساء بلباقة ، ويلقن أصدافاً حول أعناقهن دفعا للسحر عن أنفسهن .

(١) المجمع : يعنى الزرافات .

(٢) كان من عادة الكتاب الأقدمين أن يطلقوا هذا الاسم على نوع من أنواع القرود :

Simia troglodyte

(٣) قرد : Simia innuus

(٤) قرد : Simia Cepus

وإذا تشاجر القوم على المراعى ، يتدافعون أولا بالأيدى ، ثم يستعملون الحجارة ، وإذا جرح جماعة منهم استعملوا السهام والخناجر . وتضع النساء حدا لمثل هذا النزاع بأن يقفن بين المتشاجرين ، فيتضرعن اليهم فى ترك الشجار .

ويتألف طعامهم من اللحم والعظام مسحوقة معا ، بعد أن تلف فى قطع من الجلد وتشوى فى النار ، أو بعد أن يهينها الطباخون بطرائق كثيرة أخرى - ويدعى الطباخون النجسين . وبهذا هم لا يأكلون اللحم وحده ، بل العظام والجلود أيضا .

ويستخدمون مزيجا من الحليب والدم (دهنا للجسد ؟) . أما شراب العبامة فيستخلص من العجرم^(١) buckthorn . وأما شراب الطغاة فالعسل المخمر فى الماء ، ويستخلصون العسل من ضرب من الأزهار .

وببدأ الشتاء عندهم حين تهب الرياح الموسمية (لأنها تحمل المطر) ، والفصل الآخر هو الصيف .

وهم يعيشون عراة ، أو عليهم قطعة جلد فقط ، ويحملون المصى . ويقطعون غرلة الذكور ، غير أن منهم من يحتتن كالمصريين . و (المغربون الأجباش) يشتون فى عصيهم مسامير من الحديد . ويستعملون رماحا وتروسا مجلدة بجلد خام . والأجباش الآخرون يستعملون القسى والرماح . وفريق من أهل « طرغلوديتيكا » ، حين يدفنون موتاهم ، يلفون جسم الميت بأغصان العجرم من العنق حتى الساقين . ثم يرجمونه بالحجارة وهم مضحكون ويمرحون ، الى أن يتغطى وجهه بها . ثم يضمن عليه قرن كبش ، ويفادرونه .

وهم يسافرون بالليل . ويعلقون بأعناق الذكور من الماشية أجراسا ، ليعد رنينها عنهم الوحوش الضارية . ويستعملون أيضا لصدها المشاعل . والسهام . ويقومون بالحفارة فى الليل حفظا لقطاعاتهم ، ويقفون حول نيرانهم أغاني غريبة .

١٨ - وبعد أن يذكر (آرثميدورس) هذه التفاصيل عن أهل « طرغلوديتيكا » والأجباش المجاورين ، يعود الى العرب . فيبدأ من « بوسيديوم » ، ويصف أولا الأقوام الذين يعيشون بجوار « الخليج العربى » ويواجهون أهل « طرغلوديتيكا » على الشاطئ الآخر . فيقول : ان « بوسيديوم » تقع فى خليج (هيرابوليس)^(٢) ، وان فى جوارها

(١) عصارة حبه مسهل قوى .

(٢) « خليج هيرابوليس » هو المسمى اليوم بـ « خليج السويس » ، وفى النص « الخليج العيلانى » ، وهو خطأ من المؤلف أو الناسخ .

غابة من النخيل^(١) يكثر فيها الماء - وهم يبالغون في قدر الماء هنا ؛ لأن الاقليم المحيط به بأجمعه يلتهب حرارة ، وليس فيه ماء ولا ظل . ويعين لحراسة الغابة رجل وامرأة لهما في ذلك حق وراثي . وهم ييسون الجلود ويقتاتون التمر ، وينامون في أكواخ مبنية على الشجر ، لكثرة ما في المكان من الحيوانات الضارية التي تتجاوز عدتها مئات . وتلى ذلك « جزيرة الفقمات » (Phocae)^(٢) ، وقد أخذ اسمها من هذه الحيوانات التي تكثر فيها . وقربها رأس^(٣) يمتد نحو « البطراء » التي يدعوها العرب « نبطيا » ، و « فلسطين » . و (الميناثيون)^(٤) (Minaei) و (الجرعاثيون) (Serrhaei) ، وكل الأقوام المجاورة يختلفون الى هذه الجزيرة بأحمال من المواد العطرية .

وبعد ذلك قطعة أخرى من الساحل البحرى ، كانت تسمى فيما مضى بـ « ساحل المرانطين » ، وكان فريق منهم مزارعين ، وفريق آخر سكوتيين (Scenitae) . ولكن المكان الآن يقطنه (الغرنديون) (Garindae) الذين قضوا على السكان الأصليين غدرا . فقد هاجموا جماعة منهم وهم مجتمعون للاحتفال بعيد يقيمونه سرّة كل خمس سنوات ، وفنكوا بهم ، ثم هاجموا بقية القبيلة فأفنوها عن بكرة أبيها .

وبعد ذلك « الخليج العيلاني »^(٥) ، و « نبطيا » ، وهى بلد أهل بالسكان ، تكثر فيه الماشية . ويقطن الجزائر القريبة المقابلة لهم قوم كانوا فى السابق لا يؤذون غيرهم ، إلا أنهم جعلوا أخيرا يقومون بحرب قرصنة فى قواربهم الخفيفة على السفن الآتية من مصر . بيد أنهم ذاقوا ألم الانتقام حين أرسلت عليهم جيوش اجتاحت بلادهم .

وبلى ذلك سهل كثير الشجر ، والماء فيه وافر . وتكثر فيه أنواع المواشى ، وكذلك البغال والجمال البرية والغزلان والوعول وغيرها ؛ والأسود أيضا ، والفهود . والذئاب ترى فيها فى كثير من الأحيان . وأمام المكان جزيرة تسمى « ضيا » . وبلى ذلك خليج

(١) هيكل بوسيدون (اله البحر) ، ابتناه (أرسطو) الذى كان قد أرسله أحد البطالسة ليستكشف عن « الخليج العربى »
(٢) « شدوان » .

(٣) « رأس محمد » ، وهو الذى ينتهى اليه فى الجنوب شبه الجزيرة المكونة من الخليجين : « العيلاني » الممتد حتى « البطراء » ، و « خليج هيرابوليس » الممتد حتى « السويس » . ويبدو أن (سترابون) يريد أن يقول ان هذا الرأس فى اتجاه جنوبى قرصة بالنسبة الى « البطراء » و « فلسطين » .

(٤) بين الجغرافيين خلاف واسع فى الرأى فى موقع هذه القبيلة المهمة فى خارطة بلاد العرب الحديثة .
(٥) خليج العقبة

بلغ حوالى خمس مئة ستاديون طولاً ، تحيط به الجبال من كل جانب ، والمدخل اليه صعب . وحوله تسكن أقوام تقتنص الحيوانات البرية .

وراء ذلك ثلاث جزائر يكثر فيها شجر الزيتون ، وهو يختلف عما فى بلادنا من زيتون ، فهو ضرب بلدى ندعوه الزيتون الحبشى ، دموعه (أى صمغه) له خواص طبية . ويلي ذلك شاطىء حجرى ، يليه شاطىء صخرى وعراً^(١) ، لا تستطيع السفن الملاحة فيه بسهولة ، ويمتد زهاء ألف ستاديون . وليس فيه الا مرافىء ومراس قليلة ؛ لأن جبالاً عالياً شديد الوعورة يمتد بموازاته ، وتمتد أجزاء من قاعدته الى البحر ، فتكون صخوراً تحت الماء تصبح خطراً على السفن فى أثناء هبوب الرياح الموسمية والزوابع التى تقوم فى هذه الفترة ، وعندها لا يمكن مد يد العون الى السفن بوجه من الوجود . وبعد ذلك خليج فيه جزائر منتشرة ، وعلى طول الخليج ثلاثة كنان^(٢) عالية من الرمل الأسود . ويليهما « الشرم »^(٣) (Charmothas) ، وهو مرفأ يبلغ طول محيطه قرابة مئة ستاديون ، وله مدخل ضيق شديد الخطر على كل أنواع السفن . ويصب فيه نهر . وفى الوسط جزيرة كثيرة الشجر حولوها الى مكان صالح للفلاحة .

ويلى ذلك ساحل صخرى ، وبعده خلجان ، وأرضون يقطعها البدو الذين يعيشون على جمالهم . فهم يحاربون عليها ، ويرحلون عليها ، ويتغذون بحليها ولحمها . ويجرى فى أرضهم نهر يجلب معه التبر ، غير أنهم يجهلون كيف يستفيدون منه . ويدعون (دباع) (Debae) . وقوم منهم بدو رحل ، والآخرون زراع . ولا أورد أكثر أسماء هؤلاء الأقوام ؛ لقلة ما يعرف عنهم ، ولأن لفظ أسمائهم غريب^(٤) (وغلظ) .

وقرب هؤلاء القوم أمة أكثر حضارة ، تسكن اقليماً هواؤده أشد اعتدالاً ؛ لأن ماء وافر ، وتسقط فيه مزن كثيرة . ويوجد فيه ذهب متحجر ، لا فى شكل التبر ،

(١) ثمود ، كان يسكنه فيما مضى الثموديون القدماء .

(٢) جبل سيق وجبل الحاوين وجبل حستى .

(٣) يظهر أن هذا المرفأ هو مدينة « ينبع » القديمة ، وهى فى أرض خصبة . ويدعوها العرب « ينبوع النخل » ، ليميزوها عن « ينبوع الجديدة » التى تقع فى أرض جرداء على الساحل . وكلمة « الشرم » معناها فى العربية الشق أو الفتحة فى الجبال . ويبدو أن الاغريق كونوا اسم Charmothas من « الشرم » التى كانت تطلق على مدخل ميناء « ينبوع » لضيقه ، طائنين أن « الشرم » اسم الميناء .

(٤) ديودورس سيكولوس وأغاثرخيدس يذكران بعضها : Asilaei و Casandres

أو Gasandres (الفساسنة ؟) .

بل فى كتل صغيرة لا تحتاج الى تنقية كثيرة ، أصغرها فى حجم البندق ، وأوسطها فى حجم المشملة^(١) ، وأكبرها فى حجم الجوزة • وتتقب هذه وتنظم مع حجارة شفافة على التوالى فى عقد يقلده العنق أو المعصم • ويبيعون الذهب من جيرانهم بسعر رخيص ؛ اذ يستبدل به ثلاثة أضعافه من النحاس أو ضعفه من الحديد ، لجهلهم صناعة الذهب ، ولندرة المواد المستبدلة به ، وهى أكثر ضرورة لأغراض الحياة •

١٩ - وفى جوارهم بلاد (السبيين)^(٢) ، وعددهم كثير جدا ، وهى أكثر الأقطار خصبا ، وتنتج المر واللبان والقرفة • وعلى الساحل يوجد البلسم ، وضرب آخر من النبات له رائحة زكية ولكنها سرعان ما تتبدد • وهناك أيضا نخيل شذية وقصب الطيب (الذريرة) • وهناك أيضا أفاف لونها أحمر قانى ، طول الواحدة منها شبر ، تقفز الى علو خصر الانسان ، ولدغها لا يشفى منه •

ولشدة خصب التربة صار السكان كسالى خاملين فى نمط معيشتهم • والطبقة الدنيا من الناس يقتاتون الجذور ، وينامون فى الشجر • والاقوام التى تقطن هناك قوما تلو آخر ، تسلم أحمال العطور وتسلمها الى ناس آخرين ينقلونها حتى سورية وما بين النهرين •

واذا غلب النعاس التجار الذين يحملونها بسبب شذاها ، أزالوا عنهم النعاس بنشق أبخرة الاسفلت ورائحة لحية الماعز •

وتقع « مأرب »^(٣) (Mariaba) ، عاصمة (السبيين) ، على جبل كثير الغابات •

(١) Medlar

(٢) من المستحيل تحقق حدود « سبأ » بتدقيق • والمظنون أنها تتألف من المنطقة الواقعة ضمن البحر العربى غربا ، وخليج العجم شرقا ، والمحيط الهندى جنوبا ، وخط غير منتظم يحاذى الصحراء ويمتد الى نقطة ضيقة فى « ايدوميا » Idumaea شمالا (أنظر كتاب Smith, Dict. of Greek and Roman Geography, art. Saba)
هاك ما يقوله ديودورس سيكولس فى وصف « سبأ » : « ان المر- ليعجز عن تعداد مزايا كل هذه الأشجار والنباتات وخواصها ؛ لأن عطورها شديدة الشذا ، رائحة الكثرة بأنواعها ، فانها لتسرى الى الحواس وتثيرها اثاره يعجز عنها الوصف كأنها من فعل الالهة • وللملاح نصيب من المتعة بها ولو كان بعيدا فى سفينته عن الساحل ، ذلك لأنه اذا هبت نسيمات الربيع من الداخل ، حملت شذا الشجر والنبات الى الشاطئ ، وهو ليس بالشذا المألوف لدينا ، الذى يصدر عن عطور قديمة مخزونة ، بل هو جديد نقي على أحسن ما يكون ، اذ يفوح من أزهار تفتحت منذ قريب ، فيخترق الحس حتى أعماق كوامنه »

(٣) هى « سبأ » نفسها • راجع الفقرة الثانية •

ويقيم فيها ملك يفصل في أمور الخلاف وغيرها فصلا قاطعا ، غير أنه يحظر عليه مفادرة قصره ، وإذا فعل هاجمه الدهماء في الحال بالحجارة ، متبعين بذلك أمرا من الموحى • أما هو ومن حوله من حاشيته ، فيقصون حياتهم غرقى في الشهوات والترف • أما الشعب فيحترقون الأرض ، أو يتاجرون بالعطر ، سواء في ذلك ما كان منه ملونا وما يرد عليهم من « الحبشة » ، وهم يحضرون العطر الحبشى بقوارب مغطاة بالجلود يمحرون بها في المضيق • ولديهم كميات عظيمة من العطر ، فتراهم يستعملون العطر والقرفة والقاسيا والتوابل الأخرى وقودا للنار بدلا من العيدان والخطب • •

وفي بلاد السبثيين يوجد اللاريم (Larimnum) ، وهو من أزكى العطور رائحة • وقد غدا (السبثيون) و (الجرعانيون) بتجارة المواد العطرية هذه أكثر القبائل كلها ثراء ؛ ولذلك كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة ، كالأسرة ، والموائد الصغيرة ، والآنية ، والكؤوس ، أضف إليها فخامة منازلهم الرائعة ؛ فان الأبواب والجدران والسقوف مختلفة الألوان بما يرصع فيها من العاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة •

هذا ما يذكره (آرثميدورس)^(١) • وأما بقية الوصف فبعضه يشبه ما يقوله (اراتستيس) ، وبعضه مستقى من مؤرخين آخرين •

٢٠ - فجماعة منهم تقول : ان البحر أحمر بسبب اللون الناجم اما عن انعكاس الشمس العمودي ، واما عن انعكاس لون الجبال ، وهى ذات لون أحمر ، لأن الهجير قد لفحها وصهرها • والمعتقد أن هذا اللون فى البحر قد ينجم عن هذين السببين معا • ويذكر (كتسياس الكندي) منبا يصب فى البحر ماء أحمر وأصفر • ويأثر (أغاثرخيدس) ، وهو من بلده ، عن رجل يدعى (بكسوس) ، من أصل فارسى ، أنه حدث مرة أن لبؤة نائرة طاردت عدة من الخيل ، حتى دخلت الخيل البحر وقطعته الى جزيرة هناك ، وكان رجل فارسى يدعى (اريتراس) أول من قطع البحر الى الجزيرة بعد أن صنع عوامة لذلك ؛ واذ رأى أن الجزيرة تصلح للسكنى ، أعاد الخيل الى « فارس » ، وأرسل جماعة من المستعمرين الى هذه الجزيرة والجزائر الأخرى ، وكذلك الى الساحل • وهكذا أطلق اسمه على البحر (البحر الأريترى) • غير أن من الناس من يقول : ان أول ملك حكم هذه المقاطعة هو (أريتراس بن برسيوس) •

(١) التفاصيل المذكورة أنفا التى استقهاها المؤلف من (آرثميدورس) ، وهذا من (أغا ثرخيدس) ، لا توجد فى كتابات (اراتستيس) الذى عاش قبل زمن (أغاثرخيدس) •

ويقول جماعة من المؤلفين : ان المسافة بين المضيق فى « الخليج العربى » الى أقصى « بلاد القرقة » هى خمسة آلاف ستاديون^(١) ، دون التمييز اذا كانت الوجهة جنوبا أو شرقا .

ويقال أيضا : ان الزمرد والبريل^(٢) يوجدان فى مناجم الذهب . ويقول . (بوسيدونيوس) : ان فى « بلاد العرب » ملحاً شذى الرائحة .

٢١ - و (النبطيون) و (السبثيون) ، وموقعهم يلى « سورية » ، أول الاقوام القاطنة فى « بلاد العرب السعيدة » . وكان من دأبهم أن يجتاحوا البلاد قبل أن يصبح (الرومان) سادتها ، غير أنهم الآن و (السوريين) تحت حكم (الرومان) .

وتدعى عاصمة (النبطيين) « البطراء »^(٣) ، وهى تقع فى مكان تحيط به وتحصنه صخرة مستوية ناعمة ، تبدو من الخارج كثيرة الارتفاع شاهقة ، ولكنها من الداخل ملائى من ينباع الصالحة للأغراض المنزلية ولسقى الجنائن . والاقليم فيما وراء هذا الاطار الصحرى أكثره صحراوى ، ولاسيما فى وجهة اليهودية . وفى خلال هذه تمر أقصر طريق الى « أريحا » - وهى على مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة ، وخمسة أيام الى « فينيقون » (أى بستان النخيل) . ويحكمها دائما ملك من أسرة مالكة ، والملك وزير هو أحد « الأصحاب » ، ويسمى الأئخ . ولهم شرائع رائعة للحكم وتسيير الأمور . وكان صديقى الفيلسوف (آنتودورس) - الذى كان قد زار « البطراء » - يذكر وملؤه العجب كيف رأى رومانيين كثيرين وعدة غرباء آخرين يسكنون هناك . وقد لاحظ أن الغرباء كانوا فى كثير من الأحيان منهمكين فى مقاضاة بعضهم بعضا ، ومقاضاة السكان الوطنيين ، على حين كان السكان الوطنيون لا يتشاجرون بينهم ، بل يعيشون معا فى وفاق عجب .

٢٢ - وقد اطلعنا على كثير من خصائص هذه البلاد على أثر الحملة الأخيرة التى قام بها (الرومان) على (العرب) ، بقيادة (أيلوس غالوس) (Aelius Gallus) وقد أرسل (أغسطس قيصر) هذا القائد ليستكشف عن طبيعة هذه الأماكن وسكانها ، وكذلك « الحبشة » وسكانها ؛ لأنه وجد أن « طرغلوديتيكا » المجاورة لـ « مصر »

(١) يجب ألا نخلط هذه المسافة بالـ ٥٠٠٠ ستاديون المذكورة فى الفقرة الرابعة آنفا .

(٢) حجر كالزبرجد Beryl

(٣) معناها فى الاغريقية : صحرة (Petra) (المترجم) .

هى على حدود « الحبشة » ، وأن « الخليج العربى » ضيق جدا حيث يفصل (العرب) عن أهل « طرغلوديتيكا » . وكان هدفه اما أن يسترضى (العرب) واما أن يخضعهم . كما أنه فعلت فى نفسه الروايات الشائعة منذ القدم أن العرب قوم واسعو الثراء ، وأنهم يستبدلون بعطرمهم وحجارتهم الكريمة الفضة والذهب ، دون أن ينفقوا مع الغريب ما يحصلون عليه فى مقايضاتهم التجارية . ولذلك أمل اما أن يحصل على أصدقاء موسرين ، واما أن يتغلب على أعداء موسرين . وزيادة على ذلك شجعه على القيام بهذه الحملة أملة فى مؤازرة (النبطيين) له الذين وعدوه بالتعاون معه فى كل شىء .

٢٣ - وهكذا شرع (غالوس) فى حملته ، مدفوعا بهذه الاغراءات . غير أن (سيلايوس) (Syllaus) ، وزير ملك (الانباط) ، خدعه ، بعد أن كان قد وعد بأن يكون دليلا له فى مسيره ، ومؤازرا له فى تنفيذ خطته . وكان (سيلايوس) خائنا من البدء حتى النهاية ، فلم يدلهم على طريق أمين بحرا بمحاذاة الساحل ، ولا على سبيل أمين للجيش - كما كان قد وعد - بل عرض كلا من الاسطول والجيش للمخاطر ، بأن اقتادهم الى حيث لم تكن طرق ، أو حيثما كانت الطرق وعرة صعبة ، حيث كانوا يضطرون الى نهج سبل ملتوية طويلة ، فيلزمون المرور فى خلال بقاع جرد من كل شىء . فاقاد الاسطول بمحاذاة ساحل صخرى لا مرافئ فيه ، أو الى أماكن تزدحم فيها الصخور الغاطسة تحت الماء ، أو أماكن مياهها ضحلة . وفى هذه الأماكن ، على وجه خاص ، كان المد والجزر يلحقان بالاسطول أكبر الأذى .

وكانت الغلطة الأولى حين بنى (الرومان) سفنا (حربية) طويلة ، فى حين لم تكن هناك حرب ، ولا امكان نشوب حرب بحرية ؛ لأن العرب قوم تجارة وبيع وشراء ، ولذلك لم يكونوا بأمة حرب ، لا فى البحر فحسب ، بل فى البر أيضا . ومع ذلك بنى (غالوس) ما لا يقل عن ثمانين سفينة حربية منها ذوات صفين من المجاديف ، ومنها ذوات ثلاثة ، ومنها ذوات صف واحد - بناها فى « كليوباتريس » ^(١) ، قرب القنسة القديمة الممتدة من النيل . ولما أدرك خطأه ابتنى مئة وثلاثين سفينة للحمل ، ركب فيها مع نحو من عشرة آلاف من المشاة جمعهم من « مصر » ، وهم من (الرومان) وحلفائهم ، كان بينهم خمس مئة يهودى وألف نبطى ، بقيادة (سيلايوس) . وبعد أن تحمل مشاق جسيمة وآلاما كثيرة وصل فى اليوم الخامس عشر الى « ليوكى - قوم » ، وهى سوق كبيرة فى أرض الانباط ، بعد أن خسر كثيرا من سفنه غرق عدة منها وغرق

(١) كانت قرب « هروبوليس » ، أو « السويس » .

من فيها من بحارة ؟ وذلك بسبب صعوبة الملاحة ، لا بمقاومة من عدو . ولم يكن السبب في هذه المصائب الا خيانة (سيلايوس) الذى زعم مؤكدا أنه لم تكن هناك طريق للجنود تؤدى الى « ليوكى - قوم » ، وهى السوق التى يرحل منها واليها تجار القوافل يسر وأمان ، ذاهبين من « البطراء » ، واليها ، ومعهم عدد كبير من الرجال والجمال بحيث لا يختلفون عن الجيش فى شئ .

٢٤ - ومن الأسباب الأخرى التى أدت الى اخفاق الحملة أن الملك (عوبوداس) (Obodas) لم يكن يعنى بأمور الدولة ، ولا سيما ما كان منها مختصا بالحروب (كما هى العادة عند جميع ملوك العرب) ، بل سلم زمام الأمور كلها فى يد وزيره (سيلايوس) . وكانت كل تصرفاته فى قيادة الجيش منطوية على الخيانة ، وأغلب الظن عندئذ أنه كان يرمى بذلك الى درس حالة البلاد كجاسوس ، وتحطيم عدة من المدن والقبائل بمؤازرة (الرومان) . فاذا ما فكت فى (الرومان) الأمراض والمجاعة والمتاعب وغيرها من الشرور التى كان قد بيتها لهم بغدره ، أعلن نفسه سيد البلاد بأجمعها .

غير أن (غالوس) وصل الى « ليوكى - قوم » ، وجيشه يقاسى آلام مرض الـ (Stomacacce) ومرض الـ (Scelotyrbe) ، وكلاهما من أمراض ذلك البلد ، والأول يصيب الفم والثانى الساقين بضرب من الشلل ، بسبب الماء والنباتات (التى استعملها الجنود فى طعامهم) . ولذلك اضطر الى قضاء الصيف والشتاء هناك لمعالجة المرضى .

ان سلع التجارة تنقل من « ليوكى - قوم » الى « البطراء » ، ومنها الى « رينو كلورا » فى فينيقية ، قرب مصر ، ومنها الى أمم أخرى . ولكن القسم الأكبر منها فى أيامنا ينقل على « نهر النيل » الى « الاسكندرية » . فتأتى السلع من « بلاد العرب » و « الهند » الى « ميناء الفأر » (Myus Hormus) ، ومنها تنقل على الجمال الى « قبطس » ^(١) التى (للطيلاوين) ، وتقع على احدى أقنية « النيل » ، ثم الى « الاسكندرية » . أما (غالوس) ، فحين قام ثانية من « ليوكى - قوم » عائدا بجيشه ، اضطر لغدر دليله الى أن يضرب فى فياف كان على العسكر فيها أن يحملوا الماء على الجمال . ولذلك بعد مسير أيام كثيرة بلغ « مقاطعة أريتاس » (Aretas) ، وهو من ذوى قرابة (عوبوداس) . فاستقبله (أريتاس) بالترحاب ، وقدم له هدايا . غير أن (سيلايوس) الخائن اقتاد (غالوس)

فى طريق صعبة تشق البلد ، اذ قضى فى قطعه اياها ثلاثين يوما . وكان نتاج الأرض الشعير وقليل من النخيل ، والزبدة بدلا من الزيت .

وكان سكان البلد الذى وصل اليه (غالوس) من البدو الرحل ، ومعظمه صحراوي قاحل ، ويدعى « عرارين » . وكان الملك يدعى (شابوش) (Sabos) . ففضى (غالوس) خمسين يوما فى مرور- خلال هذا الاقليم لانعدام الطرق ، الى أن أدرك مدينة (للنجرائين)، وأرضا خصبة جنحت الى السلم ؛ اذ فر الملك وأخذت المدينة فى أول هجوم عليها . وبعد أن سار منها ستة أيام جاء الى نهر ، وهناك هاجم البرابرة (الرومان) ، ففقهوا عشرة آلاف رجل ، ولم يفقد (الرومان) الا رجلين^(١) ؛ وذلك لأنه لم تكن للبرابرة خبرة فى أمور الحرب مطلقا ، فكانوا يستعملون أسلحتهم بفسادة - وهى القسى والرمح والسيوف والمقالع ، ولكن السواد الأعظم منهم كان يستعمل فأسا ذات حدين . فأخذ فى الحال « مدينة عسقة » (Asca) بعد أن كان الملك قد هجرها . ثم جاء الى « مدينة عثرولة » (Athrula) فافتحمها دون مقاومة . وبعد أن وضع فيها حامية ، وجمع زادا ومؤنا للزحف ، يتألف من الجبوب والتمر ، تقدم الى « مدينة مرصيبة » (Marsiaba) وهى (للرحمانين) (Rhammanitae) الذين كانوا من أتباع (عيلاسارس) (Ilasarus) وهاجم المدينة وحاصرها ستة أيام ، غير أنه رفع عنها الحصار لقلّة الماء . وكان حينئذ على مسيرة يومين من بلاد العطر ، كما أعلمه أسراه . وقد قضى فى زحفه ستة أشهر بسبب غدر أدلائه . ولم يقف على ذلك الا فى أثناء عودته . وهو - وان تأخر فى الكشف عن المؤامرة التى دبّرت عليه - ، وجد سعة من الوقت ليتخذ طريقا أخرى فى الرجوع ، فبلغ « النجران » فى تسعة أيام ، وهناك قامت المعركة ، ومن هناك بلغ فى أحد عشر يوما « السبع الآبار » ، وهو مكان سمي كذلك لأن فيه سبع آبار . ومن هناك سار فى أرض صحراوية ، وجاء الى « قرية شعلة » ، ثم الى « قرية مالوثاس » ، وتقع على نهر . وبعد ذلك كانت طريقه فى أرض صحراوية لم تكن فيها الا آبار سقاية قليلة ، حتى بلغ « قرية عجرة »^(٢) . وهى تابعة لمملكة (عوبوداس) ، وتقع على البحر . وقد قطع هذه المسافة كلها فى عودته بستين يوما فقط ، مع أنه قضى فى قطعها أول ذهابه ستة أشهر .

(١) ان المرء ليدهش حين يرى أن من المفكرين أمثال (سترابون) من يصدقون بأرقام

كهنه ! (المترجم) .

(٢) نجرة ؟

ومن « نجرة » افتاد جيشه الى « ميناء الفأر » ، فوصل اليه في أحد عشر يوما . ومن هناك عبر البلاد الى « قبّطس » ، حتى بلغ « الاسكندرية » ومعه من عسكره من استطاع انقاذه . أما البقية فقد ماتوا ، لا بفعل من الأعداء ، بل بالمرض والتعب والجاعة والسير في الطرق الوعرة ؛ اذ لم يقتل في المعارك من رجاله الا سبعة . ولهذه الأسباب لم تضاف هذه الحملة الى علمنا عن بلاد العرب الا قليلا . غير أنه كان فيها شيء من النفع .

وقد عوقب (سيلابوس) ، مصدر هذه النكبات ، على خيائته في « رومة » . وقد تظاهر بالصدّاقة ، غير أنه أثبتت عليه جرائم أخرى ، عدا الغدر في هذه القضية ، وقطع رأسه .

٢٥ - تقسم بلاد العطر ، كما قلت سابقا^(١) ، الى أربعة أقسام . ومن بين العطر يقال : ان اللبان والمر من نتاج الشجر ، أما القاسيا فمن نتاج الشجيرات . غير أن جماعة من المؤلفين يقولون : ان الجزء الأكبر من القاسيا يأتي من « الهند » ، وأن أحسن اللبان يأتي من « فارس » .

ولهم تقسيم آخر تقسم « بلاد العرب السعيدة » بموجبه الى خمس ممالك (أو أقسام) ، احداها تشمل الرجال المحاربين الذين يقاتلون في الحروب عن جميع الآخرين ؛ وأخرى تحتوى على الزراع الذين يكفلون بالغذاء للبقية ؛ وأخرى يقوم سكانها بالأعمال الآلية . وأحد الأقسام يشمل منطقة المر ، والثاني منطقة اللبان ، ولكن هذه الأراضين نفسها تنتج القاسيا والقرقة والناردين . ولا تغير الأسرة حرفتها ، بل كل عامل يرث حرفته عن أبيه .

ويصنع القسم الأكبر خمرهم من النخيل .

ويلقى اخوة الرجل من الاحترام أكثر مما يلقي أبناؤه . ويرث أبناء الأسرة المالكة العرش ، ويسلمون زمام سلطات أخرى ، على حسب البكورة . أما الممتلكات فمشاعة بين جميع الأقارب . وأكبرهم سنا هو زعيمهم . ولهم جميعا زوجة واحدة ، ومن يدخل الدار أولا قبل غيره يضاجعها ، بعد أن يضع عصاه بالباب ؛ لأن حمل العصا عادة ضرورية يلزم الجميع اتباعها . غير أن المرأة تقضى الليل مع أكبرهم سنا . وهم يضاجعون أمهاتهم أيضا . ويعاقبون الزاني بالموت اذا كان من أسرة أخرى .

كانت بنت أحد الملوك ذات جمال رائع ، وكان لها خمسة عشر أخا يعشقونها

جميعا ، ويدخلون عليها بالتتابع دور انقطاع . ويقال : انها سُئمت لجاجتهم ، فلجأت الى هذه الحيلة : ذلك أنها حصلت على عصي صنعت على شكل عصي اخوتها ، فاذا غادر المنزل أحدهم ، وضعت بالباب عصا تشبه عصاه ، وبعد ذلك بقليل عصا أخرى ، وهكذا بالتتابع - وهي اذ تفعل ذلك تحسب حسابها بحيث لا يجد الرجل الذي يريد الدخول عليها عصا بالباب تشبه عصاه . وحدث مرة ، أنه بينما كان الاخوة جميعهم فى السوق ، أن غادرهم أحدهم وأتى الى باب الدار ، فرأى عصا هناك تدل على وجود رجل فى الداخل . ولكنه اذ تذكر أن اخوته جميعهم فى السوق ، ارتاب فى أن الرجل الذى فى الداخل ليس الا زانيا . فهورل الى أبيه وأحضره الى الدار ، غير أنه ثبت أنه انما اتهم أخته زورا !

٢٦ - و (النبطيون) قوم حرصاء ، مولعون بجمع الثروة . والمجتمع يفرض غرامة على من ينقص ماله ، ويكرم من يزيد منه . وليس لديهم من الرقيق الا القليل ، فيقوم الاقرباء بخدمة المراء ، أو يخدم الواحد منهم الآخر ، أو يكون كل امرئ خادما نفسه . وهذه العادة يخضع لها حتى ملوكهم . ويتناولون وجبات طعامهم جماعات ، تألف الجماعة منها من ثلاثة عشر شخصا ، ويرافقها موسيقيان . الا أن الملك يقيم مآدب كثيرة فى العمارات الضخمة . ولا يشرب أحد أكثر من احدى عشرة كأسا (معينة) ، تختلف الواحدة عن الأخرى ، وكلها من الذهب .

والملك يتجنب الى الشعب كثيرا ، حتى لراه لا يخدم نفسه فحسب ، بل يخدم غير أيضا . وفى كثير من الأحيان يقدم تقريرا (عن سير حكمه) بحضرة الملاء ، ويقومون أحيانا باجراء تحقيق فى نمط معيشته .

ومنازلهم فاخرة ، وهى من الحجر . والمدن أسوار لها بسبب السلام (المنتشر بينهم) . وقسم كبير من البلاد كثير الخصب ، وينتج كل شئ سوى الزيت ، ويستعيضون منه بدهن السمسم . وللخرفان عندهم صوف أبيض ، وجواميسهم ضخمة ، غير أن بلادهم خالية من الخيل^(١) . والجمال تحل محل الخيل ، وتقوم بالأعمال أنفسها . وهم يلبسون ثوبا ، ومنطقة حول الحقوين ، ويتعلون بالنعال . ولباس الملوك لا يختلف عن ذلك الا فى اللون ، فهو أرجوانى .

ويستجلب شئ من سلع التجارة استجلابا كليا ، وبعضها ليس مستجلبا كله ؛ لأن

(١) راجع الفقرة الثانية المذكورة آنفا .

من هذه المواد ما هو من نتاج البلاد ، كالذهب والفضة ، وكثير من العطر . ولكن النحاس والحديد والثياب الأرجوانية والأصطرك والزعفران والقرفة البيضاء والتسائيل والصور والقطع المنحوتة ، لا تصنع في البلاد .

حين يقول الشاعر : « فصدت بلاد الحبشة والصيداوين والأرميين »^(١) ، لا نعرف بالضبط من (الصيداويون) الذين يرمي اليهم : أهم أولئك الذين سكنوا قرب خليج العجم - وهم جماعة من المستعمرين ينتمى اليهم الصيداويون الذين في بلادنا (كما أن هناك على حسب رواية المؤرخين ، جماعة من « الجزريين السوريين » ، و « العرديين » الذين ينتمى اليهم العرديون في بلادنا) ، أم هم في النواقع الصيداويون أنفسهم ، أهل « صيدا » ؟

والشك أشد في من هم (الأرميون) : أيقصد الشاعر أهل « طرغلوديكا » ، أم يقصد (العرب) ؟ ان (زينو) ، فيلسوف مدرستا ، يغير هذا البيت فيجعله : « وأهل صيدا والعرب » . ولكن (بوسيدونيوس) يغيره شيئا ما فيقول : « وأهل صيدا والأرمب » . كان الشاعر أطلق كلمة « الأرمب » على العرب الحاليين ؟ لأن الآخرين كانوا يدعونهم كذلك في زمنه . وهو يقول أيضا : ان وجود هذه الأُمم الثلاث بعضها بجوار بعض ، يشير الى انحدارهم من أصل واحد ، وأنهم لهذا السبب يسمون بأسماء متشابهة (كالأرمينيين) ، و (الآراميين) ، و (الأرميين) . فكما نستطيع أن نفترض أن أمة واحدة انقسمت الى ثلاث (بحسب الفروق في خطوط العرض التي سكنوا فيها ، وهي فروق اشتدت بالتتابع) ، كذلك نستطيع أن نفترض أن أسماء متعددة اتخذت بدل اسم واحد . على أن الاقتراح بتغيير الاسم الى أرمينيين بعيد عن الصواب ؛ لأن هذا الاسم أكثر انطباقا على (الحبشة) . والشاعر يذكر أيضا (الأرميين) ، ويقول (بوسيدونيوس) : انهم معيون هنا ، لا مكان في « سورية » أو « كيليكيا » أو أى بلد كان آخر ، بل « سوريا » نفسها^(٢) ؛ لأن (الآراميين) كانوا يعيشون هناك . ولعلمهم هم الذين كان (الاغريق) يدعونهم (الآرميين) أو (الآريماثيين) . غير أن تغيير الأسماء ، ولا سيما أسماء الأُمم البربرية ، أمر شائع . ف (داريوس) كان يدعى (داريكيس) ، و (باريساتيس) (فارزيريس) ، و (أناره) (أطارغاظ)^(٣) ، ويدعوها « كتيساس » (دركيثو) .

(١) Erembi

(٢) هذه الجملة غير واضحة المعنى فى النص (المترجم) .

(٣) أكبر الهة فى « سورية » (المترجم) .

ويمكننا الاستشهاد بـ « الاسكندر » للبرهنة على ثراء العرب ، اذ يقال : انه كان ينوى بعد أن يعود من « الهند » أن يجعل « بلاد العرب » مركز انبراطوريته • وقد انتهت مخاطراته جميعها بموته ، حين دهمته المنية فجأة • ولكن لا ريب في أن إحدى خططه كانت أن يجرب العرب ليرى أكانوا يستقبلونه طائعين ، أم يقاومونه بحد السلاح ؟ فانه حين وجد أنهم لم يبعثوا سفراء اليه قبل زحفه على « الهند » أو بعده ، بدأ باعداد العدة للحرب ، كما قلنا في مكان سابق من هذا الكتاب •

ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع

مجاليها ومباهجها ومفاسدها وما ألف في ذلك من آثار

ازدهرت الحضارة الاسلامية في القرنين الثالث والرابع للهجرة أتم الازدهار ، حتى قال بعضهم : ان هذين القرنين هما القرنان الذهبيان للذان ازدهرت فيهما الحضارة الاسلامية ، وغنت المكتبة الاسلامية بشتى الآثار الجليلة ، وان ما تتركه به الخزانة العربية اليوم - على الرغم مما منيت به من نكبات - لدليل يشهد بذلك ، وقد بلغ العالم الاسلامى فى هذين العصرين درجة رفيعة فى الحضارة ومجالى العمران والترف العقلى والفنى ، وافتن الناس فيهما بفنون شتى كما أبدعوا فى التمتع بمباهج الحياة وملاهيها وما الى ذلك من طعام وشراب وتملح ومفاكهة ورياضات واحتفالات وتطلب لزخرف الدنيا ومتعها . أما الطعام فقد افتنوا فى تنويعه ، وتأنقوا فى مجلسه ، بعد أن كانوا فى الجاهلية وصدر الاسلام يكتفون بالألوان الساذجة والأطعمة البسيطة الأولية ، وكثير منهم كان يتحرج من أكل الألوان الملونة من الطعام ، فقد روي أن أبا موسى الأشعري كان يتجافى عن أكل اللحوم لأنه لم يمهّد أكلها فى الجاهلية ، وروي أن عمر كان يقول اذا بلغه عن أحد أصحابه الاكثار من تناول الأطعمة واللحوم : أخبروه أن مدمن اللحم كمدمن الخمر . وفى أيام بنى أمية مال الخلفاء والأمراء والأثرياء والوجوه الى تنويع الأطعمة وتقليد أهل الشام من الروم والسيّريان فى أطعمتهم ، وكذلك فعل أمراء أمية فى العراق فاستطابوا الأطعمة الفارسية واستمرؤوا الأخبزة الكسروية . قال صاحب طبقات الأطباء (١/١٧٥) : ان الخلفاء والملوك من بنى هاشم كانوا اذا جلسوا الى الطعام ، يقف الأطباء بين أيديهم ومعهم البرانى بالجوارشنت الهاضمة والمسخنة والطابخة والمقوية للحرارة الغريزية فى الشتاء ، ويقفون فى الصيف ومعهم الأشربة الباردة والجوارشنت الموافقة لذلك الفصل . وروي صاحب الفخرى (ص ٢٣٢) : أن مطبخ عمرو بن الليث الصفار كان يحمل على ٦٠٠ جمل ؛ وقد يكون هذا القول مبالغاً فيه الا أنه يدل على شدة تعلق القوم بالطعام والانصراف الى التأنق فيه وفى استكمال ضروب تطييبه وتجويد أنواعه . ومن أطرف ما قرأت فى هذا الباب ما وجدت فى تأريخ ابن خلدون (١/١٤٥) : « أن الحجاج

ابن يوسف أولم مرة لختان بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين ليسأله عن ولائم الفرس فى مثل هذه المناسبة فقال له أخبرنى بأعظم صنيع شهدته ، فقال: شهدت -أيها الأمير- بعض مراربة كسرى وقد صنع لأهل فارس صنيعا أحضر فيه صحائف الذهب على أخوة الفضة أربعا على كل واحد ، وتحمله أربع وصائف ، ويجلس اليه أربعة من الناس . فإذا طعموا ، أتبعوا أربعتهم المائدة بصحافها ووصائفها . فلما سمع الحجاج ذلك ، أكبره ، وغلبت عليه البداوة فقال : يا غلام ، انحر الجزر وأطعم الناس « والحق أن رجلا كالحجاج لا يستسيع هذا الاسراف الفاحش الدال على سخف فاعليه ورفاعتهم .

هذا وقد اشتهر فى التأريخ العربى نفر من الأمراء والخلفاء عرفوا بكثرة الأكل وتطلب أطايبه والاسراف فى ذلك أمثال معاوية وعبيد الله بن زياد وسليمان بن عبد الملك والأمين^(١) .

قال السيد محمود شكرى الألوسى فى بلوغ الأرب (١/٤١٢) : « وكانت لهم فى هذا الباب - باب المأكول والمشرب - عوائد مستحسنة ومألوفات يتلقاها ذوو العقول بالقبول ، من ذلك أنهم كانوا يكرّون فى الغداء ، ويرون أن ذلك أقرب الى راحة البدن وصحته .. ويؤخرون العشاء رغبة فى ورود الأضياف واجتماع الأكلة بعد انقضاء حاجاتهم وعودهم من مسارحهم وغاراتهم ، ولأن بلادهم حارة الهواء ، فكلما ذهب منه شدة الهجير يبرد الليل ، كان الطعام أمرا والشهية فى الأكل أدعى .. ومن عوائدهم فى هذا الباب أنهم يقلون من الأكل ويقولون : البطنة تذهب الفطنة وكان مأكلهم فى الغالب لحوم الصيد والسويق والألبان ، وربما ابتلع أحدهم الريح (!؟) ، ومضغ القيصوم والشيح ، أو حرش اليربوع والضب ، أو صاد الطيى والأرنب .. وكان أحسن اللحوم عندهم لحوم الابل ولا يفضلون عليها شيئا .

قلت : وقد لعب الطعام « دورا مهما » فى التأريخ العربى فى الجاهلية والاسلام ، فقد كان كثير من الوجوه والسادة والأشراف يتقربون الى العامة بنصب الموائد الضخام واطعام الجائعين ، كما أنهم كانوا يعدون ذلك من امارات النبل والكرامة ، وما لذلك من سبب سوى سوء الحالة الاقتصادية فى الجزيرة وبؤس أهلها . وكان عبدالله بن جدعان وعبد المطلب فى الجاهلية وعبد الله بن عباس ومعاوية ويزيد وعبد الملك والوليد فى الاسلام مسرفين فى اقامة الولائم العامة ، حتى ان بعضهم كان يفرش سفر الطعام فى

(١) انظر المروج للمسعودى (٢/٢٦٧) ، والفرج بعد الشدة للتنوخى (٢/١٠٢) .

الطرقات كعبدالله بن عباس^(١) . وكان الحجاج يصنع في كل يوم من أيام رمضان ألف خوان وفي سائر الأيام خمس مئة : على كل خوان عشرة أنفوس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وأوزة بسكر ، وكان يدور هو على المائدة يتفقدوها ، يحملونه إليها في محفة وينتقلون به من خوان الى خوان .. وكذلك كان يصنع عمال الحجاج في سائر مدن العراق ، وكان بعضهم ينصب انوائد مرتين في اليوم للغداء والعشاء^(٢) .

ولما تغلفت الحضارة في الأمة العربية بسن دخلها من غير العرب ، وجاؤوها بما عندهم من آداب وعادات وتقاليد ، ابتعدت عن بداوتها وطابعها الفطري ، ولم يأت القرنان الثالث والرابع حتى صارت للعرب آداب في الطعام والشراب وقوانين لمجالسهما ، وافتنوا في ذلك افتنانا غربيا ، و اخترعوا له أدبا وآبنا ، كما اشترطوا للمؤاكلة آدابا وللندامة أصولا ، وفرضوا على الظرفاء والندماء أزياء معينة يلبسونها ؛ فقد ذكر الاديب الكاتب الظريف الأريب أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الحروف بالوشاء في كتابه « الظرف والظرفاء » فصولا مطولة ، ومما جاء في ذلك قوله /ص ١٠٥ - ١٠٧/ : « اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم ، والتجائل عن الشره والنهم ، وأكل الأوساط الرقاق ، والبزماورد الدقاق ، وليس يأكلون العصبة والعضلة ولا العرق ولا الكلوة ولا الكرش .. ولا يتبعون مواضع الدسم ولا يسلأون أيديهم بالزهم .. ولا يقطعون أصابعهم ، ولا يملأون باللقم أفواههم ، ولا يدمسون بكرها شفاههم ، ولا يقطرون على أكفهم ، ولا يعجلون في مضغهم ، ولا يأكلون بجانبى الشدقين ، ولا يزواجون بين الاتنين ، ولا يأكلون قدرا باثثة ولا قدرا مسخنة ، ولا يغمسون في مرقه ، ولا يضعون لقسة .. ولا يأكلون الجيوب التي تهيج الأرياح وتولد الترقوة والانتفاخ ، ولا يأكلون في النهار أكثر من أكلة ، ولا يكثررون القيام من مجلسهم ، ولا يكثررون من الضحك والكلام عند حضور المائدة والطعام ، ولا يخللون على المائدة قبل أن تفرغ ، ولا يتحفزون لمجيئها قبل أن توضع .. » وقد ألف جماعة في فن الطعام وألوانه وأنواعه وآداب مجلسه . ومن أقدم من ألف في ذلك أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم نديم المتوكل ومن بعده الى أيام المعتمد ، وكان أريبا فهما نادم الخلفاء العباسيين ، وكان ريحانة مجالسهم ونفحة نواديهم . مات سنة ٢٧٥^(٣) . له آثار في الأدب والنس ، منها : كتاب الطبخ ولكنه مفقود . ومن

(١) العقد لابن عبدربه (٨٣/١) (٢) المصدر السابق (٦/٣) .

(٣) الوفيات (٣٥٦/١) ، والفهرس (ص ٢٠٥) وتاريخ التمدن الاسلامي

ألف في فن الطهي ابراهيم بن المهدي الأمير العباسي الأديب المغني ، أخو الرشيد ، مات سنة ٢٢٤ بسامرا ، وكتابه مفقود أيضا^(١) . وجحظة البرمكي أحمد بن جعفر النديم الأديب الشاعر الموسيقي ، مات سنة ٣٢٤^(٢) . ومسكويه أحمد بن محمد المؤرخ الحكيم الفيلسوف الأديب ، مات سنة ٤٢١^(٣) ، وكان خازنا لكتب عضد الدولة البويهى . وقد ضاعت هذه الكتب جميعا .

أما الشراب ومجالسه وآدابه ، فقد بلغت حدا عجيبا سواء في تنوع المشروبات ، أو في تزويق المشروبات ، أو في تكثير أنواع النقل ، أو في آداب الندماء ومجالسهم ، أو في التأليف في ذلك . وفي كتاب الموشى (الظرف والظرفاء) للشوا فصول ممتعة مفضولة عن زى الندماء والظرفاء من أهل الشراب ، فقد ذكر في كتابه (ص ١٠٧) أنهم لا يشربون من الشراب أسود ، ولا يشربون إلا أجوده ، مثل المشمشى والزبيسى والمسل والمنطوخ والطلاء والمعدل ، ولا يقربون ما لامه الخثر ، ولا ما خالطه الكدر ، ولا يتقلون على شراهم بالأشياء الرذلة مثل الباقي والبلوط والبسر المقلو . . . وأكثر ما يتنقل به المتظرفون ، ويعبث به المتزيكون ، مملوح البندق ومقشر الفستق والملح القفطى والعود الهندى والطين الخراسانى والملح الصنعانى والسفرجل البلخى والتفاح الشامى ، ويتخذون من كل شئ من الآنية أسراه ، ومن الزجاج أجوده وأتقاه

قلت : ان الفساد الاجتماعى الذى ذكر قرنه فى عهد بنى أمية ، وباض وفرخ فى أيام بنى العباس ، قد نتج بلاء عظيما على الأمة ، فانهارت قواها الخلقية ، وانحطت مقوماتها النفسية ، وعطلت الحدود التى كانت تكون حائلا أو بعض حائل بين هذه الأمة وبين الانهيار الاجتماعى . فان العرب بعد أن اتصلوا بأهل الشام والعراق وفارس ويونان ذلك الاتصال القوى ، نقلوا عنهم خير حضاراتهم وشراها ، وصالح مدينتهم وطالحها . وبالرغم من ان الاسلام حرم الخمر ، وشدد عقوبة شاربها وبائعها ، وكانت هذه العقوبات تقام أيام الخلفاء الراشدين وأوائل أيام بنى أمية الى أن ولى يزيد بن معاوية وعبد الملك وأولاده ، - استهان الناس بأمرها ؛ لأن الخلأف ومن اليهم كانوا يشربونها^(٤) ، وزاد فى الطنور

(١) أنظر أخباره فى الأغاني .

(٢) معجم الأدباء (٣٨٣/١) .

(٣) طبقات ابن القفطى (ص ٣٣١) .

(٤) أنظر الأغاني (١٥٤/١٩ و ١٥٧/١٣) ، والعقد الفريد (٣/٣١٤) .

نعمة أن بعض الفقهاء أباح بعض أنواعها وأن آخرين حرموا ذلك ، وظهر بعض المتملقين للخلفاء والأشراف فأخذوا يتحللون المسوغات لشربها ، ويبحثون في الفرق بين أصنافها ، ويميزون بين ما سموه حلالا وبين ما حرموه^(١) . ومهما يكن من شيء فإن القوم قد شربوها ، وانهم افتتوا في مجالسها وآدابها ، وكان في بيوت العظماء والأعيان الى جانب النباخين جماعة يهتمون بالشرب وأدواته ونقله وأزهاره ، وكانوا يسمونهم الشرايين^(٢) . وكان من آدابهم وآيئهم أن يثروا الزهور والرياحين في أرض المجلس الشرايبي ، بينما كانت أشهر آلات الطرب الأربع المعروفة آنذ ، وهى الجثك والطنبور والتمزامر والعود ، تشف آذان الشاربين في تلك الجلسات المأجنة ، وكانوا يرقصون في تلك المجالس ، ويسمون الرقصات بأسماء بعض الأصوات الموسيقية من خفيف وهزج وثقل ورمل ، وربما سموها ببعض أسماء الحيوان والجماد كرقصة الجمل ورقصة الكرة^(٣) .

أما مظاهر السرور ومجالي المتع الأخرى ، فقد كانت على أضرب ، منها :

الغناء كان للعرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم حياء وغناء يلائم حياتهم الساذجة وفطرتهم البدوية ، فلما قوى اختلاطهم بالروم والقبط والفرس والأحباش والهند، دخلت في غنائهم عناصر جديدة ، وغنت موسيقاهم بنوع طريف . ويقال ان أول من أدخل الموسيقى الأجنبية على الموسيقى العربية والغناء العربي عبد لبعض أشراف مكة اسمه سعيد بن مسبح ، فقد كان مغنيا حسن الصوت بارعا في الغناء والضرب ، رحل الى الشام وفارس ، وسمع ألحانهم فأدخلها في الأنغام العربية منتقيا منها ما يلائم الذوق العربي . ثم رجع الى الحجاز فأخذ عنه أهلها ، وسما قدر أيام بنى أمية . ولقد ارتقت مرتبة المغنين في العهد الأموي وخصوصا أيام يزيد والوليد ، ومن خير من نبغ من مغني هذا العصر عبيد الله بن سريج أحد الموالى وكان يغني غناء مرتجلا (٩٨-) ، والغريض عبد الملك من موالى البربر ومن أحنق مغني مكة وضارب العود والدف (٩٥-) . ومعد بن وهب مغني الوليد بن يزيد (١٢٦-) ، وحكم الوادى مغني الوليد ثم المنصور والرشيد (١٨٠-) ، وعبد الله بن

(١) كتاب الأشربة والأغاني (٤/١١٢ و٤/٥)

(٢) أنظر الفرج بعد الشدة للتنوخي (١١/٢)

(٣) المروج طبع باريس (٨/١٠٠)

(٤) المصدر السابق وظهر الاسلام (١/١٠٧)

وهب أستاذ ابراهيم الموصلى (-١٦٩)، وزرياب على بن نافع مولى المهدي وناطقة الموسيقى والشعر والعلوم (-٢٣٠) .

وقد ألف في الغناء كتب كثيرة ضاعت مثل كتاب اسحاق الموصلى ويونس بن سيمان الكاتب المني وعمرو بن بانه وأبى حنيفة وجحظة البرمكى وأحمد بن أبى طاهر طيفور صاحب المنثور والمنظوم وغيرهم ممن أوردتهم ابن النديم في الفهرست^(١) . ومن أجل ما ألف فيه كتاب أبى الفرج الأصفهاني - وهو من ذخائر الخزانة العربية اليوم - وفصول ممتعة في نهاية الأرب للنويرى^(٢) .

اللعب بالنرد والشطرنج من الألعاب الدخيلة التي عرفها العرب في الجاهلية وصدر الاسلام للعب بالنرد والشطرنج . وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر أقوال تنهى عن تضيق الوقت في اللعب والمقامرة بهما . وقد تسمع قوم من الفقهاء في اللعب بالشطرنج ، لما فيه من تمرين الذهن واذكاء الزكاة والفطنة . وقد اشتهر اللعب بالشطرنج في العصر العباسي ، ونبغ فيه معنودون ، منهم العدلى الذي ذكره ابن النديم^(٣) في أول الفصل الذي كتبه عن البارعين بهذه الصناعة والمؤلفين فيها وفي حيلها ، وقد ذكر عنه أنه أول من عمل كتابا في الشطرنج ، وله أيضا كتاب النرد وأسبابها واللعب بها . وقد ضاعت أخبار هذا اللاعب كما ضاعت آثاره . ههنا ذكرهم ابن النديم في عداد الشطرنجيين الرازي ، ولا ندرى أى رازى هو ، غير أنه قال في صدد الكلام عنه : انه كان نظير العدلى ، وأنهما كانا يلعبان بين يدي الخليفة المتوكل على الله ، وأن له كتابا في الشطرنج . أما امام هذه الصناعة فهو أبو بكر الصولى محمد بن يحيى الكاتب (-٣٠٠) وكان أحسن شطرنجيين زمانه حتى لقب به ، وقد مهدت له براعته الفاتحة فيه الدخول الى دار الخلافة ومناصرة خلفائها وبخاصة الراضى والمكثفى والمقتدر . وقد ألف كتابا ذائع الصيت في الشطرنج ذكره ابن النديم ، وقال : له كتاب الشطرنج النسخة الأولى والنسخة الثانية^(٤) . ومنهم اللاعب اللجلج محمد بن عبدالله ، وقد ذكره ابن النديم وقال : رأيت خرج الى

(١) انظر الفهرست طبع مصر (ص ٢٠٣ وما بعدها و ٢٢١) .

(٢) نهاية الأرب طبع دار الكتب (٤/ ١٥٦) .

(٣) مروج الذهب (١/ ٣١١) .

(٤) الفهرست (ص ٢٢١) .

شيراز الى عضد الدولة ، مات سنة نيف وستين وثلاث مئة وله كتاب منصوبات الشطرنج .
ومنهم ابراهيم بن محمد بن صالح الاقيدسي وله كتاب منصوبات الشطرنج أيضا وقد ضاع .
ومنهم المغنى المشهور بقرىص الجراحى لانه كان من رجال أبى عبدالله محمد بن داود
ابن الجراح الوزير وله كتاب فى الغناء وآخر فى الشطرنج . ومات سنة ٣٢٤هـ .

مسابقة الخيل والبغال والحمير والكلاب والطيور من الألعاب التى عرفها

العرب ومارسوها فى جاهليتهم واسلامهم ، المقامرة فى السباقات . وقد كان
شفغهم بها عظيما لصلة ذلك بالفروسة وحياة المغالبة التى كانوا يحيونها . وهم
وان كانوا شغوفين جدا بسبق الخيل الا أنهم ربما سبقوا بين البغال والحمير أيضا ،
بل ربما سبقوا بين الطيور والكلاب . كما كانوا يحبون مهارشة الكلاب والحيوانات
الأخرى الضارية وغيرها من الديوك والكباش والمغزى . ويذكر المسعودى فى المروج
أن عيسى بن لهيعة المؤرخ المحدث المشهور ألف كتابا سماه « الجلائب والحلائب »
ذكر فيه اسم كل حلبة أجريت فى الجاهلية والاسلام^(١) ، ولم نثر عليه ، الا أننا نزال
نثر على نصوص متفرقة فى كتب الأدب والتاريخ عن هذا النوع من المسابقات وبخاصة
ما يتعلق بسباق الخيل ؛ لأن العرب كانوا فى الجاهلية مفرمين بحب الخيل الأصلية ،
مفتونين بمظاهر الفتوة ، والجياد من أجلى مظاهر الفتوة ، وربما كانت السبب فى رفع
شان قبيلة ووضع شأن أخرى ، وكانت لهم فيها عادات وآداب ، وكانوا يرسلون الخيل الى
الحلبات - وهى ميادين لعبها - عشرة عشرة ، ولكل واحد منها عندهم اسم باعتبار تقدمه
فى السبق^(٢) . ولما جاء الاسلام وأباح هذا النوع من الرياضة لما فيه من تقوية روح
الرجولة والعزة وتنمية أسباب الجهاد فى سبيل نصره دين الله تعالى ، بالغ الأمراء والنبلاء
والعامة فى شأن الخيل واتخذت لها الحلبات والميادين ، واستكثروا من الخيل والبراذين ،
وافتنوا فى تأديبها وتضميرها ، وتحسين نسلها والعناية بكل ما يتصل بها .

وقد كان للخلفاء من زمن مبكر عناية بحلبات الجياد وشغف بحب سباقها وتشجيع
عليه . قالوا : كان عبدالله بن الزبير ومعاوية بن أبى سفيان من أقدم من بالغ من الخلفاء فى
اتخاذ الحلبات . أما أخبار من جاء بعد من الخلفاء والملوك والأمراء ، فأكثر من أن تحصى .
وكان الخلفاء يخرجون بأنفسهم للسباق فى أيام معينة ومجاراة من يفوز أو يحوز قصب

(١) أنظر مروج الذهب (٤/٢٥) . (٢) المصدر السابق (٢/٣٨٠)

السبق على حد تعبيرهم ، وهى قصة كانت تفرس فى آخر الميدان يأخذها السابق الأول دليلا على سبقه . فمن أخذها ، نال الجوائز السنية ، وارتفع قدره . ومن أشهر من عنى بالسباق من خلفاء أمية ، هشام بن عبد الملك ، فقد روى أنه اجتمع فى اصطبله أربعة آلاف رأس جواد أصيل ، وهو رقم قياسى عجيب لم نسمع به لاحد فى الجاهلية والاسلام . وقالوا : انه كان فى اصطبل الوليد بن يزيد ألف فرس منسوبة أسبقها فرسه (السندى) . وكانت حلبة رصافة هشام أعظم حلبات السباق فى سعتها ورونقها واحتوائها على كل أسباب الراحة للخيول والخيالة والنظارة . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه ثم المسعودى فى سوجه قصصا وطرائف كثيرة عن ميادين سباق الرصافة الهشامية وحلبتها^(١) ، وهى تدل على شدة ولع القوم بهذا الضرب من الرياضات .

ولم يكن شأن خلفاء آل العباس أقل بكثير من شأن آل أمية ومروان ، فقد كانت فى بغداد والرقه والشماسية وسامراء حلبات كبرى وميادين سباق أخبارها مستفيضة فى توارىخهم . وقد حفظ لنا الأدب العربى كثيرا من أوصاف هذه الحلبات والميادين ، كما حفظ لنا أسماء أبطالها وخيولها ، وآداب السباق ووصف مجالسه وتصوير انحلة والخيول وتبيين أسمائها وصفاتها وشيائها . ومن أروع ذلك وأطفه قصيدة جميلة لمحمد بن يزيد ابن عبد الملك بن سروان ذكرها المسعودى فى المروج ، فارجع اليها اذا شئت^(٢) .

الرياضة باللعب بالصواريخ والكرة والبندق والصولجان تقليد فارسى الأصل عرفه العرب فى جاهليتهم ، واعتنى به الأمراء بعض الشيء أيام بنى أمية ، وازدادت عنايتهم به أيام بنى العباس وبخاصة فى زمن الرشيد ومن بعده . وهذه اللعبة عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة مرنة (كالفلين) ونحوه تلقى فى أرض الميدان فيتسابق الفرسان الى التقافها بعضا عقفاء يسمونها الصولجان أو الجوكان ، ويرسلون الكرة بها فى الهواء وهم على خيولهم^(٣) . وهى أشبه بلعبة الهوكى التى يلعبها الأوربيون الآن .

أما اللعب بالبندق ، فهو عبارة عن اللعب بكرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ، ويترامى بها فى الهواء ، أو يتصيد بها المتسابقون والمتبارون . وهى فارسية الأصل ، وتسمى أيضا الجلاهقات . وقد اقتبس العرب هذه اللعبة فى أواخر

(١) المروج (٢٩/٢ ١٣٥) (٢) المصدر السابق ٣٨١/٢

(٣) تاريخ التمدن الاسلامى (١٥٨/٥)

أيام عثمان بن عفان ، وعد الفقهاء ظهورها في المدينة أمرا منكرا^(١) . وقد اعتنى الناس في أيام بني العباس بهذا النوع من الرسى في الصيد والرياضة حتى صار رماة البنادق في زمن العباسيين طائفة كبيرة يخرجون الى ضواحي المدن للسباق وصيد الطير بها ، ورووا أن الرشيد كانت له فرقة من أصحابها اسمها « النمل » ، وأنها كانت تسير بين يديه ترمى البندق ، وأن الخليفة الناصر لدين الله جعل لرمى البندق شأنا كبيرا ، وأنه كان ولما به وباللعب بالحمام المناسب . . . وجعل رمى البندق فنا لا يتعاطاه الا الذين يشربون كأس الفتوة ، ويلبسون سراويلها ، كما نجد أخبار ذلك مفصلة في تأريخ ابن الاثير^(٢) . وفي تاريخ التمدن الاسلامي : « تفنن العرب في رمى البندق بالمزاريق أو الانابيب بضبط الهواء من مؤخرة الانبوب بما يشبه انابيب البنادق . فلما اخترع البارود ، صاروا يرمون البندق به من تلك الانابيب . وسموا هذه الآلة بندقية نسبة اليه . ومن قيل رمى البندق رمى الشباب في البرجاس ، وهو غرض في الهواء أو على رأس رمح أو نحوه يطلبون اصابته بالشباب . . . »^(٣) .

وضحا المصارعة والركض والسباحة عنى العرب منذ الجاهلية بالمصارعة

والسباحة والتسابق ركضا . وقد تفننوا في ذلك ، وجعلوا لكل واحد منه شروطا وتقائيد تدل على عنايتهم به وبراعتهم في اتقانه . وقد حفظ لنا ابن عبدوس الجهشيارى طرفا من أخبار ذلك في كتابه « الوزراء » ، كما نجد تفصيلا لبعض آدابه وشروطها في كتاب النفحات المسكية للحموى .

وفي أيام الخلفاء الراشدين والامويين زادت غناية الناس بهذه المظاهر ، لما فيها من التنشيط وتقوية الجسم واعداد الاجسام الصحيحة للجهاد في سبيل الله واعداد العدة للقاء العدو . أما أيام بني العباس فقد انقلبت الى نوع من التسلية وازجاء الوقت واللهو . وقد فصل ذلك آدم متر في كتابه عن الحضارة الاسلامية^(٤) ، وكاترمير في كتابه تاريخ الماليك^(٥) .

(١) تاريخ ابن الاثير (٩٠/٣) ، وتاريخ التمدن الاسلامي (١٥٨/٥) والنفحات المسكية في صناعات الفروسية لاحمد بن محمد الحموى طبع بغداد سنة ١٩٥٠م .

(٢) التاريخ (٢٠٢/١٢) . (٣) تاريخ التمدن الاسلامي (١٥٩/٥)

(٤) ترجم كتاب الحضارة الاسلامية لآدم متر الأستاذ عبدالهاده أبو ريده وطبع بمصر أنظر (٢٤٥/٢) .

(٥) كتاب تاريخ الماليك للمسيو كاترمير بالفرنسية من أمهات الكتب في موضوعه ، أنظر (١١/١) .

ومنها الاحتفال بالعيد الدينى والمواسم القومية كان العرب فى جاهليتهم

يحتفلون ببعض الأعياد والمواسم ، ويظهر أن أعظم أعيادهم كانا اثنين . فقد روى المحدثون والمؤرخون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، ولأهلها يومان يلعبون فيهما ، فقال : سا هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قد بدل لكم خيرا منهما : يوم الفطر ، ويوم الأضحى . فأول ما بدى به من العيدين فى المدينة عيد الفطر ، وذلك فى سنة اثنين من الهجرة ، وفيها كان عيد الأضحى أيضا^(١) . ويقال : ان العيدين اللذين كانا فى الجاهلية هما المهرجان والنيروز كما ذكر ذلك السيد محمود شكرى الألوسى^(٢) . وقد كانت للجاهليين مواسم أخرى يعيدون فيها ويفرحون ، وهى مواسم الأسواق التى كانت لهم فى الجاهلية كأسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وكأعياد الفرس التى كان يحتفل بها متحسسة العرب ، وأعياد اليهود والنصارى التى كان يعيد فيها متهودو العرب ومتنصروهم .

فلما بزغت شمس الاسلام ، نهى الرسول عن الاحتفال بغير عدى فطر شهر رمضان وأضحى يوم عرفة ، ويظهر أن الرسول الأعظم قد لاحظ أنه لا بد لكل أمة من عيد يفرح فيه الصغير ، ويشرح به صدر الكبير ويروح فيه عن نفسه ؛ وأنه لا بد لكل عيد من مناسبة ، وقد خشى الرسول أنه ان أبقى الاحتفال بذنك الموسمين الوثنيين أن يكون ذلك تنويها بشعائر الجاهلية ، فاستبدلها بموسمين عظيمين : هما يوم انتهاء صوم رمضان ، ويوم وقوف الناس على عرفة . قال السيد محمود شكرى الألوسى : « وانما بدلا - أى عيد المهرجان والنيروز - لأنه ما من عيد فى الناس الا سبب وجوده تنويه بشعائر دين ، أو موافقة أئمة مذهب ، أو شيء مما يضاهاى ذلك ، فخشى النبى صلى الله عليه وسلم ان تركهم وعاداتهم أن يكون هنالك تنويه بشعائر الجاهلية أو ترويج لسنة أسلافها فأبدلها بيومين فيهما تنويه بشعائر الملة الحنيفية ، وضم مع التجميل فيهما ذكر الله وأبوابا من الطاعات ، لئلا يكون اجتماع المسلمين بمحض اللعب ، ولئلا يخلو اجتماع منهم من اعلاء كلمة الله .. ولما كان أصل العيد الزينة ، استحب حسن اللباس والتقليس ، أى ضرب

(١) أنظر نهاية الأثر (١/١٧٧) .

(٢) بلوغ الأثر ، طبعة بغداد (١/٤٠٤) .

الدفوف ، ومخالفة الطريق والخروج الى المصلى ... (١) .

وقال النويرى فى نهاية الأرب : « الأعياد الاسلامية التى وردت بها الشريعة اثنان : عيد الفطر وعيد الأضحى ... وعيد ابتدعه الشيعة وسموه عيد الغدير ، وسبب اتخاذهم له مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم غدير خم ... وايوم الذى ابتدعوا فيه العيد هو الثامن عشر من ذى الحجة ؛ لأن المؤاخاة كانت فيه سنة عشر من الهجرة وهى حجة الوداع ، وهم يحيون ليلتها بالصلاة ، ويصنون فى صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وشعارهم فيه لبس الجديد وعق الرقاب وبر الأجانب والذباح . وأول من أحدثه معز الدولة على بن بويه فى سنة ٣٥٢ هـ (٢) .

ويظهر أن المسلمين عادوا بعد انتضاء عهد الخلفاء الراشدين الى الاحتفال ببعض أعيادهم القديمة وبخاصة النيروز والمهرجان والسدق . أما النيروز فهو أعظم أعياد الفرس ، ويقال : ان أول من اتخذ جمشيد ، وسبب اتخاذ - فيما يزعمون - أن الملك طهمورث وكان ملكا عاتيا فلما هلك وملك بعده جمشيد سمي اليوم الذى ملك فيه (نوروز) أى اليوم الجديد . ومنهم من يزعم أنه اليوم الذى خلق الله فيه السموات والأرض وأنه كان معظما عند الفرس منذ أيام جمشيد ، ومنهم من يزعم أنه أول الزمان الذى ابتدأ فيه الفلك بالدوران ومدته ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر (افريدون ماه) الذى هو أول شهور سنتهم . وأما المهرجان فوقعه فى السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان وفى اليوم السادس عشر من (مهرماه) من شهور الفرس وهو سنة أيام ، ويسمى آخرها المهرجان الأكبر . قال المسعودى : « وسبب تسميتهم له بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم ، وكان لهم ملك يسمى (مهر) يسير فيهم بالعنف والعسف ، فمات فى نصف الشهر الذى يسمونه (مهرماه) فسئى ذلك اليوم (مهرجان) ، وتفسيره « نفس مهر ذهبت » . وأما السدق ، فانه يعمل ليلة الحادى عشر من شهر (بهمن) ، ويسمى هذا اليوم عندهم (ابان روز) لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم اسما . ويقال : ان سبب اتخاذهم له أن الأرب الأول - وهو عندهم كيومرث - لما كمل له مئة ولد ، زوج الذكور بالاناث ، وضع لهم عرسا أكثر فيه من اشغال النيران ، فوافق ذلك الليلة المذكورة ، واستنه الفرس بعده .

(١) بلوغ الأرب (١/٤٠٤ وما بعدها) .

(٢) نهاية الأرب (١/١٧٧ وما بعدها) .

وقد ظل المسلمون يحتفلون بهذه المواسم ، وبخاصة في فارس والعراق أيام الدولة العباسية ، وذلك بخروجهم الى المنازل والبساتين ، ولبس الجديد ، والتقليس ، وايقاد النيران والشموع ، والغناء والرقص . قال الشاعر البغدادي ابن الحجاج في قصيدة طويلة يمتدح بها عضد الدولة ابن بويه :

مولاي يا من نداه يعدو	ففات سبقا وليس يلحق
ليتنا حسنهما عجب	بالقصف والعزف قد تحقق
لنارها في السما لسان	عن نور ضوء الصباح ينطق
والجو منها قد صار جمرا	والنجم منها قد كاد يحرق
ودجلة أضربت حريقا	بألف نار وألف زورق
فماؤها كله حميم	قد فار مما غلى وبقي

وقال أبو القاسم الطبري في وصف الاحتفال بسدق عمله السلطان ملكشاه السلجوقي أشعل فيه الشموع في السمرات بدجلة في سنة ٤٨٤ هـ :

وكل نار على العشاق مضرة	من نار قلبي أو من ليلة السدق
نار تجلت بها الظلماء فاشتبهت	بسدقة الليل فيها غرة الفلق
وزارت الشمس فيها الليل واصطلحا	على الكواكب بعد الفيلق والحسق
مدت على الأرض بسطا من جواهرها	ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا أنها نزلت	من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسرها	ومالك قائم منها على فرق !

وكان من عاداتهم في هذه المواسم أن يخرجوا الى البساتين والمتدييات العامة ، فيتفحسون ويتبادلون الهدايا والتحف ، ويلبسون أفخر الثياب وأعلى الحلل وأئمنها . قال السيد الألوسي : « وكانوا في مواسمهم وأيامهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل الثمينة والبرود المعجبة ، والفرسان منهم يتسابقون على الخيل ، والأجواد يسرون (أي يلعبون باليسر) ، وصبيانهم يلعبون أنواعا من الملاعب - قد استوفاهما صاحب القاموس - ويمزرون ، وبالدقوف والمزاهر ينفرون ، ونحو ذلك مع التفتي بأراجيز وأبيات من الشعر » (١) وكانوا يوزعون الأموال والصدقات على الفقراء وأهل الحاجة ، كل بحسب قدرته ، وكان الخليفة يمنح عطاياء وهدايا للمقربين من خاصته ورجاله ،

وكذلك كان يفعل الأعيان والوزراء ، وبخاصة في النيروز ، فقد كانوا يحتفلون فيه احتفالات جد لطيفة ، وربما سمح بعض الخلفاء لجماعات من المضحكين وأصحاب السماجات (المساخز) أن يظهروا في حضرته أو في الميادين العامة • وكانوا يسبحون أن يضرب بعضهم بعضا بالجلود والانتطاع • أما الفقراء وسواد الشعب ، فقد كانوا يذبحون ذلك في الشوارع والميادين • وأما الأغنياء فقد كانوا يفعلون ذلك في دورهم وحدايقها • وكان الشرط لا يعترضون على ذلك • وإن غلط أحد الأغنياء أو الكبراء وخرج من قصره في ذلك اليوم ، لقيه الغوغاء فرشوه بالماء ، وجلدوه ، وأفسدوا ثيابه ، واستخفوا بحرمته^(١) • أما يوم المهرجان - وهو عيد الدخول في الشتاء - فهو أكبر الأعياد بعد النيروز ، وقد كانوا يتهادون فيه أيضا ، ويفرحون بمقدمه • وفي الأدب العربي نثر وشعر كثير عن احتفال الناس بهذه الأعياد^(٢) •

ومنها تلعب الخيال هو شبيه بما نسميه اليوم في ديار الشام ومصر والعراق بـ (قره كوز) أو (كر كوز) ، وهو أن يمثل بعض الأشخاص والحيوان على تماثيل من العجل أو الورق المقوى ، وتنصب خيمة تلعب من ورائها هذه التماثيل ، ويقص على الناس ملعبها أقاصيص وخرافات ، ويقلد حركات بعض الناس من خاصة وسوقة • وقد ذكر آدم متر في كتابه الحضارة الإسلامية أن هذه الملاعب كانت معروفة في العصر الذي توارخه ، وأنهم كانوا يمثلون بعض الأشخاص على أشكال مضحكة ، ويقلدون حرركاتهم وأقوالهم وبعض أحوالهم^(٣) •

ومنها المسامرة بالفقصة وسرد الطرف وهذا النوع من التسلية قديم جدا عرفه الإنسان في أقدم عصوره • وركن إليه الصغار والكبار ، لما فيه من الترويح عن النفس وتسلية القلب المحزون واضحاك النفس المنكمشة •

روى ابن هشام في السيرة النبوية أن صفوان بن أمية كان ممن دخل بلاد فارس ، وتعلم من أقاصيصهم وخرافاتهم وأسماهم ، وجاء إلى مكة يحدث الناس بها ويرويها لهم في نواديهم ومجالسهم العامة •

(١) أنظر الحضارة الإسلامية (٢/ ٢٤٥) •

(٢) أنظر الفصل الممتع المفيد الذي كتبه الإمام ابن تيمية في كتابه النفيس « اقتضاء الصراط المستقيم » عن الأعياد وبدعها •

(٣) الحضارة الإسلامية (٢/ ٢٢١)

وقد كتب العرب ، منذ فجر عصر التأليف ، فى هذا النوع من السمر . قال ابن النديم فى الفهرست : « ابتدأ أبو عبدالله الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ... » وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه ... » (١) . وقد نقل آدم متر عبارة ابن النديم وعلق عليها بقوله : « وهذه القصص هى من نوع يغاير كل المغايرة القصص القديمة التى ألفها ابن قتيبة وابن عبدربه ، ففيها نجد لأول مرة الأسلوب القصصى الاسلامى » (٢) ، ويريد بذلك ما يرويه صاحب عيون الأخبار والعقد من الخرافات والاقاصيص التى وويها عن العرب ، وهى فى الواقع قصص موجزة ليس فيها التسلسل المطلوب فى القصة ولا الابداع القصصى ولا الأسلوب السمرى كالذى نجده فى قصة ألف ليلة وليلة ، فانا لا نعرف مؤلفا عربيا قبل ابن عبدوس سلك هذا المسلك ، الا اذا اعتبرنا ما نقله مؤرخو الأدب العربى من أن جماعة من قدماء مصنفى العرب قد ألفوا قصصا فى عشاق الجاهلية والاسلام ، مثل عيسى ابن دأب والشرقى بن القطامى وهشام بن الكلبي والهيثم بن عدى وغيرهم ممن روى عنهم أنهم ألفوا قصصا فى أخبار جميل بشية وكثير عزة وفيس لبنى ومجنون ليلي وتوبة ليلي وغيرهم ممن ذكرهم ابن النديم فى الفهرست (٣) ، ولكن هذه الآثار قد ضاعت فلم نعرف طريقة كتابتها . وهناك نوع من كتب الأسمار والمناذمات وقصص المجالس ، ألفها جماعة من متقدمى المؤلفين ، وانتشرت بين العامة ، يقرؤونها ، ويتسامرون بأخبارها وفكاهاتها ، من ذلك ما رووا من أن ابن خرداذبه الجغرافى عبيدالله بن أحمد ألف كتابا اسمه « الندماء والجلساء » جمع فيه طرفا من آداب الندماء ومسامراتهم وقصصهم ، وله كتاب اسمه « اللهو والملاهى » (٤) ذكره ابن النديم فى كتابه الفهرست ، ولكن لم أر من أشار الى وجوده . وهناك جماعة من المؤلفين ذكر ابن النديم والحاج خليفة آثارهم ، ولكنها كلها مفقودة . فمن أولئك :

يحيى بن أبى منصور الموصلى الأديب - ألف كتاب الاغانى ، كتاب المعارض ، كتاب الطيخ ، كتاب العود والملاهى (٥) .

على بن مهدي الكسروى المؤدب - ألف كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغي أن

(٢) الحضارة الاسلامية (١/٤١٩) .

(٤) الفهرست (ص ٢١٣ - ٢٥١) .

(١) الفهرست (ص ٢١٣) .

(٣) الفهرست (ص ٤٢٥) .

(٥) الفهرست (ص ٢١٦) .

يقتدى القضاة في مطاعهم بالأئمة والخلفاء ، وله أيضا كتاب الأعياد والنواير ،^(١) .
 أبو بكر محمد بن يحيى الصولى العالم الظريف النديم - ألف كتابا فى الأسفار
 والأقاصيص ، ذكرها ابن النديم فى الفهرست^(٢) .

أبو عبدالله محمد بن أحمد الحكيمى - ألف كتاب الفكاهة والدعابة^(٣) .
 أبو العنيس محمد بن اسحاق الصيمرى النديم المزاح الفكاه - قال ابن النديم : كان
 من أهل الفكاهات والمراطرز^(٤) ، وكان مع ذلك أدبيا عارفا بالنجوم . . . أدخله المتوكل
 فى جملة ندمانه ، وخص به ، له كتاب هندسة العقل ، وكتاب الأحاديث الشاذة ،
 وكتاب السحافات واليعامير ، (الذين يجلدون عميرة) ، وكتاب الخضخضة فى جلد
 عميرة ، وكتاب القواد .

أبو حسان محمد بن حسان - نديم المتوكل ، وله كتاب قصص النساء والباء ،
 وكتاب البغاء ، وكتاب السحق .

أبو العبر محمد بن أحمد بن عبدالله العباسى القرشى (-٢٥٠) - قال جحظة : لم
 أر أحفظ منه لكل عين ، ولا أجود شعرا ، ولم يكن فى الدنيا صناعة الا وهو يعملها بيده
 حتى لقد رأيت به يعجن ويخبز ، وكان أبوه يلقب بالحماض ، حافظا أدبيا ، وكان فى
 نهاية النصب واللغة ، قتله قوم من الرافضة سمعوه يتناول عليا ، ومن شعره :

زائر نم عليه حسنه	كيف يخفى الليل بدرا طلعا
أمهل الففلة حتى أمكنت	ورعى السامر حتى هجما
ركب الأهوال فى زورته	ثم ما سلم حتى ودعا

وله كتاب جامع الحمامات ومأوى الرقعات ، وكتاب النوادر .

أبو القاسم على بن محمد بن الشاء الظاهرى - من أولاد ابن ميكال ، كان أدبيا
 طيبا مفاكها ، له كتاب أخبار الغلمان ، كتاب النساء ، كتاب الخبز والزيتون ، كتاب حرب
 اللحم والسمك ، كتاب البغاء ولذاته ، كتاب الخضخضة .

أحمد بن محمد بن علوجة السجزي - كان طنوبوريا ، أحد الظرفاء والمتطايين ،
 يلقب بالريح ، ويعرف بجرباب الدولة . وله من الآثار كتاب النوادر والمضاحك فى
 سائر الفنون والنوادر ، ويسمى هذا الكتاب أيضا ترويح الأرواح ومفتاح السرور

(١) الفهرست (ص ٢١٦) .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولعلها محرفة عن (المطائرات) من الطنز وهو السخرية ،
 ذكر فى القاموس وقال الجوهري : أظنه مولدا أو عربيا

والأفراح وهو كتاب كبير^(١) .

ومنها الصيد والطرد حض العرب في الجاهلية والاسلام أنسأهم على تعلم الفروسة ، ومن أروع ما قيل في الحض عليها قول عمر وقد كتب به يوصى أبناء العرب فيما يجب أن يتصفوا به : « اتزروا ، وارتدوا ، واتعلوا ، وألقوا الخفاف ، وارموا الأغراض ، والقوا الركب ، وانزوا نزوا على الخيل ، وعليكم بالمعدي ، ودعوا التعم وزى العجم ، ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، واطلبوا لحمان الصيد فانها أهنأ وأمرأ .. » وقد كان العرب منذ القديم متقين في حيله ، عارفين بمخاتله ، يعتمدون عليه في غذائهم اعتمادا كثيرا ، لسوء حال أرضهم ، وفقر ديارهم . قال السيد الألوسي : « وكان الاصطياد ديدنهم وسيرة فاشية فيهم ، حتى كان ذلك أحد المكاسب التي عليها معاشهم . وكان لهم شغل شاغل عن الاعتناء بأمر المأكول لاضطرارهم الى النقلة في الغالب لرعى مواشيهم وغزو بعضهم بعضا . وأما ما كان يتعاطاه غيرهم من التائق في الأطعمة المتنوعة والألوان الشهية ، فلم تكن العرب تعرفها .. »^(٢) .

أما آلات الصيد التي كانوا يستعملونها ، فهي النبال والفخاخ . ولما اتصلوا بالفرس والروم والأنباط والأقباط ، توسعوا في طرائق الصيد ، وتفتنوا في استعمال الآلة وفي أساليب قصه ، واتخذوا الجوارح من الطير والوحش كالباز والشاهين والعقاب والصقر والفهد والكلب ، فعلموها الصيد ، وضروها عليه ، ودربوها على اتقان ضرويه . وأول من اشتغل من الخلفاء بهذه الأشياء يزيد بن معاوية ، فقد ذكروا أنه كان صاحب صيد وجوارح وفهود وقرود^(٣) وما الى ذلك . وفي أيام بنى العباس بلغ فن آلات الصيد والطرد ذروته ، لرسوخ أقدام الأمراء والوجوه في هذا الباب من اللهو ، وبذلوا الأموال في تأديب الجوارح وتعليم الكلاب والفهود ، ووجدت طبقة من الناس تربى هذه الحيوانات وتمهدها ، منها : اليازرة ، والحجالون ، والفهادون ، والصقارون ، والكلابون .

وأما آدابه وآيينه ، فكثيرة عريقة منذ الجاهلية ؛ لأن العرب - كما رأيت - كانوا يهتمون بهذه الرياضة منذ أيام امرئ القيس وصحابته . فلما جاء الاسلام ، أقر هذه الرياضة المحببة ، وشجع عليها . وفي العصر الأموي صار لها شأن وأى شأن ، فقد ازداد ولع الأمراء والخاصة بها ، وكان بعضهم كهشام والوليد ويزيد عاكفين عليها ، حتى انهم

(١) الفهرست (ص ٢١٨) (٢) بلوغ الأرب (١/٤٢٣) .

(٣) الفخرى (ص ٤٩) .

كانوا ينون القصور الفخمة على أسياف البادية خصيصا لتسجم غير الصحراء والصيد والاستجمام . فلما جاء خلفاء آل العباس ، ازداد فتونهم بها ، واهتموا بالصيد وآيينه اهتماما عظيما كما نجد في مقدمة كتاب المصايد والمطارد لكشاجم ، وكتاب البيزرة ، اللذين سندرسهما دراسة مفصلة .

أما أدب الصيد ، فكثير منذ العصر الجاهلي . وقد حفظت لنا دواوين الأدب والشعر ومجموعاتهما كثيرا من طرائف الطرديات . فلما جاء الاسلام ، وبعده العصر الأموي ، افن الشعراء في وصف رحلات الصيد ، وأتوا بضروب كثيرة من وصفه ورحلاته . وأول من أكثر القول فيه من محدثي العصر العباسي ، أبو نواس ، فقد ألف في ذلك قصائد كثيرة وأراجيز أكثر . وطردياته مشهورة ممتعة ، برع فيها في وصف كلاب الصيد وحيواناته وفنونه ورحلاته وما يجري فيها من لهو ومرح ورياضة^(١) .

وأما الآثار التي ألّف في الصيد والطرْد وما إليه ، فكثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست والحاج خليفة في كشف الظنون ، ولكن أكثر هذه الآثار قد ضاع . ولعل أقدم من ألف في هذا الفن فيما نعلم هو اللغوي المشهور أبو عبيدة معمر بن اثنى (١١٤-٢١٠) ، فقد ذكر له ابن النديم كتابين : أحدهما كتاب (الباز) ، والآخر كتاب (الحمام) . وهذان الكتابان ، وإن كنا لم نرهما ونجهل ما بحثه أبو عبيدة فيهما ، فإن مما لا شك فيه أنهما كانا يشتملان على بحوث لغوية ونكات أدبية وأخبار تاريخية تتعلق بالباز والحيوانات الصائدة وما إليها^(٢) . وللأصمعي (٢١٧-) أيضا « كتاب الوحوش »^(٣) ، ولأبي حاتم السجستاني (٢٥٥-) كذلك كتاب في الوحوش^(٤) ، وآخر في الطير ، وثالث في الحشرات ، ورابع في القس والنبال والسهام والسيوف والرماح^(٥) . ونحن ، وإن كنا لم نر شيئا من هذه الآثار ، نكاد نجزم بأنها كتب غلبت عليها المسحة اللغوية والأدبية ككل ما حفظ من آثار هؤلاء المصنفين . أما الناحية الفنية ، فلا نعتقد أنهم حوموا حولها . ولعل أول من ألف في هذا الفن من الناحية الفنية هو (كشاجم) صاحب المصايد والمطارد كما سنرى . ثم كتاب البيزرة لمؤلف مجهول . ثم كثرت من بعد التأليف في هذا ، ولكنها مفقودة نجد بعض أسمائها في كشف الظنون أو الفهرست ، مثل كتاب " أنساب الحمام " ، و « كتاب ما ورد في تفضيل الطير الهادي » لابن طرخان علي بن حسن

(*) من أنفس المجموعات الأدبية التي حوت مقطوعات رائعة في أدب الصيد كتاب ربيع الأبرار للزمخشري ، والجزء الثاني من كتاب الزهرة للأصفهاني .
(١) أنظر كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٨٠) (٢) الفهرست (ص ٨٢)

المفنى^(١)، وكتاب المصايد للطبيب عيسى الرقى أحد أطباء سيف الدولة الحمداني، وكتاب الصيد للخالدين، والأرجوزة المسماة «الفريدة في أدب الصيد» لابن عبد الخالق^(٢)، وغير ذلك من الكتب التي ضاعت وبقيت لنا أسماؤها. أما الآثار الباقية من هذا الصنف، فهي: كتاب «المصايد والمطارد» لكشاجم، و«كتاب البيزرة»، و«أرجوزة ابن نباتة»، القسم الأخير من كتاب الاعتبار لأسماء بن منقذ، وقصيدة ابن عبد الجبار الفجيجي (٩٢٠). وهاك تعريفا مفصلا بكل واحد من هذه الكتب:

المصايد والمطارد لكشاجم: عثرت في أثناء تنقيي عن نفائس خزائن الكتب العربية في إيران (سنة ١٩٤٦م) على نسخة نفيسة من كتاب المصايد والمطارد لكشاجم، فاقنتيها، وحرصت على العناية بها لعلها بقيمتها الأدبية والفنية، وهي نسخة جد نفيسة مكتوبة بقلم نسخي مضبوط في الغالب. وهو في ٢٨٠ ورقة بحجم ١٨ر٥ × ١٢ر٥ س/٠ وقد تصفحت الكتاب مرات، فأعجبت به، وانصرفت إلى دراسته وتحقيقه بغية نشره، وأرجو الله العظيم أن يوفقني لنشره في القريب بحوله وقوته.

أما مؤلفه، فهو الشاعر الظريف المعروف «بكشاجم». وقد عاش في عصر من أزهى عصور الأدب العربي في بلاد الشام، ألا وهو عصر سيف الدولة بن حمدان الذي ازدهرت الآداب والفنون في زمانه، وأثمرت دوحة العلم والفن برعايته، ولا عجب فإن بلاطه قد كان من خير البلاطات، بل كان أزهر بلاط في عصره. فالتبى شاعره، وأبو فراس الحمداني غذى نعمته، وأبو العباس النامي وأبو الفرج البغدادى والوأياء الدمشقي والخالديان الموصليان وابن نباتة السعدي كانوا من ندماء مجلسه الأدبي، ويطول بنا البحث إذا رحنا نعدد كل من كان في بلاطه من أدباء وشعراء ومصنفين وحكماء. يقول الأستاذ أحمد أمين: «وحسبنا أن نقول: إن هذا الجوّ الذي خلقه سيف الدولة، حت كل من كان عنده شاعرية على قول الشعر والاجادة فيه، فقيما المكتبة صارا شاعرين، وبائع البطيخ وهو الوأياء صار شاعرا، وكشاجم قالوا إنه كان طبّاخ سيف الدولة، ومع هذا كان شاعرا ظريفا. له ديوان، وأدب النديم، وخصائص الطرب، والمصايد والمطارد؛ ثم كان من أشهر خطباء سيف الدولة ابن نباتة الفارقي صاحب الخطب المشهورة وامتلائت خطبه بالدعوة إلى الجهاد. ثم كان في بلاطه من يعد من أشهر اللغويين والنحويين في

زمانه أبو على الفارسي وابن خالويه وابن جني . . والفيلسوف الفارابي . وكان حوله من الأطباء أربعة وعشرون طبيباً ، منهم عيسى الرقي ، (١) .

في هذا المحيط العلمي الفني عاش كشاجم ، وكان هو وشاعر الشام في عصره ، محمد بن أحمد الأنطاكي المعروف بالصنوبري (٣٣٤-) (٢) أمين خزانة سيف الدولة قبل الخالدين ، صديقين متحابين ، وكانا شاعري الشام في عصرهما . وكان الصنوبري سيداً وجيهاً ، وشاعراً مجلياً ، وصافاً للجنان والأزهار والرياض والقياض ، ولوعاً بوصف السماء والضياء والماء والهواء ، والتلج والفاكهة . وقد كان للصنوبري تأثير كبير في صديقه كشاجم ، وقد عبر كشاجم عن تلك المودة بقوله يخاطب صديقه :

أتسى زمناً كما به كالماء والخمر ؟
أليفين حليفين على الأيسار والعسر
مكبين على اللذا ت في الصحو وفي السكر
نرى فسي فلك الآدا ب كالشمس وكالبدر
كما ألفت الحكمة بين المود والزهر (٣)

وقد سار كشاجم على طريقة صديقه في وصف الطبيعة ومجاليها ، والحياة وملاذها (٤) .
والحق أن الصنوبري وكشاجم كانا ريحانتى الأدب في ديار حلب في تلك الفترة ، وقد انتشر صيت كشاجم في أرجاء العالم الاسلامي منذ زمن مبكر ، وقدره الناس حق قدره ، حتى قال أبو منصور الثعالبي في أثناء كلامه على أبي اسحاق الصابي : « وفيه يقول بعض أهل العصر :

يا يؤس من يسنى بدمع ساجم يهمل على حجب الفؤاد الواجم
لولا تعلله بكأس مدامة ورسائل الصابي وشعر كشاجم (٥)

كشاجم - هو أبو الفتح محمود (بن محمد) بن الحسين بن السندی بن شاهك ، ولا نكاد نعرف من أوليته شيئاً مقطوعاً به . وأقدم من ترجمه فيما بين يدينا من مصادر

(١) ظهر الاسلام (١٧٥/١ - ١٨٧) .

(٢) أنظر مقالة شيخنا كامل الغزي في مجلة المجمع العلمي العربي (١١/ ٤٨٢) ، وديوان الروضيات الذي نشره الأستاذ راغب الطباخ بحلب

(٣) الروضيات (ص ٧٤) . (٤) أنظر الفصل المطول الذي كتبه آدم متر عن ذلك في كتاب الحضارة الاسلامية (ص ٤٣٠)

(٥) يتيمة الدهر ، الطبعة الاولى (٤٢/٢) .

هو ابن النديم صاحب الفهرست ، فقد عده في طبقة الكتاب والخطباء والمرسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين ، ولكن ترجمته موجزة لا تزيد على قوله فيه : « هو أبو الفتح محمود بن الحسن ، وأدبه وشعره مشهور ، وله من الكتب : أدب النديم ، وكتاب الرسائل ، وديوان شعره » . ويقول ابن خلكان (٦٨١-) في أثناء كلامه على السرى الرفاء الشاعر : « كان مغرى بنسخ ديوان أبي الفتح كشاجم الشاعر المشهور ، وهو اذ ذاك ريحان الأدب بتلك البلاد ، والسرى في طريقه يذهب ، وعلى قلبه يضرب ، فكان يدس فيما كتبه من شعره أحسن شعر الخالدين ليزيد في حجم ما ينسخه ويفوق سوقه ويفلى شعره ، ويشنع بذلك عليهما ، ويفض منهما ، يظهر مصداق قوله في سرقتهما . فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة . . . » (١) . وقد نقل ذلك عن الثعالبي في التيعة في ترجمة السرى وأخباره ، ويزيد الثعالبي على ما أورده ابن خلكان قوله : « وقد وجدتها (أى الزيادات التى ألحقها السرى من شعر الخالدين بشعر كشاجم) كلها للخالدين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد ، فى مجلدة أتخف بها الوراق المعروف بالطرسوسى ببغداد أبا نصر بن سهل ، وأنفذها الى نيسابور فى جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه » (٢) . قلت : ومن الغريب أن صاحب التيعة لم يترجم لكشاجم فى التيعة ، ولا التتمة ، على ما رأيت من اعترافه بفضله ، واستشهاده بشعره غير مرة ، ولعل ترجمته سقطت من النسخ المتداولة . ويقول الجلال السيوطى (٩١١-) : « كشاجم اسمه محمود بن محمد بن الحسين بن السندى بن شاهك ، يكنى أبا نصر . وقال صاحب سجع الهديل : « كان أقام بمصر مدة فاستطابها ، ثم رحل عنها فكان يتشوق اليها ، وعاد اليها فقال :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فالآن عدت وعادت مصر لى دارا ، (٣)

ويقول ابن العماد صاحب الشذرات (١٠٨٩-) : « أحد فحول الشعراء . . . المجيدين والفضلاء المبرزين حتى قيل ان لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها ، فالكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والالف من الانشاء ، والجيم من الجدل ، والميم من المنطق . وكان يضرب بملحه المثل ، وقال بعضهم فى ترجمته : هو من أهل الرملة من نواحي فلسطين ، وكان رئيسا فى الكتابة ، ومقدما فى الفصاحة والخطابة ، له تحقيق يتميز به

(١) وفيات الأعيان (٢٠١/١) . (٢) التيعة (٤٥١/١)

(٣) حسن المحاضرة ، الطبعة الحجرية (٢٥٧/١) .

على نظرائه ، وتدقيق يربى به على أكفائه ، وتحديق فى علوم التعليم أضرم فى شعلة ذكائه ، فهو الشاعر المفلق ، والنجم المتألق ، لقب نفسه كشاجم ، فسئل عن ذلك ، فقال : « الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والالف من أديب ، والجيم من جواد ، والميم من منجم » . وكان من شعراء أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة ، قيل : انه كان طباح سيف الدولة ، شعره أنيق ، وأرج مدوناته فتيق ، منها (كذا) كتاب المصايد والمطارد ، وقال فى تقييف اللسان : كشاجم لقب له جمعت حروفه من صناعته ، ثم طلب علم الطب حتى مهر فيه ، وصار أكبر علمه ، فزيد فى اسمه طاء من طبيب وقدمت فقيط طكشاجم ، ولكنه لم يشتهر .^(١)

ونخلص مما تقدم كله الى أنه رملى الأصل . ولكن لا ندرى متى جاء الرملة ، ولا متى ولد . مع أن آباءه وقومه كانوا فى العراق وفى بغداد بصورة خاصة - اذا صحت نسبته للسندى بن شاهك . وقد كان السندى هذا من رجال الدولة العباسية المعدودين . وكان صاحب الحرس ووالى الجسرين ببغداد فى عهد الرشيد ، وقد كلفه الرشيد بمراقبة قصور البرامكة بعد الفتك بهم^(٢) . وقال ابن خلكان فى ترجمة موسى الكاظم : « ان الرشيد حبسه ، وكان الموكل بمدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم »^(٣) . ويذكر ابن طيفور (- ٢٨٠) صاحب كتاب بغداد أن السندى بن شاهك كان من المقربين لدى المأمون أيضا ، وأنه كان جهورى الصوت لا يقدر أن يتكلم سرا^(٤) ، وأن وفاته كانت بعد دخول المأمون ببغداد بأربعة أشهر وأيام^(٥) . ويذكر الجاحظ السندى بن شاهك فى البيان والتبيين ، وينقل عن ابنه ابراهيم بن السندى بعض الأخبار الخاصة بالأمراء والخلفاء العباسيين ، ويقول : ان ابراهيم كان مقربا من المأمون^(٦) ، يفشى اليه بأسراره ، ويستشيره فى أمور . وأنه ولاء (الخبر) بمدينة السلام ، فكان يأتيه بأخبار الناس وأحوالهم ، وأنه اشترك فى قتل الأئمين مع الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر^(٧) . ويقول عن السندى بن شاهك : انه من وجهاء العصر العباسى وأمراءه الذين كانت لهم مكانة وصوله فى ذلك العصر ، وانه كان ممن تولى اماراة الشام ، وانه كان يسوى بين القحطاني والمدناني ، وانه قال مرة : لسا نقدمكم الا على الطاعة لله والخلفاء ، كلكم أخوة ،

(٢) الوزراء للجهمشياري (ص ٢٣٦) .

(١) شذرات الذهب (٣/ ٢٧) .

(٤) كتاب بغداد لابن طيفور ، طبعة

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ١٣٢) .

مصر (ص ١٧) (٥) المصدر السابق (ص ١٨٧) . (٦) البيان والتبيين ، طبعة

(٧) المصدر السابق (٢/ ٢٢٢) .

(٢/ ٢٦١) .

وليس لنزارى عندي شيء ليس لليمانى • وكان يتغدى مع جملة من جلة الفريقين^(١) • وكان للسندى هذا ولدان : أحدهما الحسين جد شاعرنا ولا نكاد نعرف من أخباره شيئا ، والآخر ابراهيم وكان من الأمراء الفضلاء والشيوخ النبلاء الذين نقل الجاحظ عنهم كثيرا فى كتبه كلها ، وقال عنه : « كان علما بأخبار الدولة ، شديد الحب لآبناء الدعوة (العباسية) • وكان يحوط مواليه (العباسيين) ، ويحفظ أيامهم ، ويدعو الناس الى طاعتهم ، ويدرسهم مناقبهم • وكان فخم المعانى ، فخم الالفاظ ، لو قلت ان لسانه أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسنان طرير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً^(٢) • وكان كثير الثناء عليه^(٣) ، وقد عده فى كتاب الحيوان من الأطباء والفلاسفة والمتكلمين ، ونقل عنه فصلا دقيقا لطيفا عن حاسة الشم رواه عن أبيه^(٤) • وقد زعم بعض الأدباء المعاصرين أن كشاجم ليس له علاقة بآل شاهك هؤلاء ، وانما هو سندى الأصل توهم بعض مؤرخيه فنسبوه اليهم • أقول : وهذه الدعوى باطلة لا يؤيدها برهان ؛ لأن السعوى (٣٤٦) كان معاصره • وقد نقل عنه بعض الأخبار الأدبية والتأريخية فى المروج وسماء باسمه ونسبه الى آل شاهك ، وقال عنه : « كان من أهل الفضل والعلم والدراية والمعرفة والأدب »^(٥) ، وكذلك قال عنه ابن خلكان كما رأيت • وقد افتخر هو بنسبه الفارسى العريق ، ونبل أسرته ومكانتها ، وولائه للعباسيين فقال :

قومى بنو ساسان لى من حماهم بالمسباح
العاقدى التيجان تض يحك عن وجوههم الصباح
وولاؤنا للفر من سادات معتلج البطاح

أما حياته فتكاد تكون أخبارها مجهولة الا قليلا ، وانا لم نر أحدا أشار الى السنة التى ولد فيها ، وكل ما قالوه عنه انه من أهل رملة فلسطين ، وانه لقب لذلك بالرمل^(٦) • ولكن متى كان ذلك ، وكيف ، وكم ظل فيها ؟ كل هذه أمور مجهولة • وفى ديوانه قصيدة قالوا انه مدح بها الرشيد ، ومعلوم أن الرشيد مات سنة ١٩٣ هـ ، ولا شك عندي فى أن هذه القصيدة هى لأحد آل شاهك ممن كانت لهم صلة بالرشيد كما رأيت ، وقد نسبها جامعو الديوان اليه غلطا • وقالوا انه اتصل بأبى الهيثجاء عبدالله بن حمدان والد سيف

(١) الحيوان : تحقيق الأستاذ هارون (٣٩٣/٥) • (٢) البيان والتبيين (١/١٣٠) •

(٣) المصدر السابق (١/٢٦٦) • (٤) الحيوان : تحقيق الأستاذ هارون (٤/٤٢٥) •

(٥) المروج ، طبعة باريس (٨/٣١٨) (٦) شذرات الذهب ٣/٣٧ تاريخ آداب اللغة

العربية (٢/٢٥١) •

الدولة ومدحه ، ثم صار فى أيام سيف الدولة من جملته ، بل زعم بعضهم أنه صار طباحه كما سلف . وأبو الهيجاء هلك فى سنة ٣١٧ هـ ، ولم يدخل حلب أميرا ، بل كان أمير الموصل وأعمالها للخليفة المكفى بالله سنة ٢٩٣ هـ ، ثم عزل عنها ، ثم أعيد فى سنة ٣١٧ هـ الى أن قتل^(١) . ولا يعقل أن يتصل بأبى الهيجاء وله من العمر أقل من عشرين سنة ، فيكون مولده على هذا فى أواخر المئة الثالثة . أما سيف الدولة (٣٠٣-٣٥٦هـ) فقد تملك على حلب من سنة ٣٣٣ هـ الى أن مات سنة ٣٥٦ هـ ، وقد أقام كشاجم بعض هذه الفترة بحلب فى حصى سيف الدولة الى جانب صديقه الصوبرى كما رأيت . وهم يذكرون أيضا أن كشاجم رحل الى مصر ودخلها فى سنة ٣٣٩ هـ أيام كان قاضيا أبو بكر عبدالله ابن محمد الخصيصى ، وقالوا : ان الناس كانوا يشكون من سوء معاملات هذا القاضى الذى استمر فى قضائه الى سنة ٣٤٧ هـ ، فهجاء بعد وفاته . يقول ابن حجر العسقلانى فى رفع الاصر : وكانت وفاة الخصيصى بعد أن بنى داره الكبيرة المعروفة بابن شميرة ، وكان اشتراها من محمد بن أبى بكر وعمرها ، فعمل فيه كشاجم^(٢) .

اشترى الدار الكبيره ودعا فيها الوكيره
صفر الباب وفى تص خفيه أشأم طيره
قبره لا شك فيها بعد أيام يسيره

ويظهر أن كشاجم كان يتردد على مصر ، وليست هذه هى المرة الوحيدة التى زارها فيها ، ففى ديوانه قطع يحن فيها الى مصر ، من ذلك قوله :

أما ترى مصر كيف قد جمعت بها صنوف الرياض فى مجلس ؟
السوسن الفض والبنفسج والور د وصفر البهار والنرجس .

وقال :

قد كان شوقى الى مصر يؤرقنى فالיום عدت وعادت مصر لى دارا
أما أكثر اقامته ، فقد كان فى حلب ، وفيها تلقى العلم عن بعض شيوخها ، فقد حدثنا فى كتاب المصايد أنه كان بها فى سنة ٣٠٤ هـ ، وأنه تلقى فيها عن الشيخ ابراهيم ابن جابر دروسا فى الحديث والفقه . ويظهر أنه أفاد كثيرا من هذا الشيخ ، فقد تجلت لنا سعة ثقافته الفقهية والمناقشات الدينية من المباحث المطولة التى ذكرها فى صدر كتابه

(١) ابن الاثير : حوادث سنة ٣١٧ وما قبلها . (٢) ذبول كتاب الولاة والقضاة

المصايد من أحكام الصيد وبيان حلاله وحرامه • وشيخه ابراهيم هذا هو الفقيه أبو اسحاق البغدادي الحلبي (-٣١٠هـ) كان من كبار شيوخ العلم ببغداد ، وكان ثقة اماما فاضلا ، له مصنف في اختلاف الفقهاء جم المنافع • وهو أحد الأربعة الذين اجتمع لهم الفقه والحديث بشهادة الخطيب البغدادي^(١) • وان ما نجده في كتاب المصايد والمطارد من المناقشات الدينية والاحكام الشرعية والبحوث الفقهية المستفيضة لدليل قوى على تمكنه في العلم وحسن استفادته من شيخه أبي اسحاق • وقد ذكر كشاجم في كتابه هذا أن كل ما رواء في كتابه من بحوث الفقه والحديث واختلاف الاقوال مأخوذ عن شيخه الامام أبي اسحاق بحلب سنة ٣٠٤ هـ •

وهم يذكرون أيضا أن كشاجم اتصل بأبي الهيجاء فمدحه وأكثر من الاشادة بفضلته والدعاية له^(٢) • ويظهر أنه ظل مع أبي الهيجاء الى حين موته مترددا بين الموصل وحلب وميافارقين • فلما تمكن ابنه سيف الدولة من حلب ، اتصل ببلاطه ، وزامل جماعة ممن كانوا في حلب أيامئذ : أمثال الصنوبري والخالدين والرفاء والتوخى وغيرهم ممن تقدم • وقد كانوا كلهم ينهلون من معين سيف الدولة الغزير كما رأيت • ويظهر أن كشاجم كان غنيا ، وأنه تملك بعض القرى على شواطئ دجلة ، يؤيد ذلك قوله :

لنا على دجلة نخل منتخل نسلفه ماء ويقضينا غسل

وهكذا عاش عظيم الجاه في حمى سيف الدولة ، كثير المال والخيرات ، ذا مكانة مرموقة في ديار الشام والعراق ومصر الى أن مات في النصف الثاني من القرن الرابع ، ولا نستطيع تحديد سنة وفاته ، كما لم نستطع تحديد سنة ميلاده ، الا أنهم رووا أنه هجا كافورا^(٣) • ونحن نعلم أن كافورا ملك مصر من سنة ٣٥٥ الى سنة ٣٥٧ هـ ، فلا شك في أن كشاجم عاش الى ما بعد سنة ٣٥٨ هـ •

أدبه وفننه رأينا أن كشاجم تلقى الحديث وعلومه عن الامام ابراهيم بن جابر وطبقته ، ووصفه معاصروه بالبراعة في الأدب واللغة والشعر والعلم والرواية والحكمة والطب والكتابة • قال المسعودي : أنشدني أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم ، وكان من اهل العلم والدراية والمعرفة والأدب • ثم

(١) تاريخ بغداد (٥٣/٦) • (٢) أنظر عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي المحفوظ في الظاهرية بدمشق (ص ١١٠) ظ • (٣) الايجاز والاعجاز للثعالبي (ص ٢٥٧)

أورد بعض مقطوعاته الشعرية^(١) . وذكره محمد بن اسحاق المشهور بابن النديم الأديب المتزلى صاحب الفهرست (٣٨٥) ، فى عداد الكتاب والخطباء والمرسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين ، وقال : ان أدبه وشعره مشهور^(٢) ، وأثنى عليه الثعالبي فى اليتيمة وسائر كتبه . ولكننا لا نجد له ترجمة فى اليتيمة ولا فى التتمة ، وأغلب ظننا أن ترجمته قد سقطت . وقد رأيت ما نقلناه من أقوال العلماء فى سبب تلقبه بكشاجم واعجابهم بأدبه وعلمه ، يقول آدم متر : وقد سار كشاجم فى شعره على الطريق الذى رسمه صديقه الصنوبرى فاقتدى به فى التغنى بملذات العين ، ثم أورد بعض شعره فى وصف الثلج والغزل المذكور والمؤنث ووصف قويق حلب ونيل مصر . . ثم قال : وكان لكشاجم كثير من المعجيين بأدبه حتى قال أحدهم :

يا يؤس من يمنى بدمع ساجم يهيم على حجب الفؤاد الواجم

لولا تعلقه بكأس مدامة ورسائل الصابي وشعر كشاجم

وكان يلقب بريحانة الأدب فى عصره ، وكان أكثر شعراء وقته كالخالد بن السرى والرفاء - على ما كان بينهم من تافر - يسيرون تحت لوائه ، وينهجون نهجه . وصفوه القول : ان كشاجم كان أديبا بارعا ، وكاتباً مترسلا ، وشاعرا فحلا ، وقد فاق فى فنون هى الجدل والمنطق والطب والانشاء .

شاعريته امتاز كشاجم بثقافة واسعة كما رأيت ، وقد جمع الى ذلك حسا مرهفا وحياء رخصة وأفقا واسعا وعاطفة صادقة ، ولا عجب فان العصر الذى كان يعيش فيه والبيئة التى كونه كانا على جانب عظيم من الرفعة والسمو ، وكان للشعر فى تلك البيئة آفاق واسعة أحاطت بكل أسباب الحياة ، وتنوعت فنونه ، وتعددت موضوعاته ، وان ما نجده فى يتيمة الدهر وتتمتها للثعالبي وغيرها من آثار هذا العصر لا وضح دليل على ذلك . ومن يلق نظرة على دواوين شعراء هذا العصر - وما أكثرهم - يجد أن أصحابها قد حلقوا فى فنون القول وضروبه كافة : من وصف للطبيعة وأزهارها وحقولها وأرضها وسمائها ، ومن تغن بفصولها وأوقاتها ، ومن افتنان فى التحدث عن مجالى الحياة ووصف الحضارة ، ووصف المأكولات والشمومات والمراثيات ، ومن اختراع طريف فى وصف السوق والرعاع وأهل الصناعات والمجان والفساق . وكشاجم هو أحد الفحول الذين عاشوا فى هذا العصر وجاروا أصحاب القول فيه ، فوصف ما وصفوه ، وقال فى أكثر

ما قالوا فيه : من وصف الطبيعة والانسان والمأكول والمشروب والمشموم ، فهو طورا يصف آلات اللهو والطرب ومجالس الانس ، وطورا يصف المأكولات من قطائف مريات ، وطورا يصف مجالس الصيد وآلاته وأوقاته وعدده ، وحيناً يصف أوائل الكتابة وعدتها ، وحيناً آخر يفتن في تصوير الطبيعة وأنهارها وأشجارها وأثمارها وأزهارها ، وهو في كل هذه الضروب رقيق الحس سرفه العاطفة شديد الدقة في التصوير . على أن هناك ناحية انسانية برع فيها براعة لم يسم اليها كثير من فحول شعراء عصره ، ألا وهي الناحية العاطفية : من وصف الحب والبغض ، والرثاء ، والاخلاص . ومن أروع ما خلف لنا في ذلك قوله في رثاء أمه وأبيه وأولاده ، وقصائده في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت وشيعتهم ، وأقواله في هجاء الزمان وأصدقاء السوء وعشراء الكذب^(١) . قال الدكتور زكي مبارك : « ومن نوابع القرن الرابع أبو الفتح كشاجم ، كان شعره في ذلك العهد ريحانة أهل الأدب في العراق ، وكان مورد رزق للنساخ والوراقين ، وطوفت أشعاره بالشرق والمغرب حتى وصلت الى القيروان وتخبر أطايبها مؤلف زهر الآداب^(٢) .

أما بعد ، فإن كشاجم - رحمه الله - كان عالماً واسعاً في الأدب والفن ، وهو جدير بأن يعكف المؤلفون على آثاره فيدرسوها ويفيدوا منها ، وأرجو أن يتاح للمقيمين عن آثار الظفر بما ضاع منها فإن فيها كنزا وفضلا وعقلا .

الخاتمة هذا هو أبو الفتح كشاجم الأديب ، سليل الأدباء والعلماء والفضلاء ، وقد خلف للأمة فضلا عن آثاره الكتابية نجلا بارعا في الأدب كآبيه ، ألا وهو الأديب أبو النصر (أبو الفرج) الذي ذكره التعالي في البيعة ، وقد استشهد ببعض أخباره وأشعاره^(٣) ، ولكن أخباره قد ضاعت ، وآثاره قد اندثرت ، فرحمة الله على أبيه وبركاته عليه .

أما آثاره الكتابية ، فهي :

كتاب خصائص الطرب ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه ونسبه لكشاجم .

(١) انظر الديوان ص ٤ ، ٧ ، ١٣ ، ٣٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨

(٢) عبقرية الشريف الرضي ، الطبعة الثانية (١/١٠٩) .

(٣) انظر البيعة (١/٢١٦) .

كتاب الطرديات ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه ونسبه لكشاجم .

ديوان شعرد ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون ، والفهرست ، وقال : انه مشهور ، وقد جمعه أبو بكر محمد بن عبدالله الحمدوني ورتبه على حروف المعجم ثم ألحق بعض زيادات أخذها عن أبي الفرج ابنه بعدما أتم جمع الديوان . وقد طبع في بيروت بمعرفة بعض الأفاضل في المطبعة الانسية سنة ١٣١٣ هـ ، والطبعة لن تخلو من أغلاط وهفوات واضحة .

كتاب الطبخ ، ذكره صاحب كشف الظنون ولم يزد على ذكر اسمه .
كتاب أدب النديم ، ذكره صاحب كشف الظنون ، والفهرست ، وقد طبع ببولاق سنة ١٢٩٥ ، ثم بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ بعنوان (أدب الندماء ولطائف الظرفاء) ، وهو رسالة موجزة في آداب الشراب والندماء .
كتاب الرسائل ، وقد جمع فيه رسائله الأدبية والاخوانية ، ذكره ابن النديم ولم نر غير - أشار اليه .

ويذكر جرجي زيدان أن كتاب البيزة النوجود في غوطا منسوب اليه^(١) .

١- كتاب المصايد والمطاردة هو أجل كتب الصيد والقنص الباقية من الخزائنة العربية الى اليوم ، وهو - دائرة معارف - واسعة جدا في فنون هذا النوع من مجالى الحياة الاجتماعية . وقد صدرد المؤلف بمقدمة فى عناية الخلفاء - وبخاصة بنى العباس - به ، وعدد أسماء من كانوا منهم مستهترين به ، ثم ذكر فصلا فى فضل احم الصيد وطيب مضفته ، ثم أفاض فى بحث أحكام الصيد من الناحية الشرعية وتبيان ما أحله الله سبحانه وما حرمه من صيد البر والبحر . وقد أظهر المصنف فى هذا البحث اطلاعا واسعا ، وعمقا فى البحث والتفكير ، والماما بالثقافة الاسلامية ، وبالرغم من أن باب الصيد قد بحثه أكثر كتب الفقه الكبرى فان كشاجم قد توسع فيه توسعا لم أجده لغير - من الفقهاء : فانه لم يترك شاردة ولا واردة الا جمعها ، ولم يهمل مسألة خلاف ، بل أوردتها وناقش قائلها ، وهو لا يكتفى بإيراد أقوال المذاهب الأربعة بل يورد المذاهب الأخرى الاسلامية كالجعفرية ومذهب الأوزاعى والظاهرى وغيرهم . ثم يذكر بعد هذا فصلا لطيفا فى المكايد التى يتوصل بها الى الصيد والآلات المتخذة له ، ثم فى بيان جوارح الصيد ، وهى :

الباز والشاهين والصقر والعقاب ، وقد أحصى كل ما قيل عنها في القديم والحديث في كتب العلم . ثم بحث في تعليم الجوارح وكيفية ذلك ، ثم مداواة أمراضها وعلل ذلك وأسبابه . ثم عقد فصلا للكلاب بأنصافها وخصائص كل وعيوبه وأمراضه . ثم عقد فصولا بحث فيها عن الغزلان والأيايل والأرانب والثعالب وحمر الوحش مينا أنواع كل ، ومنافع لحومه ، وما قيل في القديم والحديث من الشعر ، وهى من أمتع الفصول الأدبية الجامعة . ثم عقد بابا ذكر فيه آلات الرمي ، وعدده ، وما يلزمه من القسي والأوتار وما الى ذلك . ثم عقد فصولا في صيد الأسود والفهود والنمور والضباع والخنازير والديبغ والنعام وعناق الأرض وابن عرس . ثم ذكر فصولا في صيد البحر وما قيل فيه ، وأنواع الأسماك . ثم أورد مباحث في أوقات الصيد المختارة ، ومواقع إقامة الصائد ، وكيفية ذلك . ثم عقد فصلا في الضب وصيده وعجائبه ، وأوقات صيده وآلانه . ثم أورد بابا في الصيد بالجلاهقات والبنادق والقسي وما قيل في ذلك من عيون الشعر . ثم ختم الكتاب بفصل عن الطيور التى تصاد ، مع بيان أنواعها ، وألوانها ، وطعومها ، وما قيل فيها من الشعر .

ب - كتاب البيزرة أو البزردة - كما يقول ابن القيم والحاج خليفة - « علم يبحث عن أحوال الجوارح من حيث حفظها وحفظ صحتها وإزالة مرضها ومعرفة العلامات الدالة على موتها فى الصيد وضعفها فيه ،^(١) . والبازيار أو البازدار هو صاحب الباز ومربيه ، والباز هو أجل الجوارح التى تصيد الطير والحيوان ، وقال أستاذنا الجليل محمد كرد على : « وقد كان لهذا العلم (البيزرة) فى الدول العربية الأولى شأن عظيم ؛ لأن جميع الخلفاء والأمراء والعظماء يصيدون ، ولا بد للصيد من اتخاذ الأسباب التى توصله الى الصيد ، وتمكنه من اصطياد كل ما يريد على أيسر سبل . وكان لهذه الحرفة / البيزرة / شأن كبير فى الدولة العباسية ، رسموها فى الاعطيات والفرائض ،...^(٢) . وكتاب البيزرة الذى نحن بصددده هو مؤلف كبير لرجل ما يزال اسمه مجهولا . قال فى وصفه أستاذنا رئيس المجمع العلمى العربى محمد كرد على : « مؤلف كتابنا كان

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم فى بحث / علم البيزرة / ، وكتاب كشف المظنون فى بحث / علم الطرديات / .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (١٨/١٠٣)

بزار^(١) العزيز بالله الفاطمي ، ولم نعرف اسمه ، بل كتب فقط في آخر كتابه ما نصه :
 « وقد كان مؤلف هذا الكتاب من جملة البيازرة متقدما عليهم لا في جملة واحد منهم
 لا يحسن شيئا من البيزرة ، ثم أفرده أمير المؤمنين - صلى الله عليه - عنهم ، وله حينئذ
 من العمر احدى عشرة سنة ، وعلمه وهو لا يملك عشرة دراهم وعليه ثوب برد ، وخرج
 في صناعته الى ما قد شاهده الناس وعرفوه ، ورقى أمير المؤمنين /ص/ منزله الى أن
 صار اقطاعه عشرين ألف دينار ، وبلغ المنزلة التي لو رآها في النوم لما صدق ، فلا يخفى
 عن الناس ما كان فيه وما صار اليه ... وانه لا يكاد يثبت في كتابه الا ما صح من طب
 الجوارح وحياتها مما جربه بنفسه أو نقله عن اعتقد صدقهم ومعرفتهم ، ومما قال في
 صيد الباشق : ولم نصف الا ما أخذنا به على أيدينا مرارا ، وكان لمولانا /ص/ ولقد رأيت
 له وأنا معه /ص/ في الموكب في سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة ، ثلاثة عشر باشقا كلها
 من الغربان السود ... » (٢) .

هذا ما يقول الأستاذ ، وهو كما ترى لا يقطع بشيء عن المؤلف ولا أخباره ، وقد
 كان طلب ، مد الله في عمره ، الى صديقنا الأستاذ يوسف العث أن يحقق في موضوع
 الكتاب ونسبته ، فكتب ما نصه :

« بعد أن أنشأ الأستاذ رئيس المجمع مقاله المنشور في هذا العدد من المجلة ..
 تلتفت ففهم الى بمتابعة البحث عن مؤلف هذا الكتاب .. وجدنا ، ونحن نستعرض
 البيزرة في طائفة من أهل العلم ، آياتا نسبها المؤلف الى نفسه فقال : ولي في نحو هذا
 المعنى وكنا نخرج للصيد بمصر في موضع يعرف بدير القصير :
 سلام على دير القصير وأهله ... »

وهي تسعة أبيات ، واذا بأربعة أبيات منها في معجم البلدان لياقوت منسوبة لكشاجم ،
 وثمانية في ديوان هذا الشاعر ، وقد زيد عليها اثنان لم يردا في الديوان . واذا بالباحث
 يخرج من ذلك وهو يذهب الى أن مؤلف كتاب البيزرة هو كشاجم ، ويزداد يقينا حين يرى
 أن المتقدمين ذكروا له كتابا بهذا الاسم ، (٣) .

(١) البيزار : معرب كلمة بازيار الفارسية ، أي صاحب الباز . أو هي من
 قولهم بازدار . وقد استعمل العرب كلمة البازيار ، وغضلوها على كلمة البياز العربية ،
 مثل الصقار والكلاب والفهاد لصاحب الصقر والكلب والفهد ، أنظر « ارشاد المقاصد في
 أسنى المقاصد » لابن ساعد الاكفاني (ص ٩٢) .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي (١٠٣/١٨) .

(٣) المصدر السابق (١٨٤/١٨ - ١٨٧) .

ثم يترجم لكشاجم ، ويخلص من تلك الترجمة الى نفى نسبة الكتاب الى كشاجم على الرغم من وجود أبيات لكشاجم فيه ، فيقول : « ان السرى الرفاء كان يدس في شعر كشاجم بعض شعر الخالدين فلعل كتاب البيزرة للخالدين ، .. واذا صح أن كتاب البيزرة ليس لكشاجم ، وأن صاحب البيزرة له أبيات ذكرت في ديوان هذا الشاعر ، وأن بعض نسخ هذا الديوان حوى أشعار الخالدين ، اذا صح ذلك فالنتيجة المنطقية أن هذه القصيدة هي لأحد الخالدين ، وأن كتاب البيزرة لمن قالها منهما » (١) .

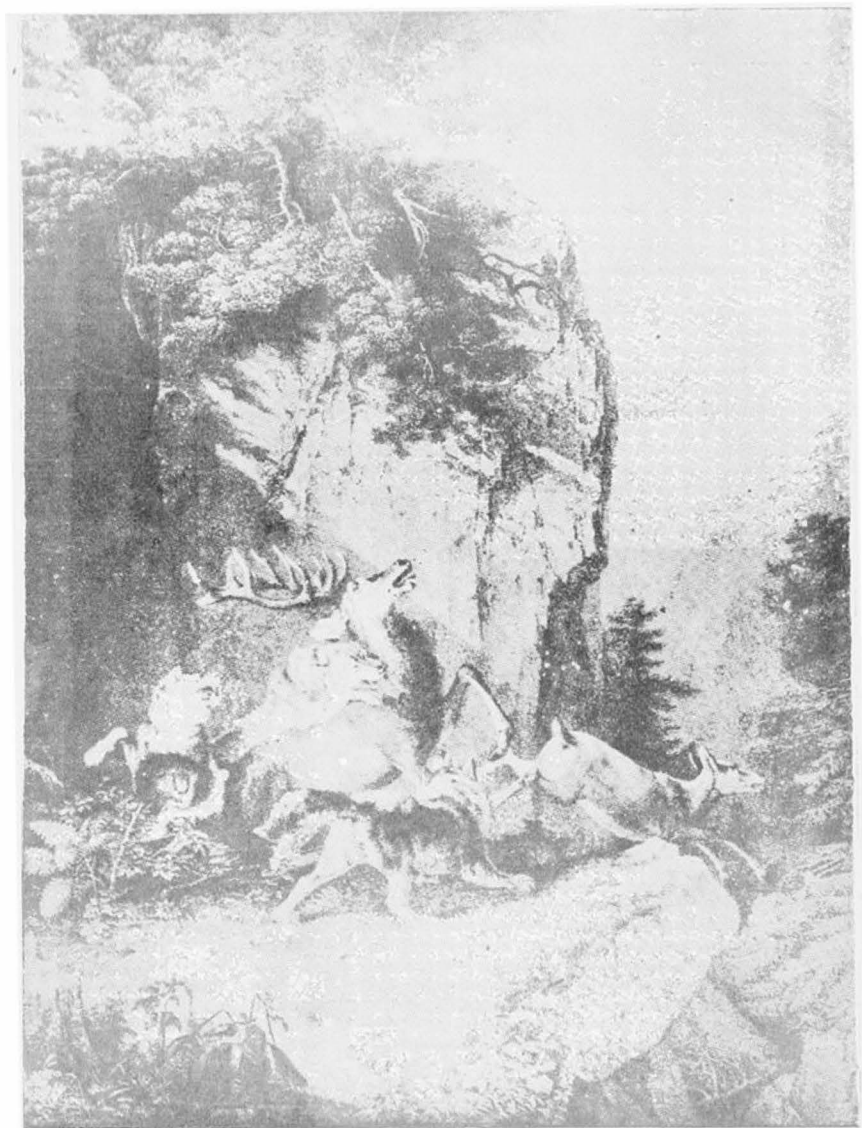
فالأستاذ العثى كما ترى يميل الى نسبة كتاب البيزرة الى أحد الخالدين ، ولكنه يعود فى آخر مقاله فيشكك فى الأمر ، ويختم بحثه بقوله : « وكل هذا وجوه فى رأى لا دليل يجزم بأنها قاطعة مانعة ، والزمان كفى بكشف الحقائق » (١) .

قلت : قبل كل شيء ان كتاب البيزرة ليس لكشاجم قطعا ، لأن الذين ترجموه لم يذكروا له كتابا بهذا الاسم ، وانما ذكروا له كتاب « المصايد والمطارد » . أما كتاب البيزرة ، فلم يذكر أحد ممن ترجموه أنه له ، فلا يصح اذن أن ينسب اليه ، ثم ان أدنى ملاحظة يلاحظها المدقق الخبير فى الكتابين تجعله يقطع بأن صاحب البيزرة قد جاء بعد صاحب المصايد ، واطلع عليه ، ونقل منه فصولا كثيرة ومقطعات شعرية عديدة ، منها هذه الأبيات التى جعلت الأستاذ العثى يتجه فى بحثه هذا الاتجاه الذى رأيت . واذا صح ما قلناه من أن صاحب البيزرة كان يطنى على كتاب المصايد والمطارد ، ويقتطع منه ما يريد دون أن ينسب ذلك الى المصدر الذى نقل عنه ، انتفت نسبة الكتاب الى كشاجم . ثم ان كشاجم لم يعرف عنه انه خدم الفاطميين فى مصر ، ولا اتصل بهم اتصالا قويا يجعله يؤلف لهم ، أو يتحدث عنهم كما رأيت فى القطعة التى نقلها الأستاذ محمد كرد على من كتاب البيزرة عن المؤلف ونشأته وصلته بالفاطميين .

هذا ما عن لنا فى هذا الموضوع بعد أن اطلعنا على ما كتبه الأستاذان محمد كرد على والعثى ، والله الهادى الى سوى الصراط .

ج - كتاب الاعتبار لأسماع بن منقذ (٥٨٤-) ، وقد طبع بعناية الأستاذ فليب حتى فى سنة ١٩٣٠ فى مطبعة جامعة برنستون ، ويشتمل الباب الثالث من هذا الكتاب على فصول قيمة طريفة عن الصيد وأنواعه وحيله وآدابه ومواطنه فى ديار الشام والجزيرة وديار مصر .





د - أنس المطر بومش **انظر** لمحمد المنكلى ، وهو كتاب ممتع فى بيان النوحوش ومساربه ومسايدها وأنواعها ، وقد عنى به بعض المستشرقين فنشره فى أوربة .

هـ - **أرجوزة فرائد السالك فى صايد السالك** لجمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب عبدالرحيم بن نباتة الحموى انفارقى (- ٧١٨) . كان كابا سلك طريقة القاضى الفاضل ، وشاعرا ، وخطاطا ، وفقهيا . ترجمه السخاوى فى الضوء ، وابن حجر فى الدرر ، والسيوطى فى حسن المحاضرة ، وابن العماد فى الشذرات ، والسبكى فى طبقات الشافعية . وقد آتوا جميعا على براعته فى النثر والشعر والفقه والخط . قال السبكى فى الطبقات : حامل لواء الشعر فى زمانه ، ما رأينا أشعر منه ولا أحسن نثرا ، ولا أبدع خطا ، له فنون ثلاثة لم نر من لحقه ولا قاربه فيها : سبق الناس الى حسن النظم فما لحقه لاحق فى شئ منه ، والى أنواع النثر فما قارب مقارب الى ذروة منه ، والى براعة الخط فما قدر معارض على أن يحكى له خطأ أو يجاريه فى أصول كتابته وأسمانها وجريانها ، وكان يتردد بين حماة وحلب والقاهرة ودمشق ، ويمدح رؤساءها ، وله فى الملك المؤيد صاحب حماة شعر كثير - جمعه فى ديوانه المؤيديات - وله شعر فى الملك الناصر حسن صاحب مصر . ومن آثاره المطبوعة : ديوان خطب جمعية ، ديوانه الكبير ، ديوان المؤيديات أو المؤيدات ، وسرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون . ومن آثاره النفيسة أرجوزته فرائد الملوك ، وقد عثرت عليها فى أثناء تنقيسى عن ذخائر مخطوطات خزانة الأوقاف العامة ببغداد ، وقابلتها على ما طبع منها فى ديوانه فوجدت الفرق كبيرا ، لذلك عزم أن أطبعها ملحقه بهذا البحث ان شاء الله (١) .

و - **القصيدة المسماة بالفريه فى تعقيب الشريد وترصيد الوهيد** للنسخ الامام ابن عبدالجبار الفجيجى (- ٩٢٠) ، وهى قصيدة فى ٢١٣ بيتا فى الصيد وآدابه والطرد وأشعاره ، وقد شرحها بعض الأدباء . ومنها نسخ فى بعض خزائن الكتب الأوربية كبرلين وباريس وشنن (٢) .

محمد أسعد طلس

(١) أنظر الصفحة التالية .

(٢) أنظر تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٢٥٨) .

فرائد السالك في مصابيد الملوك (*)

نظم

جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن علي بن يحيى
ابن طاهر بن محمد بن الخطيب عبدالرحيم بن نباته الجموي الفارقي ، قالها يمدح الملك
الأفضل^(١) صاحب حماه ، وكان حينئذ يلقب بالملك المنصور ، رحمهم الله .

أنتى شذا الروض على فضل السحب	واشتملت بالوشى أرداف الكتب
ما بين نور مفسر اللام	وزهر يضحك في الأكمام
ان كانت الأرض لها ذخائر	فهى - لعمرى - هذه الأزاهر
قد بسطتها راحة الغمام	بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم	تعرف فيه نظرة النعيم
وحذا وادى « حماة » الرحب	حيث زها العيش به والعشب
أرض السناء والهناء والمنرح	والأمن واليمن ورايات الفرح
ذات النواير سقاى الترب	وأمهات عصفه والأب ^(٢)
تعلمت نوح الحمام الهف	أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب	وكيف لا والماء منها صيب ^(٣)
لله ذاك السفح والوادي الفرد	والماء معسول الرضاب مطرد
يصوبها الرائي فكيف السامع !	ويحمد « العاصى » فكيف الطائع ! ^(٤)
إذا نظرت للربا والنهر	فارو عن الربيع أو عن جعفر

(*) عنى بتحقيقها الدكتور محمد أسعد طلس .

(١) نشرت ناقصة في الديوان المطبوع بمصر سنة ١٢٨٨ هـ وقد اعتمدنا فى نشرها كاملة على نسخة مخطوطة محفوظة فى خزانة الأوقاف العامة ببغداد رقم (٩٨٥٠)، وعلى قطعة منها ذكرها صاحب حلبة الكميت (ص ٣٧٦) .

(٢) فى حلبة الكميت (ص ٣٧٧) : « سقاى الشرب »

(٣) فى المخطوطة : « من اللجين » .

(٤) فى الحلبة والديوان المطبوع ص ٥٨٩ « يصبو لها » . ويهفو السامع » .

(لا عيب الا أن مظاهرها الهني
محاسن تلهى العيون والفكر
أمام كل منزل بستان
أما رأيت الورق فى الأوراق
فبادر اللذة يا فلان
ولا تقل مشتى ولا مصيف
كل زمان يتقضى بالجنذل
أحسن ما أذكر من أوقاته
بروزنا للصيد فيه والقص
وأخذنا الوحش من المسارب
لما دنا زسان رعى البندق
فى عصبة عادلة فى الحكم
من كل مبعوث الى الأطيّار
وكل معسول الشباب أغيد
قد حمد القوم به عقبى السفر
لولا حذار القوس من يديه
فى كفه مخينة الأوصال
زهراء خضراء الالهاب معجبه
فاغرة الافواه للأطيّار
كأنها حول المياد نون
لها بنات بالننى معذوقه
سامعة لما تشير الأم
كأنها ، والطير منها هارب

ينسى أخوا الغربة حب الوطن) (٥)
ربيع روضات وشحرور صفر
وبين كل قرية ميدان
جاذبة القلوب بالأطواق ؟
واغنم متى أمكنتك الزمان
فكل أوقات الهنا شريف (٦)
زمان عيش كيف ما دار اعتدل (٧)
وخير ما أنتت من لذاته (٨)
وحوزنا من مره أحلى الفرص
وفعلنا فى الطير فوق الواجب
سرنا على وجه السرور المشرق
وغلّمة مثل بدور انتم
تظله غمامة الغبار
منعطف عطف القضيّب الأملد
عند اقتران القوس منه بالقمر
لغنت الورق على عطفيه (٩)
قاطعة الأعمار كالهلل
مما ثوت بين الرياض المنعشبه
طالبة لهن بالأوتار
أو حاجب بما تشا مقرون
من طينة واحدة مخلوقه
مع أنها مثل الحجار سم
خلف الشياطين ، شهاب ثاقب

(٥) ناقص فى المخطوطة

(٦) فى الديوان المطبوع ص ٥٨٦ : « فكل وقت للهنا »

(٧) فى الحلية / كلما دار / ٠

(٨) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٦) : « وخير ما أنتت ٠٠ »

(٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « القوس فى يديه »

واها لها شهب كراة تخطف
 حتى نزلنا بمكان موقوف
 فيا له في الحسن من محل
 للطير في مباحه مواقع
 فلم نزل في منزل كريم
 حتى طوى الأفق رؤوس الورس
 وذو مسك الليل في فرق الأفق
 وابتدر القوم الى المراصد
 كالليث يسطو كفه بأرقم
 بنا الطيور في مداها سائره
 وأقبلت سواكب الطيور
 فجذا السطور في انهيارق
 من كل تم حق أن تسمى
 تخاله من تحت عنق قد سجا
 وكل حى حسن الوسامه
 تبعه اوزه دكناء
 تقدمها أنيسه ملونه
 وربما مر لديها جرج
 وانقض من بعض الجبال سر
 مضرب الخلق شديد الأيد

شاهدة بالعزم وهى تقذف (١٠)
 اخوان صدق أحدقوا بالملق
 مراد جد ومراد هزل
 كأنها من فوقه فواقع
 نروى حديث الرسى عن قديم
 والتقم المغرب قرص الشمس (١١)
 واتسحت خود السماء بالنطق (١٢)
 من ساهر ليل التمام شاهد (١٣)
 والبدر يرسي في الدجى بأنجم
 اذا هم من عينه بالسباهره
 على طروس الجو كالسطور
 منقطة الأحرف بالبنادق (١٤)
 ضياء المشرق بدر انتم (١٥)
 (طرة صبح تحت أذيال الدجى)
 تخاله في أفقه غمامه (١٦)
 من دونها لقلقة غراء (١٧)
 يانة من كل وصف أحسنه (١٨)
 كأنه على نضار يدرج
 له بأبراج النجوم وكر
 يبنى على الكسر حروف الصيد

(١٠) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) :

« واها لها من شهب تخطف شاهرة بالعزم وهى تقذف »

(١١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « الأفق رداء الورس »

(١٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) : « من ساهد ليل .. »

(١٣) هذا البيت ناقص من المخطوطة (١٤) فى اللسان : « هرق » : المهرق

كمكرم الصحيفة وجمعها مهارق (١٥) فى الديوان (ص ٥٨٧) : « حق أن يسمى .. »

(١٦) فى المخطوطة : « وكل كى » (١٧) فى الديوان : « لغلة » ، وفى

القاموس اللغلة طائر غير اللقلق (١٨) فى المخطوطة : « تابعة من كل وصف »

تحت مسراه عقاب كاسبه خافضة لحظ الطيور ناصبه (١٩)
 اذا مضت جملتها المقترضة تواصلت خيوطها المقرضة
 بكل كركي عجيب السير كأنه طيف خيال الطير
 تحت غرنوقا شهى المجتلى مقدما على الفرائق العلى
 وأبيض الغيم يسمى سرزما كم بات مثل نوته منسجما (٢٠)
 يحفه شيطر قسوى معجزة فى الطير موسوى (٢١)
 كم جاش ثعبان وكم حواء كأنه فى يده عصاه (٢٢)
 هذا وكم ذى نظر ممتاز ينمت فى الواجب بالعناز (٢٣)
 أسود فيه لمعة فى الصدر كأنه نور هدى بى كفر (٢٤)
 فلم تزل قسينا الضواري تصيها بأعين الأوتار (٢٥)
 حتى غدت دامية التحور ساقطة منا على الخير
 كأنها وهى لدينا وقع لدى محارب القسى ركم
 وأصبحت أطيarna قد حصنت ولم تسل بأى ذنب قلت (٢٦)
 مستتبما وجه العشا وجه السحر وكل وجه منهما وجد أغر
 يا لك من صيد مقرر العين مرضى الصحاب وهو ذو وجهين (٢٧)
 لم نرض ما وفى من الأمانى حتى شفعاه بصيد ثانى
 صيد الملوك الصيد بالكواسر والخيل فى وجه الصاح السافر
 ذاك الذى تصبو له الجوارح فهى الى ظلاله طوامح
 واثقة بالرزق حيث كانا تغدو خماسا ونجى بطلانا
 سرنا على اسم الله والمناجح تعوم فى الأقطار بالسوايح

(١٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٧) زاد قبله :

وأحسن المأكول ما تلونا يجنى بها الأكل خير ما جنى

(٢٠) أرزم الرعد : اشتد صوته (٢١) فى الديوان المطبوع : ، فى ملة

الأطييار موسوى « (٢٢) لا وجود له فى الديوان المطبوع (٢٣) العناز : طائر

مائى ، وأثنى الجبارى أنظر القاموس (٢٤) فى الديوان :

أسوده ذو غرة فى الصدر كأنه نور الهدى فى الكفر

(٢٥) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « بأعين النظار »

(٢٦) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « فلا تسل »

(٢٧) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « يرضى . . »

خيل تحاذى الظل حيث مالا
 يسعى بها قوائم لا تتبع
 (٢٨) رائعة المنظر زهراء الفرر
 من أحمر للبرق عنه خبر
 وأصفر الجلدة كالدينار
 وأشهب كالسهم فى انقضاضه
 ماضى السباق أظهر اللباس
 وأخضر مثل سنا العيش النضر
 وأدهم ساد على الجياد
 تحفنا من فوقها غلمان
 ترك تريك فى سماء الملبس
 منظومة الأوساط بالسلاح
 وكل غضب ذرب المقاطع
 على يد السائر منهم زاد.
 قد كتبت فى شكله حروف
 وكل صقر مسبل الجناح
 ذو مقلة لها ضرام واقد
 وكل شاهين شهى المرتضى
 كأنها أضحت له ظلالا
 وكيف لا وهى الرياح الأربع
 كأنها الروضات حيت بالزهر
 يشهد أن الحسن حقا أحمر
 يسر كف النوائد المختار
 وصفحة الطرسى فى ابضاذه
 ناهيك من سهم ومن قرطاس
 يطوى الفلا وكيف لا وهو الخضر
 وهكذا السواد فى السواد (٢٨)
 كأنهم لدوحها أعفان
 كواكبا طالعة فى الأطلس
 من كل سهم زجل الجناح (٢٩)
 يحرف الهام عن المواضع
 من كل باز قرم فؤاده (٣٠)
 ترى (٣١) بما ترى به الصنوف (٣٢)
 مواصل الغدو والرواح
 تكاد تشوى ما يصيد الصائد
 كبارق طار وصوب قد همى

(٢٨) هذه المقطوعة غير موجودة فى المخطوطة . (٢٩) فى الديوان المطبوع
 (ص ٥٨٩) : « رجل » . (٣٠) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « على يد الزائر » .
 (٣١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « تقرى بما يقرى به » .
 (٣٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) يورد - بعد هذا البيت - الأبيات التالية على
 هذا الترتيب :

فالمنسر الأشمى تغال جيما
 دان لمن يتلوه خير حم
 وكل شاهين شهى المرتضى
 بينا تراه
 حتى تراه
 أفلح من كان
 تلك يد
 وكل صقر

بيتا نراه ذاهبا لصيده معتمضا بأيده وكيده
 حتى نراه عائدا من أفقه ملتزما طائره في عنقه
 أفلح من كان على يسره حتى غدت حاسرة يمناه
 تلك يد لا تعرف الاعسار (٣٣) من أجل هذا سميت يسارا
 كأنما المخلب منه منجل لحصد أعمار الطيور مرسل
 عيش ذوى الصيد به عيش رضى يصلح أن يدعى وكيل المطبخ (٣٣)
 يا حبذا طيور جد ولعب تهوى الى الأرض وللأفق تب
 من سقر على المدى والثان معظم الأخيار والأعيان
 (كأنه خليفة قد أقدم) يفسد في الأرض ويسفك الدماء (٣٤)
 يصعد خلف الرزق ليس يهله كأنه من السما يستعجله
 ومن عقاب باسمها يروع كأنها للطير حين تصرع (٣٥)
 كم جلبت لطائر من وهن وكم وكم قد أهلك من قرن (٣٦)
 هذا وقد تجهزت أعدادا بجمعها الكلاب والفهادا (٣٧)
 (وحبذا كواسر كواهى عديمة الأنظار والأشباه
 مخصصة بالطرود القديم حذا كظهر الذئب الرقيم
 ذاك - لعمري - حذب للرائي يعدل ملك القلعة الحدياء (٣٨)
 من كل فهد عتري الحمله اذا رأى شخص مهاة عليه
 مبارك الأقال والاعراض مستقبل الحال باب ماض
 كأنه من حدة اكتسابه قد أحرق الأنجم فى إهابه (٣٩)
 له على مسايل الجفون خط كبعض الألفات الجون (٤٠)
 اذا تراءى بقر الوحش اندفع كأنه المريح فى الثور طلح

(٣٣) لا وجود لها فى المخطوطة .

(٣٤) ناقص فى المخطوطة

(٣٥) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) : « مروع كأنها للطير جن تفزع »

(٣٦) فى الديوان (ص ٥٨٩) : « من مهن »

(٣٧) فى الديوان المطبوع (ص ٥٨٩) :

« هذا وقد تجهزت أعداد تجمعها الكلاب والفهاد »

(٣٨) لا وجود لها فى المخطوطة . (٣٨) فى الديوان (ص ٥٩٠) : « كأنه »

من حده كتابه » (٤٠) فى الديوان المطبوع : « خط لبعض » .

قاصرة عن يده عيناه
لو أمكن الشمس التى تجلى له
يشفعه من كل غور غارى
يكاد يبغي سلما الى السما
قد بالغت فى طمع فى كسبها
حتى اذا تمت بها الامور
ما بين روضات قصدا نحوها
فلم تزل تسطو سطا الحجاج
اذا نجت سائرة محلقة
حتى غدت تلك السراة صرعى
(٤٥) على الربى من دمها خلوق
ثم عطفنا للوحوش السانحة
كلاب صيد بينها سنافر
تختبى بها الففر على نفوسها
وللكلاب حولها مفار
من نهب لسانه يلوب
يعانق الطبى عناق الوامق
والفهد يشتد على الآجال
لا يهمل القصد ولا يخون
وللرغاريات خلف الارنب
كم برحت بالهارب المكدود
وربما مرت ظباء ومها
قد سمت ملاة من عنبر
فابتدرت أجنحة السهام

مشروطة برجله أذناه (٤١)
ما سميت من خوفها غزاله (٤٢)
يفالب الصيد على الأوكار (٤٣)
أو نفقا فى الأرض حيث يما (٤٢)
ففتشت عن أنف من لم تجنها
حفت بنا لصيدها الطيور
وحول آفاق ملكنا جوها (٤٣)
على الكراكى الى الدراج
عادت بها كمضفة مخلقه (٤٢)
مجموعة لدى التراب جمعا (٤٤)
كأن كل نبتها شقيق
واستيقنت تلك الضوارى الطامحه
تفعل فى الوحش بها الفواقر
فالطير - لا شك - على رؤوسها
تكاد أن تقدح منها النار
يقول هذا كوسج مخضوب
ما كان أغنى الطبى عن معانق
مثل وصى السوء فى الأموال
كأن كل جسمه عيون
حقائق تبطل كيد الثعلب
وقلت بصاحب الأخدود
لنيل أكل فى حشاها مشتهى
تخاط من قرونها بالأبر
سائبة الأغراض والمرامى

(٤١) فى الديوان (ص ٥٩٠) : « قاصرة عن طرفه يده » .

(٤٢) لا وجود له فى المخطوطة . (٤٣) فى الديوان المطبوع : « بكل غور غار » .

(٤٤) فى الديوان المطبوع : « ودور آفاق » .

(٤٥) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع .

تجرح كل سابع نفور كأن أقطار الفلاة مجزره
 كأن صرعى وحشها كفار للمرء فيها منظر أحبه
 لله ذاك المنظر المهنا قد ملئت من ظفر أيدينا
 نسير حول الملك المنصور محمد ناصر دين أحمد
 (يا حبذا من والد ومن ولد فرع زها بأصله أيوب
 مفضل كما رأيت أفضل قال الأتنام : حفظه جلى
 ذاك الذى شاد العلى صيبا ناش على الجود^(٤٩) وتقلب المن
 بين حجور العلم والأعلام حتى اذا استقبل شرخا سه
 أبصرت منه ملكا تاما محكم السطوة سحاح الديم
 لو لس الصخر لفاض نهرا تختمت يمينه المكارم
 كأنه بعض شهود الزور^(٤٥) أو روضة من الدماء مزهره
 الموت عتبي أمرها والنار يعلأ من لحم وشحم قلبه
 أى معاد عن ذراه عدنا^(٤٦) وقد شكرنا فضل ما حيننا^(٤٦)
 كالشهب حول القمر المنير الملك ابن الملك المؤيد
 وجذا من شبل ملك وأسد فأنمرت بحبه القلوب
 تناول المجد باع أطول^(٤٧) قلت : نعم وجده على
 وجاءها من مهده مهديا^(٤٨) كأنما مزجته من اللب
 تكفه لواظ الأيام^(٤٩) وضاء فى ليل الشهاب ذهنه^(٥٠)
 يجدل الأعداء والأعلاما^(٥٠) يأخذ بالسيف ويعطى بالقلم
 أو صحب النجم لعاد بدرا فهو على كل الأمور خاتم^(٥١)

(٤٥) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع

(٤٦) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « ان معان » ، وهو تحريف

(٤٦) فى الديوان المطبوع : « وقد شكرنا الفضل ما حيننا »

(٤٧) هذه الأبيات ناقصة فى الديوان المطبوع

(٤٨) فى الديوان المطبوع :

« ذاك الذى سامى العلى صيبا وجاءه من مهده مهديا ،

(٤٩) فى الديوان المطبوع : « الحر » ، وهو تحريف ظاهر

(٤٩) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « لواظ الأقسام »

(٥٠) لا وجود لهذين البيتين فى الديوان المطبوع

(٥١) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) :

« تختمت بيمينه المكارم فهو على كل الوجوه خاتم »

لا ظلم تلقى فى حماه العالى
أما ترى الدينار منه خائفا
أما ترى بالصيد فرط جبه
يا قاطعا عرض الفلاة واصلا
ملك اذا حققته قلت ملك
كالدر فى سنائه وتمه
تسجد ان لاح رؤوس العالم
مرأى يشف عن فخار الأهل
ما ضر من خيب فى جنبه
جنبه عن جار- لا ينكب
غنيت فى ظلاله عن الوردى
ورحت من نعماء بالتوانر
معصما بالكرم المؤيد
قديم سعى وثناء وهوى
يزداد لفظى بهجة ورونقا
ان لم أرم ذاك الحمى العالى فمن
يا ناصر الدين دعاء سادحى
حبك مثلى فى الثناء شاعرا

الا على العداة والأموال (٥٢)
أصفر فى كف الهبات ناشفا؟
تمرنا على اعتياد حربد؟
وقادما يبغي العلا وراحلا (٥٣)
قاضية بسعده أيدى الفلك
والطود فى وقار- وحلمه
وراثه قد حازها من آدم
ونسخة قد قبولت بالأصل
ألا تكون الشهب من أظنابه
وباب نجح للبنى مجرب (٥٤)
غنى نزيل المزن عن قصد القرى
أروى أحاديث عطا عن جابر (٥٥)
مصلى الحمد على محمد
ما ضل عن قصد بها ولا غوى (٥٦)
كأنه الخمر اذا تعقنا (٥٧)
ينصرنى على تصاريف الزمن
ما بين روضات السطور صادق (٥٨)
وحسب شعرى قوة وناصر

(٥٢) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « على الأعداء والأموال » .

(٥٣) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « عرض الفلاة واصلا »

(٥٤) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « نجح للبنى مجرب » .

(٥٥) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « عطا وجابر »

(٥٦) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) :

« قديم قصد وثناء أو هوى ما ضل سعى فيهما ولا غوى »

(٥٧) فى الديوان المطبوع (ص ٥٩١) : « يزيد لفظى »

(٥٨) لا وجود لهذا البيت فى الديوان المطبوع

المجمع والمصطلحات

من أعمال المجمع الأصلية بذله الرعاية للمصطلحات والعناية بها ، وتوجيه مجهوده ونشاطه الى توسيع أفقها وتثبيتها ونشرها بالنقل والتعريب والاشتقاق ، فحاجة الناس الى المصطلحات اليوم شديدة ، وطلابها كثير .

ومن حق المجمع على المتخصصين والباحثين وأصحاب العلم باللغات ، مطالبة اياهم بوجوب مساعدته في هذا الباب وشد أزره وذلك بتقديم ما عندهم من علم ورأى وتوجيه ونقد ، ليؤدي الرسالة العلمية على أكمل وجه ، وأحسن حال . وهو لهذا وذاك كتب الى الوزارات والدوائر المختصة يستعينها على تسهيل هذه المهمة ، بأن ترسل اليه بما تجمع عندها من مصطلحات ، وما نقلته من كلمات ، ليدرسها ويرى رأيا فيها . وألف في الوقت نفسه لجانا من أعضائه ومن غيرهم لوضع مصطلحات لما يرد في الكتب التي يقرر ترجمتها ، ومنها اللجنة التي ألفها بموجب قراره المتخذ في جلسته الثالثة عشرة المعقودة في ١٧-٦-١٩٤٨ من السادة شيت نعمان وتحسين ابراهيم ويحيى عوني الصافي والمرحوم ناظم النجلى ، ومن أعضاء لجنة العلوم في المجمع المؤلفة من الدكتور محمد فاضل الجمالى والأستاذ محمد بهجة الانترى والدكتور هاشم الوترى والدكتور متى عقراوى والدكتور شريف عسيان والدكتور جواد على لدراسة المصطلحات الواردة في كتاب « مقدمة للكيمياء العضوية » الذى عرضت ترجمته على المجمع لنشرها باسمه ان أمكنه ذلك ، وكذلك اللجنة التي ألفها من الدكتور محمد فاضل الجمالى والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد على للنظر في المصطلحات الفلسفية الواردة في الترجمة العربية لكتاب « المدخل الى الفلسفة الحديثة » تأليف سي . أم . جود وترجمة السيد كريم متى ، وهو كتاب ساعد المجمع على نشره مساعدة مالية .

وقد عقدت لجنة « مصطلحات الكيمياء العضوية » المذكورة سلسلة اجتماعات مسائية ، دام كل اجتماع منها عدة ساعات ، درس في خلالها أكثر من (٣٥٧) مصطلحا ، أقر منها زهاء مئتي مصطلح . لادخالها في الكتاب المترجم . وقد والت اجتماعاتها حتى أنهت أعمالها المرهقة على الوجه الذى ارتضته ، والمنهج الذى نهجته ، ولم تل على عملها هذا أجرا ماديا ولا عوضا ، وانما أجرها خدمة العلم وتلبية نداء المجمع .

وكان « معهد المباحث الصناعية » ، الذى صار من بعد « مديرية الصناعة العامة » أول دائرة حكومية قدمت الى المجمع قوائم مصطلحات فية وكان ذلك فى كتاب « المدير العام لمعهد المباحث الصناعية » المرقم « ١٧٧٨ » المؤرخ فى ٢٦-١٢-١٩٤٨ طلبة فيه اعداد مصطلحات عربية لما يتداول فى البحوث العلمية والصناعية ، مما سيرد بيانه . ثم أتبعها مصطلحات أخرى بكتبها المرقمة ٦١٤ ، ٤٥٦ ، ١٥٧٧ ، المؤرخة ١٢-٥-١٩٤٩ ، و ٦-٤-١٩٤٩ و ١٦-١١-١٩٤٩ . وسأشير إليها فى مواضعها ، ومنها المصطلحات المستعملة فى صناعة السكر وعدتها « ١٦ » مصطلحا^(١) ، والمصطلحات المستعملة فى صناعة « السمك » ومقدارها « ٢٦ » مصطلحا ، أرسل بها مع تعريفاتها وما يقابلها فى العربية^(٢) .

وعلى أثر توزيع كتاب المجمع المذكور على الدوائر لموافاته بما تجمع عندها من مصطلحات وما وضعته هى من معربات ، تواردت عليه كتبها ترحب بالفكرة ، منها : كتاب من مديرية سكك الحديد العامة رقمه ع/١١١٤٣/١/١٨٦٨ وتاريخه ٢٧ شباط ١٩٥١ ومعه قائمة بالألفاظ التى أنجز تعريبها وتقع تحت حرف (A) ، ومجموعها « ١١٩ » مصطلحا ، جاء فيه : « ان اللجة قد راعت فى تعريب الألفاظ الانكليزية الاقتصار على معناها الفنى أو الذى له مساس بشؤون السكك الحديدية وما يتصل بها من فروع فنية دون الالتفات الى ما قد تفيد تلك الألفاظ من معان أخرى كما أنها اختارت من الألفاظ أقربها الى فهم العمال وعامة الموظفين وأكثرها شيوعا وأخفها سمعا مع توخى صحتها اللغوية » . وكتاب آخر رقمه ٤/١١٤٣/١/٦٦٤٤ وتاريخه ٢٦ أيلول ١٩٥١ ومعه قائمة بـ « ٢٧٢ » مصطلحا فنيا باللغة الانكليزية ومعه ما يقابله فى العربية .

وأرسلت اليه « مديرية الطيران المدني » بقائمة المصطلحات التى تستعملها وهى باللغتين العربية والانكليزية وعدتها (٣٥) مصطلحا ، وأرسلت « مديرية الملاحة العامة » بقائمة تتألف من (٢٩) مصطلحا تتعلق بالسفن والملاحة وذلك فى كتابها المرقم : ٣٨٢/١٢٣/٣٠ المؤرخ فى ١ آب ١٩٥١ ، وبعت « مديرية الرى العامة » الى المجمع فى كتابها المرقم ٧٤٥٨ المؤرخ فى ١٦/٨/١٩٥١ بـ (٣٩٣) مصطلحا فنيا باللغة الانكليزية ومعه ما اختارته لها فى العربية . وكذلك فعلت « مديرية الأشغال العامة » بأن أرسلت فى كتابها المرقم

(١) كتابها المرقم ٤/٢١/٣٢٤ ، المؤرخ فى ١٧/٢/١٩٥١ .

(٢) بموجب كتابها المرقم ٤/٢١/٧٢١ ، المؤرخ فى ١٧/٤/١٩٥١ .

(٣) كتابها المرقم ط ، م/٢٥/١٧٩١ المؤرخ فى ٤/٧/١٩٥١ .

« ٢٦٢٧ » : المؤرخ ٢٤ تشرين الأول ١٩٥١ بقائمتين : قائمة بالمصطلحات الفنية المستعملة في أعمال الطرق ، وقائمة أخرى بالمصطلحات الفنية المتعلقة بأعمال الجسور . فالقائمة الأولى « ٤٢ » مصطلحا ، والقائمة الثانية « ٢١٤ » مصطلحا .

وكان نصيب المجمع من « مديرية الموانئ العامة » قائمة أرسلت بها مع كتاب المديرية المرقم ١٩/١٤٢/١٤٢ المؤرخ في ٢٨ أيار ١٩٥٢ تتضمن « ٣٠٣ » مصطلحات باللغة الانكليزية مع تعريفاتها وما اختارته لها في العربية . وذلك مضاف الى قائمة أخرى في « المصطلحات التجارية والحسابية » المستعملة في دوائرها باللغتين العربية والانكليزية جعلتها « ٢٣٩ » مصطلحا أرسلت بها الى المجمع في ٢٧ كانون الأول ١٩٥١ في كتابها المرقم ١٩/١٤٢/٢٧٣ . وبعثت « مديرية الزراعة العامة » الى المجمع بقائمة من (٢٥) مصطلحا انكليزيا في بحث علم الغابات Forestry ومعهما تعريفاتها باللغة الانكليزية ، لوضع مقابل لها باللغة العربية^(١) . وطلبت « كلية العلوم والآداب » الى المجمع بكتابها المرقم (٤٤٠) والمؤرخ في ١٨ شباط ١٩٥١ ابداء رأيه في (١٢) مصطلحا من المصطلحات العلمية المستعملة في الجامعات الانكليزية لوضع ما يقابلها في العربية .

هذا وقد أرسل عضو المجمع المراسل الدكتور داوود الجلبي اليه بمعجم في « مصطلحات أمراض الجلد » فأحالته المجمع على لجنة مؤلفة من العضوين الدكتور هاشم الوتري والدكتور شريف عسيران لابداء الرأي لكي يكون نواة لمعجم طبي في المستقبل . وأرسلت اليه دوائر حكومية مثل مديرية الاوقاف العامة ومديرية الميزانية والامور المالية قوائم بالمصطلحات والتعابير العربية المستعملة في مؤسسات الدائرتين قد تفيد في المستقبل في تسهيل دراسة ما يقابلها من المصطلحات باللغات الاعجمية ان عرضت على المجمع .

وعلى هذا يكون مجموع ما أرسلت به الدوائر الحكومية الى المجمع « ١٧٣٣ » مصطلحا في الانكليزية طلبت الى المجمع دراستها وابداء رأيه فيها واثبات ما صح منها والاستبدال بما لم يصح .

وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات واقرارها ووضعها هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص أولا ، كأن يستعرض حده وتعريفه عند المتخصصين أو في الكتب الخاصة ويتعرف أصله ونشأته ، ثم يسمع رأي المتخصصين فيما

اختاروه من كلمات عربية مناسبة له ، ثم يستعرض ما ورد فى الكتب العربية قديمها وحديثها لنوعية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له مما قد يفنى بالمراد ، فاذا وقف على كلمة صالحة مناسبة له مؤدية للمعنى الاصطلاحي ، ورأى فيها الرشاقة والسلامة ، أعنى أنها عربية سليمة يألها الذوق ، عقد رأيه ، وبث فى الأمر . على أن من عادة المجمع ألا يرى رأيا فى مصطلح ولا يبت فيه ، الا بعد الوقوف على آراء البلاد العربية الأخرى فيه . فلعل لها اجتهدا فيه أصوب من اجتهداه وأقوم ، أو كلمة أصح وأحكم . ثم هو حريص كل الحرص على ألا ينفرد برأى ، ولا يقر قرارا قد يخرج عن الإجماع والوحدة و صفاق العلماء من أبناء هذه الأمة . فانما هو يدرس المصطلحات من الوجهة العلمية واللغوية والفنية ولتكون سببا من أسباب جمع الشمل بتوحيد المصطلحات فى جميع البلاد العربية ، وهو لذلك يعمد الى محاضر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ومجلته ، والى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق والى الكتب والمجلات التى تعنى بالمصطلحات ، للوقوف على رأيها فى كل مصطلح قبل اتخاذ قرار ما ، لكيلا تتعدد القرارات فلا تبقى اذن فائدة من وضع المصطلحات . وللزيادة فى الاحتياط والاخذ بالتأني والتأني ، قرر . ألا يثبت مصطلحا الا بعد مرور ستة أشهر على تأريخ نشره ليتسنى له دراسة الآراء التى تبدى فى شأنه . وفى ضوءها يقرر المجمع ما يراه صالحا للاستعمال ، (١) .

فقرارات المجمع اذن هى فى الزمن الحاضر قرارات ترجيح ، ولن يكون القرار نهائيا الا بعد مضي المدة التى حددها للوقوف على ما يرد عليه فى أثنائها من آراء . وللمجمع خطة كذلك فى استنباط المصطلحات ووضعها تجمع بين رأى المتقدمين ورأى الباحثين المحدثين ، وحاجة العربية الملحة الى المصطلحات ، وضرورة تلبية هذه الحاجة واستجابة ندائها ، لتعود كما كانت لغة للعلم . وهو يرجو لذلك من المؤسسات العلمية اتخاذ خطوات عملية ايجابية فى التعاون والتشاور لرفع المستوى العلمى ، لكى تتمكن فى المستقبل من جعل العربية لغة رسمية للتعليم العالى ، ولن يتم ذلك الا بتعاون البلاد العربية كلها فى هذا العمل القومى ، فلذلك وجه المجمع دعوة الى المجمعين الكريمين مجمع فؤاد الأول بمصر والمجمع العلمى العربى بدمشق بهذا المعنى ، والله اسأل أن يحقق الرجاء .

ولابد لى أخيرا من القول ان هذه المصطلحات التى يراها الفارسي مدونة فيما يأتى هى بعض من كل ، وجزء من كثير ، سيوالى المجمع نشره فى مجلته هذه تباعا ، وفى

(١) قرر فى الجلسة السابعة عشرة المعقودة فى ٢٧/٤/١٩٤٩ ، وفى المادة الثالثة من محضر الجلسة .

كراسات خاصة ، وقد استخرجته من محاضر جلسات المجمع ، ورأيت من باب الأمانة العلمية الإشارة الى المورد الذي أورد فيه ، والمعين الذي استقى منه . ثم رأيت الإشارة الى موضعه في « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » ان كان له هناك موضع ومقام اتماما للفائدة ، وتعميما لقرارات المجمع . وقد رتبها ترتيبا أبجديا ، ليسهل على المطالع الوقوف على المصطلح منها بيسر وسهولة .

مبواب على

معجم المصطلحات العلمية

المحور السيني أو الاحداثي السيني Abscissa (Axis)
نظر المجمع في هذا المصطلح المرسل اليه من مديرية السكك الحديد العامة ، وأقره على هذا الشكل . أما المديرية المذكورة ، فقد اختارت له « محور السينات » . واستعمل مجمع فؤاد الأول للغة العربية الاحداثي السيني لـ (Abscissa ، X-Co-ordinate) والمحور السيني لـ (X axis) (١) .

درجة الحرارة المطلقة Absolute temperature
أقر استعمال « درجة الحرارة المطلقة » له كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة . وقد سبق لمجمع فؤاد الأول أن أقر استعمال هذا الاصطلاح على هذه الصورة ، غير أنه وضع معه جملة « الاحرار المطلق » بين قوسين (٢) .

الصارفة (صارفة الصدمة) Absorber shock
وضعه المجمع بدلا من « مبددة الصدمة » التي وردت في قائمة مصطلحات مديرية السكك الحديد العامة .

امتصاص Absorption
أقره المجمع في جلسته التاسعة المنعقدة بتاريخ ١٩٥٢-١-٥ كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة . وقد استعمل « مجمع فؤاد الأول » كلمة « الامتصاص » لهذا المصطلح وذلك في مصطلحات علم الحياة (٣) .
وقدمت لجنة الكيمياء والطبيعة الكلمات : المنص - الامتصاص ، المصاصة - قوة المنص ، الى المجمع المذكور لـ (Absorption) ، وذلك لاقرار كلمة من هذه الكلمات في موضوع الكيمياء (٤) .

(١) راجع مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية (٤٣/٥ ، ٢٥٧) .

(٢) مجلة المجمع (١١٢/٥) .

(٣) مجلة المجمع (٨٤/١ و ١٣١/٢ و ١٢٠/٥) .

(٤) مجلة المجمع (٢٦٤/٦) .

Abutment (bridge) كرسى الجسر

رأى المجمع استعمال « كرسى الجسر » لهذا المصطلح ، وهو من التعابير التى اصطلح عليها العرب قديما ، بدلا من « ركن الجسر » الذى وضعته مديرية السكك الحديد العامة .

Abutment Point (Mech.) مرتكز

وضع المجمع لهذا المصطلح لفظ « مرتكز » بدلا من « نقطة المقاومة » الذى استعملته مديرية السكك الحديد العامة ، وهو من مصطلحات « الميكانيك » .

Acceleration تسارع

وضع المجمع هذه الكلمة بدلا من « تعجيل » التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة ، واستعمل مجمع فؤاد الاول « العجلة الذاتية » لـ

(Automatic acceleration) (Acceleration , automatic)

وذلك فى موضوع « الكهرباء واللاسلكى » (١) .

Accessory تابع

وضع المجمع كلمة « تابع » لهذا المصطلح بدلا من « ملحق » الوارد فى قائمة مصطلحات مديرية السكك الحديد العامة .

Accident حادث

وضعه المجمع بدلا من حادثة التى وضعتها مديرية السكك الحديد العامة .

Acid Muriatic حامض الكلورودريك

أقره كما ورد فى قائمة مديرية السكك الحديد العامة .

Acid Sulphuric حامض الكبريتيك

أبقى كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Actuating (Lever) عتلة تحريك

أقر كما ورد من المديرية المذكورة .

Adapter , Adaptor

موفقة

وضع المجمع هذه الكلمة بدلا من كلمة « وفيقة » التي اصطلحت عليها مديرية السكك العامة . واقرحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الاول للغة العربية تخصيص كلمة « موجه » لكلمة Adapter ، وذلك فى مصطلحات الكيمياء^(١) . وأقر مجمع فؤاد استعمال « المهينة » لـ Adapter فى موضوع « الكهرباء واللاسلكى » .

Addendum

مضاف

ورجح المجمع استعمال هذه الكلمة بدلا من « ملحق » التي استعملتها مديرية السكك لهذا المصطلح .

Adhesion

التصاق

رأى المجمع استعمالها بدلا من كلمة « تلاصق » التي اختارها مديرية السكك الحديد العامة .

Adhesive

لاصوق

وضعه المجمع بدلا من « لاصق » الذى اختارته مديرية السكك الحديد العامة . واقرحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الاول^(١) تخصيص كلمة « لاصق » لـ Adhesive .

Adjustment (Mech.)

اتراص (فى الميكانيك)

وضع المجمع هذا اللفظ بدلا من كلمة « توقيت » التي استعملتها مديرية السكك الحديد العامة .

Adjustment

تعديل

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة . واقرحت لجنة الكيمياء والطبيعة فى مجمع فؤاد الاول اطلاق « التعديل - الضبط » على Adjustment^(١) .

(١) راجع مجلة مجمع فؤاد الاول (٦/٢٦٥) .

Adjustment (Accounts) تسوية • حسابية •

قبلت كما وردت من مديرية السكك الحديد العامة •

Admission (of train) ادخال القطار

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة •

Advance (Mech.) تقديم

قبل كذلك كما ورد من مديرية السكك الحديد •

Adze (Carpenter) قدوم (بوزن صبور)

وضعه المجمع بدلا من فأس النجار المقترح في قائمة مصطلحات مديرية السكك العامة •

Adzing and Boring نجر وثقب

أقره كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة •

Aeration تهوية

قبل كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة • واقرحت لجنة الكيمياء والطبيعة على مجمع فؤاد الاول في الدورة الثانية عشرة اطلاق «تهوية» على Aeration كذلك^(١) •

Aerial هوائى

قبل كما ورد من المديرية المذكورة ، ووضع مجمع فؤاد الاول «الهوائى» لهذا المصطلح فى موضوع «الكهرباء واللاسلكى»^(٢) •

Aging (of Solutions) تعتيق المحاليل

أقر المجمع هذا المصطلح كما ورد فى قائمة مديرية السكك العامة •

Agitate حرك

قرر المجمع استعمال «حرك» لهذا المصطلح بدلا من «خضخض» التى اختارنها مديرية السكك العامة •

(١) مجلة مجمع فؤاد الاول (٦/٢٦٥) •

(٢) مجلة مجمع فؤاد الاول (٥/١٢١) •

Aggregate (eng.)

خليط

• قبل كما ورد من المديرية المذكورة .

Aileron

جنيج (بتشديد الياء)

• أقر هذا المصطلح كما ورد من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Cap

غطاء الهواء

• أقر هذا المصطلح على هذا الشكل عوضا عن « غطاء هواء » الذى اقترحه مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Copk

صنبور الهواء

• أقر هذا المصطلح على هذا الشكل بدلا من « صنبور هواء » الذى اقترحه مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Silencer

مسكته هوائية

• وضعها المجمع بدلا من مخرسة هوائية التى اختارتها مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Starter

مشغل هوائى

• قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-tap

حنفية الهواء

• قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Valve

صمام الهواء « صمام ككتاب »

• قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك العامة .

Air-Vessel

وعاء الهواء

• قرر استعماله كما ورد عليه من مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Duct

المسهك « ممر الريح أو الهواء »

• قرر المجمع استعمال هذا الاصطلاح بدلا من « مسلك هواء » الذى اختارته مديرية السكك الحديد العامة .

Air-Compressor

مكبس الهواء

• قرر المجمع استعمال هذا الاصطلاح عوضا عن « ضاغطة هواء » التى وضعها

مديرية سكك الحديد العامة •

Air-Conditioning

تكييف الهواء

قبل كما ورد من مديرية سكك الحديد العامة •

Air-Filter

مرشحة الهواء

قرر المجمع استعمال « مرشحة » بوزن مكسدة •

Air-Hose

خرطوم الهواء

قرر المجمع استعماله على هذه الصورة بدلا من « خرطوم هواء » التي وردت من مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Manifold

مشعبة الهواء

قرر استعمال هذا المصطلح عوضا عن « تشكيلة هوائية » التي وضعتها مديرية السكك الحديد العامة •

Air-Pipe

أنبوب الهواء

قرر استعمال أنبوب الهواء عوضا عن « أنبوب هواء » المقترح من مديرية سكك الحديد العامة •

Air-Pump

مضخة الهواء

قرر استعماله عوضا عن « مضخة هواء » الوارد من مديرية سكك الحديد العامة •

Air-Receiver

متسلمة الهواء

قرر المجمع استعمال هذا المصطلح عوضا عن « مستقبل الهواء » الذي اقترحه مديرية سكك الحديد العامة •

Alidade

العضادة

وضعت مديرية السكك العامة لهذا المصطلح لفظة « الاستقامة » ، غير أن المجمع لاحظ أن الكلمة عربية محرفة عن « العضادة » فقرر احيائها واستعمالها بدلا من « الاستقامة » •

Alumina

الالومينا

وهو ثالث أكسيد الالومنيوم ، وقد أقره المجمع كما ورد من مديرية الباحث الصناعية العامة •

Animal Charcoal

الفحم الحيوانى

أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة ، واقرحت لجنة الكيمياء والطبيعة بمجمع فؤاد الأول على المجلس فى الدورة الثانية عشرة اطلاق « الفحم الحيوانى » على هذا المصطلح كذلك^(١) .

Bleaching

التبليج

« وهو قصر السكر وازالة لونه » . وضع المجمع هذا الاصطلاح بدلا من كلمة « القصر » الواردة من مديرية الصناعة العامة . واقرحت لجنة الكيمياء والطبيعة فى مجمع فؤاد الأول على المجمع اطلاق احدى هذه الكلمات : « قصر ، تبيض ، تحوير »^(٢) .

Bone Char

فحم العظام

أقره المجمع كما ورد فى قائمة مصطلحات صناعة السكر لمديرية الصناعة العامة .

Briquette

طويقة

« وهو قالب قياسى من ملاط السمنت المتجمد تفحص به قوة السمنت » وضعه المجمع بدلا من كلمة « الاثيرة » التى اختارها مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات صناعة السمنت .

Brix Degree

درجة بريكس

« درجة يقاس بها مجموع المواد الذائبة فى المحاليل السكرية وفى العصير » . أقرت كما وردت من مديرية الصناعة العامة ، وهى من مصطلحات صناعة السكر .

Chemical , Chemist

كيميائى

قر المجمع استعمال هذا المصطلح ترجمة لهذين المصطلحين الانكليزيين .

Chemical Test

الفحص الكيميائى

أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة . « وهو فحص تركيب السمنت الكيميائى » .

Clay

الصلصال

« وهو المادة الخام الطينية فى صناعة السمنت » • وقد أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة • واقترحت لجنة الكيمياء والطبيعة بمجمع فؤاد الأول اطلاق كلمة: « طفل » على هذا المصطلح • « مجلة المجمع الجزء السادس سنة ١٩٥١ ص ٢٦٨ » •

Clinker

كلنكر

وهو كرات السمنت بعد تكونها فى الفرن وقبل طحنها • وقد أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Compressive Strength

قوة الكبس

« وهى معدل قوة ثلاثة مكعبات قياسية ، وتعبر عن قوة السمنت فى الكبس » • وقد نظر المجمع فى هذا المصطلح فأقره كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة •

Concrete

الأسبرق (الكونكرىت)

رأى المجمع اطلاق كلمة الأسبرق على « الكونكرىت » على أن توضع معها كلمة « الكونكرىت » بين قوسين •

Consistency

القوام

« وهو قوام عجينة السمنت القياسية » • أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Cutting

قلم

« هو قطعة من القصب تستخدم غرسه (بذرة) فى زرع القصب » • وضعه المجمع بدلا من (عقله) القصب الواردة من مديرية الصناعة العامة فى قائمة مصطلحات السكر وصناعاته •

Defecation

الانفصال

« وهو ترسيب المواد الغريبة غير السكرية فى العصير » • وضعه المجمع بدلا من « التنقية » أو « الاحلال » الواردين فى قائمة مصطلحات السكر وصناعاته المرسلة من مديرية الصناعة العامة • وقد اعتد المجمع الهمزة فى « أمفل » للتدعية ، وان ورد هذا الرباعى فى كتب اللغة لازما •

Expansion

التمدد

« وهو تمدد ملاط السمّنت بعد انجماده » أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة في قائمة مصطلحات صناعة السمّنت .

Fibre

ليف

« هو نسبة ما يبقى من القصب بعد استخلاص السكر ونلرح الرطوبة » • وضعه المجمع بدلا من كلمة « نسبة الألياف » الواردة من مديرية الصناعة العامة في قائمة مصطلحات السكر وصنّاعته •

Final Setting

التجمد النهائي

أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة في قائمة مصطلحات صناعة السمّنت .

Fineness

الدقة

« وهو قياس لحجم ذرات السمّنت » • وضعها بدلا من « النعومة » الواردة في قائمة مصطلحات صناعة السمّنت •

First Ratoon

الراتون الأول

« هو ما نما من جذور قصب بكر بزرقه في موسم سابق » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Handbook

تذكرة

وضعها المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام وضع مصطلح لهذه الكلمة الانكليزية •

Initial Setting

التجمد البدائي

وضعها المجمع بدلا من « الانجماد الابتدائي » الوارد في قائمة مصطلحات صناعة السمّنت •

Invert Sugar

السكر المنقلب

« هو ما تحول من السكروس (سكر القصب) الى الكلوكوس (سكر العنب) والفيلولوس (سكر الثمر) » •

أقر المجمع هذا المصطلح كما ورد عليه في قائمة مصطلحات السكر وصناعته من مديرية الصناعة العامة .

Internode أنبوب

« هو ما يكون بين العقدتين في القصب » . وضعه المجمع بدلا من « السلامة » التي اختارتها مديرية الصناعة العامة في قائمة مصطلحات السكر وصناعته .

Juice العصير

« هو ما يستخرج من القصب بأجهزة خاصة » . أقره كما ورد في قائمة مصطلحات السكر وصناعته لمديرية الصناعة العامة .

Lime Saturation التشبع الكلسي

« وهو يعبر عن درجة تشبع السمنت بالكلس » . قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Magnesia المغنيسيا

أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Mesh الخصاصة

« وتعبّر عن عدد الفتحات في العقدة من المنخل » . رأى المجمع استعمالها بدلا من « الشبكية » المقترحة في قائمة مصطلحات السمنت .

Monograph رسالة

وضع هذا الاصطلاح بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام .

Node عقدة

« ويراد بها العقدة في قصب السكر » . أقرها المجمع كما وردت عليه في قائمة مصطلحات السكر وصناعته . ووضع مجمع فؤاد الأول « العقدة » (٢٧٥/٥) .

Physical Test الفحص الطبيعي

« وهو فحص السمنت في الشد والكبس والتمدد الخ .. » قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Portland Cement

سمنت بورتلند

« وهو السمنت الاعتيادي ، وقد نسبته جوزيف اسبدن الى بورتلاند » ، أقره المجمع
كما ورد عليه في قائمة مصطلحات صناعة السمنت لمديرية الصناعة العامة .

Procedure

السياق

« وهو طريقة الفحص » . قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة .

Purity

الخلوص

« وهو نسبة السكرس في العصير الى مجموع المواد الصلبة بمقياس بريكس » ،
وضعه المجمع بدلا من « نقاء العصير » الواردة في قائمة مصطلحات السكر وصناعته .

Ratoon

الراتون

« وهو ما نما من قصب السكر من جذور قصب المواسم السابقة » . أقره كما ورد
عليه في قائمة مصطلحات السكر وصناعته لمديرية الصناعة العامة .

Research

بحث والجمع بحوث

وضعهما المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام .

Scientist

عالم

وضعه المجمع بناء على طلب مدير المباحث الصناعية العام .

Second Ratoon

الراتون الثاني

« هو ما نما من جذور الراتون الاول » ، أقره المجمع كما ورد من مديرية
الصناعة العامة .

Setting time

مدة التجمد

« وهو الوقت بين مزج ملاط السمنت والرمل وانجماده » .
وضعه المجمع بدلا من « وقت الانجماد » الوارد في قائمة مصطلحات صناعة
السمنت .

Sieve

منخل

« وهو منخل تقاس به نعومة السمنت » . أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية
الصناعة العامة .

Silica السيليكا

« وهو ثاني أكسيد السيليكون » • أقره كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Silica Modulus معامل السيليكا

« وهو النسبة المئوية للسيليكا مقسومة على مجموع النسبتين المثبتتين للألومينا وأكسيد الحديد » • وضعه المجمع بدلا من « موديول السيليكا » الوارد في مصطلحات صناعة السمنت •

Slurry السلورى

« وهو مزيج سائل من الخامين الكلسى والصلصالى قبل دخوله الفرن » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Soundness السلامة

« وهو مقياس ثبات الحجم فى السمنت » • قبل كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Specialist متخصص

أقره المجمع •

Specific Surface السطح النوعى

أقر كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

Sulphitation السلفطة

« وهى معالجة العصير السكرى بثانى أكسيد الكبريت » • أقره المجمع كما ورد عليه من مديرية الصناعة العامة •

Tensile Strength قوة الشد

« وهى معدل قوة ست طويقات قياسية من ملاط السمنت والرمل وتعبّر عن قوة السمنت فى الشد » • أقره المجمع كما ورد من مديرية الصناعة العامة •

تحقيق نص كتاب المقابسات

لأبي حيان التوحيدي

هذا الكتاب من أجل كتب أبي حيان التوحيدي ، ومن أجدرها بالدراسة والتحرير ، واذا كان من منهجي في دراسة سيرة الرجل وأدبه أن أعمد الى مؤلفاته جميعا بدراسة مستوعبة فاحصة ، اضطررت الى تحرير هذا الكتاب ضمن ما تهيأ لي تحريره من كتبه . هذا الكتاب على جليل خطره ، وعظيم منزلته لم يتتبع به الناس ، ولم يلتفتوا الى بليغ جدواه لشيوع الخطأ في النسخ المطبوعة ، وعدم الوقوف على نسخ مخطوطة منه . وقد أحسست منذ بدأت دراسته في النسخ المطبوعة بصعوبة فهم نصوصه ، وضرورة الرجوع الى ناشر الكتاب في مصر عسى أن أجد لديه ما يغني ، ولكنه بعد عدة جلسات تكشف لي عن حال لا يغبط صاحبها على نشر هذا الكتاب الفلسفي ، فمذرته ونعت عليه قوله في صدر النسخة التي نشرها : « بأنها محققة مشروحة » على حين ليس ثمة أي تحقيق ، وصرح لي أخيرا بأنه طبع الكتاب على نسخة حجرية طبعت في الهند ، وأنه لم يزد عليها الا تراجم الأعلام في الهامش ، والا وضع العناوين في الصدر . رجعت الى النسخة الهندية فاذا هي كنظيرتها التي طبعت عليها شيوع خطأ ، واستحالة تفهم ، واضطررت بعد ذلك الى استشارة فهارس المكتبات عسى أن ترشدني الى نسخة مخطوطة للكتاب ، ولكن الفهارس التي كانت بين يدي - وهي الفهارس التي تحتويها دار الكتب المصرية - لم تذكر نسخة مأثورة من هذا الكتاب ، وظللت في هذه الحيرة زمنا ليس بالقصير .

وفي عام ١٩٤٦ زرت المكتبة الظاهرية بدمشق فأرشدني مديرها الفاضل الى شطر من نسخة مخطوطة للكتاب برقم ٤٨٠٣ واذا رجعت اليها ألفتيتها أوراقا من نسخة مضبوطة نسخت في القرن السادس للهجرة ، فصححت عليها ما قابلها من النسخة المطبوعة^(١) . وهنا تجلي لي عظم ما داخل المطبوعة من تحريف ، وشعرت بضرورة قصوى لتحرير نصوص هذا الكتاب . ولو لم تكن المخطوطة منقوصة الوسط والأطراف

(١) وهي المقابسات : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ثم ٦٠ ، ٦١ - ٧٠ .

لتهياً لى تصحيح الكتاب كله ، ولكنها - ويا للأسف - لم تشمل الا على قليل من المقاسبات .

وتابعت البحث فى سبيل الاهتداء الى نسخة أخرى ، فشرت عام ١٩٤٧ وفى أثناء قرائتى فى مخطوطات « تيمور » بدار الكتب المصرية بأصل المقابستين من المقاسبات ضمن مجموعة تشمل على فنون مختلفة لمؤلفين مختلفين ، وهى تحت رقم ١٧٥ مجاميع تيمور . وعلى هذا الأصل صححت المقابستين ٩١ ، ٩٢ من النسخة المطبوعة .

وفى عام ١٩٤٧ وفى أثناء بحثى فى فهارس الكتب المخطوطة بدار الكتب عثرت بمخطوط باسم « منتخب صوان الحكمة » فلفت نظرى اسم الكتاب ، ذلك أن « صوان الحكمة » كتاب « لأبى سليمان المنطقى ، أستاذ أبى حيان التوحيدى ، وقد ضاعت أصول هذا الكتاب فيما أعلم ، ولم يعرف عنه شئ لولا ما أشار اليه البيهقى من جريه فى مؤلفه « تمة صوان الحكمة »^(١) على منوال « أبى سليمان » فى تأليفه لـ « صوان الحكمة » فكان اسم الكتاب حافظاً لى على قراءته .

والكلام على « منتخب صوان الحكمة » ومؤلفه ، وعصره ليس هذا محله ولكن بخصوص ما يتصل ببحثى من شأنه أقول : انه يشتمل على منتخبات مما ترجم « أبو سليمان » لحكماء اليونان فى « صوان الحكمة » وعلى تراجم أخرى لحكماء اسلاميين زادها مؤلف « منتخب صوان الحكمة » فى كتابه ، وبعض هؤلاء ممن عاصرهم كل من « أبى سليمان » و « أبى حيان » وقابسههم هذا الأخير فى جملة مقاسباته .

واذ بلغت من الكتاب تراجم هؤلاء ألفت لغة الكتاب - فيما يروى من آثار المترجمين - تذهب مذهب « أبى حيان » فى طريقة عرض الأفكار ، وأحسست بأن جو كتاب « المقاسبات » يشبع فى جملة هذه التراجم . فأنعدت النظر فى الكتاب من جديد ، وقابلت بعض ما فيه بعض ما فى كتاب « المقاسبات » فاذا هما يلتقيان بالنص والحرف على فكرة واحدة وتعبير واحد .

ومن هذا الاتفاق التام بين نصوص فى كتاب « المقاسبات » ونصوص فى كتاب « منتخب صوان الحكمة » ينشأ احتمالان ، وأمر مقطوع به . فالاحتمالان هما :

أ - أن يكون كل من أبى حيان ومؤلف « منتخب صوان الحكمة » قد أخذ هذه النصوص من كتاب « صوان الحكمة » .

(١) راجع مقدمة « تمة صوان الحكمة » للبيهقى .

ب - أن يكون مؤلف « منتخب صوان الحكمة » قد أخذ هذه النصوص من كتاب

« المقابسات » .

ويضعف الاحتمال الأول أمور . منها أن المعروف عن مؤلف « صوان الحكمة » أنه في تراجم الحكماء اليونانيين لا الاسلاميين فيما يتصل من مؤلفه بتراجم الاسلاميين لا بد أن يكون من عمل مؤلف « منتخب صوان الحكمة » ، ومنها أنه ترجم في الكتاب لأبي سليمان ، واعتمد في هذه الترجمة على أبي حيان - كما صرح بذلك ^(١) ، وعليه فهو قد رجع في بعض هذه التراجم الى مؤلفات أبي حيان .

ويرجح الاحتمال الثاني - أعني رجوع مؤلف « منتخب الصوان » الى كتاب

« المقابسات » جملة أمور .

١ - ان المؤلف وقف على جملة من مؤلفات أبي حيان ، واعتمد عليها في كتابه : نقل في كتابه مرة عن كتاب « البصائر والذخائر وذلك عند ترجمة « أرسطاليس » و « ابن العميد » ^(٢) . وذكر مرة اسم مؤلف لأبي حيان أسماه « الهوامل والشوامل » ورسالة له في الطبيعيات والالهيات . ذاك المؤلف وهذه الرسالة لم يرد ذكرهما في ثبت كتب الرجل ، وانما ورد ذكرهما في كتاب « المقابسات » ^(٣) فقط . فالراجح أنه عرفهما عن طريق هذا الكتاب .

٢ - ان مؤلف « منتخب صوان الحكمة » اذ يورد رأى من يترجمه في مسألة ما ، لا يكفى بذكر الرأى وحده ، وانما يدؤه ويختمه بمثل ما أتم وختم به « أبو حيان » مقابساته من قول أو سماع ، أو شكوى ، أو بيان للطريقة التي عالج بها المقابلة . وهذا يدل على أنه نقل نص ما في « المقابسات » وبما أن مؤلف « منتخب صوان الحكمة » من رجال القرن السادس والسابع للهجرة ، فيستحيل على مثله أن يكون هو المقابس لرجال القرن الرابع .

وأما الشيء المقطوع به فهو ان النصوص التي في « منتخب صوان الحكمة » نفس النصوص التي في كتاب « المقابسات » واحتمال أن يكون المؤلفان قد رجعا الى أصل ثالث لا يقدم أو يؤخر في سلامة تصحيح أحد النصين على الآخر ، وذلك هو المهم في

(١) انظر ص ١٣٨ من الكتاب نسخة ج ٦٦٤٣ من دار الكتب المصرية .

(٢) انظر : ٢٤ من منتخب صوان الحكمة نسخة (و) رقم ٢٦٦٣ .

(٣) انظر ص ١١٥ - ١١٩ من النسخة المتقدمة عند الكلام على ترجمة أحمد بن

مسكويه ، وقابله بما في المقابسات : ١٤٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٢ ط الرحمانية .

تحرير النص الذى نحن بصدده •

والنصوص التى سأشرها رجعت فى تصحيحها الى :-

- ١ - النسخة الحجرية الهندية وقد طبعت عام ١٣٠٦ هـ ورمزت لها بـ « د ه » •
- ٢ - النسخة المطبوعة بمصر وقد نشرها السندوبى عام ١٩٢٩م وقد رمزت لها بـ « ط م » •

٣ - نسخة المكتبة الظاهرية وقد رمزت لها بـ « ظ » •

٤ - المقابستين اللتين فى مجموعة تيمور وقد رمزت لها بـ « ت » •

٥ - النسختين الفوتوغرافيتين من كتاب « منتخب صوان الحكمة »^(١) وقد رمزت لكل منهما بـ « م » متبوعا بالرقم الذى تحمله النسخة •

٦ - أخبار الحكماء للقفطى ، وقد انتفعت بها فى تصحيح سطور من المقابلة الثانية^(٢) •

وسيدرك القارى مدى الجهد الذى بذلته فى تحقيق هذه النصوص برجوعه أولا الى النسخ المطبوعة ليشهد ما فيها من اضطراب ، ثم بمقابلتها بالأصل الذى بين يديه ثانيا •

المقابلة الرابعة *

فى الناموس الإلهي ووضعه بين الخلق

سمعت ابن مقداد^(٣) يقول : « لابد فى وضع الناموس الالهى الذى (يتوخى^(٤)) به افاضة الخير ، (وبث المصلحة^(٥)) ، وترتيب السياسة ، وما يورث سكون البال ، ويحسم مواد الشر ، ويوطد دعائم السنن ، ويبعث على تشریف النفوس ، وتزيين الأخلاق ، ويقرب الطريق^(٦) الى السعادة المطلوبة ، ويواصل أسباب الحكمة ، ويشوق

(١) لمنتخب صوان الحكمة بمكتبة دار الكتب نسختان احدهما رقم (و) ٢٦٦٣ ، والثانية ج ٦٦٤٣

(٢) انظر تاريخ الحكماء ص ١٥١ ط السعادة والمقابسات : ١٣٤ ط الرحمانية
(٣) صححت هذه المقابلة على كتاب « منتخب صوان الحكمة » وهى تقابل من نسخة (و) ورقة ١٠٦ ، ومن نسخة (ج) ورقة ١٥١ •

(٤) هو الحسن بن مقداد من فلاسفة القرن الرابع وقد ترجم له المصدر السابق فى الأوراق نفسها من النسختين •

(٥) فى ط م يتوجه

(٥) تفرد بها نسختنا المنتخب •

(٦) فى نسختى المنتخب : الطريقة •

الأرواح الى طلب الحق ، وإيثار العفة^(١) ، ويقدم دواعي العدل^(٢) والنصفة ،
والمرحمة^(٣) والمكرمة ، من الأخبار التي تنقسم بين ما هو صدق محض ، وبين ما هو
صدق ممزوج . وتكون الألفاظ التي تدور بها ، واللغات التي ترجع^(٤) اليها كثيرة
الوجود ، (سهلة^(٥)) سمحة عند التأويل . وانما وجب ذلك لأن الناس في أصل
جبلتهم ، وبدء خلقهم ، وأول سنخهم^(٦) قد افرقوا مجتمعين ، واجتمعوا متفرقين ،
واختلفوا مؤتلفين واثلفوا مختلفين ، واحساسهم متوقدة ، وظنونهم جواله ، وعقولهم
متفاوتة ، وأذهانهم^(٧) عاملة ، وآراؤهم سائحة ، وكل منهم ينفرد^(٨) بمزاج وشكل ،
وطباع وخلق ، ونظر وفكر ، وأصل وعرق^(٩) ، واختيار والف وعادة ، وضراوة ونفرة ،
واستحسان واستقباح ، وتوق ووقفة ، واقدام وجسارة ، واعتراف^(١٠) وشهادة ، وبهت
ومكابرة . هذا سوى أعراض كثيرة مختلفة ، لا أسماء لها عندنا خالصة ، ولا صفات
متميزة .

قال : ومثل هذا كمثل رجل أصلح طعاما كثيرا ، واسما مختلفا ، من كل لون
وجنس ، ومذاق ورائحة ، ووضع ونضد^(١١) ، وحرارة وبرودة ، وحلاوة وحموضة
(ومرارة وحرافة^(١٢)) ، ونصبه على مائدة واسعة عظيمة (لجمع ذى عدد جم)^(١٣) .
فمتى لم تكن المائدة ذات ألوان مختلفة ، وأطعمة سرربة متباينة في القلة والكثرة ، والملوحة
والحرافة^(١٤) (والغرفة والقذمة)^(١٥) لم يقبل كل انسان على ما تتفق^(١٦) به شهوته

(١) فى ط م ، ط ه : العقد .

(٢) فى م و ، وكذا فى م ج : العقل

(٣) فى ط م : الرحمة .

(٤) فى م و : يرجع .

(٥) لم ترد فى ط م ، ط ه

(٦) فى م و : سجيته

(٧) فى م و ، م ج : وأذهانهم .

(٨) فى ط م : منفرد .

(٩) فى ط م : وفرع .

(١٠) لم توجد فى م و ، م ج .

(١١) فى ط م : وقصد .

(١٢) ما بين القوسين من نسختي م ج ، م و .

(١٣) فى ط م : « فجمع ذوى عدد جم » وما اثبتناه من نسختي م و ، م ج .

(١٤) فى م و : والحرارة .

(١٥) فى ط م : « ومرة المتقدمة » وهو خطأ . يقال : قدم قذمة : كجرع جرعة

فى الوزن والمعنى .

(١٦) فى ط م : يفيق .

الخاصة له ، ولم تمتد يده (الى اللون^(١)) الذى تدعو اليه العين ، لأن للعين نوعا من الطلب ليس للفم ، وللنفس أيضا مثل ذلك ، أعنى النفس المغتذية^(٢) . فهذا غير ما هو مطلوب للنفس الناطقة من الترتيب والنعمة ، والإيناس والمحادثة .

قال : فلما كن الناموس الإلهى نصيحة عمدة للكافة^(٣) وجب أن يستعان عليها بكل ما يكون ردها لها ، ورافدا معها ، وفرشا لما انطوى فيها ، وموضحا لما خفى عنها ، وداعيا باللفظ اليها ، وضمما لحسن الجزاء عليها .

وهذا قدر كالخلاصة^(٤) مما وقع التفاوض به ، سقته على ما أمكن والحمد لله

وحده .

المقابلة الخامسة *

فى شرف الزمان والمكان ، وتماتت الناس فى الفضيلة

قلت لائبي بكر القومى^(٥) - وكان كبيرا فى الأوائل - : أى معنى يكون هذا الزمان أشرف من هذا الزمان ، وهذا المكان أفضل من هذا المكان ، وهذا الانسان أشرف من هذا الانسان ؟

فقال : هذا (يسوغ باضافة^(٦)) الزمان الى سعادة شائعة ، وخير^(٧) غامر ، وبركة فائضة ، وخصب عام ، وشريعة مقبولة ، وخبرات مفعولة^(٨) ، ومكارد مأثورة^(٩) ، من جهة شكل الفلك بما تقتضيه بعض أدوار . وكذلك المكان اذا قابله أثر من هذه الأجرام الشريفة ، والأعلام^(١٠) النيفة . فاما^(١١) الزمان الذى هو رسم الفلك بحركته الخاصة

(١) فى ط م : اليه باللون

(٢) فى ط م : لدكانه وهو تحريف

(٣) ؟

(٤) فى ط م : كالخلاصة

(٥) صححت هذه المقابلة على « منتخب صوان الحكمة » نسخة م (و) : ١٠٨ ،

م (ج) : ١٥٣

(٥) ترجم له فى المصدر السابق نفسه ، وسماه كذا : أبو بكر الحسن بن كرده القومى بالشين .

(٦) فى ط م : يشعر باضافة

(٧) فى ط م : وعز غامر

(٨) فى م و ، م ج : مفعولة

(٩) فى م و ، م ج : مؤثرة

(١٠) فى ط م : والاعمال .

(١١) فى ط م : وأما

فليس فيه جزء أشرف من جزء ، وكذلك المكان ، لأنه رديف الزمان .
ولا سبيل في مثل هذه المسائل الى معرفة الحقائق الا بالاحاطة ^(١) التي هي شاملة ^(٢)
للعالم ، غالبه عليه من محيطه الى مركزه . وأما الانسان فلا شرف له أيضا على انسان
آخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت ، لأن الحد ^(٣) في كل أحد واحد ،
فاذن لا شرف من هذا الوجه ، فان اعتبر بعد هذا فعل هذا ، وفعل ذلك من جهة ^(٤)
الاختيار والايثار والاكساب والاجتلاب ، فذاك يقف على الاشرف فالأشرف ، والأعلى
فالأعلى ، بحسب ما يوجد منظوما في نفسه ، نافعا لغيره ، واقعا موقعه الاخص به ^(٥) .

المقابلة الثامنة *

في أن الأسباب التي هي مادة الحياة في وزن الأسباب التي هي علة الموت
سمعت الانطاكي أبا القاسم ^(٦) - وكان يعرف بالمجتبي - يقول : الأسباب التي
هي مادة الحياة هي (في ^(٧)) وزن الأسباب التي هي جالبة الموت ^(٨) .
قيل له : فلم كان الموت على هذا أولى بالانسان من الحياة ؟ فقال : لأن الموت
طبيعي ، وكل طبيعي لا محيص عنه ، وانما أطلقت ^(٩) الكلام الاول لأنك ترى من
نجا من الموت بشيء (به يخلص غيره الى الموت) ^(١٠) ، (وتجد من يخلص الى الحياة
بشيء به يخلص غيره الى الموت) ^(١١) فلو استطيع حصر هذه الأبواب (لوجد ^(١٢)) ما به
يموت من يموت في عدد ما به يحيا من يحيا . ثم قال : وههنا موت طبيعي معترف ^(١٣) به ،

- (١) في ط م : بالأمانة ، وفي م و ، م ج : بالإضافة وقد فضلت ما ترى .
- (٢) كلمة « شاملة » لم توجد في م و ، م ج .
- (٣) في م و : لأن الحياة .
- (٤) في نسخة م و : « لا من جهة » بالنفي وهو خطأ انفردت به .
- (٥) في ط م : منه .
- (٦) صححت هذه المقابلة على منتخب صوان الحكمة م و : ١١٠ ، م ج : ١٥٦ .
- (٧) ترجم له في المصدر السابق نفسه
- (٨) لم ترد في ط م .
- (٩) في ط م : « جالبة للموت » .
- (١٠) في م و ، م ج : « أطلقت » .
- (١١) في م و ، م ج : « وقع به غير في الموت » .
- (١٢) ما بين القوسين لم يرد في النسختين المطبوعتين ولكنه ورد في م و ، م ج
وبه تم المعنى .
- (١٣) لم ترد في كل النسخ . وقد زدتها ليكمل المعنى .
- (١٤) في ط م : معرف به .

وفى مقابلة حياة طبيعية ، وهكذا أيضا ههنا موت عرضى ، وفى مواجهته حياة عرضية ، فالموت الطبيعى قد قامت (له ^(١)) الشهادة من الكافة . فاما الحياة الطبيعية ^(٢) فحياة العقل بالمعقول ، والموت العرضى الجهل الشائع فى الانسان .
وأما الحياة العرضية ^(٣) فحس الانسان وحركته ، سلامة بدنه ، وسكون أخلاطه ، وقوة طبيعته ، وتصرف سائر ما هو مركب من جهته .
ثم قال : ومن فتح الله بصر ^(٤) عقله ، ولحظ هذه الحقائق ترقى فى درجات المعارف ، وسلايل الفضائل ، وانتهى الى أفق الروح والراحة ، ونجا من هذه المعادن ، التى هى معادن العطب والتلف ، ومساكن الآفات والهلاك .
وتفجر ^(٥) فى هذا الفصل بكل كلام شريف ، وكل موعظة حسنة ، وكان من القادرين على أمثاله ، ومن قد أيدته الله بتوفيقه ومعوته .

المقابلة الحادية عشرة *

فى أن الطبيعة تعمل فى تخالف الناس على المذاهب والمقالات والآراء والنحل
سمعت أبا اسحق الصابى الكاتب يقول لابي الخطاب الصابى (ابن عمه ^(٦)) :
اعلم أن المذاهب والمقالات ، والنحل والآراء ، وجميع ما اختلف فيه الناس وعليه كدائرة فى العقل ، فمتى فرض فيها قول ، وجعل مبدأ لأقوام ^(٧) انتهى منه الى آخر ما يمكن أن يقال . فليس من قول الا وقد قيل أو يقال ، وليس من فعل الا وقد فعل أو سيفعل ، وليس من شيء يعلم ^(٨) الا وقد علم أو سيعلم ، وهكذا فى الظن والرأى وغير ذلك .

(١) فى الأصول : منه .

(٢) بعد هذه الكلمة ترك ناشر المقابسات بياضا وقال : « بياض بالأصول التى بأيدينا » . وقد راجعت مختلف النسخ التى بين يدي فلم أجد شيئا متروكا ، كما أن المعنى يستقيم بما هو موجود .

(٣) فى ط م : بالعرض .

(٤) فى ط م : بصيرة .

(٥) لم ترد فى م ج ، م و .

(٦) صححت على « منتخب صوان الحكمة » م و : ١١٣ ، م ج : ١٦٠ .

(٧) لم ترد فى ط م .

(٨) فى م و ، م ج : للأقوال .

(٨) لم ترد فى ط م .

ومثال (١) هذا بين فى كل ما أوردته (٢) ، وذلك أنك لا تشير الى رأى أو نحلة الا أمكنت أن تظن به كل ما ظن ويظن ، وتقول كل ما قيل (٣) ويقال • وانما يضيق مجم أحدنا وينفسح مشرب (٤) الآخر لأن الخاطر يسبح مرة ولا يسبح مرة ، والقلب يسبح تارة (٥) ولا يتسع تارة ، واللسان ينطق وقتا ويمسك وقتا •

قال أبو الخطاب : هل للخواطر والألفاظ ، والآراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهواء ، والى العناصر بالجملة ؟

فقال : نعم (٦) ، لها نسبة قوية ، وعلاقة شديدة ، ورباط متين ، الى هذه الأمور التى (تنظر فيها ، أو تطيف بها ، أو تظل عليها) (٧) ولا سبيل مع ذلك الى اتفاق الناس فى حال من الأحوال وسبيل من السبل ، ولو أمكن ذلك لوجد • ألا ترى أنه لا سبيل الى أن يكون الناس كلهم طوال القدود أو قصارها (٨) ، وضخام الرؤوس أو صغارها ، وفصحاء الألسنة أو لكنها ، أو على مذهب واحد (٩) ، ومقالة (١٠) واحدة • كيف يكون هذا (١١) أو يظن هذا ، والطبيعة انما تعطى صورتها لكل شىء بحسب قبوله وتهيوئه (١٢) ومواناته ؟ فليس الزند من عطية الطبيعة ، ولكن على قدر قبوله ، وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدره • باختلاف الصور انما نشأ (١٣) من جهة (١٤) اختلاف المواد ، وهذا أصل لا أصل له ، وعلة لا علة لها ؟ لأنه لم يفعله فاعل على ذلك ، بل الصورة من شأنها هذا ، والمادة من شأنها ذلك • والأمر مسبب على سنن ما ترى • فعلى هذا

-
- (١) فى ط م : وأمثال •
 (٢) فى الأصول جميعها : وأردته • وقد حررتها كما ترى •
 (٣) فى ط م : كما قيل •
 (٤) فى ط م : مشرب •
 (٥) فى م و ، م ج : « مرة » بدل « تارة »
 (٦) لم ترد فى م و ، م ج •
 (٧) فى م و ، م ج : تبطن فيه ، أو لطيف به ، أو تظل عليه •
 (٨) فى الأصول : أو قصورها •
 (٩) فى ط م : واحد أوحد •
 (١٠) فى ط م : ومقابلة •
 (١١) لم ترد فى ط م •
 (١٢) فى ط م : فى تهيوئه •
 (١٣) فى ط م : ينشأ •
 (١٤) لم ترد فى ط م •

كل أحد يتحل ما شاكلة (١) مزاجه ، ونبض عليه (٢) عرقه ، ونزع اليه شرطه ، وعجن به طينه ، (وجرى بعد ذلك عليه دأبه وديده (٣)) .

المقابلة الثالثة عشرة *

فى قول القائل : العلة قبل المعلول لا مدخل للزمان فيه

• قال يحيى بن عدى : قول القائل : العلة قبل المعلول (لا يدخل الزمان) (٤)
فيه ، وكذلك قول النحويين : الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان ، وكأنه جار فى فضاء (٥) الدهر ، والفرق بين الزمان والدهر بين .
ولعله سيمر فى موضع من هذا الكتاب .

قال له البديهي : فقولنا الأرب قبل الابن أين هو من الزمان ؟ قال : من جهة لا مدخل للزمان بينهما ، وذلك أن الغرض فيهما أن هذا علة هذا ، ومن جهة يدخل لأنه يصير مؤذنا بأن هذا كان (٦) فى الزمان قبل هذا فى الزمان .

وأما قول النحويين : إن الاسم قبل الفعل فمعقوله (٧) أن ترتيبه مقدم عليه ، والا فمتى وجد الاسم وجد الفعل ، ومتى وجد الفعل وجد الحرف ، فترتبة الوجود واحدة فى الجميع ، ومراتب الاعيان (٨) مختلفة فى الجميع (٩) . ثم قال : وينبغى أن يصفوا اللحظ الذى تجرد نحو الأشياء الأولى ، التى هى كثيرة بالأسماء والنوع عند الاستعمال ، وواحدة بالحقائق والذوات ، فإن هذا النظر اذا صفا وتم كفى مؤنة عظيمة وحاز (١٠) أمرا عزيزا .

عبد الرزاق عيسى الدين

-
- (١) فى م و ، م ج : ما شاكة .
(٢) فى كل من م ج ، م و : اليه .
(٣) فى ط م : « وجرى بعد ذلك على دأبه وديده » وفى م ج ، و : وجرى بعد ذلك دأبه وديده .
(٤) صححت على « منتخب صوان الحكمة » م و : ١٠٦ ، م ج : ١٥٠ .
(٥) فى ط م : لا مدخل للزمان .
(٦) فى ط م : فى قضايا .
(٧) فى م و ، م ج : كائن .
(٨) فى ط م : فمعقول .
(٩) فى م و ، م ج : الايمان .
(١٠) فى ط م : « فى نحو »
(١١) فى م و ، م ج : وكان .

باب الكتب

مباحث عراقية

تأليف الباحث المحقق يعقوب سرکيس

عدد أوراقه « ٢٠٦ » ، ورقات من النوع الجيد مع صور فتوغرافية لعدة من الآثار والوثائق المحررة ، طبع بمطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد سنة ١٩٤٨ •

هذا هو الجزء الأول من « مقالات » المؤلف المذكور التي كان قد نشرها في المجلات العراقية المشهورة ولاسيما مجلة لغة العرب ، وقد قدم هذا الجزء بعدة سطور الأستاذ العلامة محمد رضا الشيبسي ، ووصف تلك المقالات باللائق المتأثرة قد نظمها سلك • وان الواصف لا يعدو الحقيقة اذا وصف السيد يعقوب سرکيس بالباحث المثبت الجلم المعلومات الكثير المراجع وخصوصا مراجع تاريخ العراق المتأخر من تركية وفارسية وافرنجية وعربية ، خطية و غير خطية •

وقد سهل فوائد الكتاب بستة فهارس حسنة ، يستطيع الباحث أن يلتقط بها الفائدة التي يريد من غير عناء ولا بحث طويل ، ومن جملة المباحث « سعدون باشا ومشيخة آل سعدون ، وحريم دار الخلافة ، ومنازة جامع سوق الفزل ، والمدرسة المستنصرية ، والعمارة ، والكوت ، وتل هوارة ، ونظمى زاده وذووه ، ودار المسناة » •

وكنا نأمل من المؤلف أن يجبل في هذه المقالات قلم تتبع والاستدراك أكثر مما فعل ، لأنها أصبحت كتابا من الكتب التي يستند اليها ويعتمد عليها ، فقد نقل في ص ٩٩ من مقالة للأب لويس شيخو أن أبا المظفر يوسف بن قرغلي المعروف بسبط ابن الجوزي توفي سنة ٦٥٦ هـ ، ولم يصحح ذلك مع اجماع المؤرخين على أنه توفي سنة ٦٥٤ هـ ، وقد أيد في (ص ١٠٢) قال : « وحسبي وفاة السبط في سنة ٦٥٦ » ثم أكد في (ص ١١٦) لأنه جعل تأريخه « مرآة الزمان » المطبوع بأمريكا ممتدا الى هذه السنة • مع أنه انتهى بسنة ٦٥٤ هـ ، فقد توفي هو فيها •

وجاء في (ص ١٠١) قوله : « في خبر وفاة أبي المظفر باتكين (كذا ولعلها باتكين)
 أبي عبدالله الرومي الناصري » . ثم قال ناقلا : « وله (لأبي المظفر باتكين) نظم حس » .
 مع أننا ذكرنا في كتاب الحوادث الجامعة بل المظنون أنه هو « باتكين » بالباء ثم الألف
 ثم التاء ، وكررنا ذلك في الجزء التاسع من الجامع المختصر ، وأحلنا على مراجع أخرى
 منها شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢/٣٧٠) . قال في أخبار حملات التتر على
 البلاد الإسلامية : « فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم الا وقد دوخوه سمدوا^(١) نحو اربل
 في سنة أربع وثلاثين وست مئة ، وقد كانوا ذرقوها مرارا وتحيفوا بعض نواحيا ،
 فلم يوغلوا فيها . والأمير المرتب به يومئذ باتكين الرومي » . ثم قال : « فاني حضرت
 وأنا غلام بالنظامية ببغداد في بيت عبدالقادر بن داود الواسطي المعروف بالمحب ، خازن
 دار الكتب وعنده في البيت باتكين الرومي الذي ولى اربل أخيرا . . . فقال باتكين » .
 « مج ٣ ص ٣٨٢ » . ومن ذلك يظهر أني لم أضبط هذا العلم اعتباطا في كتاب الحوادث
 المذكور وأحلت على مراجع لم يعرفها أحد من قبلي^(٢) ، وقد تضافرت الأدلة على أنه
 « باتكين » لا غير ذلك ، وأحسن مفهرس كتاب المؤلف المحقق بالغفلة فأدخل باتكين في
 « الباء » وأخرجه من باب (التاء والنون) .

ونقل في ص ١١٣ ما هذا بعضه « سنة ٦٥٣ (١٢٥٥م) ذكر ولاية ابن الجوزي
 أستاذ الدار وهذا الخبر يفيد أن أبا المظفر يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي
 الحنبلي تولى أستاذية الدار في سنة « ٦٥٣ » . نقل ذلك من المخطوط الذي وسمناه
 بالحوادث الجامعة حين طبعه ، ومن أعجب الأمور أننا في أثناء الطبع ووصول المطبوع
 منه الى حوادث سنة « ٦٥٣ » التي ذكرها الباحث يعقوب سركيس ، شعرنا بأن الحوادث
 لا تناسب ما حفظناه منها خاصا بهذه السنة ، وحدانا ذلك على التحقيق والتحري ، فعلمنا
 أن قطعة من حوادث سنة « ٦٤٢ » نقلت بسوء التجليد الى حوادث سنة « ٦٥٣ » ولكننا

(١) هذا هو المعنى الصحيح للفعل « صمد » ومن الغلط استعماله بمعنى « ثبت »
 وصابر وواقف كما مسخه تراجمة البلاغات العربية في أيامنا فأخرجوه بغير صورته
 الجميلة الدالة على الحركة

(٢) ومن المراجع التي لم اذكر « ديوان ابن المقرب العيون » المطبوع بالهند فقد
 ورد فيه اسم « باتكين » مرات ومن ذلك ما في ص ٢٠٣ ونصه « وقال أيضا وكتبها الى
 شمس الدين باتكين أمير البصرة وقد عارضه شرف الدين المعروف بالكاظم ضامن
 مكوس البصرة في حديد انحدر معه من بغداد ، يريد عليه ضريبة مقدارا يسيرا بسبب
 ذلك الحديد » وذكره ابن الفوطي في معجم الألقاب بصورة « باتكين » أيضا .

أخطأنا في التقدير بسنة واحدة فعدناها من حوادث سنة « ٦٤٣ » - الحوادث ص ٢٧٩ - والحمد لله تعالى - على تنبهنا على هذا الأمر المهم الذي لم يفتن له غيرنا حتى العلامة البجائية أحمد باشا تيمور صاحب المخطوطة الأم وهو هو . فابن الجوزي المذكور ولي استاذية دار الخلافة المستعصمية سنة « ٦٤٢ » لا سنة « ٦٥٣ » كما جاء في « مباحث عراقية » الذي نحن في سبيل التعريف به . ويؤيد ذلك حوادث ذكرها المؤرخون مهم على ابن الحسن الخزرجي في تاريخه ، قال في حوادث سنة « ٦٤٣ » : « وفه (في شهر رجب) توجه المستعصم بالله الى الصيد بناحية الأنبار فلما قدم بغداد كتب أستاذ الدار أبو المظفر يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي كتابا هذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم المملوك العبد يوسف بن الجوزي ثم قال في وفاة السيدة عائشة بنت المستعصم بالله رابع شوال من سنة « ٦٤٣ » أيضا « وكتب أستاذ الدار يوسف بن الجوزي تعزية الى الخليفة فيها » (١) .

وفي الخبرين دلالة على أنه ولي أستاذية الدار في سنة « ٦٤٣ » أو قبلها ، ولما لم يكن أستاذ الدار في سنة « ٦٤١ » لزم أن يكون تولاهما سنة « ٦٤٢ » أو سنة « ٦٤٣ » . وكذلك القول في الخبر الذي يليه وهو ترتيب جمال الدين عبدالرحمن بن يوسف ابن عبدالرحمن بن الجوزي الحنبل مدرس لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية - ص ١١٢ - فانه ولي التدريس فيها لما نقل والده الى الأستاذ دارية أعنى سنة « ٦٤٢ » على التحقيق ، قال الخزرجي في حوادث سنة « ٦٤٢ » :

« وفي شهر جمادى المذكور استدعى أبو الفرج عبدالرحمن بن يوسف الجوزي الى دار الوزير وشرفه بتدريس الطائفة الحنبلية في المدرسة المستنصرية » (٢) . وكذلك فعل المحقق الجليل في وفاة نقيب النقباء أبي طالب الحسين بن أحمد بن المهدي بالله - ص ١٤٢ - قال ناقلا « سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥) وفيها توفي نقيب النقباء بهاء الدين أبو طالب الحسين بن أحمد بن المهدي بالله . كان خطيبا بجامع الخليفة » فنحن قد ذكرنا هذه الوفاة في حوادث سنة ٦٤٣ - ص ٣٩٢ - التي يجب أن تكون سنة « ٦٤٢ » . يؤيد ذلك ما جاء في كتاب ابن كثير والخزرجي .

وجاء في ص ١٤٩ ما نصه « جاء في مناقب بغداد أن عمر بن بهلغا (كذا) الطحان استأذن بعمارة مسجد العقبة وصليت به الجمعة في منتصف شعبان سنة ٥٣٨ هـ . قال هذا

(١) أصول التأريخ والأدب (م ١٢٢ ص ١٥٨-٩) .

(٢) المرجع المذكور (ص ١٥٤) .

تعليقا على ما ورد في كتاب الحوادث في سنة « ٦٤٠ » من ذكر جامع بهليقا .
ولم يرجع الباحث المحقق الى كتاب الجامع المختصر في الجزء التاسع منه وقد ذكرناه آنفا ، فقد ذكر في حوادث سنة « ٥٩٨ » وفاة « أبي زكريا يحيى بن عمر بن علي ابن أحمد بن بهليقا الطحان » ، وكان أحد الشهود المعدلين ، قال المؤرخ ابن الساعي مؤلف الجامع المختصر « وجامع العقبة بالجانب الغربي المعروف بجامع بهليقا أبوه بناء » (١) . وقال الأئب أنستاس ماري الكرمل في فهرست الجامع المختصر - ص ٣٧٧ - : « ومعنى بهليقا بالارمية المظثن النفس الساكنها أو الهادئها » .

ولم يرجع الى الجزء الثامن من مرآة الزمان ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة « ٥٦٠ » هـ : « وفيها توفي عمر بن بهليقا الطحان البغدادي الذي عمر جامع بهليقا بالجانب الغربي من بغداد بالقرية ، كان مسجدا صغيرا . . . » (٢) . وقال ابن الجوزي في حوادث سنة « ٥٣٨ » : « وأذن في اقامة الجمعة بجامع ابن بهليقا فصار أحد الجوامع المذكورة » . وفي حوادث سنة « ٥٦٠ » ذكر وفاة ابن بهليقا قال « عمر بن بهليقا الطحان عمر جامع العقبة بالجانب الغربي » (٣)

فهذه كتب مطبوعة كان الباحث المحقق خليقا بأن يراجعهما ، أما التواريخ المخطوطة كتاريخ ابن الديني وتاريخ ابن النجار فقد ذكرت ابن بهليقا وجامعه ولكن مؤلف المباحث غير ملزم أن يطلع على المخطوطات التي ليست عنده . ومرادنا بكل ما ذكرنا أن يقول ان الاسم « بهليقا » لا بهليقا .

وجاء في ص ١٦٢ من الكتاب مقال في « دفين جامع الآصفية » ولم يستوف الباحث المحقق الكلام على جامع الآصفية ، ولم يذكر ما الذي كان من قبل ، وهذا الذي حمله على الشك في موضع « مسجد الحظائر » - ص ١٦٧ - أفي شمالي المستنصرية هو أم في جنوبها ؟ ، وقال في تلك الصفحة « يرينا كتاب المساجد أن جامع الآصفية هو من مرافق المستنصرية لكنه لم يرو لنا المصدر ، وقال القنصل الفرنسي ريموند في بغداد عن طراز البنامين المذكورين انهما واحد ، وكان القنصل المذكور في بغداد أوائل القرن

(١) ج ٩ ص ٩٤ - ٥ والعقبة هي محلة الشيخ صندل الحالية وفيها ولد ابن الرومي كما في وفيات الأعيان .

(٢) ج ٨ ص ١٥٧ من طبعة شيكاغو و « ج ٨ ص ٢٥٣ » من طبعة الهند

(٣) المنتظم ج ١ ص ١٠٨ ، ٢١٢ .

التاسع عشر وحكى لنا عن جامع الآصفية قبل أن يسمى بهذا الاسم فقال «... المولاخانه تكية للدراویش لا يفصلها من المدرسة المستنصرية الا طريق يفضى الى الجسر والظاهر أنها منها وقد اتصل به أن المولاخانه كانت جامعا لطلاب المستنصرية » • ونقل من كتاب كلشن خلفا أن محمد جلبى كاتب الديوان بنى زاوية الدراویش المولوية سنة « ١٠١٧ هـ » • قلنا : ان تكية المولوية أى جامع الآصفية هى دار القرآن المستنصرية مع مسجد مجاور لها ، أمر بنائها المستنصر بالله مع المدرسة المستنصرية ، فقد جاء فى الحوادث المطبوعة - ص ٥٣ - فى خبر فتح المستنصرية :

« فى جمادى الآخرة تكامل بناء المدرسة المستنصرية التى أمر باشائها الخليفة المستنصر بالله... فركب نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة... وقصد دار الخلافة^(١) واجتاز بها الى دجلة ونزل فى شبارة من باب البشرى^(٢) مصعدا الى « الدار المستجدة »^(٣) المجاورة لهذه المدرسة وصعد اليها وقبل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لملكها وكان معه أستاذ الدار مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمى وهو الذى تولى عمارتها ، ثم عاد متوجها الى داره فى الطريق التى جاء بها » • ثم قال فى شروط المدرسة - ص ٥٨ - « وشروط أن يكون فى الدار المتصلة بالمدرسة ثلاثون صبيا أيتاما يتلقون القرآن المجيد من مقرأ - متقن صالح ويحفظهم معيد معه وله من الجراية والمشاهرة والتعهد ما للمشغلين يعلم الحديث » •

وقال الخزرجى فى تاريخه فى الشروط « وأن يكون فى « دار القرآن المجيد » شيخ يلقن القرآن وثلاثون صبيا أيتاما ومعيد يحفظهم التلاقين ، يكون للشيخ فى كل يوم خمسة أرطال خبزا وعرقان طيخا ، وفى الشهر ثلاثة دنابر وللمعيد فى كل يوم أربعة أرطال خبز وعرق طيخا وفى كل شهر دينار وعشرة قراريط ولكل صبى من المتلقين فى كل يوم ثلاثة أرطال خبزا وعرق طيخا وفى كل شهر ثلاثة عشر قيراطا وجة »^(٤) • ومن المؤرخين من يخلط بين أخبار المدرسة المستنصرية ودار القرآن هذه لأسباب منها اتصال أخبارهما وتجاورهما واشتراكهما فى البانى وتاريخ البناء والافتتاح تقريبا •

(١) كانت دار الخلافة المذكورة فى الخبر على طول شارع المستنصر الحالى

(٢) لعل هذا الباب شريعة نجيب باشا وعنده مخزن أورو سدى باك

(٣) المستجد والمستجدة اصطلاح الدولة على تسمية مبانيها الحديثة تسمية

عامة •

(٤) أصول التاريخ والأدب « مج ١٢٢ ص ١٢٦ •

وذكرها ابن الفوطى فى « معجم الألقاب » قال فى ترجمة أبى الفضل يونس بن يحيى بن عبدالله الخالدى النبلى الخطيب « استوطن بغداد وسكن بالمسجد المجاور لدار القرآن بالمستصرية ، وكان يتردد الاصحاب اليه ،^(١) . توفى سنة ٦٩٣ هـ ، .
وقال فى ترجمة أبى محمد عبدالله بن عبدالغنى بن سكينه الصوفى « كان شيخا خيرا متواضعا أحد صوفية رباط جده^(٢) ومعيدا بدار القرآن المجاورة للمستصرية ، توفى فى ذى الحجة سنة اثنين وخمسين وستمائة ودفن بمقبرة معروف ،^(٣) .
وقال فى سيرة عمر بن أحمد بن غزار البقوبى « كان فى العدول أيام قاضى القضاة سراج الدين الهنايسى وكان شيخ دار القرآن المنسوبة الى المستصرية ،^(٤) .
وفى ترجمة « مظفر الدين أبى عبدالله المبارك بن عبدالله » عتيق ابن الدامغانى ، الرومى المرقى - : « رتب شيخا بدار القرآن بالمدرسة المستصرية فى شعبان سنة احدى وثمانين وستمائة ، وكان شيخا كثير التلاوة حسن الأداء ،^(٥) .

وهذه الدار ليست « دار سنقرجا » التى فى جنوبى المدرسة المستصرية ، وانما هى دار القرآن التى ذكرناها آنفا فى النصوص التاريخية ووصفها كتاب مساجد بغداد نقلا من تاريخ الصفدى نقلا من تاريخ ابن الساعى - ص ٨٩ - بأنها « فى الحد الأعلى منها ، فلم ير مثلها أحد ولا لادراك وصفها أمد » . ولا يزال ايوانها شاهدا بعظمتها وفخامتها وان اتخذ مخبرا قبالا ومجذاة أخيرا . ذكرنا ذلك لأن الباحث المحقق قال فى كتابه - ١٦٨ - « ويسوقنا الى الظن ان دار سنقرجا كانت فى شمالى المدرسة ما جاء فى كتاب مساجد بغداد . . . أن الدار المجاورة لهذه المدرسة فى الحد الأعلى . . . فان أحدا لم يذكر أن دار سنقرجا هى « دار القرآن » المستصرية حتى يصح توحيد المؤلف الجليل بينهما .

والخبر الذى نقله من الحوادث المطبوعة من أخبار سنة ٦٤٦ من أنه فى غرق تلك السنة « نبع الماء من أساس حائط المدرسة المستصرية ومن دار سنقرجا زعيم خوزستان

(١) « ج ٤ ص ٤٦ » من نسختنا وراجع رسالة مؤرخ العراق - ابن الفوطى - ص ١٢ - فقد جعلت ترجمته لرجل آخر اسمه « عفيف الدين أحمد بن ميمون الحلى »
(٢) يعنى رباط شيخ الشيوخ وكان فى موضع خان الباجه جي بسوق الكمرک ، وكان قبالة باب المدرسة النظامية .

(٣) المرجع المذكور - ص ٨٠ -

(٤) كذلك - ص ٢٤٣ -

(٥) كذلك « ج ٥ ص ٧١ » من نسختنا

المجاورة للمستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بأمر الناصر المجاور لهذه الدار ، لا يفيد شيئا بعد أن علمنا من تاريخ الصفدي بالواسطة أن دار القرآن المذكورة كانت في الحد الأعلى وأن لها تاريخا مستقلا ، وكذلك القول في الدار التي دخل السلطان محمود غازان منها الى المستنصرية فلم تكن الا دار سنقرجا^(١) ، لأن دار القرآن لم تكن مسكنا لأمثال شيخ المشايخ ولا لغيرهم ممن لم ينص عليهم شرط الواقف المستنصر بالله الخليفة العباسي .

وبذلك يستبعد جدا قول الباحث المحقق - ص ١٦٩ - « وإذا ترجيحي هذا أضحي من الأكيد أو شبهه أن الدار المحكي عنها هي لسنقرجا فتكون الإصفية مسجد الحظائر المجاور لهذه الدار كما رأينا . ولعل هذا المسجد هو جامع المستنصرية الذي ذكره كتاب الحوادث^(٢) » .

فقد ذكرنا جامع دار القرآن المستنصرية بل مسجدنا فيما نقلنا من ترجمة يونس ابن يحيى النيلي آفا ، ومسجد الحظائر كان مبني قبل دار القرآن بأكثر من « ٢٢ » سنة ، ألا ترى أن النص التاريخي الذي نقله يصفه بالمعروف بأمر الناصر ، وقد نقل هو نفسه أنها كانت تعرف بزمرد خاتون وتوفيت سنة ٥٩٩ هـ ودفت عند معروف الكرخي - ص ١٨٤ - فكيف يكون المسجد المبني قبل سنة « ٥٩٩ » في موضع الدار المبنية سنة « ٦٣١ » ؟ وكنا ذكرنا في الجامع المختصر « ج ٩ ص ٥٥ » أن مسجد الحظائر المذكور هو مسجد الخفافين الحالي بسوق الكمرك ، وهو مشرف على دجلة ، ولو أحال على ذلك المرجع لترك لنفسه مجالا للتخلي عن احتمال الأول البعيد عن الواقع كل البعد ، فلذلك لم نجد بدا من الإشارة .

وممن ذكر مسجد الحظائر أبو عبدالله ابن الديلمي في تأريخه ، قال في ترجمة أبي حفص عمر بن يوسف بن محمد المقرئ المتوفى سنة « ٦١١ » : « وأم بالمسجد الذي أنشأته الجهة الشريفة والددة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين - خلد الله ملكه ورضى عنها - بمشرعة المزمولات ، سنين الى حين وفاته »^(٣) .

-
- (١) جاء في حوادث سنة ٦٩٦ من الحوادث المطبوعة أن غازان دخل المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها « نظام الدين محمود شيخ المشايخ » .
 (٢) ذكر في حوادث سنة « ٦٧٢ » ، كما أشار اليه المؤلف في الاصل .
 (٣) نسخة باريس المرقومة « ٥٩٢٢ » عربي « الورقة » ٢٠٤ .

ومنهم محب الدين محمد بن محمود بن النجار في تاريخه ، قال في ترجمة المقرئ المذكور « ورتب اماما في المسجد الذي بنته أم الخليفة الامام الناصر لدين الله بالخطائرين على شاطئ دجلة » (١) .

وقد تبين من الخبرين أن هذا المسجد بنى في موضع الخطائرين عند مشرعة المزملات على شاطئ دجلة ، ولا تزال مئذنته من البناء الاصلى كما نبهنا عليه في « مجلة سومر » . ولو لم يذكر ابن النجار موضعه من الخطائرين لحق لنا أن نشك في موضعه ، فالآن قد بين الصبح لذي عينين . وتبين أيضا أن دار الأمير سنقرجا كانت بين جامع الخفافين والمستصرية وفي أرضها فتح مدخل الكمرک القديم أعنى بابه الحديث .

وجاء في ص ١٧٨ « فحماء منهم الشيخ ظهير الدين البخارى (٢) المدرس » . ولا حاجة الى علامة الاستفهام فقد ذكره هو نفسه قبل ورقة بصورة « ظهير الدين محمد بن عمر النوحاباذي (٣) البخارى الحنفى » - ص ١٧٥ -

ويتخذ المؤلف الفاضل « التكنية » أى وضع « كذا » من دون حاجة اليها أحيانا كما في ص ١٧٣ « عين عليه (كذا) مشغلا (٤) في علم الحديث » . والاصل صحيح فهو من « عين على فلان » مثل « قصر عليه » فهو معين عليه ومقصود عليه (٤) . وجاء في ص ١٧٧ « القاضى بدر الدين على بن محمد بن ملاق (كذا) وفوض اليه » . فلماذا وضع كذا ؟ . وفي ص ١٤١ « وفي آخر شعبان ٦٣٥ انتهى (كذا) عمارة باب جامع القصر » . وفي ص ١٣٧ « عند الباب الحديد (كذا) من شارع الرصافة » . ولا يجوز في العربية الا « الباب الحديد » عند الوصف . وفي ص ١٢٢ « لأن جميع العباسيين في تلك الديار معتقلين (كذا) » وهى حال . وفي ص ١١٨ « وفيه العتبة التى كانت (كذا) يقبلها الملوك والرسل » . أراد ان الاصل « قبلها » . وفي ص ١١٤ « الذين كانوا في دار الصخر (كذا) ودار الشجرة » ودار الصخر من الدور المشهورة في خطط بغداد ، ولعل الباحث الفاضل تعوزه المراجع في تحقيقها فهو معذور .

وفي (ص ١١٤) فى حوادث سنة ٦٥٦ : « ثم عين على بعض الأمراء فدخل

(١) نسخة باريس المرقومة « ٢١٣١ » الورقة « ١٢٦ »

(٢) كذا ورد والصواب بالجيم

(٣) وقعت فى المطبوع من الحوادث أيضا « مشغلا » والصحيح « مشغلا » أى

راويا ومقروءا عليه وغير ذلك

(٤) جاء هذا التعبير فى ص ١١٤ فلم يعترض عليه وسننقله بعد اسطار .

(هولاكو) بغداد ومعه جماعته ، وزيادة « هولاكو » ليست صحيحة فان الأمير هو الذى دخل اذ ذاك لا هولاكو ، ويصح دخول هولاكو ولكن فى غير هذه المرة .
 وجاء فى ص ٢ « وذلك دليلا عما أبرزه » والصواب « دليل على ما أبرزه » . فان الواو تثبت الابتداء والرفع ، وفى ص ٨ « ومستندة على ثقات الرواة » ، والصواب « الى ثقات » . وفى ص ٨ « وما هذه الدفينة الا جزءا » . والصحيح رفع جزء وفيه غير ذلك .
 والذى ذكرناه من الأمور الطفيفة بالاضافة الى هذا الكتاب الحافل بالتحقيق والتدقيق ، الجزيل الفوائد الوافر المراجع والمنافع ، ولولا أن التنبه واجب لاستحيينا أن نذكر ما ذكرنا لصلاته .

مصطفى جبر

العربية الغربية القديمة

Ancient West-Arabian, by C. Rabin, London 1951.

طبع لندن ١٩٥١م - ص ٢٢٥ من القطع المتوسط . فيه خوارط للقبائل واللهجات .

هذا الكتاب هو بحث فى لهجات العربية الغربية ، أى الحجاز واليمن فى القرنين السادس والسابع للميلاد ، لمؤلفه « حاييم رابن Chaim Rabin » المحاضر فى موضوع العبرانية قبل عهد التوراة بجامعة أكسفورد .
 حملته على تأليفه هذا ، الدراسة التى قام بها فى عام ١٩٣٧ لللهجات العربية الشرقية ، ويقصد بها لهجات تميم وربيعة وأسد وعقيل وغنى وقيس ولهجات أخرى تابعة لهذه المجموعة ، للحصول على درجة « دكتور » . وقد كتبها متأثرا بنظرية « كارل فولرس Karl Vollers » المستشرق الذى أثار ضجة فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى الجزائر عام ١٩٠٥ برأيه الغريب عن نص القرآن الكريم حيث زعم أنه نزل فى الأصل بلهجة أهل الحجاز ، وهى لهجة الرسول ، ثم صقل - بزعمه - مرارا - ، صقله النحويون ليوافق العربية الفصحى التى هى لغة أهل البادية : لغة الشعر والادب الرفيع !! وقد كرر هذا رأى وأعادة المستشرق « باول كاله Paul Kahle » فى محاضرة ألقاها بمدينة لندن عام ١٩٤٧ عن نص القرآن^(١) .

1- Vollers, Volksprache Und Schriftsprache in alten Arabien, Strassburg 1906.

وقد أثارَت هذه الدراسة في نفس المؤلف الشوق الى دراسة لهجات أهل العربية الغربية ، وهى لهجات أهل الحجاز واليمن ، فجمعها بين دفتى هذا الكتاب • وهو يتألف من أربعة عشر فصلا تحدث فيها عن اللغويين وما صنّفوه فى اللغات والمهجات ، وعن الآراء التى قيلت فى اللغة الفصحى لغة الأدب عند الجاهليين ، ثم عن لهجات أهل اليمن عامة وما أورده اللغويون من أمثلة من لهجاتهم ، ويبحث بعد ذلك فى لهجة حدير ، فلائزد ، فاللهجات اليمانية الشسالية ، فلهجة هذيل ، فلهجات أهل الحجاز • وأعقبها ببحث عن الحركات ، ثم الحروف الساكنة ، ثم عن اللواحق والكواسع ، فلهجة طى •

وموضوع الكتاب فى الواقع موضوع خطير ليس من السهل البحث فيه ، والوسائل والمواد قليلة يسيرة • لذلك حاول المؤلف جمع كل ما علمه من آراء وأقوال فيه ، ليكون للقراء فكرة عامة عن الموضوع • وهو يرى تقسيم اللهجات العربية الى مجموعتين : لهجات شرقية ، ولهجات غربية ، متبعا فى ذلك التقسيم القديم الذى يرجع اللهجات الى أصليين : تميم ، وحجاز • ويرى أن لغة الشعر والنثر هى لهجة من اللهجات العربية الشرقية بنبت أصولها فى نجد ، وقد استعملت فى الحجاز وخاصة فى مكة فى الشعر والنثر ، وبهذه اللهجة نزل القرآن الكريم • أما لغة عامة الناس ، فكانت بلهجة أهل الحجاز !

وهذا التقسيم ، أو أى تقسيم آخر معروف فى الزمن الحاضر ، هو تقسيم « كينى » لا يستند الى اسس علمية وحجج قائمة • فما سجل فى كتب اللغة عن اختلاف اللهجات نادر ، والنادر لا يحكم عليه • وهو فى الغالب مفردات ، والمفردات لا تعطينا فكرة علمية صحيحة عن التركيب والجمل والكل • ولهذا وجب الرجوع الى النصوص المدونة قبل الاسلام ، والى دراسة لهجات القبائل الباقية ، وتحليلها بالأساليب العلمية الحديثة المتبعة فى دراسة اللغات للاستعانة بها فى الرجوع الى الماضى • أما طريقة « حليم رابن » وأمثلة ، فهى وان كانت تريد السير على المنهج الذى ذكرته ، ولكنها لا تزال بعيدة عنه كل البعد ، لذلك وجب التحذير كثيرا من التسليم بما ورد فى الكتاب من آراء ، وفيها ما يجب رفضه ونبذه ، وليس من العسير تمييزه •

مواد على

= رد عليه بعض المستشرقين مثل « نولدكه فى كتابه » :

The Noldek, (Zur Sprache des Korans) in Neue Beitrage Zur Semitisxhen Sprdchwissenschaft 1910.

موجز تاريخ الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام حتى الزمن الحاضر

المؤلف جورج . اى . كيرك

A Short History of the Middle east From the Rise of
Islam to Modern times

by Goeorge E. Kirk

أخرجت شركة Metuen للنشر بلندن هذا الكتاب لمؤلفه « جورج كيرك » ، وأصله محاضرات ألقاها المؤلف فى « معهد الشرق الأوسط للدراسات العربية » Middle East Centre for Arab Studies على الطلاب الانكليز الذين يرغبون فى الاشتغال فى الشرق الأوسط ويحتاجون الى تفهم روحية السكان فى هذا القسم المهم من العالم ، واتجاهاته ، وتاريخه القديم . فهى اذن محاضرات ذات صبغة عامة رسمت الخطوط الأساسية لـ « خارطة » السياسة الحاضرة فى بلاد الشرق الأدنى بتدقيق وعناية . فأما الفروع والقضايا الأخرى التى تهتم المتخصصين ، فلم تتطرق اليها هذه المحاضرات ؛ لأنها وضعت لـ «ناس ليسوا من المستشرقين ولا من العلماء المتخصصين ، وانما هم طبقة من الموظفين والسياسيين الذين ترسلهم حكومتهم الى بلاد الشرق الأوسط ، فهم أنفسهم فى حاجة الى تعرف حالة السكان الذين سيشتغلون بينهم ، والى الاطلاع على الأفكار العامة التى تسود جو السياسة فى الشرق الأوسط ، والى المعرفة الضرورية التى تثير السبيل لهم للعمل فى كل قطر من هذه الأقطار التى تدخل فى نطاق هذا المفهوم : تلك الأفكار التى تمهد لهم طريق التخصص ، وتعرف على المشكلات البلدية والقضرية فيما بعد .

وقبل أن أدخل فى نقد الكتاب ، أرى لزما على أن أشرح المراد من Middle East فى الزمن الحاضر ، فقد تغير مفهومه منذ الحرب العالمية الأخيرة عما كان عليه قبل نشوبها ، اذ كان ساسة أوروبا يقسمون القارة الآسيوية الى ثلاث مناطق : منطقة الشرق الأقصى ، أى (The far East) وتشمل فى الدرجة الأولى اليابان والصين والبلاد التى تعتمد عليها ثقافيا وجغرافيا . ومنطقة الشرق الأوسط ، أى (Middle East) ، وتشمل الهند وبرما وأفغانستان وايران . ومنطقة « الشرق الأدنى » ، أى (Near East) ، وتشمل أرضى الانبراطورية العثمانية القديمة وشبه جزيرة العرب . غير أنه لأسباب

غير واضحة حتى الآن تغير مفهوم (Middle East) منذ وقعت الحرب العالمية الأخيرة حتى الآن ، فأطلق مثلا على قيادة القوات البريطانية المراقبة في مصر « قيادة الشرق الأوسط » Middle East Command ، وأطلق هذا الاصطلاح على عدة من المؤسسات البريطانية الأخرى في القاهرة مثل « مركز تموين الشرق الأوسط » . وقد أثار هذا التبديل شيئا من النقد في « البرلمان » البريطاني ، فطلب من الحكومة البريطانية أن تبين الأسباب التي دعت الى هذا التغير ، فأجاب رئيس الوزارة البريطانية في نيسان سنة ١٩٤٦ أن الحكومة قد وافقت على اطلاق مصطلح Middle East على العالم العربي والممالك المجاورة له ، وهو اصطلاح أملمته التجارب العملية . ولا يزال الأمر يكون يفرون بين (Middle East) و (Near East)

أما مؤلف الكتاب « جورج كيرك » ، فهو من المتخصصين بعلم الآثار ، وقد اشتغل في الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الأخيرة ، وللخبرة التي حصل عليها ونسبته لمجاري الفكر والاتجاهات الحديثة في الشرق الأوسط واتصاله بالزعماء البارزين اختير للعمل في دوائر الاستخبارات البريطانية في القاهرة . ولما استسلمت إيطاليا نقل الى القدس ، وهناك جعل محاضرا في « معهد الكولونيل برترام نوماس للشرق الأوسط للدراسات العربية » الذي يعنى بتدريس الضباط البريطانيين (من القوات المسلحة الثلاث البرية والجوية والبحرية) و الموظفين البريطانيين المدنيين ، مدة سنة ، تأريخ الاقطار العربية ومدنيتها وعاداتها ولهجاتها وآداب اللغة العربية . فلذلك تهيأت للمؤلف في أثناء اشتغاله في دوائر الاستخبارات في القاهرة والقائه المحاضرات في هذا المعهد مادة سميّة ومراجع مهمة رجع اليها في تكوين كتابه وفي بناء محاضراته التي ألقاها في « المعهد الملكي للشؤون الخارجية » بلندن ، ثم ألف منها هذا الكتاب .

ان تأليف كتاب مركز موجز في تاريخ الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام حتى زماننا ، عمل جد عسير . ولا سيما اذا أريد أن يكون جامعا سمين المادة ، يرسم الخطوط الأساسية والاتجاهات الرئيسة التي ظهرت في مختلف نواحي الحياة في هذه العصور . ومع ذلك استطاع المؤلف أن يجتاز الموانع بسلاسة ، ويصل الى هدفه في أقصر وقت ممكن مع غلطات اذا قيست بغلطات غيره . كانت قليلة قلة نسبية ، ولا سيما غلطات الأقسام العصرية من الكتاب ، وهي تمثل سياسة الزمن الحاضر ، وقد حصل على خبرة عملية فيها لم تنهيا الا لقليل من أمثاله الذين عرفوا مداخل السياسة البريطانية وزوايا شعب الدوائر الاستخبارية ، واطلعوا على الوثائق السرية التي لا يستطيع أن ينفذ عليها الا

موظفو تلك الأقسام .

وقد وضع المؤلف فى هذه الصفحات البالغة عدتها • ٢٨٩ • صفحة خلاصة مركزة للحياة السياسية ، والمذاهب السياسية الحديثة التى وجدت سبيلا الى أقطار الشرق الأوسط ، وأهم القوى التى تقوم الآن بدور فى الميدان السياسى ، غير أنه لم يغفل سع ذلك عن النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التى لها دخل كبير فى المحافظة على التوازن السياسى فى كل قطر .

وتظهر براعة المؤلف فى ابراز فكرته بصورة سلسلة مبتدئا من الفصل الخامس الخاص بالتجديد ، ونماء الفكرة القومية عند العرب من سنة ١٨٠٠م فما بعد ، فقد رسم فى هذا الفصل وفى الفصول التالية له صورا واضحة حية مفهومة لنضال الشعوب العربية من أجل حريتها وقوميتها واستقلالها ، وللتخلص من سيطرة الأتراك والأوربيين حتى سنة ١٩٤٨ م .

تحدث المؤلف فى هذه الفصول عن جهاد العرب فى سبيل استقلالهم من سنة ١٩١٨م حتى سنة ١٩٣٩م ، وهو يمثل العهد الأول من عهود هذا الجهاد . ثم تحدث فى الفصل السابع عن الحرب العالمية الأخيرة وما بعدها ، ووضع الشعوب العربية فى هذه الحرب . ثم تحدث فى الفصل الثامن عن البلاد العربية فى الوقت الحاضر أى سنة ١٩٤٨م والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تعانىها الأقطار العربية ، وخصص الفصل التاسع بروسيا والشرق الأوسط . فأما الفصل العاشر ، وهو خاتمة الفصول ، فقد خصص بالدول الغربية وعلاقتها بأقطار الشرق الأوسط فى هذا العصر . وبذل المؤلف مجهودا يقدر لافهام القارى- التطورات التى حدثت فى الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الأخيرة ، والتغير الذى طرأ على مختلف النواحي المادية والروحية فى البلاد العربية ، ثم رغبة السكان فى التخلص من نفوذ كلمة الاستعمار القديم . وبحث عن الجامعة العربية والآمال التى كان العرب يعقدونها عليها من حيث انها ستقوم باصلاحات كبيرة فى الأقطار العربية فى التربية والتعليم والزراعة والاقتصاد والحالة الصحية ورفع مستوى السكان . وهو يرى أن الجامعة لم تتمكن من تحقيق هذه الآمال ، ولم تنجح فى حل هذه المشكلات المعقدة التى يتذمر منها العالم العربى ، لأسباب كثيرة يرجعها فى الغالب الى عوامل تاريخية ورثها العالم العربى من العصور السابقة ، منها العقلية البدوية التى لا تزال تتحكم فى النفوس ، وإن كان ذلك لا يستلزم أن يكون حسلتها من

رجال الخيام والجمال .

وقد سار « جورج كيرك » على القاعدة التي وضعها المؤرخ الانكليزي الشهير « تريفلان » G. M. Trevelyan في معالجته للبحوث التاريخية ، وهي : أن الأحوال الاجتماعية رهينة الأحوال الاقتصادية . فأما الأحوال السياسية ، فهي نتيجة الأحوال الاجتماعية . وعلى هذه القاعدة سار في نقده وتحليله للأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الشرق الأوسط .

وفي ضوء هذه الفكرة استعرض المؤلف مشكلات شتى من التي يعانيها العالم العربي في هذه الأيام ، فتكلم في مشكلات توزيع الأرضين وحالة الفلاحين في مصر وفي الأقطار العربية الأخرى ، والفروق التي ظهرت بين الفلاح وصاحب الأرض ، وانخفاض مستوى المعيشة عند الفلاحين ، وقلة ما يتناولونه من الوقدات « الوحدات الحرارية = الكالورى » الضرورية اللازمة لمعيشة انسان ، وما تولد عن ذلك من انخفاض النتاج ومن ظهور مشكلات ذات خطر بين أصحاب الأرضين والفلاحين الذين لا علاقة طبيعية لهم بالأرض بسبب هذه القوانين التي ورثوها من أيام الأقطاع . ثم تكلم على النفط ، وأثره في اقتصاديات البلاد العربية ، واستغلال الشركات له ، والنزاع الانكليزي الأمريكي على امتلاك آبار . وكيف أثر ذلك في الوضع السياسى للبلاد العربية وفي تعيين الحدود ، فبينما كانت أمريكا تريد مثلاً الحاق لواء الموصل بتركية متأثرة بضغط رجال شركات النفط الأمريكية ، إذ أرادت بريطانيا الحاقه بالعراق رغبة منها في استثمار نفط العراق وآبار . بكما لها لا حبا للعراق . وقد كان ذلك موضع مساومة مع رجال الحكومة العراقية وضغط لهم كى يتساهلوا فى شروط الامتيازات .

وكان مما قاله فى « الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى الوقت الحاضر » أن العامل الرئيس فى فقر الطبقات القروية والمزارعين يعود الى الجور فى توزيع الأرضين فى جميع أقطار الشرق الأوسط ، ففيها يملك عدد ضئيل من الأقطاعيين أرضين شاسعة ، مع أن هنالك ألوفاً بل ملايين من الناس لا يملكون غير بقاع صغيرة ، أو يشتغلون بالأجرة أو بالزراعة من كبار الأقطاعيين . وقد يمر جيل أو جيلان حتى تظهر طبقة مهذبة متملمة تتمكن من اصلاح الفاسد وتقويم الموعوج ، الا اذا حدث انقلاب اجتماعى تفرضه حوادث خارجة عن نطاق العالم العربى .

وقد انتهى فى كتابه الى هذه النتيجة ، وهي : أن السنين التى مرت بين تنبه الوعي القومى فى البلاد العربية ، والحرب الأخيرة ، على ما سيجها من تحسن فى الحالة

الاقتصادية والاجتماعية ، كان التقدم فيها بطيئاً لم يحقق كل رغائب الوطنيين ، والاكثرية من الشعب . وقد أشار الى أضرار ذلك ، وإلى الخطر الذي ستعرض له مصالح الدول الغربية اذا هي ظلت صامته تنظر الى الحالة بغير اكتراث ولا اهتمام ؛ لأن روسيا السوفيتية التي تنظر الى الشرق نظرة جد واهتمام ، من حيث انه مواضع وثبة لآبادة الجهاز الاقتصادي والحربي الروسيين ، ستتهدد فرصة هذه الحالة من الفوضى الاجتماعية والسياسية الضاربة في البلاد لازعاج الدول الغربية ولحرمانها الاستفادة من هذه المنطقة بجعلها قاعدة حربية في حرب مقبلة تخشاها .

وتحدث عن الطبقة الوسطى ومشكلاتها ، وظهور هذه الطبقة في مصر وتركيا ولبنان ، وعن حاجات الجيل المتعلم الجديد الذي أخذ يفكر تفكيراً يختلف عن تفكير أسلافه بالنسبة لفهمه لمطالب الحياة ، وعن المشكلات التي أخذت تعانيها هذه الطبقة ، ومشكلات التربية والتعليم ، والغاية من التعليم ، وتذبذب وجهات نظر المربين في الشرق الأوسط . وتطرق الى موضوع تهئية جيل صالح قوى بتفكير - بدلاً من تهئية طريقة من التلاميذ تعتمد أول ما تعتمد على الحافظة ، وعلى حفظ متون الكتب المدرسية لاجتياز الامتحان . وتطرق كذلك الى بحث الأحزاب السياسية ومفهوم الفكرة الحزبية ، وإلى الجمعيات السياسية والجمعيات والنوادي الثقافية وموضوع الجامعة العربية والمشكلات التي تعرضت لها هذه الجامعة مثل انقسامها الى معسكرين ، والعوامل الشخصية والعائلية التي يرجع اليها في الواقع أسباب هذا الاختلاف .

وعرض للصهيونية ، فظهر بمظهر المحايد ، وأوضح في مواضع كثيرة من مؤلفه أغاليط اليهودية وتهويلها للأمور بالنسبة لقضية فلسطين ، وبين بأسلوب مستتب رصين أن ما نشرته وما تشهده الجمعيات الصهيونية عن الأعمال الخارقة التي قامت بها في اصلاح تربة فلسطين ، وما ادعته من تقدم صناعي وعما سيمكن احداثه في مستقبل الزمان في ناحيتين الصناعية والاقتصادية وعن المشروعات الكبرى التي أعلنتها في الصحف العالمية لرفع مستوى المعيشة في جميع الشرق الأوسط ، وايجاد خطة للاستيطان والاستقرار : كل هذه الأعمال هي مجرد ادعاءات لا تستند الى حقيقة ، ولا الى أسس دراسية علمية ؛ ولذلك لم يلاق هذا الكتاب قبولا حسنا من الصهيونيين ، وعدوه من الكتب التي تدافع عن وجهة نظر العرب من طرف خفي .

وبعد فالمؤلف رجل انكليزي ، ولا يمكن مؤلفاً مهما أوتي من العلم أن يتجرد من ميله وعواطفه التي تنطفي على العلم والعقل ، ومثال ذلك ما أورده في كتابه من أن وزر

هذه الاضطرابات التي وقعت في الشرق من جراء قضية فلسطين انما يقع على عاتق العرب واليهود ، لا على عاتق الانكليز الذين كانوا أعطوا العرب تلك الوعود المعروفة ثم فاضوا اليهود بشأن انشاء وطن قومي ، ثم حاروا فيما بعد في كيفية التوفيق . وأنا لا أعتقد أن أحدا يمكنه أن يوافق على هذا الرأي ، كما لا يمكن أن يوافق انسان كائنا من كان في اعطاء بريطانيا أو دولة أخرى حقا في جواز نزولها عن قطر من الاقطار ولو امتلكنه بحد السيف .

هذا والكتاب بجملته جدير بالمطالعة ، وأنا أوصي بترجمته ليستطيع من لا يحسن اللغة الانكليزية قراءته ، لما جاء فيه من أمور يجهلها أكثر الناس ، وليطلع عليه من يجب الوقوف على تيارات السياسة في الشرق الأوسط وخفاياها .

مواد على

شمسو

مسرحية شعرية بابلية

نظم الشاعر المحامي السيد خالد الشواف

طبعت بمطابع دار الكشف ببيروت سنة ١٣٧١ - ١٩٥٢ ، في ١١١ صفحة

الشعر التمثيلي باب جديد في الأدب العربي . أول من طرقه وجعل منه فنا طريفا ، أمير الشعراء أحمد شوقي بك المتوفى سنة ١٩٣٢ رحمه الله محتذيا به مسالك شعراء أوربة فيما ينظمون في هذا الباب . وقد أتى - فيما وضع من رواياته المشهورة التي مثلت على المسارح وأخرجت اخراجا « سينمائيا » - ببرهان جديد على طوعية اللغة العربية فيما تتدب له من الابانة عن مختلف أغراض الحياة ، وقدرتها التامة على الافصاح عن مكونات الضمائر وخلجات القلوب وكل ما جل أو دق من المعاني والافكار والاخيلة اذا أتيح لها الفكر المتبكر واللسان المعبر والقلم الصانع .

وجرى نفر قليل من شعراء العربية ، من بعد ، في مصر والشام ، في ميدان أمير الشعراء . فظنموا روايات مسرحية جيدة أصاب بعضها حظا من الذيوع والانتشار ، وأخرجت اخراجا « سينمائيا » كما أخرجت رواياته . وكان أعظم هؤلاء حظا من هذا التوفيق ، الشاعر عزيز أباطة . وكل أمر جديد ، يستعصى على الرغبات حتى يتاح له العقل المبدع فيجعله شيئا دائما ومطلبا سهلا ميسورا !

أما (شمسو) ، فهي أول مسرحية شعرية ينظمها شاعر عراقي من طلائع الجيل العربي الناشئ على ضفاف الرافدين ، ويذيعها في الناس ليستدل بها على الانبعاث الأدبي الجديد في هذا الصقع من أجزاء الوطن العربي الأكبر . ولا نحسب أن السيد خالد الشواف حين نظم هذه المسرحية كان طامعا في أن يكون مسرحيته حظ من التمثيل على المسارح أو حظ الاخراج « السينمائي » ، فان هذين الأمرين لم تنفجرا لهما أبواب الحياة في العراق كما انفجرت في مصر خاصة من بلاد العرب ، ولن يطمع مثله في الظفر بما لا وجود له في البلاد التي يحيا فيها . ولعل كل همه من نظمها وتأليفها أن يفرج عن نوازع الوطنية المكبوتة بافراغها في قصة مسرحية شعرية . ولقد صور في هذه المسرحية فترة من عهود البابليين ازداد فيها توثب الأقوام الطامعة في بلاد ما بين النهرين على أطراف المملكة البابلية ، وافترض الأحداث والوقائع والأسماء التي ملأت تلك الفترة افتراضا ، وهو في واقع الأمر لم يقدم بها تأريخا شعريا لحوادث وقعت في بابل ، وإنما قدم فكرة اصطنع لها جوا بابليا ، وصورة جديدة وضعها في إطار قديم ، أو كما قال .

ولقد أصاب الشاعر حظا جزلا من التوفيق في تصريفه القول على السنة أبطال مسرحيته ، وأصاب حظا آخر من جمال الشعر جزلا أيضا . وكنا نحسبه من قبل لا يحسن الا ضربا واحدا من فنون الشعر هو الشعر السياسي الثائر ، فكشف بهذه المسرحية عن قدرة على الافتتان والتبوع مع حظ موفور من الحلاوة والعذوبة كقوله في بعض مسرحيته على لسان فلاح يغني أغنية الفجر :

كوخ وراء الفرات	مستغرق في سبات
مر به الفجر	واستيقظ الكون
لكنه غاف	في حضن شاطيه
كوخ بعيد بعيد	لم يدر عنه الوجود
كأنه سر	يكتمه الحزن
في مهجة خاف	لا شيء يفشييه
كوخ بعيد هناك	لم تدن منه خطاك
نضره الزهر	والشط والمزن
وجوه الصافي	شب الهوى فيه
يحيا به عاشقان	طول الدجى يحلمان
عشتار والبدر	شجاهما لحسن

باتت تفتيه

دوحة صفاف

وقوله على لسان « شمسو » :

ذلك الكوخ ، فلا تفترق

يا ابنة العم ! غدا يجتمعنا

هو يقظان ، ويصحو المشرق

يهجع المغرب ، والحب كما

ويناجينا السنا والائق

يطلع النجم علينا حانيا

ويحينا الأريج المبوق

وتفتينا القمارى ضحى

والفرات المرح المصطفق

وضفاف « الشط » فى سندسها

وقوله على لسان « شمسو » أيضا يخاطب « نيرما » :

بين الرياض هناك قد جئنا

نيرما ! انظرى عشا سنعمره

من كل لون ورده انتظما

أرأيت مهذا فيه من زهر

يستقبلان النوم ، وإتسما

طفل عليه وطفلة رقدا

فتروح صارخة اذا لئما

الطفل يلثم أخته مرحا

حتى يرف النوم فوقهما ..

فيضح من ضحك ونحن معا

وقد نقلنا هذه الصور من أول ما وقع عليه نظرنا عرضا ونحن نقلب أوراق المسرحية ونصفحها ، ولم نتمد اختيارها ، والمسرحية كلها من هذا النسيج فى اشراقه وسلاسته وسلامته ، وقبلما عثرنا فيها على لفظ أو تعبير تجوز الشاعر فى استعماله ، كقوله (ص ٢٦) :
نجمة ذات سناء وسنا .. ولم يسمع من عربى تأنيث النجم ، وقوله (ص ٢٦ أيضا) :
وجندلته النظرة الآسرة .. وانما صوابه « جدلته » من غير نون ، أى طرحته على الجدالة وهى الأرض ، وكاطلاقه « الشط » على « النهر » فى بيته المتقدم :

والفرات المرح المصطفق

وضفاف الشط فى سندسها

والشط انما هو الشاطىء ليس غير . وهى هفوات يسيرة وددت لو سلم منها هذا

الشعر الجميل ، ولكن من ذا الذى يبرأ من أمثالها ؟

ولعل من حق القارىء - من بعد - أن يعلم أن هذا الشاعر لا يزال فى غفوان

شبابه وازدهاره ، وأن مسرحيته هذه هى باكورة آثاره .

محمد بهجة الأثرى

عمدة الصرف

تأليف الأستاذ كمال ابراهيم

طبع بمطبعة النجاح ببغداد ، في ٣١٢ صفحة ، سنة ١٩٥١ م

علم الصرف من العلوم التي نضجت واحترقت • ومعنى نضجه واحترقه أن العلماء قد أوسعوه تمحيصاً وتحريراً وأكثروا من التأليف فيه • وليس معناه أن الكلمة الأخيرة قد قيلت فيه ، وأن التأليف فيه ضرب من العبث كما يتبادر الى بعض الأفهام من ذلك • وقد كان هذا العلم الى عهد قريب أقل علوم العربية عناية به في هذه المعاهد الرسمية التي تعد المدرسين للمدارس الثانوية خاصة ، مع ميسس الحاجة اليه • ولعل الجيل الناشئ لا يجهل شيئاً من علوم العربية أشد من جهله لهذا العلم • ولا ريب في أن احياه بتدريسه والتأليف فيه على نحو يقرب مقاصده البعيدة الى الأذهان ، ويعرضه عرضاً جديداً يحبيه الى الشدة ويربهم خطره وجزالة نفعه – كما صنع مؤلف هذا الكتاب – سيسد من أزر الدراسات العربية التي كادت تمحل في هذا القطر ، لقلّة العناية بها ، بعد أن كان العراق مباءة العربية وفيه وضع علماء الكوفة والبصرة وبغداد أصول النحو والصرف والاشتقاق وألفوا دواوين اللغة العظيمة فصانوا بذلك الفصحى وحفظوها من الاندثار •

وقد ألف الأستاذ كمال ابراهيم هذا الكتاب بعد أن قام بتدريس موضوعه لطلاب فرع الآداب في دار المعلمين العالية ببغداد ، وحرره مادة فمادة حتى سلم له من الشوائب التي يقع فيها عادة من يقتحمون التأليف اقتحاماً ولا يتهيأ لهم ما تهيأ للمؤلف المذكور • وهو ثقة في هذا العلم ، لطول عنايته به ، وممارسته له • وأنت تلمس آثار اجتهاده وتمكنه من أصوله وفروعه ، في هذا العرض السهل الجديد الذي عرض فيه مواد كتابه ، وقد اتبع فيه طريقة تقديم كل بحث بطوائف مختلفة من الأمثلة التي تتمثل فيها قواعده الأساسية ، ثم ذكر بعدها القواعد مشيراً في ذكر كل قاعدة الى الطائفة التي تمثلها من الأمثلة عارضاً الى ذلك أمثلة أخرى أيضاً خلال البحث ، وعقب كل موضوع بتمرينات عدة تشتمل على صور شتى من فصيح الكلام لتطبق عليها القواعد وعلى صور مختلفة من الالفاظ والتراكيب من حيث العرض والسؤال لشحذ الأذهان وتقوية الملكات • وقد قرر مجلس الأساتذة تدريس هذا الكتاب في دار المعلمين العالية ، وطبعته وزارة المعارف بنفقتها ثقة بصحته وجزالة فائدته •

في أصول النحو

تأليف الأستاذ سعيد الأفقاني

طبع بمطبعة الجامعة السورية ، سنة ١٣٧٠ = ١٩٥١ ، وعدد صفحاته ١٩١

ضمن المؤلف المحقق كتابه هذا محاضرات أربعا صدرها بمقدمة وذيها بخاتمة •
فأشار في المقدمة ، الى منهاج اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة السورية ، وارتياحه
الى ثمرات تدريسه مدى سنتين ، وما قدم بين يدي دراسته تلك من مباحث جعلها مادة
هذا الكتاب وحرص فيها على أن يتزود الطلاب مادة صالحة مع مسابقة النظرة التاريخية
ومراعاة مستواهم وحاجتهم • ودعا في « الخاتمة » الى إعادة النظر في بناء قواعد اللغة ،
وتحديد الهدف منها لوضع أخصر المناهج وأوضحها وأسرعها ابلاغاً ؛ وشكاً - كما يشكو
كل غيور على سلامة اللغة العربية - بلبلة الأوضاع واختلاط المذاهب ، وأشار الى اضاءة
الجهود المبذولة في سبيل الإصلاح اللغوي فعزا ذلك الى من وضعهم الزمن - على حد
تعبير - في أعلى الهرم ، ووكّل اليهم الخطوة الأخيرة ، فقصروا في التنفيذ لأنهم فقدوا
الوعي والاخلاص والمضاء ، وبذلك دفنت الأفكار الإصلاحية فلم يخرج شيء • ما منها
من حيز القوة الى حيز الفعل ، وذهبت الجهود والأموال والأعمار هباء منثورا •
أما المباحث التي تضمنها الكتاب ، فهي :

- (١) الاحتجاج في اللغة العربية : بحث فيه اللحن وتابعه - العلوم التي يحتج
لها - من يحتج بكلامه من العرب - ما يحتج به من الكلام - قواعد الاحتجاج (٦-٥٩) •
- (٢) القياس : تناول فيه تأريخ القياس والقياسيين - أثر العلوم الدينية في القياس -
أحكام القياس - موقف العصريين من القياس - قرارات مجمع فؤاد الأول في التضمين
والتعريب والمولد وغيرها (٦٢-١٠١) •
- (٣) الاشتقاق : معناه - أنواعه - مصدر - أحكامه - موقف علماء العربية منه
(١٠٤ - ١٣١) •

- (٤) الخلاف : لمحة تاريخية • مدرسة البصرة - مدرسة الكوفة ، - نشأة الخلاف -
الفروق بين المذهبين - أثر العصية في الخلاف - كتب الخلاف - خلط المذهبين
الكوفي والبصري في بغداد والشام والاندلس (١٣٤ - ١٨٣) •
- وقد لم المؤلف هذه المباحث الواسعة - ومعظمها الى تأريخ أصول اللغة أقرب منه

الى أصول علم النحو - من أطرافها ، وأحسن جمعها وتلخيصها وتهذيبها ، وعرضها فى نسق مطرد جميل عرضا تحس فيه هضمه لها واستقلاله فى شرح آرائه ناقدًا وموجهًا - على ما يستعين به فى مواضع كثيرة من أقوال غير- من الأوائل والأواخر ، لا على سبيل الجمع والحشد كما يصنع المتكثرون ، ولكن على سبيل التأييد لمذهبه والتسكين لرأيه . ولا حرار الفكر من علماء العرب ، آراء غاية فى الجدة وعظم النفع فى باب الإصلاح ، ولكن طفئ عليها جمود الجامدين فى العصور المستعجدة ، فقتلها ، ولم تتفع بها الأمة فى ورد ولا صدر على عظيم احتياجها الى الاستصباح بأنوارها والسير على هديها . وفى بعضها ، وربط الأفكار الحديثة الحصيصة بها على نحو ما صنع الأستاذ الأفغانى ، بث للمعبريات العربية المظموسة ، ووفاء لتأريخ الفكر ، واحياء لمجد العرب والعربية .

ولقد أحسن المؤلف الطبع ، كما أحسن الوضع ، فلم يستدرك عليه من غلطاته فى « جدول الخطأ والصواب » الا تسعا . واستدركت عليه ، وأنا أتصفحه ولم يكن من همئ تصيد الغلط أو تقصيه ، أقل من ذلك كقوله فى (ص ١٤٠ س ١) « بأخرة » وصوابه « بأخرة » ، وقوله فى (ص ١٦٥ س ١٥) « ابن دستوريه » وصوابه « ابن درستويه » وهو لغوى مشهور لا يمكن أن يقع الخطأ فى اسمه الا من قبل المطبعة أو من سبق القلم ، وقوله فى (ص ١٧٨ س ١) « المتوفى » بنقطتين تشمران أنها بصيغة اسم الفاعل ، وليس بمراد قطعًا فى هذا الموضع ، انما هو المتوفى بصيغة اسم المفعول ، والله تعالى هو الذى يتوفى الأنفس فهى متوفاة لا متوفية ، وليس مثل هذا بخاف على المؤلف المحقق . وروى المؤلف الفاضل فى (ص ١٧٧) هذين البيتين نقلا عن بغية الوعاة للسيوطى (ص ١٧٣) ، وهما مما تمثل به ثعلب حين هجاه المبرد :

يشتمنى عبد بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرض

ولم أجبه لاحتقارى له من ذا يعض الكلب ان عضا ؟

وقد تغاير فى البيت الأول العطف فكان المعطوف (فصنت) ماضيا ، والمعطوف

عليه (يشتمنى) مضارعا والذى وفر فى حافظتى من رواية هذا الشعر ، هو :

شاتمى عبد بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرض

ويقال : « شاتم فشمه يشتمه ، أى غلبه بالشم » كما نص على ذلك الزبيدى فى

مستدركااته فى تاج العروس ، وهو مقصود ثعلب هنا لا شك ، وبه تتحد صيغة المعطوف والمعطوف عليه على ما تقتضيه أصول النحو .

واستعمل فى (ص ٢٨ س ٢) « نقص » بمعنى « أعوز » ، حين قال : « اذ كانت

خطتهم ينقصها الاحكام فى المنهج . • واستعمال ذاك مكان هذا شائع فى كتابات أهل العصر ، غير أنه لا تعين نصوص اللغة على قبوله .

وقال فى (ص ٧٤) : « ونحن نعرف الى منهجه فى القياس من كتابه (الخصائص) الذى يدور على الغوص على أسرار اللغة الشاملة » وأرى أن الحرف (الى) بعد الفعل (نعرف) زائد ؛ لأنه يقال : « نعرف ما عند فلان » أى تطلبه حتى عرفه ، نعم ، يقال : « نعرف الى فلان » لكن بمعنى آخر ، أى جعله يعرفه ، وأحسب أن الأول هو المراد هنا .

ثم قال وهو تمام الجملة المتقدمة : « ويطرد القياس ما استطاع الى ذلك سبيلا » ، وضبط الفعل (يطرد) بضم الياء وتسكين الطاء وكسر الراء ، وعدها ، وكذلك فعل فى مكان آخر ، فى (ص ١٣٠) حين قال : « لابد من اعادة النظر فى باب الاشتقاق، والوقوف على استمداد اللغة العربية فيه . . . فنطرد من قواعده ما كان غير مطرد ، ونكمل المواد الناقصة فى المعاجم ، فعدى (نطرد) وأراد « نجعله مطردا » وضبطه بضم النون وتسكين الطاء ، كما ضبط (مطرد) بالضم فالسكون . ولم يعرف ذلك من استعمالات أطرده الرباعى فى اللغة ، كما أنه لم يرد المؤلف ولا واحدا من معانيها فى هذين الموضعين . قالوا : أطرده اذا أمر بطرده وابعاده ، وقالوا : أطرده اذا صيره طريدا ، وقالوا : أطرده السابق صاحبه قال له ان سبقتنى فلك على كذا وان سبقتك فى عليك كذا . ولم يرد من هذا الفعل أطرده بمعنى جملة مطردا أى مستقيما . والمراد هنا انما هو الاطراد ، والاطراد «اقفال» لازم لا تمتد ، ومنه القياس المطرد (بضم الميم وتشديد الطاء وكسر الراء) وهو القياس المستقيم على وجهته لا شذوذ فيه . قال علماء اللغة : اطرده الشيء : تبع بعضه بعضا وجرى ، واطرد الأمر استقام ، واطرد الكلام تابع ، واطرد الماء تابع سيلانه ، وقال قيس بن الخطيم : « أتعرف رسما كاطراد المذاهب ؟ » ، واستعمال الفعل كله - كما ترى - على اللزوم لا التعدية .

وقد أطلت فى الاحتجاج لذلك ، على سبيل بيان رأى ودليله ، والمؤلف الفاضل من أوثق من نعرف فى بلاد الشام من المعنيين بالعربية وأحرصهم على التثبت وأشدّهم رغبة فى النقد والاستدلال ، فسى أن يكشف لنا عن وجه الرأى فى هذا الضبط والاستعمال . وأنا لو أصبت مثل ذلك فى كلام من لا يؤبه لعلمه ، لما وجد عندى غير الاطراح والاهمال . وبعد ، فانى أهنيء صديقى الكريم على اطراد جهاده العلمى وتتابع تأليفه القيمة فى اللغة والأدب والتأريخ ، وهو أهل للتهنئة والتقدير والاعجاب .

تطور الزراعة في الشرق الأوسط

من منشورات الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، تأليف الدكتور كين ، وترجمة السيد أمين نظيف مدير الزراعة في وزارة الزراعة السورية ، واشراف الأمير مصطفى الشهابي وزير سورية المفوض في مصر

بلغ عدد صفحات هذا السفر القيم الذي التزمت مكتبة النهضة المصرية طبعه ونشره ٢٤٩ صفحة من القطع الكبير ، وهو مطبوع طبعا أنيقا على ورق صقيل يليق بقيمة الكتاب . ويتألف من ستة فصول وملحقين وخارطتين زراعتين مفصلتين للشرق الأوسط وتبيان الاقطار التي كانت موضع اهتمام مركز تموين الشرق الأوسط في الحرب العالمية الأخيرة .

يشمل الفصل الأول منه نظرة في زراعة بلدان الشرق الأوسط : قبرس ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، والعراق ، وايران ، ومصر ، والسودان ، وأريتريا ، والحبشة ، ومحمية عدن ، وطرابلس ، وبرقة (لوبيا) .
والفصل الثاني في عقبات اصلاح الزراعى: العوامل الاجتماعية ، النظام الاقطاعى، العوامل الفنية ، الصناعة والزراعة .

والفصل الثالث في أساليب رفع المستوى الزراعى : اتباع أنظمة جديدة ، نقابة الفرس السودانية والجزيرة في السودان ، كاتب القماش في السودان ، المؤسسات الزراعية اليهودية في فلسطين ، زراعة الموالح (أى الحوامض) في فلسطين ، الزراعة الفردية في فلسطين ، أملاك اللطيفية في العراق ، زراعة النخل في العراق ، توسع ايطالية الزراعى في طرابلس وبرقة ، الجمعيات التعاونية في قبرس ، دروس تستفاد من التطورات الواسعة ، تحسين النظام الحاضر ، تنمية الشعور بالتبعة في طبقة الملاكين ، غرس حب اصلاح في الفلاحين المزارعين والمالكين ، التعليم الريفي ، قادة الريف .

والفصل الرابع في المسائل العلمية والفنية : الاثربة - تركيبها وتصنيفها ، مادة التراب العضوية ، حرق التراب ، حرارة الأرض ، رطوبة التراب ، جرف الاثربة ، تغذى النبات ونموه ، تأثير القطاني في غلة الحنطة التالية ، تجويد النبات ، انتاج البذور ، أمراض النبات ، والحشرات المضرة ، الماشية والعلف .

والفصل الخامس في تزويد المزارعين المعلومات الزراعية والنصائح ، وتحقيق هذا الغرض ، القضايا ومختلف البلاد ، الاحصاءات الزراعية والدراسات ، الاسقاء ، المصالح

البيطرية ، القضايا الخاصة في كل قطر : قبرس ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، والعراق ، وايران ، ومصر ، والسودان ، وأريتريا ، والحشة ، ومحمية عدن ، وطرابلس الغرب ، وبرقة .

والفصل السادس في الاستنتاجات وموجز الوصايا .

والملاحق الأول - مذكرة أعدها المكتب الانبراطورى لعلم التربة . والملاحق

الثاني - موجز مراحل الأسفار .

ان كتابا يؤلفه الدكتور كين الاختصاصى الانكليزى بالتجارب الزراعية ، ويترجمه السيد أمين نظيف مدير الزراعة في وزارة الزراعة السورية ، ويشرف على ترجمته وتصحيحه العلامة الشهير الأمير مصطفى الشهابي ، وتشره الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، جدير بالتقدير وأهل للصدارة بين الكتب المفيدة .

الاستقلال الاقتصادي هو الدعامة الكبرى التي يرتكز عليها الاستقلال السياسي ، فلا تستطيع أمة من الأمم أن تحافظ على كيانها السياسي اذا لم يكن لها كيان اقتصادي ، ولنا في موارد البلاد العربية ، وخاصة نفطها الذي يتسرب القسم الأكبر منه الى الدول الأجنبية التي تهدد استقلالنا بأساليب شتى ، عبرة لمن اعتبر .

الأستاذ كين من كبار علماء الزراعة البريطانيين ، انتدب في الحرب الماضية لدراسة القضايا الزراعية في أقطار الشرق الأوسط دراسة مجملية شاملة ، فقام بهذه المهمة الصعبة ، ووضع تقريراً عن أهم تلك القضايا في كتابه الذي نحن بصدد نقده ، وأوضح الطرائق التي يرى أن تتبع في معالجتها ، وهذا التقرير جزء من دراسة شاملة قامت بها بعثة استشارية علمية في نطاق خطط مرسومة ، وكان الغرض من تأليف هذه البعثة :

(١) فحص القضايا العلمية الرئيسية في الشرق الأوسط دون التعرض للامور السياسية (٢) فحص الوسائل العلمية والفنية (وفي جملتها الموظفين والوسائل المختلفة ، سواء في ذلك وسائل البحث ووسائل التعليم) (٣) تقديم توصيات تتعلق باصلاح الوسائل العلمية والفنية .

والصقع الذي هو موضوع التقرير يتألف من أربعة عشر قطرا ، يقطنها غالباً سبعون مليوناً من البشر ، وهو يمتد من قبرس شمالاً الى السودان جنوباً .

ومما جاء في الفصل الأول عن العراق : « ولا يستغل من الأرضين الزراعية الا ربعها تقريباً ، ويقع نصف هذه المساحة المستقلة في القسم الشمالى من القطر ، وهذا

القسم صغير اذا قيس بسائر أراضي العراق .

وفي الفصل الثاني - عقبات الاصلاح الزراعي - وصف لعة من عللنا الاجتماعية العامة أعنى النظام الاقطاعي . وتصور الفقرة الآتية هذه العلة بعض التصوير : « فقد اتضح عام ١٩٣٣م في مصر أن نسبة المالكين الذين يملك الواحد منهم ما معدله خمسون ايكرا (الايكر يساوى ٤٠٤٦ مترا مربعا) حسب لا تقل عن ثلثي هؤلاء المالكين غير أن ٣٩ في المئة من الأراضي الزراعية لا يملكها الا ٦٠ في المئة من مجموع المالكين الذين تزيد ملكية كل منهم على معدل خمسين ايكرا وقد نتج عن هذا الوضع في الشرق الأوسط كله أن هذه الطبقة من صغار الملاك هي اليوم واقعة في قبضة المرابين ، (ص ٣٨) .

ومما جاء في الكتاب المذكور عن زراعة النخل في العراق : « وتلبث النخلة زمنا معدله ٢٠ - ٣٠ سنة ، وتقطع عندما تصبح مطلعة ، أى تطول سائر النخل ويسرع ادراك حملها ، وعندئذ يحل محلها أشجار جديدة نمت من الفسائل . وتبلغ مساحة الحواش ، أى بساتين النخل ، في شط العرب ٣٥٠ ميلا مربعا ، ويبلغ عدد أشجارها نحو ستة ملايين نخلة ، وجنى النخلة المتوسط قطار انكليزى واحد ، أى ٥٠ كيلوغراما و ٨٠ بالمئة من الكيلوغرام . (ص ٧٠) .

ومن الاقتراحات التى اقترحها المؤلف للاصلاح الزراعى فى الشرق الأوسط :

أن تقدم شركة ذات نفع عام جزءا من رأس المال اللازم له ، وهذه الشركة تؤلف هي والحكومة والمزارعون مؤسسة ثلاثية للتطور الزراعى . ولهذا الاقتراح أربع مميزات :

(١) كون الشركة تتبع فى أعمالها سياسة طويلة المدى تستغرق مدة العقد (٢) كونه يكون فى وسع الشركة بموجب عقدها تدريب السكان الأهلى من أبناء البلاد على الوظائف الفنية والادارية (٣) كون هذه الطريقة صالحة لتحضير القبائل نصف الرحل الذين زاولوا من قبل شيئا بسيطا من الفلاحة (٤) كون هذا الاقتراح يسهل حل المشكلة الكثيرة الصعوبة المتعلقة بازالة الشيوخ فى الأرض وتثبيت تملك الزراع لأرض معلومة

(ص ٨١ - ٨٣) .

وقد وضع المؤلف أربع قواعد تثقيفية للاصلاح الزراعى : (١) تنمية الشعور بالتبعة فى أكبر عدد من الملاكين ، تجاه الأرض وتجاه الكادحين فيها (ب) غرس حب الاصلاح فى الفلاحين العاملين بالمزراعة وفى الفلاحين المالكين للأرض ، سواء فى ذلك ما يعود بالنفع العام عليهم أو على أسرهم (ج) ايجاد طريقة صالحة لتعليم أولاد الريف على أن تهيئهم هذه الطريقة للعيش فى بيئة ريفية (د) تدريب معلمين لمدارس الريف (ص ٨٧-٨٨) .

ومن المشكلات الزراعية الجديرة بالذكر عن العراق ما يأتي :

• وفي العراق مساحات واسعة من الأراضي التي يمكن استغلالها ، وليس فيه عدد كبير من السكان العاملين في الأرض ، ولذلك نرى فيه مجالا عظيما لتوسيع زراعة الحبوب باتباع المبادئ - التعاونية التي سبق ذكرها (في الفصل الثالث ١ و ٢) • وفي الجزء الشمالي من العراق قضية أخرى لها مغزى خاص ، وهي تتعلق بتربية الحيوانات الأهلية ، فتجارة حيوانات الاصدار في العراق لها من الشأن ما يسوغ تأسيس قسم لتربية الماشية ، ولا سيما وان مصلحة البيطرة قد توسعت فيه توسعا حسنا •

وما نوصي به اعادة النظر في السياسة المتبعة في مزارع الحكومة فتخفيض مساحاتها حتى تصبح موافقة لأن تستعمل محطات للتجارب الزراعية • وتحتاج مصلحة الزراعة الى اصلاح في مستوى موظفيها من الوجهتين العلمية والارشادية • (ص ١٧٩ - ١٨٠) • وجاء في الفصل السادس - الاستنتاجات وموجز الوصايا : • الفلاح سجين بين جدران النظام الزراعي الذي ألفه ، فعدد الفلاحين يزداد سنة بعد سنة ولكن تلك الجدران تبقى ثابتة في مكانها • (ص ٢٢٢) •

ومن يتصفح فصول الكتاب فصلا فصلا ، ير في كل صفحة منه علما غزيرا وآراء سديدة وفوائد لا تقدر ، وأينما جلت فيه تجد الفرر وتلتقط الدرر • ومما زاد الكتاب قيمة ، الحلة القشبية التي أضفناها عليه مصحح الترجمة العلامة المدقق الأثير مصطفى الشهابي صاحب المؤلفات المعروفة والمقالات القيمة في المصطلحات العلمية العربية التي يفوس في بحارها ويستخرج منها اللآلئ - ، وقد خدم اللغة العربية خدمات تذكر فتشكر •

فالكتاب ثروة كبيرة للمكتبة العربية ، وعقد ثمين يزين جديدها ، فجدير بكل مثقف أن يطالع هذا الكتاب النفيس • وقد أوجزنا ذكر محتوياته ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالجد •

وتستطيع الأستاذ الفضال بابداء الملاحظات الآتية : فضل استعمال السقي على الارواء ، والارواء منتشرة في مصر والعراق وهي أكثر شيوعا من السقي •

انا لا نوافق المترجم الفضال على ترجمة الالفاظ الآتية : الحمت ومفردها حمة ترجمة للفظه Virus اذ لم نجد لها أصلا في المعجمات العربية لأن • الفيرس • كائنات بين الحيوانات والنباتات تسبب أمراضا في الانسان والحيوان والنبات ، ولا يزال

كنها مجهولا ، والا فضل أن تعرب كما هي ، ولا تضيق اللغة العربية بالألفاظ الأجنبية التي تدخل عليها بعد أن أخذت منها تلك اللغات مئات الألفاظ ، فاللغة التي لا تأخذ ولا تعطي لغة ميتة ، وليس في المصادر التي رجعنا إليها ما يسوغ ترجمة « فيرس » بحمة . كذلك لا نوافق على ترجمة Lignin بخشبين و Cellulose بخليوس . ولو سرنا على هذا النمط في تراجعنا لخرجنا على الأوضاع العربية وشططنا فيها ، وفضل تعريب هاتين اللفظتين تعريبا ، ويطول بنا المقام إذا أردنا تسوين رأينا بهذا الصدد ، وقد نحا مجمع فؤاد الأول للغة العربية منحى التعريب في أمثال هذه الألفاظ .

ولا تتفق مع المصحح في ترجمة Genetic Principles باصلاح النسل التي تقابلها لفظة Eugenics و Genetics بالانكليزية و Genetique بالفرنسية فرع من علوم الأحياء يبحث عن الوراثة والتغاير Heredity & Variation فيكون معنى Genetic Principles المبادئ الوراثة ، لا اصلاح النسل . واصلاح النسل هو تطبيق علم الوراثة ولكل منهما مفهوم علمي خاص يختلف اختلافا بينا عن الآخر كما لا يخفى على الأثير (راجع ص ١٣٤) .

ووردت في الكتاب أغلاط مطبعية لم ينبه عليها في التصويبات ولم نستقص الألفاظ كلها ، بل أوردنا نماذج منها للتنبه عليها ص ٢٥ Trifolium alescandrinum وصوابها Trifolium alexandrinum ص ٨١ كزراعة وصوابها كزراعة ص ٨٨ لتليم وصوابها لتعليم .

ووجدنا في الأصل الانكليزي صورا جميلة في آخر الكتاب تضيف الى فوائده الكثيرة ، والترجمة العربية خلو منها . وقد عثرنا على نسخة الكتاب الأصلية في وقت متأخر فقابلنا جزءا منها بالترجمة العربية فوجدناه صحيحا كل الصحة . انا نشكر الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية على هديتها الثمينة ، ونشئ ثناء عاترا على المؤلف والمترجم والمصحح جزاهم الله عن العلم والفضل خير الجزاء .

شريف عبيد الله

النجد العربية

Arabian Highlands

هذا الكتاب من أحدث ما أخرجه المطابع من مؤلفات فلبى ، طبع فى سنة ١٩٥٢م فى مطابع Vail Ballou بمدينة نيويورك بنفقة معهد الشرق الأوسط The Middle East Institute بواشنطن ، وأشرفت مطابع جامعة كورنل على طبعه . وهو فى ٧٠٨ صفحات ، عدا الملحقات والفهارس التى تبلغ ٦٣ صفحة . وقد ألحفت بالكتاب « خارطة ، دقيقة كبيرة بمقياس ١:١٠٠٠٠٠٠ » ضمنت أسماء المواضع والقبائل التى وردت فى الكتاب ، وجملته خوارط صغيرة أخرى ومخططات وصور تتعلق بالفصول .

والكتاب وصف وملاحظات لرحلات قام بها المؤلف الرحالة فى سنة ١٩٣٢ و ١٩٣٦ و ١٩٣٧ فى النجد العربية والأماكن التى مر بها : مثل وادى بيشة وخرمة ورنية ونجد عسير ووادى تليلث وجبونة وصيبا وجيزان ونهامة وغير ذلك مما يطول ذكره ، وقد عرض فى أثناء وصف رحلته للنواحى الاقتصادية والسياسية والتأريخية والاجتماعية والدينية لتلك الأماكن ، فكشف عن نواحى مجهولة عند العالم العربى والغربى عن جزيرة العرب . والجزيرة مجهولة لدى أبنائها جهلا يكاد يكون تاما . والى المؤلفات الانكليزية والالمانية والفرنسية والطلانية يلجأ الباحثون العرب فى تعرف أحوال بلادهم ويا للأسف !

وقد انصرف المؤلف فى الأيام الأخيرة الى الاهتمام بالدراسات التاريخية لجزيرة العرب ، فقام برحلات خاصة فى الحجاز لدراسة الكتاب ، واتصل بكبار علماء العربيات من المستشرقين لترجمتها ومعالجتها ، واستقدم اليه المستشرق رايمكسنس العالم البلجيكى واستصحبه الى ديار نمود لقراءة نصوص جاهلية فيها .

وتجد فى كتابه هذا بحثا تاريخيا قيما عن كعبة نجران والأخدود وتعذيب النصارى فى اليمن ، كما تجد فيه اشارات تاريخية لها علاقة بالمواضع التى مر بها . وقد سبق أن تحدثت عن كتابه القيم « سناد الاسلام » فى المجلد الأول من هذه المجلة .

وهذا الكتاب هو - فى رأى - من خيرة ما ألفه فلبى من كتب ، جمع بين فن الرحلات والعلم والتدقيق وقوة الملاحظة . ترى فيه حياة الملوك والأُمراء ، وحياة البدو وفقراء المملكة وتفكير البدوى ومعيشة الأعراب . انه كتاب أدب وعلم مؤلف سلخ ما ينيف على ربع قرن من عمره فى الجزيرة . وهو كلما تقدمت به الأيام ، زادت

حكمة ودراية وعلماء .

واذا جاز لى مؤاخذه المؤلف على هفوة وقعت فى الكتاب ، فهفوته أنه لم يكتب
الأعلام على وفق الطريقة التى وضعها المستشرقون فى تدوين الحروف العربية بالحروف
اللاتينية ، ولم يتقيد بضبطها كما ينطقها أبناء الجزيرة . وتلك مسألة مهمة ولاسيما
للباحثين العرب الذين يتوقون الى معرفة مواضع بلادهم وتحول ظروف ذات طبيعة قاهرة
دون ذهابهم الى جزيرتهم . والكتاب كتاب علمى ومرجع وحيد يرجع اليه ، ولضبط
الأعلام أهمية كبيرة فيه ، وعصمة لمن يأخذ منه من الوقوع فى الخطأ والزلل .

مروء على

أنباء وآراء

ذكریات أدیة

أذكر من شؤون حدائتي وعائتي بحفظ الشعر والتقاط فرائده أن أدباً من أدباء طرابلس الشام كان مشهوراً بحسن الحديث ومطابقة أخبار الأدب . وكان يعطى من نظم الشعر وروايته ما كان فيه نكتة أو دعابة . وكانت له فوق ذلك مشاركة في الأدبيات التركية وأخبار رجالها . والمرء إذا حذق شيئاً من الأدب التركي قلما تفوته طرائف من الأدب الفارسي ، وحفظ طائفة من أخبار شعرائه .

كان هذا الصديق يوماً يقارن بين الآداب الثلاثة : العربية والتركية والفارسية ، وخصائص كل منها من حيث المعاني الشعرية المتكررة . فوجدته يميل إلى أن شعراء الفرس يفوقون غيرهم في ابتكار المعاني ، وانتهاز النكت ، وصوغ الخيال بأخصر أسلوب ، وأجمل مثال . من ذلك أبيات لبعض شعرائهم يتذكرونها الصديق معنى ، ولا يتذكرها لفظاً . يقول فيها الشاعر الفارسي : ان الطبيعة حينما تثور بأنوائها وعواصفها وزلازل بركاناتها إنما تكون غيرى من جمال محبوبى وحسن جهازته وروعة طلعه ، وغضبي أن لا يكون لديها فى ما أبدعته من صنوف الكائنات ما يحاكيه حسنا وجمالا . وفي آخر الأمر فكرت فى أن تخلق كائنا سماويا يكون أجمل من محبوبى ، فخلقت دائرة من نور فى ذيل الأفق ، فكانت هلالاً دقيقاً ، ثم كونت دائرة أخرى أضافتها إلى الدائرة الأولى وعلى موازاتها . وهكذا كل ليلة كانت تتوالى الأهلة وتتوازى الدوائر حتى اكتملت بعد أربع عشرة ليلة قرصاً واحداً ، هو البدر ، وحسبت الطبيعة أنها بذلك وصلت إلى غرضها من خلق ما تريد . لكنها حينما قابلت هذا بذلك وقارنت بين وجهه محبوبى وصفحة البدر - رأت بين المخلوقين فرقاً بينا ، فغضبت وسخطت ، وعمدت إلى البدر فنقضته هلالاً هلالاً ، وعملت على تخريبه دائرة دائرة ، حتى صارت به إلى المحاق . ثم عادت سيرتها الأولى فخلقت دوائر النور واحدة واحدة ، وكوتتها بدراً ، وقارنت وواجهت ، فرأت البور بينهما ما زال بينا . فغضبت وعادت إلى التحطيم والتهديم ، ثم إلى الخلق والابداع ، لكن لا هى

بالناجحة في عملها ، ولا بالقادرة على خلق مخلوق مثل محبوبى .
و كنت كلما اجتمعت بالأديب الطرابلسى أسأله عما اذا كان ظفر بين أوراقي بنص
الآيات الفارسية ، فيقول انه لم يجدها . وقد وقع لى ما يشبه ذلك مع الوجه العراقى
الكبير (السيد فخرى الجميل) فانه كان أسمنى بدمشق شعرا عراقيا شعبى اللهجة ،
ومضمونه : أن امرأة كانت تمشى على شاطئ دجلة ، وهى تحمل طفلها الوحيد ، فخانتها
رجلها وسقط الطفل فى النهر ، فجرى التيار به ، وأسرعت أمه تهرول على الشاطئ ،
وراءه ولهى فاقدة الرشد تعول وتستغيث فى طلب النجدة وانقاذ الطفل ، واتفق من شؤم
طالها أن كان الشاطئ جرفا ، فكان ينهار تحت قدمها ، ويساقط مدرا فى النهر ، فتقع
وتقوم ، وتجرى وتصرخ وتستغيث ، حتى غاب ابنها فى اللجج ، ثم لم ير له أثر . فكيف
كان وجد الأم وحزنها على وحيدها ؟ يقول الشاعر العراقى الشعبى فى أبياته : وهكذا
كان وجدى بمحبوبتى ، وحزنى على فراقها . وقد خاتنى الحظ أيضا فلم أستمل الآيات
من الصديق لحين سماعها منه ، وكان كلما زار دمشق واجتمعت به أسأله عنها فيعزدر
بنسيانها . ورأيت أخيرا أن أضمن هذا المعنى العراقى البديع بيتين من الشعر فقلت :

وان بقلبي يوم حم فراقها
كحز سيف الهند أو لذعة الجمر
فما وجدت وجدى ولا أم واحد

على الجرف تجرى والفراة به يجرى
وقد عنيت بأم الواحد المرأة ذات الولد الواحد . والوجد هنا بمعنى الحزن والوله ،
يقال : وجد به وجدا اذا أحبه ، وكذا اذا حزن عليه . كأن أصله أن يشعر المرء بوجود
عاطفة ميل أو عاصفة ألم فى نفسه ، فسميا كلاهما وجدا . والجرف : الجانب الذى
أكله الماء من ضفة النهر ، فهو يتهاوت تحت الأقدام من وقت الى آخر . وهو (أى
الجرف) بضمين ، ويجوز تسكينه . ومثله فى ذلك كل ما كان على وزن (فعل)
بضمين ، فانه يجوز فيه التسكين لضرورة الشعر ، وقيل مطلقا .

أما هذا التعبير ، وهو قول العرب « فما وجد وجدى أحد » أو « وجدت به وجد
كذا بكذا » حين ارادة وصف المبالغة فى الحزن أو الحب ، فمعبر صحيح ، كثير الدوران
على أفواه شعراء العرب ، من ذلك قول هدية بن الخشرم من شعراء الدولة الأموية :

فما وجدت وجدى بها أم واحد
ولا وجد جى بابن أم كلاب

وحبى (بضم الحاء المهملة وتشديد الباء مقصورا) هى ابنة الأسود ، خطبها ابن عتاب الشاعر الطائى ، فرفضت خطبته ، وتزوجت بابن أم كلاب ، فجعل هدبة يمرض بها ويهجو زوجها وقومه .

والوجد المتعدى بالباء يكون تارة بمعنى الحب ، وتارة بمعنى الحزن كما مر . وقد لاحظت أن الوجد فى كلامهم كثيرا ما يراد به الحب الشديد المقترن باشفاق وحزن شديد ، كما يفهم من قصة (عزة) صاحبة (كثير) ، فقد دخلت يوما عليه وهى متكررة ، وقالت له : أشدنى أشد بيت قلته فى عزة ، فأشدها قوله فيها :

وجدت بها وجد المضل قلوبه

بمكة والركبان غاد ورائح

فقال له (عزة) : لم تصنع شيئا ، فإن الذى أضل قلوبه لا يلبث أن يهدأ وجده أو يزول ، عندما يجد قلوبا ، أو نافقة يركبها . فأطرق (كثير) قليلا ، ثم رفع رأسه انيها وقال :

وجدت بها ما لم يجد ذو حرارة

يمارس جمات الركي النوازح

(ذو حرارة) عطشان (يمارس) يعالج ندل الماء من جمات الركيا أى مجتمع مائها القليل ، أو البعيد القعر . فقامت له (عزة) : لم تصنع شيئا أيضا ، فإن هذا العطشان الذى يتلهف على الماء قد يجد حوله من السابلة من يسقيه ، فيزول وجده ووليه . فأطرق ، ثم قال :

وجدت بها ما لم تجد أم واحد

بواحدتها : تطوى عليه الصفائح

فضحكت ثم قالت : ان كان ولا بد فهذا . تعنى أن قوله الأخير أفضل تعبير يدل على شدة الحزن من حيث أن الأم اذا رأت وحيدها وورى فى التراب ، وسويت عليه الصفائح ، لا يمكن أن يزول حزنها أو ينتهى ، فهى تشكل حزينة الى الأبد . وهكذا وله كثير بعزة .

فالوجد فى هذه الأبيات الثلاثة كما ترى هو وصف للحب ، لأن (عزة) انما سألت (كثيرا) أن يخبرها بمبلغ حبه لها . فكان يصف لها حبا يصحبه حزن شديد : حب الذى أضل ركوبته لهذه الركوبة مع حزنه على ضياعها ، وحب الصادى العطشان للماء مع حزنه على عدم الوصول اليه ، وحب أم الولد لواحدتها مع حزنها على موته .

فالوجد اذن حب يقترن به حزن غالبا • والعاشق المفرط فى الحب قلما يسلم من
الغم والحزن : يحزن لصدود المحبوب ، أو توقع تجنبه ، أو بعده عنه فى نحو سفر ، أو
اصفائه للواشى ، أو مرضه والاشفاق من قلة العناية بتمريضه ومداواته • وناهيك ما كان
من صاحب لىلى وحزنه عليها ، مذ بلغه مرضها فى العراق ، وتمنيه أن يكون طبييها
الداوى •

عبد الغفار المقرئ

قصيدة لعبد الغفار الأخرس

عثرت على قصيدة ، للشاعر عبد الغفار الأخرس الموصلى ثم البغدادى ، خلا منها
ديوانه المطبوع ، يذكر فيها النباتات والأزهار التى ترى فى الربيع حوالى الموصل ، فأحييت
نشرها مع إيضاح ما لزم إيضاحه ، وبيان الأسماء العلمية للنباتات المذكورة فى القصيدة •

القصيدة

- | | |
|-------------------------------|----------------------------|
| ١ سر بالهنا للدير والفضلانى | متنزا بالزهر والريحان |
| ٢ واشمم عير الاقحوان مبادرا | لعرار- والشيح والعقبان |
| ٣ أو ما ترى كيف العروس محمرا | من لظمه لشقائق التمان ؟ |
| ٤ وعيون بيون قد ابيضت على | وصل الحبيب وأعلنت بلسان |
| ٥ أو ما ترى التريك يصبغ رأسه | بطرا وتيا فى رضا النسوان ؟ |
| ٦ فكأنه عبد يريك كلاهه | بسواده لتخافه بأمان |
| ٧ واخجلة الكصيب والكعوب والـ | كثيره من صولة العربان |
| ٨ أما الفتى الكصيب فهو شجاعهم | فى شوكة الأجناد والجولان |
| ٩ فتراهم قطعوا معاصم كفه | لكنه قد شاكهم بستان |
| ١٠ والحاج كبى قد تراه مفاخرا | فى حجه بأباطح الايوان |
| ١١ لكنه قد غاص قعر رياضه | خوف الرقيب وصولة الصيان |
| ١٢ فلذا تراهم اشحذوا محفارهم | حنقا عليه ليظفروا بعيان |
| ١٣ وكذلك الطقيق تسمع زعقه | اذ قام يرقص مع قدود حسان |
| ١٤ فيناطح الصيان وسط جباههم | لا يخشى من ملك ولا سلطان |
| ١٥ والحدقوفى قد أنت تختال فى | صفر الثياب وتزدرى بقيان |

- ١٦ فيفوح نشر الطيب من أردانها ويفوق منظرها بحسن معان
 ١٧ واللاعبة لما بدت أغصانها فكأنها زفت الى الاختان
 ١٨ ثم الحليان الذى يسمو على شهد وقد طعمه ببيان
 ١٩ قد زين الأزهار فى اخضراره متجليا بمنمنم التيجان
 ٢٠ ثم اقطف الحميمض والنفل الذى قد ضاع عطره بكل مكان
 ٢١ ثم الغريونه التى تحلو على كل الزهور وتجتنى بأوان
 ٢٢ قد حفاها الخزيم من أرجائها والكرط والمشور مع صيوان
 ٢٣ وكذلك السيمسه فى عطرها كرت وجالت فى حمى الميدان
 ٢٤ كسرت مناقرلكلك الأشجار فى لفتاتها وتشوفت لغنان
 ٢٥ لا تنس لى الصفير فى لفتاته رشأ يفكك عقدة الصلبان
 ٢٦ من حسنه حطوه فوق رؤوسهم تاجا يكلل من عقود جمان

الشرح

(١) الدير : هو دير مار ايليا فى جنوب الموصل ، عنده عين ماء معدنية ، وهو أحد منتزهات الموصل . الغزلانى : يعنى مرقد محمد الغزلانى والأراضى التى حوله ، وهو فى أسفل التل الذى عليه معسكر الغزلانى الحالى ، وكان المرقد خارج الموصل بعيدا عنها ، والآن قد اتصلت قربه العمارات . الريحان : اسمه العلمى Ocimum basilicum ، وبالفرنسية basilic وهو أنواع .

(٢) الأقحوان chrysanthemum parthenium ، وسمى أيضا parthenium matricarie ، وبالفرنسية matricaire و chrysantheme matricaire و grande camomille و يسمى عندنا بالموصل « بيون الشام » . العرار astericus graveolens الشيح : artemisia herba alba ، وبالفرنسية يقال لأنواعه armoise ، هو كثير فى الجزيرة . العقبان : كذا وردت فى الأصل المنقول عنه ، وما العقبان الا جمع عقاب ولا محل لذكرها بين الأزهار . وان قرأنا الكلمة بالياء ، أى عقيان ، فهو الذهب الخالص ، ولعل الشاعر أراد به أزهارا صفرا دون أن يعين أجناسها وأنواعها .

(٣) كف العروس : نبات يظهر له فى أطرافه غلف وردية اللون ، أظنه الـ Anastatica hierochuntica . ووجدت فى كتاب ذكرنا لنبات سماه « أصابع

العروس ، وقال : انه الـ Lotus palaestinus ، ولا أعلم أهو كف العروس المعروف عند الموصلين أم غيره ؟ شقائق النعمان : Anemona coronaria ، وبالفرنسية anemone .

(٤) البيون : اسم كردى مستعمل فى الموصل للبابونج ، ويقال بابونج وبابونك أيضا كما فى بغداد • Matricaria aurea • بالفرنسية camomille matricaire وهو ليس عين anthemis nobilis المختار استعماله فى الطب ، بل ضرب منه برى •

(٥) التريك : أراد النبات المعروف بالموصل بطريك العبد (بضم الطاء وتشديد الراء) فتحها وتسكين الباء وكاف فارسية) وهو نبات ذو بصلة صغيرة ينبت له عسلوج من وسطه يزهر زهرا أسود مستديرا حافا به ، شبه بقلنسوة عبد فقيل للنبات طريق بامالة الراء ، والأصل فيه طراق • جاء فى التاج فى مستدرک / طرق / : « وطراق بيضة الرأس طبقات بعضها فوق بعض » • وعلى هذا يصدق قول الشاعر : « فكأنه عبد يريك كلاهما » • لم أقف على الاسم العلمى لهذا النبات •

(٧) الكصيب : بكاف فارسية ، والأصل قصيب بصيغة التصغير • هى عسالج الكموب تقشر وتؤكل طرية ، فيها عذوبة • الكموب : (بفتح الكاف وتشديد العين) فى سورية وغيرها عكوب بتقديم العين • اسمه العلمى gundelia de Tournfortii وبالفرنسية gundelia de Tournefort و gundelia hacob ويقال له حرشف برى Artichaut sauvage • الكثيرة : فصيحها قنابرى (بضم القاف وتشديد النون وكسر الباء وفتح الراء بعدها ألف مقصورة) Lepidium draba • بالفرنسية Erannson dravier

(١٠) الحاج كبى أو « حشكبى » بباء فارسية : اسم محرف من السريانى الدارج فى بعض قرى الموصل (السورث) فهم يسمونه (شكابا) بكسر الشين وتشديد الكاف وباء فارسية • ويعرف بالموصل فى الغالب (بجوز البرية) • ذكره ابن البيطار باسمه البربرى (آأكار) ، وسماء صاحب كتاب ما لا يسع الطبيب جهله (بجوز أرقم) • وقال ابن البيطار : ان عرب برقة تسميه (تلفوطة) • أصل هذا النبات عجرة تستخرجها الصياني بالمحافر وتأكلمها ، طعمها كطعم الشاهلوط • اسم النبات العلمى Bunium bulbocastanum الايوان : يقصد ايوان على الجذوم (القدم) محل مرتفع على حافة « تل الغزلانى » مشرف على الأرض المنبسطة بين التل وبين النهر والمعروفة بـ « حاوى الغزلانى » • كان على الجذوم أحد ولادة الموصل قديما قد أنشأ عليه ايوانا

يخرج اليه للزراعة أيام الربيع •

(١٣) الطليق : *Leontice leontopetalum* • نبات ثمره محافظ بفدر السعدة منتفخة ، فى جوفها هواء محبوس • يتسلى الصبيان بصك جباههم بهذه المحافظ فتتشق متفرقة • جذر النبات عجرة تبلغ حجما كبيرا تشبه بكف الأسد • يسمى فلاحو قرى السريان هذا الجذر (عرطنيا) ، ويسمى فى تلغفر وفى بعض قرى التركمان بالـ (درمان) ، يفسلون به الصوف فينقيه جيدا • والنفيق كثير الوجود فى بيرة الموصل • كان الانكليز فى الحرب الكبرى الثانية قد شغلوا عمالا كثيرين فى حفر خنادق حوالى بلدة الموصل ، فظهر بالحفر كثير جدا من العرطنيا ، فصار الفقراء من نساء ورجال يجمعونه ويبيعونه الناس لفصل الصوف واليابب الصوفية ، فكانت سوقه رائجة ؛ لأن الصابون ندر وجوده فى الأسواق • فكنا نرى أكواما منه أمام البائعين • وكان جهلة العوام يسمونه « جوز البرية » ظنا منهم أن جوز البرية (الحاج كبي) اذا كبر كون العرطنيا • وهذا خطأ ، فان هذا نبات ، وذلك نبات آخر •

(١٥) الحندقوقى : *Melilotus* وبالفرنسية *melilot*

(١٧) الالعة : *Euphorbia esula* • نبات سام له ورق أرقط شبيه بالحيات • يندر استعماله غذاء ، وذلك بأن يسلق ويسكب ماؤه أولا ثم يطبخ مع ساق وأشياء أخرى ويؤكل • وطبيعته يلين البطن •

(١٨) الحلجان : سماه لكرك مترجسم كتاب ابن البيطار الى الفرنسية *Bulbe comestible* ، وهو نبات جذر- عقدة بقدر البندقة الكبيرة عليها غشاء أسود ، لها أبيض ، فيه حلاوة تأكله الصبيان •

(٢٠) حميض : (بضم الحاء وتشديد الميم وفتحها واسكان الياء) عشب صغير فى أوراقه حموضة ، تأكلها الصبيان • أظنه المسمى علميا *Oxalis acetosella* وبالفرنسية *oxalide* و *alleluia* ، وبعضهم يسميه *surelle* و *pain de coucou* وبالانكليزية *Vood sorrel* ، وبالتركية « كوجك قوزى قولاغى » ولست على ثقة من ذلك • النفل : *Trifolium* • ترعاه المواشى •

(٢١) الفريونة : (بضم الفاء وفتح الراء واسكان الياء وضم الواو وتشديد وفتح التون) اسمها العلمى *Tulipa montana* ، وبالفرنسية *Tulipe sauvage* لبصلة هذا النبات قشر أحمر داخله ألياف كأنها فروة • يستخرج الصبيان هذه البصلة ويأكلونها لعذوبتها • وهى تكون عادة غائرة فى الأرض •

(٢٤) الخزيم : (بضم الخاء وتشديد الزاي وفتحها واسكان الياء) أجهل اسمه

العلمي • الكرط : فصيحہ القرط ويسمى البرسيم *Trifolium alexandrinum*
وبالفرنسية *Irefle d'Alexandrie* • المنثور : *Mathiola* • الصيوان: أراد به المسمى في
الموصل (صيوان الباشا) وهو المديد ويسمى اللباب والبقلاف *Convolvulus* وبالفرنسية
Liseron des champs • منه نوع يسمى *Ipomoeed*

(٢٣) السيمسة : *Lallemantia iberica* من الفصيلة الشوية •

(٢٤) منقار اللكلك (اللقلق) : ويسمى (البخترى) يفتح الباء والحاء واسكان
التاء وكسر الراء بعدها ياء ، وفي بعض البلاد (ابرة العجوز) ، وبالكردية (درزى لوكه) •
اسمه العلمي *Erodium Cicutarium* و *Alfilaria* وبالفرنسية *Erodion* وبالانكليزية
Stork's bill

(٢٥) الصغير : نبات له زهر أصفر يكثر في الزروع ، لا فائدة فيه • قد ينسج
الصبيان منه في الربيع تيجانا يضعونها على رؤوسهم عابثين •

داود الجلبى

تعلق على نسبة هذه المنظومة الى الشاعر الأخرس

لا بد في عزو كل أثر أدبي أو علمي الى صاحبه من دليل قاطع يشته له ، وينفى شبهة
حملة عليه : كأن يكون بخطه ومنصوصا على نسبه اليه ، أو يكون قد أثره عنه راو من
الرواة الثقات المعدلين مشافهة أو نقلا من خطه ، أو يكون سرويا عنه في كتاب موثوق
بأمانة مؤلفه وصدقه •

وليس في مقدمة الدكتور داود الجلبى لهذه المنظومة شيء من هذه الأشياء الثلاثة
يصحح نسبتها الى السيد عبدالغفار الأخرس شاعر العراق الذائع الصيت في القرن الثالث
عشر الهجري •

وأنا أمتنع نسبة هذه المنظومة اليه ؛ لأنها ليست من جنس شعره ، ولا هي من مذهبه
في الصياغة والركة والانسجام ، بل هي لا تشبه حتى مخشبله على ما سأزيد هذا توضيحا •
وأفنى أن يكون الدكتور قد وجدها بخط الأخرس ، الا أن يكون الخط الذي
كُتبت به المنظومة قد زعم له أن الأخرس كاتبه ، ولكن ذلك يستلزم التثبت والوثوق

من صحة هذا العزو بمعارضته بمثله من خط الأخرس الثابت أنه له ، ولا أدري أقل الدكتور ذلك أم لم يفعله ؛ فانه لم يتعرض لذكره لا اثباتا ولا نفيًا . ولدى إثارة من خط الأخرس ، وهى رسالة كتب بها الى بعض القضاة وختمها بخاتمة ، ومن السهل جدا أن يعارض ذلك الخط بخطها الذى لا شك فى أنه هو خط الأخرس نفسه ، فيصح حينئذ له ، أو ينفى عنه .

وأنفى أيضا أن يكون الدكتور قد أخذها عن الشاعر الأخرس مشافهة ، لأنه لم يعصره ، ومن المؤكد قطعاً أنه ولد بعد وفاته بعقد من السنين فى أكبر تقدير . وقد توفى الأخرس سنة ١٢٩١هـ^(١) كما ذكر ذلك أستاذنا العلامة الامام السيد محمود شكرى الألوسى رحمه الله فى « انسك الادفر » (ص ١٢٠) ، ومضى على موته الى الآن ٨١ عاما ، واذن فلا سبيل الى التوصل بان الدكتور قد أخذ هذه المنظومة عنه مشافهة .

واذ اتقى عنه هذا وذلك ، لم يبق الا أن نقول ان الدكتور انما يروى هذه المنظومة عن راو زعم له نسبتها الى الأخرس فوثق به ، أو هو قد نقلها من مجموعة من هذه المجموع الخطية أصابها فيها منسوبة اليه ، فاضآن اليها ورواها عنها ونسى أن يعزوها اليها ويسميا . وأحد هذين الاحتمالين هو الشئ الطبيعى فى مثل هذه الحال . ولكننى أتهم الراوى والمجموعة حسيما ، ولا أراها صادقين فى حمل هذه المنظومة على الأخرس . وقد عللت من قبل منعى نسبتها اليه بأنها ليست من جنس شعره ، والناحية الفنية وحدها هى التى تفصل فى المسألة وتعين سبب الفصيدة الى ساحبها بلا جدال . وهى سهلة مسورة ، فللاخرس ديوان كبير مشهور متداول بأيدي الناس ، وهو يشتمل على أكثر من عشرة آلاف بيت فى الوصف والغزل والمدح والثناء والهجاء والمجون ، لم ينحصرها هو مما نظمها ، وانما جمعت بعد وفاته ، جمعها أحمد عزة باشا العبرى مما « أحرزه وحفظه من موجوده ، وتبعه من مفقوده » . ومن السهل جدا على من يشاء ، أن يعارض هذه المنظومة بما فى هذا الديوان من قصائد ، وما فيه من مخشبل وفرائد ، ليلمس الجهة الفنية الجامعة بينهما ، ويتعرف مدى ما بينهما من انسجام والتحام ، أو تنافر وخصام ، وأنا زعيم له بأنه لن يجد بينهما وبين أية قصيدة كانت من قصائد الأخرس الا جهة التنافر والخصام على أشد ما يكون التنافر والخصام بين جهتين متناقضتين أشد التناقض .

وأنا أختصر له الطريق ، وأتولى عنه مقابلة هذه المنظومة بمثلا من شعر الأخرس

(١) ورسم جامع ديوانه وناشره ، الشاعر الأديب أحمد عزة باشا العبرى ، فجعل وفاته فى سنة ١٢٩٩ هـ وفى ديوان الأخرس نفسه ما يقوم حجة عليه

فى وصف الربيع والروض ، ولا أعدوها الى أشعاره الأخرى ، ليرى بالتقابل فى الموضوع الواحد : أنى يكون وجه الشبه بينها وبينه ؟

وبحسبى الآن هذه المقطوعة أروها من شعر الأخرس ، قال :

فرش الربيع لنا خمائل سندس خضر تفوح برنده وعارده
شكرا لا تار الغمام بروضه فله اليد البيضاء فى آثاره
روض محاسن أرضه كسمائه وشروق بهجة ليله كنهاره
فاشرب على النغمات من أطياره فكأنها النغمات من أوتاره
تراقص الأغصان من طرب به ما بين شدو حمامه وهزاره
لا تتركوا ميل الفصون ، فانما هذى الفصون شربن من أنهاره !
أفمن يفرى طبعه الشعرى هذا الفرى ، ويبدع هذا الوشى العبقري ، ويقول :
لا تتركوا ميل الفصون ، فانما هذى الفصون شربن من أنهاره
يسف به الطبع فيقول :

سر بالهنا للدير والفرلانى متزها بالزهر والريحان ؟
أو يقول :

أو ما ترى التريك يصنع رأسه بطرا وتها فى رضا النسوان ؟
أو يقول :

واخجلة الكصيب والكعوب والـ ككيره من صولة العريان ؟
أو يقول :

والحاج كبى قد تراه مفاخره فى حجه بأباطح الايوان ؟
أو يقول :

وكذلك الطقيق تسمع زعقه اذ قام يرقص مع قدود حسان ؟
أو ما شئت من هذه الأبيات الستة والعشرين من غير اختيار لدونها ، فما فيها غير
الدون •

ولا يحتج علينا بأن هذه الأبيات جائز أن تكون مما نظمها الأخرس فى أوائل عهده
بالنظم ، ثم استحصده بيانه ، وعلا فى سلم الشعر درجة بعد درجة حتى بلغ الذروة ،
وصار ينظم مثل الرائية التى أوردنا بعض أبياتها •

ذلك أننا تنفى عن الشاعر « الشاعر » أن تكون أوليته كأولية صاحب « النونية
الفرلانية » ذات الكصيب والتريك والطقيق والحاج كبى • فمن شب وهو لا يقول الا

مثلها ، يستحيل عليه أن يرتقى الى مثل طبقة الأخرس ؛ لأن الطبع الشعري مفقود فيها ، وكل لفظ فيها لا يدل الا على فسولة الطبع وبلاغة الحس وموت الشعور .

وقد تعودنا أن نرى التوابغ مجيدين مذ يتفجر ينبوغ الشعر على ألسنتهم فى صغرم ، ثم لا يزدادون فى الكبر الا حكمة التجارب وسعة الحيلة الفنية ، أما الطبع الشعري فهو فى الكبر كما هو فى الصغر . ولينأمل من شاء أولية ظرفة والناطقة وحسان وأبى نواس وأبى تمام والبحترى والرضى والسلامى والمتنبى والمعري وشوقي وغيرهم ، فهل يجد الطبع الشعري فى قصائدهم التى قالوها فى الكبر مختلفا عنه فى قصائدهم التى قالوها فى الصغر ؟ وشوقي أقرب هؤلاء اننا عهدا ، فهل كان الطبع الشعري فى سوائره التى نظمها فى علو سنه ، هو غير- فيما تنفجر على لسانه من سوائره فى شبابه من أمثال :

خدعوها بقولهم : « حسناء » والفوانى يفرهن الشاء ؟

ولا ريب فى أن الأخرس كان على جانب كبير من أصالة الطبع الشعري ، فليس من الجائز عليه أنه كان فى أوليته ينظم مثل هذه المنظومة فان من بدأ حياته الأدبية بمثلها يعجز كل العجز عن السمو الى الافق الذى حلق فيه الأخرس .

ثم ، كيف يمكن أن تضاف هذه المنظومة اليه ، وهذا ديوانه الضخم بين أيدينا ليس فيه بيت واحد يحاكيها أو تحاكيه فى النفس والطبيعة الشعرية والاسلوب وامعنى واخيال ؟ مع أن ديوانه ليس مما تخيره الشاعر نفسه من شعره ، ففى ضعيفه وأسقط رديته ، بل هو مما جمع بعد وفاته جمعا وقصد فيه الى حشر كل ما له من شعر ظفر به فى ديوان ، فكان فيه القوى والضعيف ، ولكنه مع ذلك ليس فى ضعيفه ما يجانس شيئا من هذه المنظومة بحال من الأحوال .

وبعد ، فلعل بعض القارئ لا يرى الموضوع يستحق كل هذه العناية فى الاحتجاج لنفى هذه المنظومة عن الأخرس . ولكن ما عسى أن نصنع غير هذا فى شأن من شؤون التحقيق ، ومناهج البحث العلمى تفرس التعمق والاستدلال والاستقصاء ، وتكرر ارسال الرأى من غير براهينه ؟

واذ لم يظفر ديوان الأخرس ، من نشر هذه المنظومة ، بشيء جديد يضاف اليه ، فقد ظفر التحقيق اللغوى ، من شروح الدكتور الجلبى ، بفوائد جليلة تشكرها له ونطلب منها المزيد .

ثلاثة اقتراحات في قواعد اللغة العربية

(الاقتراح الأول : الأسماء الستة معربة بالحركات لا بالحروف)

ان الأسماء المفردة المعربة التي اعتبرها علماء قواعد اللغة العربية ، مربة بالحروف ، أى أن الحروف فيها تنوب عن الحركات في غيرها ، هي الأسماء الستة ، ولأنجل هذه الأسماء ولأنجل المثني وجمع المذكر السالم ، وضع العلماء فصلين للأسماء المعربة ، وهما : فصل الأسماء المعربة بالحركات ، وفصل الأسماء المعربة بالحروف ، كما جعلوا فصلين لعلامات الاعراب في الأسماء وهما : فصل علامات الاعراب الأصلية ، وفصل علامات الاعراب الفرعية ، وبذلك كثرت الدساتير في باب الاعراب ، وزادت مشقة الطلاب والمعلمين في الوقت الذي أجاز الأقدمون أن نقول : « ان الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات » نرى ان الحركات تعتور الباء في : « ج ، أبوك ، رأيت أباك ، سلمت على أباك » مثلما تعتور الباء مثلا في « هذا كتابك ، خذ كتابك ، ماذا في كتابك » ، وليس هناك من فرق سوى أن الحركات في « أبوك ، أباك ، أباك » طويئة مشبعة ، وفي « كتابك » قصيرة ومقطوعة .

اذن : لم لا نقول : ان جميع الأسماء المفردة المعربة تعرب بالحركات دون استثناء ، وأن الألف والواو والياء في « أباك ، أبوك ، أباك » تولدت من تمديد الصوت أى من اشباع الحركات ، وأن أهل اللغة هكذا نطقوا بهذه الأسماء في محادثاتهم ؟ ان تولد حروف العلة هذه من تمديد الصوت بالحركات أمر لا مفر منه ، والشواهد على ذلك كثيرة في الشعر ، لأن الشعر والفناء توأمان ، وكل غناء هو تمديد الصوت بالحركات ، وكل تمديد يولد حرف علة و ... ولم لا نقول بذلك في النثر في هذه الأسماء ؟ أليس لفظ « أبوك » أوقع في السمع وأجمل في الأداء من كلمة « أبك » التي لا مجال لتمديد الصوت فيها ، فلا تصلح للصوت الموسيقى الذي لا بد منه ؟ وأما في « فو » وفي « ذو » فلا مجال للاستغناء عن الحرف الثاني ، فكيف نعتبره اعرابا ؟ فهذه الأحرف أوجدتها ضرورة لا تشبه ضرورة الحركات ، فلم نقول انها أحرف اعراب لنخلق فصلا طويلا في باب الاعراب الذي لا يوجد الا في اللغة العربية ؟

دفع اعتراض قرأت في بعض الكتب اعتراضا على ما سبق ، مفاده : اذا اعتبر الباء في أبوك مثلا موضع اعراب ، وجب علينا أن نقول بوجود الاعراب في حـو

الكلمة ، وهذا مخالف للمبدأ العام ، وهو : أن الاعراب هو تغيير فى آخر الكلمات النح .
 نقول لهذا المعترض : ان الواو فى « أبوك » ليس لام الكلمة ، فان « أبا » مثل
 « يد » و « دم » لا تعود لام الكلمة فى حالة الاعراب : لأننا اذا اعتبرنا الواو فى « أبوك »
 لام الكلمة تصبح حرفاً آخر ، فلا يبقى هناك أى مجال لاعتبارها حرف اعراب ؛ لأن
 الاعراب عرض طارىء لا يكون من جوهر الكلمة مثل الحركات . ثم اتنا اذا اعتبرنا
 الواو هذه لام الكلمة ، وجب علينا أن نقول بنقل الحركة من الواو الى الباء فى « جاء
 أبوك » ، وأن نقول بقلب الواو ألفاً فى « أباك » . وأن نقول بالنقل والقلب فى آن واحد
 فى « أليك » ، وكل ذلك تكلف لا يفي أن تحمله فى عصر الإيجاز والتسهيل . إذن
 فالأولى أن نعتبر هذه الأسماء مؤلفة من حرفين أو من حرف واحد ، وأن هذه الأحرف
 « الواو والألف والباء » تنجبت من إشباع الحركات ؛ لأن القوم قالوا فى محادثاتهم « هذا
 أبوك » بصوت موسيقى عذب ليس . ولم يقولوا « هذا أبك » بصوت مقطوع مخنوق
 لا يخلو من لبس .

التعجب فى الاستثناء اتنا اذا استثنينا هذه الأسماء من هذا الدستور الكلى ، وهو :
 أن الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة كلها أو بعضها ، أو بالحركات
 المقدرة كلها أو بعضها ، وقلنا : انها تعرب بالأحرف . أى أن الأحرف فيها تنوب عن
 الحركات فى غيرها ، يجب علينا أن نعلم وأن نعلم الطلاب حالا القيود والشروط الآتية
 ليتم العلم التفصيلى نوعاً ما باعراب هذه الأسماء .

القيود والشروط ١ - يقصد بـ « ذو » ما كان بمعنى « صاحب » ، لأن « ذو »
 بمعنى « الذى » اسم مبنى ، ولكن - ذو - معرب ، وهو لا ينفك عن الإضافة النح .
 ٢ - « فو » لفة فى « فم » ، والأول أصل والثانى فرع ؛ لأن أصل الكلمة هو
 « فوه » فحذفت الهاء وأبدلت الواو ميماً ، وإذا حذفت الميم عادت الواو ، فتعرب « فو »
 بالأحرف وتعرب « فم » بالحركات النح .

٣ - ان الأكثر فى « هن » اذا أضيف أن يقال « هنه » لا « هنوه » ، وبذلك تكون
 الأسماء المعربة بالأحرف المستثناة من القاعدة الكلية خمسة لا ستة النح .

٤ - ورد فى كلام العرب : « هذا أبه وأخه وحماها » ، وذلك قليل جداً ، ومما ورد
 فى ذلك هذا البيت الشهير :

بابه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه « أبه » فما ظلم

٥ - ورد في كلام العرب : « هذا أباه ، رأيت أباه ، سلمت على أباه » عوضا عن « أبوه ، أباه ، أبيه » وعندئذ يمكن أن يكون « أباه » مثل « عصاه » معربا بالحركات المقدرة ، وهذا قليل جدا ، ومن ذلك ما ورد من الشعر :

يا ليت عيناها لنا وفاهها بتمن يرضى به أباهها
ان أباهها وأبا أباهها قد بلغا في المجد غايتها

٦ - يشترط في اعراب هذه الأسماء بالحروف أن تكون مكبرة ، لأنها عند التصغير تعرب بالحركات الظاهرة مثل « أبى .. أبيا .. أبى » النخ .

٧ - يشترط في اعرابها بالأحرف ان تكون مفردة ؛ لأنها عند التشبيع والجمع تدخل في قاعدة اعرابها النخ .

٨ - يشترط في اعرابها بالأحرف أن تكون مضافة ، فانها اذا انقطعت عن الاضافة تعرب بالحركات الظاهرة ، مثل « أب ، أبا ، أب » .

٩ - يشترط في اعرابها بالأحرف أن تكون الاضافة الى غير ياء المتكلم ، والا فانها تعرب بالحركات المقدرة على ما قبل الياء ، شأن سائر الأسماء المفردة المضافة الى باء المتكلم النخ .

نعم ، اننا لا نستغنى عن معرفة هذه القيود والشروط في حالة اعتبار هذه الأسماء معربة بالحركات ، غير أننا نستغنى عن تكليف الطلاب معرفة تفاصيلها بادية - بدء ، كما أن فيها بعض القيود لا نحتاج الى التعرض له مهما طال بنا البحث والتدقيق .

عمود على بدء ان خير الدساتير ما كان عاما شاملا خاليا من شرط واستثناء ، فلذا أرى من الأفضل والأسهل أن نقول : « ان الأسماء المفردة المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة أو المقدرة » وبذلك نخلص من فصل الأسماء الستة ، ومن شروط اعرابها بالأحرف ، ونخلص من فصل علامات الاعراب الفرعية في الأسماء ، أو الاعراب بالحروف .

* * *

(الاقتراح الثانى : يعرب المثني وجمع المذكر السالم والأسماء الملحقه بهما بالحركات)
(المقدرة لا بالحروف)

يكاد المطالع أن يضيع الطريقة المثلى ، بل انها ضائعة ، حينما يطلع على اختلاف القدماء في اعراب المثني وجمع المذكر السالم ، فاقوالهم مختلفة متضاربة . غير أن ما يليق بالبحث من أقوالهم الواردة في ذلك هو قولان ، أحدهما : أن الالف والواو

والياء في التثنية وفي الجمع هي الاعراب نفسه ، أى أن هذه الأحرف بمنزلة الرفع والنصب والجبر في آخر الأسماء المعربة المفردة . فإذا قيل « جاء طالبان » و « جاء المعلوم » فإن الألف والواو عوضان عن الرفع في آخر « طالب ومعلم » في قولنا « جاء طالب ومعلم » ، وهذا القول هو المعمول به اليوم .

وثانيهما : أن هذه الأحرف « الألف والواو والياء » ليست اعرابا ، ولكنها أحرف اعراب مثل الباء في طالب ، والألف في الفتى ، والياء في القاضى الخ .

« أعتقد بأن أصحاب هذا القول يقصدون أن الاعراب مقدر على هذه الأحرف مثل تقديره على الألف والياء في كلمتى « الفتى والقاضى » . قلت : أعتقد ؛ لأننى لم أقرأ تصريحاً بذلك فى الكتب التى طالعته . »

إن الخلاف بين القولين واضح : فإن اعراب المثنى والجمع يعتبر لفظياً ظاهراً على القول الأول ، ويعتبر الاعراب مقدراً على القول الثانى .

القول الثانى أصح وأسهل قبل أن أذكر تفهيد القول الأول ، أقول : إذا لم

يكن هناك أى مسوغ لترجيح القول الثانى على الأول ، أى لترجيح اعتبار الاعراب بالحركات على اعتبار العلامات نفسها أحرف اعراب ، فإن مراعاة التسهيل والايجاز بتقليل الدساتير العلمية هى وحدها كافية لرجحان القول الثانى ، اذ يصبح لدينا دستور واحد فى اعراب الأسماء ، وهو : « الأسماء كلها تعرب بالحركات الظاهرة أو المقدرة الخ ، » .

تفهيد القول الأول ما أدرى لماذا تغلب الأخذ منذ عهد بعيد الى يومنا

هذا بالرأى الأول ، وهو : أن الألف والواو والياء فى المثنى وفى الجمع هى الاعراب برغم ان هذا الرأى ظاهر البطلان ، وأن فيه تحكما لا نظير له فى قواعد اللغة العربية ، بل ان القول بأن المثنى والجمع مبنيان لهو خير من جعل هذه الأحرف اعرابا ؛ لأن البناء أقل كلفة فى التفهيم ، وأمن من توجه اعتراضات لا تدفع ، فلعل الأوضاع السياسية والاجتماعية لهؤلاء العلماء أثرت فى تغلب هذا الرأى مثل تغلب رأى الكسائى على رأى سيوبه فى مسألة « الزنور » ، وكمن من مسائل علمية ودينية تغلبت على ضدها فى أوضاع خاصة .

لقد فند العلماء القول باعتبار هذه الأحرف اعرابا من جهات عديدة ، أهمها أن الاعراب عرض طارىء ، يبقى مع زواله جوهر الكلمة دون أن يتغير معناها . وهذا

نىء واضح ، فانتا سواء قرأنا طالب ، برفع أو بسكون فى « جاء طالب . » ، فان معنى الكلمة لا يتغير ، وليس الأمر كذلك مع الألف والياء والواو فى المثنى وفى الجمع ، فان حذفها يغير المعنى المراد ، وهو الدلالة على أكثر من واحد . اذن فان اعتبار هذه الأحرف اعرابا لا ينجو من النقد الذى لا يدفع ، وان الاستدلال بأن هذه الأحرف تتغير كتغير الحركات فاعتبرت عوضا عنها لهو استدلال باطل ؛ لأن أبناء اللغة الذين تكلموا بها قبل وضع القواعد أوجدوا للمثنى صورتين ، وللجمع الذى سُمى فيما بعد جمعا سالما للمذكر أوجدوا صورتين أيضا ، كما نطقوا بعدة صور من مادة واحدة للجمع التى سماها العلماء جمع تكسير مثل نوق ، وأنيق ، وأبانق ، ونياق ، وأنواق ، و... فى جمع ناقة . وليس الفرق بين الصورتين فى الجمع السالم وبين صور متعددة فى غير- عن قصد سوى أن القوم استعملوا الكلمات كما تقتضيه محادثاتهم فى الشر وفى النظم . فاستعمل العرب القدماء فى لغتهم التى نسميها اليوم لغة الكتابة أو اللغة الفصيحة صورتين للمثنى وصورتين للجمع ، بينما العرب اليوم لا يستعملون فى لغتهم التى نسميها اللغة العربية العامية سوى صورة واحدة للمثنى وللجمع ، وهى صورة زيادة الياء والنون على المفرد ، فيقول الناس « جوا المعلمين ، شفت المعلمين ، رحت ويا المعلمين ، جوا طالبين ، شفت طالبين الخ . » ثم انه لو كان هذا التغير بمنزلة الحركات ، لقال المعترضون بوجوب هذا التغير بين حالتى النصب والجعر ، اذن ليس التغير فى المثنى والجمع الا من قيل التغير الذى يحدث فى بعض الأسماء المبنية بحسب التراكيب المختلفة .

وقد سبق منا أن اعتبار هذه الأحرف علامات لمعنى خاص ، أى أنها فى حكم أحرف المعانى ، أمر لا مناص منه بحسب الوضع اللغوى ، واعتبارها اعرابا أيضا تحكم لا نظير له فى اللغة وضرورة يمكن التخلص منها .

القيمة اذن لابد من الأخذ بالقول الثانى ، فنقول : ان المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الملحقه بهما تعرب بالحركات المقدرة على آخرها أى على علامات المثنى والجمع من الألف والواو والياء ، اذ لا يمكن ان نعتبر النون آخر الكلمة لأنها ليست ثابتة لسقوطها فى الاضافة ، فلا مفر من اعتبار الألف والياء والواو آخر الكلمة ووضع الاعراب المقدر عليه .

واذا عملنا وفق اقتراحى الأول والثانى تطرد عندنا القاعدة الآتية فى اعراب الأسماء ، وهى : « الأسماء المعربة تعرب كلها بالحركات الظاهرة أو المقدرة على آخرها »

وما أقوى الدستور اذا كان مطردا ، وبذلك نتخلص من فصول فى باب الاعراب الذى هو أصعب الأبواب فى قواعد اللغة .

(الاقتراح الثالث : لا حاجة الى تابع يسى عطف بيان)

لقد ورد فى كتب قواعد اللغة العربية : « كل ما صلح أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلا مطابقا » ، وقرأت فى بعض الكتب : « ومن النحاة من لم يثبت عطف البيان » ، بل جعل كل عطف بيان بدلا مطابقا ، ولم أقرأ تفصيلا لبيان وجهة نظر هذا النحوى . وعلى رغم ورود هذين التصريحين لم أجد من يصرح بما يلى : « لا حاجة الى تابع يدعى عطف بيان » ، بل وجدت كتبا حديثة التأليف فى قواعد اللغة العربية ، وقد أثبتت هذا التابع جريا على نظام المؤلفات القديمة فى هذا الباب .

انا لست من الأساتذة ، ولا من أبناء هذه اللغة ، غير أنى بحكم مهنتى : التعليم فى المدارس الابتدائية ، ثم بدافع التوسع طالعت كتبا محدودة فى قواعد اللغة العربية ، وبعد الدرس والتفكير ، تبين لى أنه فى الامكان أن نستغنى بالبدل المطابق أو « بدل الكل من الكل » - كما يسمونه - عن عطف البيان ، فنعتبر التوابع أربعة لا خمسة ، وعندئذ ينجو الطلاب والمعلمون من تخيير طالما نسمع به حينما يعربون مثل : جاء أبو هند على ، فيقولون : « على ، بدل أو عطف بيان » .

لم وضع عطف البيان؟ لقد أورد بعض المؤلفين أربعة أمثلة من التراكيب العربية بعضها واردة ، وبعضها مفروضة ، وقالوا : انها تستثنى من قاعدة « كل ما جاز أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلا مطابقا » فادعوا بأن التابع فى هذه الأمثلة يتحتم عليه أن يعتبر عطف بيان لا بدلا مطابقا ، وانى أعتقد أن هذا الادعاء تحكم محض ، وان فى الامكان تأويلها والاستغناء عن عطف البيان كما يتبين فيما يلى :

المقال الأول قالوا : لقد ورد فى كلام العرب مثل « يا غلام بشرا » بنصب «بشر» ، ومتى قيل : يا غلام بشرا ، ويا رجل خالدا ، يجب اعتبار الاسم المنصوب عطف بيان لا بدلا مطابقا . وحجتهم فى ذلك أن بشرا مثلا لو اعتبر بدلا لوجبت القراءة « يا غلام بشر » بناء بشر على الضم ؛ لأن البدل هو التابع المقصود بالنداء دون المبدل منه ، وبشر - وهو علم مفرد - اذا صار منادى يبنى على الضم شأن المنادى المفرد المعرفة النخ .

ان هذا الاعتبار على ثبوت التحكم فيه لا يسهل تفهيمه للطلاب اذا سهل فهمه على المعلم ، ثم انه اذا ثبت بالتواتر أن العرب القدماء قالوا « يا غلام بشرا » و « يا غلام يعمر »

كما ورد فى ألفية ابن مالك ، فلم لا نقول اليوم : ان بشرا ليس تابعا للمنادى ولكنه منصوب بفعل محذوف ، وهو « أغنى » وما ضارعه ؟ وهذا كثير جدا فى اللغة العربية ، ثم لماذا يعتبر المبدل منه فى حكم العدم دون سائر المتبوعات لوجود ذلك محاذير هنا وفى الامثلة الآتية ؟ اذن يصح لنا أن نقول : ان بشرا فى « يا غلام بشرا » ليس تابعا ، واذا جعلناه تابعا نعتبره بدلا مطابقا تابعا لمحل المنادى .

المثال الثانى قالوا : اذا قيل جاء الناصر الرجل خالد يجب اعتبار « خالد » عطف بيان لا بدلا مطابقا ، لثلا يلزم اضافة الوصف المحلى بآل الى اسم خال من آل ، أى انهم لم يجيزوا جاء الناصر خالد . ولو فرض الكلام على البدلية ، لكان جاء الناصر الرجل خالد فى حكم جاء الناصر خالد ، وهذا ما لا يجوز فى عرفهم ، ولذا جعلوا « بشر » فى هذا البيت القديم :

أنا ابن التارك البكرى بشر عليه الطير ترقبه وقوعا

عطف بيان ، ولم يجيزوا جملة بدلا مطابقا لثلا تضاف كلمة « التارك » المحلاة بآل الى بشر وهو خال من آل ، ولو أن « أنا ابن التارك بشر » جميل فى المعنى جدا ! ان التحكم فى هذا المثال أشد من التحكم فى سابقه ، لأن النحاة أجازوا اضافة الوصف المحلى بآل الى اسم خال من آل اذا كان الوصف مثنى أو جمعا ، فلم لا يجيزون اضافة الوصف نفسه اذا كان مفردا ؟ واذا استدلون على جواز اضافة الوصف المثنى والجمع بقول الشاعر :

الشامى عرضى ولم أشتهما والناذرين اذا لم ألقهما دمي
وبقول الشاعر :

العارفو الحق للمدل به والمستقلو كثير ما وهبوا

فليحملوا المفرد على المثنى والجمع قياسا ان لم يكن واردا ، أو فليستدلوا على جواز اضافة الوصف المفرد بالبيت السابق : « أنا ابن التارك البكرى بشر الخ » بأن يعتبروا - بشر - بدلا ليكون الكلام فى حكم الاضافة - اذا صح قولهم - المبدل منه فى حكم النعم ! وان لم يقبلوا لا هذا ولا ذلك ، فليرجعوا الى قول نحاة أجازوا اضافة الوصف المحلى بآل الى الأسماء المعرفة كافة ، سواء كان الوصف مفردا أو مثنى أو جمعا ، فأجازوا « جاء الناصر خالد ، وجاء الناصر هذا ، وجاء الناصر الرجل ، وجاء الناصران ، وجاء الناصرون ، وجاء الناصرو الذى رأيناه ، و . . . » اذن : لا يبقى أى مانع فى جعل بشر

في ذلك البيت بدلا مطابقا ، مستغنيا عن عطف البيان ! .

المقال الثالث قالوا : اذا قيل « يا محمد المهدي » ، وجب أن يكون - المهدي - وهو معرف بأل عطف بيان للمنادي لا بدلا مطابقا ؛ لأنه لو كان بدلا لزم دخول حرف النداء على المعارف بأل وذلك ممنوع - في عرفهم - فلا يقال يا الرجل ، ويا الغلام و . . . لم لا نقول هنا ان الوارد من كلام العرب القدماء لهو حجة على الدساتير ، وأن الاصل في الكلام عدم الحذف ؟ فقد ورد في كلام العرب :

فيا الغلامان اللذان فرا اياكما أن تكسبا لي شرا
فديتك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالوصل عني

فلم لا يجوز « يا الرجل » على حد « يا الغلامان » ، ولم نقول : ان الكلام هنا على حذف المنادى بتقدير - أيها - دون ضرورة ؟ واذا تم لنا ذلك نقول « المهدي » في قولنا « يا محمد المهدي » بدل مطابق ، فليصبح الكلام في حكم « يا المهدي » اذا قبلنا بالتحكم المشهور ، وهو أن المبدل منه في حكم العدم . ولم نقبل هذا التحكم ولا نستغني عن عطف البيان ، ولدنيا مسوغ قوي وهو التسهيل والايجاز ؟

المقال الرابع قالوا : اذا قيل « الدار سافر على ساكنها » ، يجب اعتبار « ساكنها » عطف بيان لا بدلا مطابقا ، لأن البدل والمبدل منه يغني كل واحد منهما عن الآخر ، وهنا اذا جاز أن نقول « الدار سافر ساكنها » بالاستغناء عن المبدل منه ، لا يجوز أن نقول « الدار سافر على » بالاستغناء عن البدل ، اذ تخلو جملة الخبر عن الضمير الرابطها بالمبتدأ !!

ومثل هذا المثال « جاء الذي كتب على أخوه » « جاء غلام سافر بشر سيدة » « جاء خالد سافر على خاله » . لم لا نقول : ان هذه الجمل فرضية ، وقواعد اللغة لا تبني على المفروضات بل تعتمد على الوارد المروي من كلام أصحاب اللغة ، وتستمد دساتيرها من كلامهم المسموع فقط ؟ ثم ان البدل في الأمثلة المذكورة يستغني عن المبدل منه ، لأنه المحتوى على الضمير الرابط ، ولنفرض عدم استغناء المبدل منه عن البدل في هذه الأمثلة الفرضية نادرا ، وما أكثر النوادر في اللغات !

عمود على برء بناء على ما تقدم نستطيع أن نقول : لا حاجة بعد اليوم الى تابع يدعى عطف بيان ، فلا ينبغي ذكره في المؤلفات ، لأننا في عصر السرعة والتسهيل . فكلما قلت الدساتير ، قرب القصد وسهل المرام .

المجلة: لقد اتسع هذا النحو العربي قديماً لمذاهب عنماء الكوفة والبصرة ، ولآراء البغداديين والأندلسيين ، ولم يضق ذرعاً بجتهاد باحث من الباحثين في مختلف العصور . وقد استجذبت في هذه السنين الأخيرة محاولات عدة لتجديد النحو وتيسير قواعد الاعراب ، بدأها كتاب احياء النحو متأثراً ببعض آراء ابن جنى وأبى عثمان المازنى وابن مضاء القرطبي مؤلف « الرد على النحاة » ، وتلاه تقرير لجنة « تيسير قواعد اللغة العربية » بوزارة المعارف المصرية ، ثم أبحاث كثيرة نشرت في الصحف تناقش مسالك النحاة في تبويب النحو ومصطلحاته وعلمه ، وتبغى التخفيف من هذه المباحث المتشعبة ومن وجود الاعراب وتعليقاته وخاصة فيما يقدم منها للطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية . ثم تبنّت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية الموضوع ، فاسترأت العلماء في وجوه الاصلاح الذى يروونه ، حتى انتهت الى ما أقره ممثلو الدول العربية من مناهج النحو وقواعد الاملاء العربى الجديد فى « المؤتمر الثقافى العربى الأول » الذى عقدته فى بيت مرقى بلبنان فى خريف سنة ١٩٤٧م . ولابد أن تظهر آثار هذه النتيجة فى مؤتف الايام القريبة .

وهذه الاقتراحات الثلاثة التى حرص كاتبها على نشرها ، انما تمثل بعض أطوار الرأى الذى أشرنا اليه فى تيسير قواعد النحو ، ونحن اذ ننشرها له نرجو أن يكون فيها شىء جديد غير مسبوق اليه فيما كتبه الباحثون فى هذا الباب .

خلاصة عن أعمال المجمع العلمى المراقى

لخصنا فى المجلد الأول أهم الأعمال التى قام بها المجمع وأولاهها عنايته منذ بدو تكوينه الى سنة ١٩٥٠م ، ونورد الآن ملخصاً آخر لما أنجزه من بعد . كانت موازنة المجمع السنوية فى كل من السنتين الخاليتين ٨٠٠٠٠ دينار ، ولكن الضرورات الملجئة استلزمت اضافة ٢٠٠٠٠ دينار الى موازنة السنة الماضية على سبيل المناقلة من فصول موازنة وزارة المعارف لتسوية حساباته ، وانه بلغ يسير جداً فى جانب حاجات المجمع ومطالبه فى حركة البعث العلمى وما ينبغى لها من اتساع النطاق والامتداد والشمول . ولئن فات المجمع - بسبب قلة موازنته - أن يحقق كل هذه الحاجات والمطالب التى يصبو الى تحقيقها ، لقد استطاع - مع ذلك - أن يحقق جانباً منها غير قليل الشأن على ما سترى فى هذه الخلاصة .

المطبعة لما تكون المجمع ، كان من أوائل مقرراته أن يقتنى مطبعة حديثة راقية تطبع كُتبه ومجلته ، فعهد بذلك الى لجنة فرعية ألفها من أعضائه ، واستقر الرأي - بعد درس الموضوع - على مفاوضة احدى الشركات التجارية فى شراء المطبعة فوراً ، ولكنه لم يكد يشرع فى المفاوضة حتى فوجئ بخفض موازنته من ٢٥٠٠٠ دينار الى ١٠٠٠٠ دينار ، فعدل عن عزمه ريثما تبدل الحال ، وعهد بطبع كُتبه ومجلته الى المطابع المحلية بوساطة مطبعة الحكومة على سبيل « المناقصة » ! فعانى من اضطراب الى اتباع هذه الطريقة فى الطبع متاعب شديدة ، ووقع من تسويق المطابع وابطائها فى انجاز كُتبه فيما خشيهِ وأراد الهرب منه منذ أول تكونه . ولما ازدادت هذه الحال تأزماً ، قدم الأستاذ محمد بهجة الاثرى اقتراحاً يتضمن حلاً وسطاً للمسألة ، وهو أن يقتنى المجمع حروفاً خاصة به ينضدها فى دار - ويبعث بها الى المطابع لتطبعها له تيسيراً لانجاز أعماله ، فوافق على اقتراحه ، وكتب الى وزارة المالية يطلب موافقتها على ذلك ، فلم توافق ، فعاد الى الكتابة اليها بقيام الدواعى التى تقضى بهذا الاجراء الاضطرابى مرة ثانية وثالثة ، وطال الاخذ والرد حتى ظفر المجمع بعد زمن طويل بموافقة وزارة المالية ، فابتعت الحروف من بغداد والقاهرة ، ولكن من موازنة المجمع الضئيلة . وقد كان للأزمة المالية المستحكمة يومئذ أثرها البعيد فى هذا الذى نذكره من الممانعة والمطال ، حتى اذا آتس المجمع فى أثناء ذلك انفراج الأزمة ، أخذ يطالب بمطبعة خاصة به لما يعانى من تسويق المطابع المحلية وتأخيرها لظهور آثاره وأعماله كالذى حدث من طبع المجلد الأول والثانى من المجلة فى أكثر من مطبعة وما نشأ عن ذلك من تأخير صدورهما عن أوقاتها المقررة ، وكالذى تعرض له كتاب الحريدة وغيره من الكتب التى أودعها الى المطابع ، وما برح يؤكد حاجته الشديدة الى مطبعة خاصة به حتى ظفر بعد عناء طويل بالموافقة على ابتاع مطبعة مستعملة من لندن ولكن من موازنته أيضاً . وطالت مراجعته لمطبعة الحكومة والشركات فى هذا الشأن حتى تمكن من الحصول على مطلبه .

واستدعى اقتناء المطبعة انشاء بناية خاصة بها ، وهى مسألة ترتبط مباشرة بمسألة الأرض التى يطالب المجمع بتمليكها اياها ، ولمسألة الأرض قصة طويلة ضافية الذبول صاحبت تأسيس المجمع ومرت بأطوار كثيرة من الاعطاء والمنع استغرقت سنوات عدة لم يكف فيها عن المطالبة بها حتى وعد بأرض فى « الوزيرية » ، ولم يلبث حين اقتنى المطبعة أن وجد السبيل الى تعيين هذه الأرض كى يتسنى له انشاء بناية المطبعة فيها ، فعينت له ،

فعجل وأنشأ فيها هذه البناية من موازنته السنوية أيضا ، ونحمد الله تعالى على أن تكللت سلسلة هذه المتاعب المضنية منذ سنة ١٩٤٨م بنجاح المجمع اليوم في اقتناء مطبعة مستعملة وتشييد بناية لها . والمؤمل أن يثين وقت الشروع في الانتفاع بها قريبا ان شاء الله .

أعماله العلمية في سلسلة هذه المتاعب المضنية التي تستبد بالطاقة وتستنفد الصبر ، دأب المجمع على أعماله العلمية فواصل محاضراته التي ذكرنا قسما مهما منها في المجلد الأول وشاركه فيها نفر من المستشرقين زاروا هذه البلاد وأموا المجمع خاصة لتعرف أعماله ومثاقفه رجاله . ووضع - على سبيل التعاون مع دوائر الحكومة - كثيرا من المصطلحات العلمية والفنية ، وما زال دأبا على وضعها في معظم جلساته ، وفي هذا المجلد طرف منها وسيواصل نشر ما أجز - منها في الأجزاء الآتية . ونشر طائفة من المؤلفات القيمة التي تملكها وقرر طبعها بنفقاته . وساعد عددا من الأدباء على نشر ما رغبوا في نشره من آثارهم أو آثار غيرهم بما بذله من المال . وشجع حركة التأليف والترجمة بتخصيص الجوائز السنوية للمطبوعات والمؤلفات والترجمات . ولم يفته أن يقف الجماهير على مبدعات العلم والمخترعات في عالم الصناعة ، فعرض عليها أكثر من مئة شريط سينمائي حفلت بمعجائب العلوم وغرائب الفنون والصناعات . ويسرت الشعبة الفنية فيه للعلماء والباحثين ما يفتقرون اليه من المخطوطات والوثائق والنصوص بتصويرها لهم بشن زهيد ووقت قصير جدا . وسهلت خزائنه كتبه جميع وسائل البحث والتنقيب الممكنة لمن يشاء من الناس ، وقد حفلت بأهم الكتب ونوادر المؤلفات التي صورها عن المخطوطات النادرة في أشهر خزائن الكتب في الشرق والغرب ، ولا يزال دأبا على اقتناء المطبوعات الجديدة - عدا ما يهدى اليه منها - وعلى تصوير المخطوطات النادرة بقدر ما تمكنه موازنته الضيقة .

وقد عقد الى الآن زهاء مئة وعشرين جلسة مجمعية ، وأكثر من ٤٠٠ جلسة عقدتها لجانه الفرعية من غير أن يتقاضى الأعضاء شيئا عن جلسات اللجان . وهذا ثبت محاضراته وكتبه ومساعداته وما قرر نشره :

المحاضرات ذكرنا في المجلد الأول قسما مهما من محاضرات المجمع ، ونذكر فيما يأتي المحاضرات الباقية ، وهي :

(١) نشوء الوجدان وتكامل الانسان - للدكتور ناجي الأصيل، في ١١/١١/١٩٥٠ .

(٢ ، ٣ ، ٤) المرأة والرجل - ثلاث محاضرات للدكتور شريف عسيران ، في

١٠/٢/١٩٥١ و ٣/٣/١٩٥١ و ٤/٢١/١٩٥١ •

(٥) نتاج حفريات نمرود (باللغة الانكليزية) - للأستاذ سلون، في ٥/٥/١٩٥١ •

(٦) القانون المدني العراقي - للأستاذ منير القاضي ، في ١/١٢/١٩٥١ •

(٧) الشاعر الفيلسوف محمد اقبال (باللغة الانكليزية) - للدكتور أختر امام ،

في ١٥/١٢/١٩٥١ •

(٨) خطط البصرة - للأستاذ ماسنيون ، في ١٧/١٢/١٩٥١ •

(٩) الرياضيات قبل عهد اليونان - للأستاذ محيي الدين يوسف ، في ١٢/١/١٩٥٢ •

(١٠) الثقافة النسوية القديمة في العراق - للدكتور مصطفى جواد ، في

١/٣/١٩٥٢ •

(١١) خطورة موقفنا الفاصل في تأريخ العالم من الوجهة الروحية (باللغة

الانكليزية) - للأستاذ ايلسون ، في ٣١/١٠/١٩٥٢ •

(١٢، ١٣) المدرسة النظامية ببغداد وتحقيق موضعها - محاضرتان للدكتور مصطفى

جواد ، في ٦/١٢/١٩٥٢ و ٣/١/١٩٥٣ •

الكتب والوثائق ونشر في هذه المدة الوجيزة من الكتب والاثار التي طبعها

بنفقته :

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الاول) •

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثاني) •

(٣) تأريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الاول) للدكتور جواد علي •

(٤) تأريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثاني) للدكتور جواد علي •

(٥) كتاب النعم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم - تحقيق الأستاذ محمد بهجة

الاثرى •

(٦) المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد للحافظ ابن الديبشي - انتقاء الامام الذهبي،

تحقيق الدكتور مصطفى جواد •

(٧) مقدمة للرياضيات - تأليف وايت هيد ، وترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف •

(٨) موجز الدورة الدموية في الكلية - تلخيص الدكتور هاشم الوترى •

(٩) صورة الأرض - للشريف الادريسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ ، وهي أول خارطة

عالية وضعها المسلمون ، وقد جمعها وألف بين أجزائها المتفرقة في كتاب « نزهة المشتاق

في اختراق الآفاق للادريسي » المستشرق الألماني كونراد ملر ونشرها مكتوبة بالحروف

اللاتينية ، ونقلها الى العربية الأستاذ محمد بهجة الاثرى والدكتور جواد علي وحققا

أعلام المدن بالرجوع الى خمس نسخ مصورة من كتاب نزهة المشتاق المذكور والى طائفة من كتب العرب فى الجغرافيا ، وامتاز بتحقيقهما بما استدر كاه على المستشرق الألمانى من الغلطات الكثيرة ، وكتب أسماء المدن الأستاذ محمد بهجة الأثرى بخطه ، وطبعت الخارطة بتسعة ألوان بمطبعة المساحة ببغداد فجاءت تحفة نادرة منقطعة النظير .

(١٠) خارطة بغداد الاثرية - وضع الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد نسيم سوسة والسيد أحمد حامد الصراف .

وتبعها كتب على وشك الظهور ، وهى :

(١١) خريدة القصر وجريدة أهل العصر - (القسم الخاص بالعراق) - تأليف العماد الأصبهاني الكاتب من كتاب صلاح الدين الأيوبي ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى والدكتور جميل سعيد ، مع شروح وتعليقات مستفيضة للأول .

(١٢) ابن الفوطى - للأستاذ الشيخ محمد رضا الشيبى .

(١٣) الديار الاسلامى فى المتحف العراقي - للسيد ناصر النقشبندى .

وكتب أخرى معدة للطبع ، وهى :

(١٤) نزهة الأرواح وروضة الأفراح فى أخبار الحكماء اليونانيين والاسلاميين - تأليف الفيلسوف الاشراقي شمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى معارضا بشمانى نسخ .

(١٥) تاريخ الموصل (الجزء الثانى) - تأليف الشيخ أبى زكريا الأزدى ، وتحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثرى .

(١٦) الخطاط البغدادى على بن هلال المعروف بابن البواب - تأليف الدكتور سهيل أون وير من أساتذة الطب بجامعة استانبول ، وترجمة الأستاذ محمد بهجة الأثرى والأستاذ عزيز سامى .

(١٧) مجمع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب - تأليف ابن الفوطى ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

(١٨) منازع الفكر الحديث - تأليف الفيلسوف الانكليزى سى. آى. أم جود ، وترجمة الأستاذ المرحوم عباس فضلى مدير التسوية العام ، ومراجعة الدكتور عبدالعزيز البسام والأستاذ أميل ضومط .

(١٩) معجم الرياضيات - تأليف جماعة من كبار الاختصاصيين الاميركيين ، وترجمة الأساتذة : محيى الدين يوسف ، ومحمد بهجة الأثرى ، ومصطفى جواد ، وعبدالجبار عبدالله ، وحلمى سمارة ، وسعدى الدبونى .

(٢٠) أرض الخلافة - تأليف لسترنج ، وترجمة السيد بشير فرنسيس والسيد كوركيس عواد .

ومنح مؤلفي الكتب الآتية مساعدات مالية لطبعها ، وهي :

- (٢١) اليزيدية - تأليف السيد صديق الذملوجي ، طبع في الموصل .
 (٢٢) أنت الوراثة - تأليف أفرام شاينفلد ، وترجمة السيد بشير اللوس .
 (٢٣) المدخل الى الفلسفة الحديثة - تأليف سي . آي . أم جود ، وترجمة السيد كريم متى .

- (٢٤) الديارات - للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد .
 (٢٥) الشرر - ديوان للشاعر السيد أحمد الصافي النجفي ، طبع في بيروت .
 (٢٦) شرفنامه - تأليف الأمير البديسي ، وترجمة السيد جميل بندقى الروزياني (تحت الطبع) .

الجوائز - أشرنا فى المجلد الأول الى اهتمام المجمع بتشجيع التأليف والترجمة والنشر فى العراق ، وارصاده مبلغا من موازنته يمنح جوائز لمن يتفوقون فى المباريات السنوية التى يعلنها ويعين موضوعاتها . وذكرنا الجوائز التى منحها فى سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ . ونذكر الآن أنه قد مضى على سنته تلك فأرصد لسنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ ست مئة دينار قسمها هكذا : ١٥٠ دينارا لمن يؤلف أحسن كتاب فى « وسائل اصلاح اللغة العربية العامة وتقريبها من الفصحى » ، و ٢٠٠ دينار للفائز الأول و ١٠٠ دينار للفائز الثانى فى نقل أحسن كتاب من لغة غربية الى اللغة العربية ، و ١٥٠ دينارا لأحسن كتاب مطبوع فى سنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، و شرط لذلك شروطا أذاعها فى بيانه الرسمى بالاذاعة اللاسلكية ونشرها فى الصحف المحلية وفى المجلد الأول من مجلته (س ٣٩٢) . ولكن الانتاج الذى قدم لمباريات هذا العام كان أقل شأنًا من انتاج العام الماضى كمية وكيفية ، ولم يؤلف أحد ما فى موضوع « وسائل اصلاح اللغة العربية العامة وتقريبها من الفصحى » . وراعى المجمع وهو يمنح جوائز هذا العام ما راعاه فى السنة الماضية من التزام جانب التشجيع فى منح جوائزه لئلا يقف فى بدء حياته موقف المتشدد تجاه المشتغلين بالبحث والترجمة ، فمنح التأليف المطبوع ١٥٠ دينارا وكانت نصيب كتاب « التطبيقات الشرعية » للسيد محمد أحمد العمر ، ومنح الترجمة منحة الجائزة الثانية وقدرها ١٠٠ دينار وكانت نصيب كتاب « الأرض والفقر » تأليف الآنسة دورين ورنر وترجمة السيد حسن أحمد السلطان .

وأرصد لجوائز سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ خمس مئة دينار قسمها هكذا : للمؤلفات المطبوعة ٢٥٠ دينارا وللترجمة ٢٥٠ دينارا ، فمنح منها ١٥٠ دينارا لكتاب « أميركا كما عرفتها » تأليف السيد أمين الميز • و ١٠٠ دينار لكتاب « ثورة الخيام » تأليف السيد عبدالحق فاضل • و ١٠٠ دينار لكتاب « رحلة ربيع في العراق » ترجمة صاحب المعالي السيد بهاء الدين نوري • ومما تجدر بنا الإشارة اليه أن الفائزين الثلاثة في هذا العام هم من رجال وزارة الخارجية العراقية كما أن مجموع الانتاج الذي قدم للمباراة كان أفضل مما قدم في العام الماضي وأوفر عددا •

المصطلحات العلمية بذل المجمع مجهودا كبيرا في وضع المصطلحات ، وكتب الى جميع دوائر الحكومة لتوافيه بما عندها من مصطلحات علمية وفنية باللغات الأجنبية تحتاج الى ما يقابلها من فصيح اللغة العربية ، وفي التقرير الذي نشر في هذا المجلد (٣١١-٣١٥) عن مساعيه في هذا الشأن غني عن الاعداد والتكرار •

م ، ب ، ١

أعضاء المجمع العلمي العراقي

في سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

الأعضاء العاملون

بغداد	الأستاذ منير القاضي (الرئيس)
•	الدكتور شريف عسيران (نائب الرئيس الأول)
•	الأستاذ محمد بهجة الاثرى (نائب الرئيس الثاني)
•	الدكتور جواد علي (السكرتير)
•	الدكتور ناجي الأصيل
•	الدكتور هاشم الوترى
•	الأستاذ محيي الدين يوسف
•	الأستاذ شيت نعمان
•	الدكتور أحمد نسيم سوسة
•	الدكتور مصطفى جواد

الأعضاء الفخريون

بغداد	الأستاذ طه الهاشمي
•	الدكتور محمد فاضل الجمالي
•	الدكتور منى عقراوي
•	الأستاذ يعقوب سر كيس

الأعضاء المراسلون

الموصل	الدكتور داوود الجلبى
•	الخوري سليمان الصائغ
دمشق	الأستاذ محمد كرد علي

الاستاذ عبدالقادر المغربي	دمشق
الاستاذ فارس الخوري	•
الاستاذ خليل مردم بك	•
الدكتور قسطنطين زريق	بيروت
السيد جميل بيهم	•
الاستاذ أحمد لطفى السيد	القاهرة
الدكتور طه حسين	•
الدكتور أحمد أمين	•
الدكتور منصور فهمي	•
الدكتور عبدالوهاب عزام	•
الاستاذ عباس محمود العقاد	•
الاستاذ محمد الخضر حسين	•
الاستاذ أحمد العوامري	•
الاستاذ ساطع الحصري	•
الاستاذ حسن حسنى عبدالوهاب	تونس
الاستاذ ظفر الله خان	كراچي
الاستاذ مكرمين خليل	الاستانة
الاستاذ على أصغر حكمة	طهران
الاستاذ مولانا أبو الكلام آزاد	دهلي
الاستاذ جب	لندن
الاستاذ ألفريد كيوم	•
الاستاذ لويز ماسنيون	باريس
الاستاذ وليم مارسيه	•

فجع المجمع في العام الماضي بعضوين من أعضائه المرسلين ، فكانت فجيئته بهما عظيمة ، وهما : الدكتور على مصطفى مشرفة باشا في القاهرة ، والشيخ محمد السماوى في النجف - رحمهما الله .

الفهرس

المقالات والمحاضرات

- ٣ الادب العربى : ألوانه وتاريخه . . . : للأستاذ منير القاضى . . .
- ١٢ المرأة والرجل : للدكتور شريف عسيان . . .
- ٤٩ الجغرافيا عند المسلمين والشريف الادريسي : للأستاذ محمد بهجة الاثرى . . .
- ٦٩ معركة أجنادين : متى وأين وقعت . . . : للأستاذ طه الهاشمى . . .
- ١٠٣ تواريخ مصرية أغفال . . . : للدكتور مصطفى جواد . . .
- ١٢٦ المصطلح الفنى فى اللغة العربية . . . : للأستاذ شيث نعمان . . .
- ١٣٥ موارد تاريخ الطبرى «تاريخ الفرس والروم» : للدكتور جواد على . . .
- ١٩١ الرياضيات قبل عهد اليونان . . . : للأستاذ محبى الدين يوسف . . .
- ٢٠٥ مبحث فى سلامة اللغة العربية . . . : للدكتور مصطفى جواد . . .
- ٢٣٣ اللغة العربية بين بون ودمشق . . . : للأستاذ عبدالقادر المغربى . . .
- ٢٤١ دستور العمل للاحية الحاصل . . . : للأستاذ يعقوب سركيس . . .
- ٢٤٧ بلاد العرب : من جغرافية سترابون . . . : للأستاذ جبرا ابراهيم جبرا . . .
- ٢٧١ الحياة الاجتماعية فى القرنين الثالث والرابع : للدكتور أسعد طلس . . .
- ٣٠٢ فرائد السلوك فى مصاديد الملوك . . . : لابن نباتة الحموى . . .
- ٣١١ المجمع والمصطلحات . . . : للدكتور جواد على . . .
- ٣١٦ معجم المصطلحات العلمية . . . : المجمع العلمى العراقى . . .
- ٣٢٨ تحقيق نص كتاب المقابسات . . . : لأبى حيان التوحيدى . . .

الكتب

- ٣٣٨ مباحث عراقية . . . : للدكتور مصطفى جواد . . .
- ٣٤٦ العربية الغربية القديمة . . . : للدكتور جواد على . . .
- ٣٤٨ موجز تاريخ الشرق الأوسط . . . : . . .
- ٣٥٣ شمسو « مسرحية شعرية بابلية » . . . : للأستاذ محمد بهجة الاثرى . . .
- ٣٥٦ عمدة الصرف . . . : . . .
- ٣٥٧ فى أصول النحو . . . : . . .
- ٣٦٠ تطور الزراعة فى الشرق الأوسط . . . : للدكتور شريف عسيان . . .
- ٣٦٥ النجاد العربية . . . : للدكتور جواد على . . .

أبناء وآراء

- ٣٦٧ ذكريات أدبية . . . : للأستاذ عبدالقادر المغربى . . .
- ٣٧٠ قصيدة لعبدالفار الاخرس . . . : للدكتور داوود الجلبى . . .

-
- ٣٧٤ تعليق على نسبة قصيدة لعبدالفجار الآخرس : للأستاذ محمد بهجة الاثرى . .
- ٣٧٨ ثلاثة اقتراحات في قواعد اللغة العربية . . : للسيد محمد على الكردى .
- ٣٨٦ خلاصة عن أعمال المجمع : للأستاذ م، ب، ا
- ٣٩٣ أعضاء المجمع فى سنة ١٣٧١ - ١٩٥٢
- ٣٩٥ الفهرس
-

تصحيح الفاظ المطبعي في المجلد الاول

الصفحة	السطر	الخطأ	التصويب
٣١٠	٢٣	=	+
٣١١	٥	٢	٢
٣١١	٦	٣	٣
٣١١	٧	٢	٢
٣١٢	٨	ص = ص	ص = ص
٣١٢	٨	ص = ٢ +	ص = ٢ ±
٣١٢	٢٩	الواحدة	الوحدات
٣١٢	٢٩	مثلا	مثلا
٣١٣	١٤	أحداثها	أحداثياتها
٣١٣	١٦	م = ١ م = ١	م = ١ م = ١
٣١٣	بعد السطر ٢١ وقبل السطر ٢٢	{ توضع عبارة : لوجدنا من تطبيق القانون المدعوقانون بويل أن حاصل ضربهما أى	
		حز يساوى	
٣١٤	٤	ح ص = ١	ح ص = ١
٣١٤	٩	١	١
٣١٦	٨	م ١ م ٢	ك ١ ك ٢
٣١٦	١١	ب ك ١ ك ٢	ب ك ١ ك ٢
		ل	ل
٣١٦	١٨	ب ك ١ ك ٢	ب ك ١ ك ٢
		ل	ل
٣١٩	١٩	للبحث	للبحث
٣٢٠	٤	النظرية	النظرة
٣٢٠	١١	محمل	محمل
٣٢٠	١٢	مينة	معينه
٣٢١	٢٢	و	و

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢٢	٤	$\frac{و}{و} = \frac{و}{و}$	و ، $\frac{و}{و}$
٣٢٢	٦	$\frac{و}{و}$	$\frac{و}{و}$
٣٢٢	١٧	اليونان	الرومان
٣٢٣	٢	(ليونارد) و(دافنس)	ليونارد ودافنس
٣٢٥	٢٢	الفراع	الفراغ
٣٢٧	شكل ٦	م	آ
٣٢٩	شكل ٧	م	آ

تصحيح الغلط المطبعي في المجلد الثاني

٨٢	١٣	و يترقت	و يترقب
٨٤	٢٥	الحقيقية	الحصينة
٨٩	٠١ (الحاشية)	Rite	Rise
٩٧	١٥	يحذف السطر ، ويوضع مكانه -	ويقول : ان العرب تقدموا من الجنوب ، ووصلوا الى جنوبى الوادى ، وعسكروا فيه ، بينما عسكر الروم ٠٠٠
٩٩	٠٩	ومسورة	ومستورة
٣٢٠	٨	Air Copk	Air Cock
٣٧٥	٣	بخاتمة	بخاتمه